ترجمة

أحمد رائف

على هامش

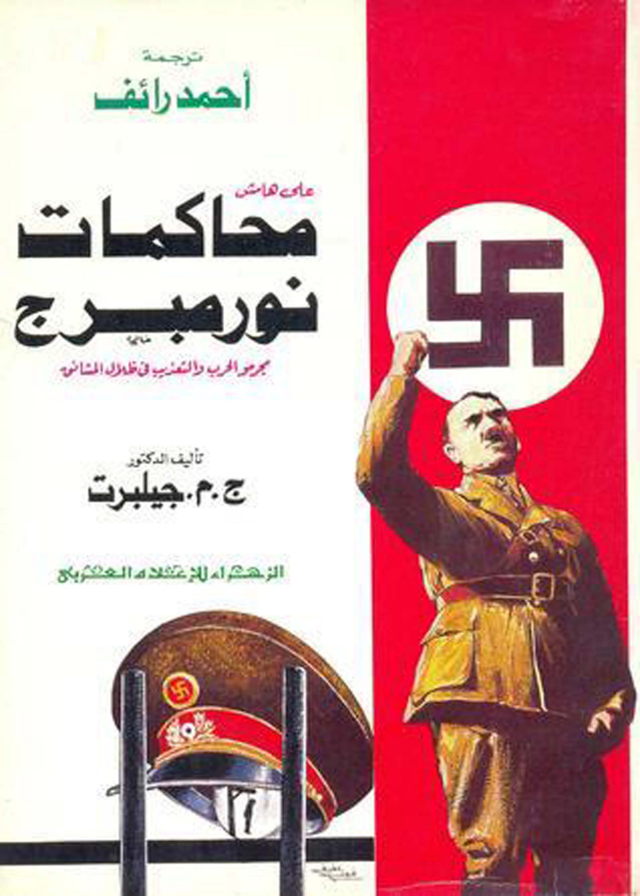
محاكمات نورمبرج

مجرمو الحرب والتعذيب في ظلال المشانق

تأليف الدكتور

ج.م. جيلبرت

الزهراء للإعلام العربي



بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشـــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

صدق الله العظيم

فصلت/٣٣

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

ترجمة

أحمد رائف

على هامش

محاكمات نورمبرج

مجرمو الحرب والتعذيب في ظلال المشانق

تأليف الدكتور

ج.م. جيلبرت





الزهراء للإعلام العربي

مقدمـــة

محاكمة مجرمي الحرب ضرورة إنسانية وإسلامية

بقلم : أحمد رائف

في نورمبرج عام 1945 وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بانتصار الحلفاء على دول المحور ، تم تقديم مجرمي الحرب إلى المحاكمة وهم ؛ أولئك الذين تسببوا في الحرب العدوانية وخططوا لها من النازيين ، والذين ارتكبوا الجرائم المختلفة باسم الحرب وأثناءها . وقد تمت جميع الإجراءات بشكل علني ، وسمح للمتهمين بالدفاع عن أنفسهم بطريقة كاملة وعادلة . ولم تعترض المحكمة على مثول جميع شهود النفي لصالح المتهمين ، وهيئت الفرصة للمحامين في تقديم كل المستندات والوثائق التي قد تكون في صالح المجرمين . ومكنوهم من الحديث والدفاع والرد على كل التهم وإنكارها ومحاولة تبرير ما فعلوه . وأخذت المحكمة في اعتبارها كل ما يمكن أن يكون في صالح المتهمين . وكانت أجهزة الإعلام العالمية تتابع الجلسات وتعمل على تغطيتها تغطية كاملة ، وقد تمت في شكل علني مكشوف قد شاهده العالم وتابعه في دقة واهتمام .

ولم يتسن للحلفاء محاكمة مجرمي الحرب إلا بعد هزيمة ألمانيا هزيمة كاملة واحتلال أراضيها وتوقيع كبار الجنرالات لوثيقة الاستسلام في 7 مايو سنة 1945م بمدينة ريمز . وكان الاستسلام غير مشروط ، وقد ألمح أحد الجنرالات الألمان إلى هذا ، وكيف أنه مهين لألمانيا ، وقد تساءل

أيزنهاور رئيس قوات الحلفاء في دهشة عما يمكن أن يوضع من شروط لحساب دولة قد تمت هزيمتها هزيمة كاملة واحتلت جميع أراضيها !

وبعد هذا سنحت الفرصة لمثول هؤلاء المتهمين أمام قضاتهم . وقد نجا من هذه المحاكمة مجرم الحرب الأول في الحرب العالمية الثانية ، أدولف هتلر زعيم ألمانيا بعد أن أقدم على الانتحار هو وعشيقته إيفا براون وطلب أن تحرق جثتاهما في حديقة المستشارية ، وكان له ما أراد ، ولم يعثر عليه أحد . وقد ألقى المتهمون عليه تبعة كل شيء أثناء نظر الادعاءات المقامة ضدهم . ولكن المحكمة لم تأخذ بشيء من هذه الدفوع .

وكانت القرون الماضية والثقافة القديمة وسلوك الدول التي مضت تسمح للمنتصر في حربه أن يحاسب عدوه الذي انتصر عليه ، وأن يوقع به الجزاء الذي يراه . ثم تطورت البشرية في مدارها ، وفي شكل تعامل الدول مع بعضها البعض ، وفي النمو الهائل لطرق الاتصال ، حتى صار العالم يعرف ما يدور فيه في لحظة واحدة . ومن ثم فقد كانت محاكمات نورمبرج محصلة طبيعية لمتغيرات كثيرة .

وقد أراد البعض أن يجعل من فكرة هذه المحاكمات قانونا جديداً تتفق الدول عليه ، ولكن التفاؤل كان يملأ النفوس بعد مأساة الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن من المتصور أن تنشب حرب مثل هذه مرة أخرى ، واكتفى الساسة والمفكرون بأنها سابقة يمكن أن يقاس عليها وأن تستخدم في الوقت المناسب .

وقد كانت لهذه المحاكمات فوائد جمة ونتائج عظيمة ، فبالإضافة إلى أنها قد قضت بمحاسبة المجرمين الذين تسببوا في الكارثة العالمية ، إلا أنها أطلعت الناس وأعلمتهم بما يدور في دول المستبدين والطغاة ، وكيف تتحول

النظم العادية إلى الاستبداد ، وكيف يمكن لمجنون أن يسيطر على جهاز من أجهزة الدولة ثم يفرض حكمه عليها ، وبعد ذلك يمتد سلطانه إلى الآخرين في خارج بلاده . وفي ظني أن مثل هذا التاريخ لو قدم إلى العرب ودرسوه واعتنوا بما جاء فيه لكان كافيا لمنع ظهور مستبد مثل صدام حسين في العراق ، هذا بطبيعة الحال مع الأخذ بعوامل أخرى كثيرة .

والذي يعنينا من محاكمات نورمبرج هو مدى شرعيتها الدولية في مثل ظهور تلك الحالات الآسنة ؛ مثل حالة صدام حسين . وهل يمكن أن يقدم للمحاكمة في شكل يُتفق عليه ، ومعه كل من عاونه في تخريب مستقبل الأمة العربية وحاضرها ؟! بالإضافة إلى ما ارتكبوه من جرائم مادية تقوم الأدلة عليها ، وينتظر الشهود – وهم في كثرة تبلغ الآلاف– للإدلاء بإفاداتهم حول جريمة العصر الحديث في عالم العرب والمسلمين والإنسانية كلها .

وقد حوكم النازيون في محاكمات نورمبرج بموجب التهم التالية :

١ – الخطة العامة أو المؤامرة :

* تأسيس حكومة مستبدة بألمانيا .
* توجيه النظام النازي والانتفاع به في العدوان الخارجي .

٢ – جرائم ضد السلام :

* انتهاك المعاهدات والاتفاقات الدولية .

٣ – جرائم الحرب :

* القتل والمعاملة التي أدت إلى مرض المواطنين في الأراضي المحتلة .
* قتل أسرى الحرب وسوء معاملة من لم يقتل .

* ترحيل العمال للعمل بالسخرة .
* قتل المعتقلين من المدنيين .

٤ – جرائم ضد الإنسانية :

* القتل .
* الإبادة .
* الاستعباد .
* التعذيب لأسباب سياسية أو عنصرية .

والمتأمل في هذه التهم يجدها كلها تنطبق على الجرائم التي ارتكبها صدام حسين ومعاونوه . ويجد أن كل فرد في الحكومة العراقية البعثية يمكن أن يدان بهذه التهم . والمتأمل أيضا يجد أن صدام حسين قد ارتكب ومن معه هذه التهم بطريقة أكثر وحشية وأشد إجراما مما فعله هتلر وحكومته النازية .

والمتابع للمحاكمات– محاكمات نورمبرج– يجد أن كل من شارك في جريمة من الجرائم المشار إليها من قريب أو بعيد قد حوسب وأدين حسب درجة قربه أو بعده من هذه الجريمة . وحسب ارتباطه ببؤرة الشيطان ومركز القوة (أدولف هتلر) . وكذلك كان الحال مع البعثيين العراقيين الذين استظلوا بعباءة صدام حسين ؛ فهي شجرة تنبت في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين .

وقد احتج الكثير من القادة والضباط وكبار الجنرالات بأنه كان عليهم تطبيق الأوامر وتنفيذها فالجندي ملزم بإطاعة الأمر . والجندي هو كل من يصدر إليه أمر بغض النظر عن رتبته ومكانته ودرجته .

وهذا ما دعا هيئة المحكمة إلى إقرار مبادئ هامة ، منها عدم جواز الاعتداد بالأوامر للدفاع عن جريمة ما قد تم ارتكابها .

وقد وردت قصة الملازم الألماني الشاب الذي صدرت إليه الأوامر بقتل بعض الأسرى من الحلفاء فلم يمتثل لها ورفض تنفيذها ، على الرغم من أن الذي أصدر إليه الأمر رتبة كبيرة لايجوز معارضتها . ولكن هذا الملازم الشاب أصدر أمراً بنقل الأسرى وعدم التعرض لهم ، وأكد لرقيب كلفه بمهمة تأمينهم ألا يتردد في إطلاق الرصاص على كل من يعترض طريقه في نقلهم بسلام .

وقد أكدت المحاكمات أيضا أنه إذا نفذ شخص ما في أية وظيفة أو رتبة أمراً يتنافى في الأصل مع الدستور والقانون ، أي دستور وأي قانون ، فإن الذي نفذ هذا الأمر محاسب عن تنفيذه ، وهو فاعل أصيل ويعامل على أساس ذلك ، وكل إنسان مسئول عن نفسه وعن تبعة ما يفعل ، بالنسبة للجرائم التي يرتكبها ويعاقب عليها القانون .

وقد احتج كبار النازيين أمام المحكمة وقالوا : إنهم كانوا مجرد أشباح وأصفار لا قيمة لها ، وأنهم لم يكونوا ليقدروا أو يجرؤوا على الاعتراض والمناقشة لهذه الأوامر التي تأتيهم من أعلى ، وأنه ليس في قانون العسكرية الذي توارثوه وتعلموه ما يبيح لهم مناقشة الأوامر وإبداء الرأي فيها أو الامتناع عن تنفيذها . وأضافوا بأنهم لو سمحوا لأنفسهم بذلك فمعناه فساد النظام في الجيش ، وعدم القدرة على تحقيق الأهداف المرسومة .

وبهذا يحتج الآن بعض الذين تبعوا صدام حسين ثم هربوا منه !

واستمات النازيون الكبار في المحكمة في التدليل على أن الأوامر هي الأوامر ، وسوف تظل كذلك أبد الدهر ، والذي يرى جوازها أو عدم جوازها هو ذلك الذي لديه الصلاحيات والشرعية لإصدارها ، وهو المسئول عنها إن خالفت الدستور والقانون والنظام العام . أما الذي يكون

قدره هو مجرد تنفيذه لأوامر قد جاءته من أعلى ، فينبغي أن ترفع عنه هذه المسئولية تماما .

وقد قضت محكمة نورمبرج بغير هذا كما بينا ! .

وقضاء المحكمة يتفق مع مبادئ الإنسانية بوجه عام ، ومع تعاليم الإسلام بوجه خاص . وقد يظهر ذلك بوضوح عندما يقدم مجرمو الحرب البعثيون وعلى رأسهم صدام حسين إلى محكمة شبيهة ، بعد استقرار الأعراف والتقاليد بعد تلك الحقبة التي مرت من الزمن ، وعندما توجد الوسيلة لمحاكمة مجرمي الحرب باستخدام قوة الدول مجتمعة حتى يمكن تحقيق الأمن الإقليمي في العالم والتعاون الاقتصادي بين الدول ، وهي كما يبدو أهداف النظام العالمي الجديد الذي بدأ عهده بطرد صدام حسين من الكويت وتحجيمه ، ولم يبق غير طرده من الحكم وتقديمه للمحاكمة . والمؤكد أن محاكمات نورمبرج قد كونت تقاليد واعرافاً ستستمر زمنا ليس بالقصير ، وسوف يحترمها العالم ، ويقضي بها في تطوره نحو الأحسن ، وسيبني عليها المزيد من المبادئ والقواعد مع توالي الحالات المثيلة والشبيهة .

والعالم كله يتجه بإصرار إلى نبذ الجريمة وضرورة معاقبة صاحبها ، وبخاصة إذا قامت على تنفيذها وارتكابها هيئة الدولة بنظمها ومؤسساتها امتثالا لإرادة شيطان على رأسها مثل هتلر أو صدام حسين ، حسبما رأينا فيما نعاصر ونعايش ما يجري من فظائع وأهوال .

وقبل هتلر ومحاكمات نورمبرج كان يمكن لأي حاكم أن يرتكب من الفظائع والأهوال في حرب وفي غير حرب ، دون أن يحاسبه أحد أو يناقشه مخلوق ، فلم يكن العالم يسمح آنذاك بمثل هذا النوع من الحساب .

ولعل محاكمات نورمبرج لو سبقت نابليون وعصره لقدم إليها مجرماً

يُحاكَم من أجل الجرائم التي ارتكبها . ولكنهم اكتفوا بإجباره على التنازل عن العرش والنفي إلى سانت هيلانة ، حيث جعلوا له سجّاناً غليظاً ضيق عليه وسامه الخسف حتى مات في ظروف غامضة . وقيل ، إنهم وجدوا بعض آثار الزرنيخ في شعيرات رأسه ، عندما أخذ بعضهم خصلة من رأس الإمبراطور الذي يحتضر على سبيل التذكار .

ارتكب نابليون جرائم تعاقب عليها محكمة نورمبرج ، ولكنه جاء قبل وجودها لحسن حظه كما قلنا ! قتل ستة آلاف أسير تركي أثناء سيره إلى عكا في محاولة احتلالها عام 1800م . وكانت جريمة شنعاء غضب لها العالم في ذلك الوقت ، ثم هدأ غضبه بعد حين قريب ، فقد شغلهم الإمبراطور وقتها بأشياء أكثر هولاً من قتل أولئك الأسرى المساكين الذين ألقوا السلاح ، بالإضافة إلى أنهم من المسلمين الأتراك ، الذين كان يشترك القرن التاسع عشر كله في عداوتهم .

قتل نابليون الرهائن من المدنيين في البلاد التي اجتاحها ، وغيَّر الخرائط ، ورسم تكوينا جديداً لأوروبا . وكان تمثيله بروسيا بالغا ، فقد اجتاحها وقبض على رهائن يفوقون الحصر ، وقتلهم ووجوههم أو ظهورهم إلى الحوائط والبيوت ، وأمام أهليهم وذويهم في أوامر صارمة باردة .

وقتل نابليون زهرة شباب فرنسا في حروب عدوانية استعمارية . ولكن العالم لم يقف وقتها كثيراً أمام تلك الجرائم ، فقد كان لا يزال عالما قاسيا لا يعرف الرحمة ، والقوة هي القانون والسلطان ، ومخول لها أن تفعل ما تشاء ، والذي يحاسبها قوة أكبر منها ، أو سرعان ما ينسى جرمها بعد حين . أخذ الصراع في أوربا شكلا ترسمه القوة وإمكاناتها وهي التي تحدد النتائج ، ولو ظهر شيء من استياء المفكرين والكتاب والفلاسفة فهو استياء لا يستوجب التغيير . ولكن كان له دور على المدى البعيد .

وجاء وقت تساوت فيه القوى العالمية وتوازنت ، وظهرت أجنحة يمكنها أن تحقق شيئا من الاعتدال في الشرق ممثلا في الاتحاد السوفييتي ، دون إغفال كم الجرائم الهائل الذي يرتكبه كدولة ونظام ضد مواطنيه المساكين . وفي الغرب كانت الولايات المتحدة الأمريكية بالحرية المطلقة التي سمحت قوانينها وظروف تكونها بمنحها لمواطنيها .

وقد ظهر هذا واضحا مع مطلع القرن العشرين ، وتأكد بعد انتهاء الربع الأول منه . ومن وقتها والجرائم التي ترتكبها الدول صارت شيئا مستهجنا يستوجب المؤاخذة والعقاب والحساب . ولعل هناك بعض العوامل التي تؤثر في تنفيذ ذلك .

ولكن الأمور قد تحددت بوضوح في محاكمات نورمبرج ، وقد دقت جرساً للتحذير لأية حالة مشابهة قد تخرج على العالم في مستقبل ما يستجد من حوادث وأيام . وأخذ العالم طريقه في تحديد الحقوق والواجبات في شكل جماعي يستدعي التوقيع على المعاهدات وإبرام الاتفاقيات ، وتحديد طرق اقتضاء الدول حقوقها من بعضها بعضا . وبدا الأمر وكأنه لم يدع فرصة لأحد في الخروج من هذا النظام العالمي العتيد ، والذي تحكمه قوتان ، والباقي تبع لهما قرباً أو بعداً بنسب تزيد أو تنقص .

وأفرزت الحرب العالمية الثانية عالما جديداً في انتماءاته ممثلا في دول تتبع الغرب بصوره المختلفة ، وفي ارتباطات متعددة مع الإنجليز أو الفرنسيين ومن قبل هؤلاء وبعدهم الأمريكان حيث تتشابك المصالح وتتعقد ، ويبرز العامل الاقتصادي كمحرك رئيس للنشاط والانتماء .

وصارت هناك دول تتبع الاتحاد السوفييتي الذي خرج قوياً من الحرب ، وهي تبعية مباشرة في مجال السياسة والاقتصاد مثل دول أوربا الشرقية .

وظهر نطاق جديد من الدول اشترك الأمريكان والسوفييت في إيجاده وأطلقوا عليه أو أطلقوا هم على أنفسهم دول عدم الانحياز ، أو دول العالم الثالث المتخلف والذي يسمونه تأدبا الدول النامية . وهي دول غير منحازة في الاسم فقط ولكنها توزع انتماءها إلى الغرب وإلى الشرق حسب قانون يعرفه الغرب والشرق ، وحسب مصالح معقدة قد أحسنوا تعقيدها وتشبيكها . فهم منحازون وإن قالوا بغير ذلك ! ولكن رؤساءهم وكبراءهم غذوا شعوبهم على وهم الاستقلال وعدم التبعية ، وصنعوا لهم أهدافاً من العسير الوصول إليها مع كم الجهل والتخلف والفقر الذي يعيشون فيه .

وظهر في هذه البلاد من سمى نفسه بطل عدم الانحياز ، وهو في حقيقته بطل من أبطال الانحياز . وكان منهم من يرتبط اقتصاديا بالسوفييت ويشتري منهم الأسلحة ، وهو في حقيقته السياسية تابع للغرب ومُنفذ لمخططاته .

وبعد هذا التقسيم ، قلت فرصة المغامرين والأفاقين في ارتكاب الجرائم الدولية ، أو إشعال الحرب العدوانية ، على النحو الذي كان سائداً في القرن الماضي ، والذي انتهى بإقرار مبادئ تمنع هذا منعاً باتاً عن طريق منظمة الأمم المتحدة التي تكونت في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وعند تجربة نظام جديد لابد من أخطاء في هذه الممارسة ، ولكنها أخطاء لا يمكنها أن تلغي طبيعة القواعد الجديدة بأية حال . ولكن من المؤكد أن القوتين الكبيرتين الممثلتين في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وهما القوتان اللتان ظهرتا بعد الحرب الثانية قد تعارفتا على تقسيم العالم إلى دول منحازة ، وأخرى تسمت بدول عدم الانحياز . وصار التوجيه المركزي في يد الولايات المتحدة . وحتى نتفهم طبيعة هذا التقسيم في عالمنا العربي والإسلامي مثلا ، فإن علينا أن نأخذ نموذجا من هذه الدول وننظر في أحوالها بإيجاز .

وليكن هذا النموذج هو مصر !

ولعل تغير النظام الملكي إلى النظام الثوري والذي تم بعد انقلاب 23 يوليو 1952م في مصر هو سبب معظم الكوارث التي وقعت في بلاد العرب والمنطقة . ولعل هذا التاريخ هو النقطة الحرجة التي غيرت مستقبل المنطقة ، وأجهضت محاولات الإصلاح الديني والسياسي والاقتصادي ، والتي كان مقدراً لها أن تؤتي أكلها . ولعلها أيضا هي التي خلقت حاجزاً وتخوفاً بين البلاد الغنية والفقيرة في عالم العرب والمسلمين .

فقد كان النظام الملكي المصري يسمح بقدر كبير من الحرية والديمقراطية لكل المواطنين . وكان هناك حجم للفساد تتحكم في تقليله الصحافة الحرة ، التي تقيد في أزمنة محددة لظروف الحرب أو الطوارئ .

وكانت البلاد على وشك التحرر من « الاحتلال » الإنجليزي وليس الاستعمار فقد حدث خلط هائل بين الكلمتين ، فالتخلص من الاحتلال شيء والتخلص من الاستعمار شيء آخر . فقد يبقى النفوذ الخارجي بعد ذهاب القوات العسكرية ، وقد ينتقل هذا النفوذ من دولة إلى أخرى كما حدث في مصر حيث انتقل النفوذ الخارجي فيها من الإنجليز إلى الأمريكان ، وقد شاركهم في هذا السوفييت في فترة لاحقة من حكم جمال عبد الناصر .

ويبدو ان حديث الاستعمار في مصر قد زاد عن القدر المناسب له فأحدث خلطاً أفسد الحقائق وضيع المفاهيم في الأذهان ، وقد خلق جواً من خداع الفكر ، استمر اكثر من خمسين عاماً ، نتج عنه تأثير عاطفي مغلوط ، وشعور وطني مضطرب غير صحيح . وكان له الدور الرئيس في تحديد شكل الصراع الاجتماعي والسياسي والثقافي لقرن أو أكثر من ذلك لمن يشاء .

ولم يخرج حزب سياسي أو جماعة ثقافية أو دينية ، إلا ولها صلة أساسية بحديث الاستعمار من بعيد أو من قريب . ولما انتهت هذه الحقبة نهاية واضحة لا لبس فيها ولا غموض أبى البعض أن يسير العالم دون هذه الفكرة التي أخذت حيزاً كبيراً من عقل أكثر من جيل من العلماء والمفكرين والساسة وأهل الدين .

وانساقوا خلفها طواعية وقسراً ، إما لاختلاط في الفهم ، أو لأن هذا ما يريده الناس ، ويرضي أهواءهم ونزعاتهم ، ويسهل قيادهم من خلال الرؤية الضبابية التي تثير نوعا من العواطف الغامضة فتثير العوام وتجعلهم يشعرون بعظم رسالتهم ، أو بالأمانة الملقاة على عواتقهم . ويصعب فحص هذه المفاهيم على موازين العقل السليم .

ونشأ فكر حكم الحركة السياسية والإسلامية لا صلة له بالواقع الذي تعيشه الأمة إلا بقدر يسير بعيد . وتصدرت جماهير الشعب المصري قيادته الفكرية والسياسية والدينية ، ساعية إلى تحقيق أهوائها ، وفرضت شعاراتها على الأمة . وخفتت الأصوات العاقلة التي تعرف المفاهيم الصحيحة ، فلم تستطع أن ترفع صوتا أو تدلي برأي سديد . وإن فعلت فليس هناك من يسمع لها أو يستجيب . ووقف الزيف في مواجهة الحقيقة ، وتصارع الوهم مع الفكرة وغلبها أو كاد .

وأثيرت قضايا سياسية ودينية في مصر في مطلع القرن العشرين ، والمفروض أنها تعبر عن أماني الشعب وطموحاته ، ولكنها انتهت نهاية محزنة مؤسفة ، وعاشت الأمة تحارب عدواً خرافيا لا وجود له أسموه (الاستعمار) ونسبوا إليه كل تأخر وضياع . ورغم أن مصر قد تخلصت رسميا وفعليا من الاحتلال الإنجليزي إلا أن احتلالاً ما ظلَّ في رؤوس القادة ومن على مستواهم من الزعماء وأهل الفكر والرأي ، بينما القرن العشرون

يأخذ طريقه للخروج من التاريخ . فلابد من وهم يجمع الدهماء ويوحدهم . وهذا شأن التجمعات المتخلفة عبر التاريخ المكتوب . وحكمت مصر والمصريين على اختلاف مشاربهم عقدة الاستعمار وحربه ، وأنه سبب ما هم فيه من تخلف وفقر . وابتعدوا بهذا كثيرا عن الطريق الصحيح والتوجه السليم ، وقد ظهر ذلك جلياً في كل أنواع النشاط .

وكما قلنا لم يخرج حزب سياسي أو جماعة ثقافية أو دينية وليست لها صلة بحديث الاستعمار- والاحتلال الأنجليزي لمصر في 1882م ، ولم يستطيعوا التفرقة بينهما . واضطرب الناس اضطرابا عظيما في مصر مع ظهور ما سمي بثورة 23 يوليو 1952 .. وكان محور الاضطراب هو الاستعمار والاحتلال الإنجليزي الذي أوشك أن يغادر البلاد بعد أن جاهده المصريون أكثر من سبعين عاما ، ولم يكن هناك غير خلاف على شكل المغادرة وقليل من التباطؤ والتأخر . وبدأ قسر الناس وظلمهم والسيطرة عليهم حتى يتمكن النظام من حرب الاستعمار وأعوان الاستعمار . وكان الشعب كله في نظر حاكميه من أعوان الاستعمار باستثناء بضع حفنات من الضباط كانوا يقومون على الحراسة وتعذيب المواطنين وتلفيق التهم لهم في مأساة لا تزال آثارها باقية . وسلبت الأموال وصودرت المصانع والمنشآت حتى لا يبقى في البلاد أغنياء من أعوان الاستعمار يمكن أن يعملوا على مجيئه ، وكنا نسمع هذا الكلام ونحن ندرس في المدارس الثانوية ولا نصدقه . وتم القضاء على كل القوى الاجتماعية والسياسية خوفا من الاستعمار ، ثم عمل النظام على إذلال المواطن وسلب حقوقه الإنسانية ، ولم يستبعد إيذاءه بأي شكل وفي أي مكان ، وهو يذهب إلى السجن أو المعتقل في أية لحظة من لحظات الليل أو النهار دون جريمة محددة ، خطأ

كانت أم صواباً ، ودون تحديد مدة يعرف متى يغادره بعدها . ولا يعرف أهله عنه شيئا فقد دخل عالم الغيب حيث لا يطلع على ما فيه مخلوق من العباد الودعاء الذين يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ولا يتميزون عن أحد .

وكانت الحرب بين ثورة يوليو وبين الاستعمار حرباً « دون كيشوتية » لا هوادة فيها ولكن تفتقر إلى الابتسامة ، وليس من آثارها غير البكاء والحزن الطويل .

ففجأة صارت مصر هي قلب العالم العربي واتسع مجال العمل والنشاط حتى صنفوا البلدان العربية إلى بلاد تقدمية ، وأخرى رجعية وعميلة للاستعمار ، ووصفوا حكامها وأمراءها بأبشع النعوت .

ولما كانت البلاد العربية البترولية تأخذ مكانها في التاريخ الحديث ، وهي تأخذ مكانا متميزا بحكم الثروة النفطية التي ظهرت فيها ، فإنه كان الطبيعي أن تصب أموالهم في مصر والبلاد العربية الفقيرة ولكن ما حدث كان غير هذا . فقد استطاع النظام الثوري المصري أن يصنع تقليداً قبيحا جرى عليه من جاء بعده في بلاد العرب التي تعرضت للانقلابات ، وهو أن هذه البلاد العربية الغنية بلاد تحكمها الرجعية وينبغي العمل على تغيير الأسرات الحاكمة في السعودية وكل أنحاء الخليج ، والملاحظ أن هذه الأنظمة – وعلى الأخص النظام السعودي – كانت من أهم عوامل تخفيف أزمة المنطقة ، فبحكم الترابط القديم بين السعودية والشعب المصري ، استوعبت السعودية كل من تعرض للاضطهاد في مصر ، وعلى الأخص أولئك الذين يرفعون الشعار الإسلامي ، وينتمون إلى الحركة الإسلامية ،

وقد حذت حذوها سائر دول الخليج .

وقد ظل أمل الهجرة إلى السعودية حلما يراود خيال جميع المجاهدين الذين كانوا يعيشون تحت نير الاضطهاد المصري . وهناك مئات القصص حول هذا . وقد كونوا مجتمعاتهم ومارسوا تجاراتهم في أمن وأمان ، وكان هذا بمثابة البخار المتسرب من القدر الذي يفور ويغلي ، ولولا ذلك لربما انفجرت مصر انفجارا دمويا مروعاً غير تاريخ المنطقة ، فقد كان الاستبداد بالغا .

وكل هذا خلق قطيعة بين الأنظمة ، فلا يمكن لنظام أن يتربص بالنظام الآخر ، ويرسل له المخربين ويحاول عمل الانقلابات ، مثلما فعلت مصر مع السعودية ، ثم يُطلب من الأخيرة أن تطمئن لمصر وتستثمر لديها أموالها ، التي ما إن برزت أول بوادرها حتى جاء سيف التأميم والمصادرة فحلقها حلقاً .

ضرب الزعيم المصري– إذن– على وتر الاستعمار ، وألقى على كاهله كل أخطاء الدكتاتورية ، والاستبداد والفساد ، وصدقه الناس على هذا وشايعوه .

وانقسم العالم العربي قسمين : أحدهما يعادي الاستعمار الذي لا يتعدى وجوده الفكر والخطب والمقولات التي يحشون بها رؤوس التلاميذ والجماهير ؛ ويتمثل هذا القسم في كل البلاد الضعيفة التي استطاع الجيش فيها أن يختطف الحكم ، وقد ظلت هذه المقولة (الكاكية) عن الاستعمار هي (الإكسير) الذي يحفظ بقاء هذه النظم العسكرية التي جاءت من العدم ، ويقطر من فمها الدم .

والقسم الثاني دول مستقرة قد حققت الثراء والهدوء ، وهي تعمل على تطوير أحوالها من خلال الثوابت التي تحكم مجتمعها ومن خلال الثروة النفطية التي جاءتها على قدر مع انتصاف القرن العشرين . ولم تكن هذه المجتمعات تعاني غير مشكلتين رئيستين هما ؛ مشكلتا التعليم والتنمية ، فهي بلاد غنية ليست متعرضة لنكسات خطرة .

ولم تعط دول الثورة الفرصة لدول الاستقرار والثبات حتى تتقدم في هدوء ! وكان صراع مستعر في الخمسينيات والستينيات بين دول الثورة والغوغائية وبين دول الثروة والاستقرار ، وانجلى هذا الغبار عن بون شاسع بين الفريقين في شكل المجتمع واستقراره ، من جانب الثروة والاستقرار ؛ أمن وأمان مع تقدم وئيد نحو الأحسن . والتمزق والتخلف وضياع الأخلاق والمفاهيم والقيم العليا في جانب الثورة ومحاربة الاستعمار وأذنابه كما كان ينادي بهذا سدنتهم .

وكان يمكن للسعودية أن تقوم بدور هام وخطر في خدمة البلاد العربية وتنمية مجتمعاتها وتحقيق خطوات كبيرة في سبيل الوحدة العربية ، ولكنها منيت بحرب ضروس أدت إلى تأخير هذه الأهداف ، وعدم وجود المناخ المناسب لتحقيقها .

ثم جاءت ثالثة الأثافي !!

فقد كانت الانقلابات العسكرية تنشأ في الدول الفقيرة ثم وجدناها تتصاعد وتنمو في الدول الغنية مثل العراق ، ولعله كان الدولة التي بدأت بتجارب الانقلاب الأولى قبل موجة التحرر التي شملت البلدان التي كانت

ترزح تحت نير الاستعمار .

ولم تكن لهم من مشكلات وكان لابد من خلقها لتبرير الوجود واعتماد الحكومات الجديدة من قبل الشعب والجيران . ولابد لخنق الحرية من أيديولوجية مهددة ينبغي الدفاع عنها ، ولا مناص من مبادئ مختلقة لإحكام السيطرة على الجماهير . وإن سار الحاكم المستبد شوطا في قهر الناس ، فلابد أن يتبع ذلك أشواط وأشواط . ولا غاية للقهر والظلم إن ارتبط بالإلحاد والكفر والبعد عن الدين .

واستقر البعث في حكم العراق وعلى رأسه صدام حسين ! وتكرس التهديد والعذاب لمجموع المواطنين وكل الجيران ، وصار صدام هو صاحب الهراوة ، البذيء القاتل الذي لا يستطيع أحد أن يجاهر بنقده أو التصدي له ، فهو حاكم لم يلتزم لحظة من حياته بقانون الأخلاق الإنساني أو مبادئ شريعة الإسلام ، ولعل هذه النقطة هي مفتاح شخصية هذا الطاغية الذي لم يصدف مثله في التاريخ المنظور حسب ما وصل إلينا من علم بالطغاة وما عرفناه من جرائم ذلك المستبد الملحد .

انقسم العالم العربي إلى قسمين : دول مستقرة قد تمثلت في النظم الملكية والأميرية ودول قلقة حائرة تمثلت في الأنظمة التي نشأت على أنقاض الملكيات التي تم تدبير الانقلابات ضدها . وينعم المواطن في الدول المستقرة بقدر أكبر من الحرية وله من الحقوق ما ليس لغيره في الدول الأخرى ، والنسبية هنا هي معيار الأمور بطبيعة الحال . والمستقر عليه بين المثقفين والمفكرين أن أحوال البلاد التي خضعت للأنظمة الثورية أشد سوءاً من غيرها . وأن الثوار قد أفسدوا بلادهم بانقلاباتهم ولا توجد دولة واحدة تغير نظامها من الملكية إلى الجمهورية إلا وأهلها أسوأ حالا في نظامهم الجديد من عالمهم الذي ثاروا عليه . وهذا ليس دفاعاً عن الملكية أو طعنا

في الجمهورية ، ولكنها ملاحظات مشاهد وخاطرات تفكير ونظر .

فالنظم الثورية قد كرست فساد الأخلاق في نفس المواطنين والحكام على حد سواء . وهي تجنح بطبعها إلى تجريح القيم العليا والسخرية منها حتى ينشأ المواطنون على نهج يسهل معه قيادهم والتحكم فيهم ، فتراهم وهم كثير ، وأفئدتهم هواء . ومع نشأة مثل هذه النظم ، فنراها تلجأ جاهدة إلى إلغاء كل حقوق المواطن ، فيمكن أن يسجن ويقتل ويشرد ويفصل من عمله ولا يحميه من هذا الضياع قانون أو عرف سائد بين الناس . وتاريخ هذه النظم سجل حافل بالمآسي الإنسانية والظلم البين للمواطن والسحق المتمثل في التعامل مع جهات الإدارة في شتى أنواع النشاط حتى يتم اعتقاله وتعذيبه لسبب ضعيف أو لغير سبب على الإطلاق . وهي تعيش على إهدار موارد الدولة حيث يقوم على الحكم عصبة ليس هناك من يراقبها وليست لديها الخبرة القليلة أو الكثيرة في شئون الحكم والسياسة والإدارة .

تمضي النظم الملكية بخطى بطيئة نحو تطوير مجتمعاتها بطريقة مؤكدة ، وقد قال أحد المفكرين ، إن بريطانيا لها أن تفخر بأشياء ثلاثة : مؤسسة العائلة الملكية ، ومكتبة لندن ، والبحرية البريطانية ، فقد سارت هذه العائلة بالبلاد عبر قرون من الزمن إلى ذلك الشكل الأمثل من الحرية والحقوق المتاحة لكل المواطنين . والنظم الثورية عاجزة قاهرة !! ليس لها من هدف غير الظلم والخراب ، وهي تقف بالزمن أو تعود بعقارب الساعة إلى الوراء ، بينما العالم كله يمضي مسرعاً إلى الأمام .

الأستعمار هو سبيل السيطرة :

اهتمت النظم الثورية بفكرة « الاستعمار » لإحكام القبضة على شعوبها ، وهي تردد هذه الفكرة في شكل رتيب ، منذ أن يولد الإنسان حتى يموت في صحراء قاحلة ، أو تحت غارة جوية ساحقة ، بسبب حرب

لا معنى لها ، وكان يمكن تجنبها لولا إرادة الزعيم التي تصنع الأفكار والمبادئ ، وتعطيها لبعض الفجرة ، ليعيدوا صياغتها بشكل يقبله الناس ويستسيغونه على مضض ، وهو الذي يحدد أهداف المجتمع . والمثل العليا هو الذي ينطق بها ، ويقذف بها للسدنة فيهيئونها حتى تتمكن الجماهير من مضغها . وقد يستحيل على مستبد أن يحكم قبضته على شعبه دون فكرة وهمية عن استعمار مزعوم يريد شراً بالناس ، استعمار لو بحثت عنه فلن تجده ولعلك تضطر إلى تخيله حتى لا تتهم في دينك وشرفك . ولعلك تجد نفسك تتحدث عن مساوئه وضرره وما يفعله بالأمة والناس . ولعلك ولعلك ولعلك !

ولا تعيش النظم الفاسدة إلا على أحلام يبشرون بها وأعداء يخوفون منها ، وأعظم الأعداء الذين تجمع الناس لحربهم هم الذين ليس لهم وجود مادي ملموس بل هي فكرة هلامية غامضة تصمد في أذهان الغوغاء ووجدانهم ، ولا تصمد أمام النقد والفحص ، حيث لا يتسنى لأحد مناقشتها ولا يجرؤ على ذلك مخلوق .

واختصار القول أن الدول المستبدة الثورية قد اعتمدت في وجودها اعتمادا كاملاً على فكرة الاستعمار وهيمنته الخفية وأصابعه العابثة ، واستخدمت هذه الفكرة استخداما شائنا للسيطرة على المواطنين وتحقيق الحكم الاستبدادي وانتهاك الحقوق وتحويل الوطن إلى « مسلخ » أو معتقل كبير .

وهذه النظم في العادة تظهر عورتها وتبدو سوءتها في طوفان عارم أو مصيبة شاملة مثلما حدث عام 1967 عندما ظهرت حقيقة النظام

الاستبدادي في مصر وكانت فضيحته حديث العالم ولا تزال . وقد بدا هذا جليا عندما كانت مجندة إسرائيلية تضع حذاءها على عنق ضابط مصري يموت من العطش في رمال سيناء المشتعلة ، بعد أن ضيعه أهله وخانوه وقذفوا به في حرب لم يستعدوا لها وما ينبغي لهم وما يستطيعون .

ورأينا من جديد ذلك عندما ظهر الجندي العراقي وهو يقبل حذاء الجندي الامريكي مستسلما له في فضيحة عام 1991 ، وما كان أغنانا عن هذا ! فالنظم الاستبدادية بشكل عام والعربية منها بشكل خاص نظم فاسدة لا تصمد أمام جائحة من الجوائح الضخمة التي يصنعها النظام بنفسه ثم لا يقوى على مواجهتها .

* * *

الاستبداد العربي العراقي- وهو مثل نموذجي للاستبداد والفساد في نهاية القرن العشرين ، وصدام حسين هو الذي وصل به إلى ذلك الدرك الذي يضرب به المثل- هذا الاستبداد لا يمكنه البقاء داخل حدوده وأراضيه ، فهناك طاقة شريرة تقضي عليه لو بقي في مكانه ، لهذا كان لابد من الخروج واصطناع الحروب من أجل البقاء والاستمرار . وهو يزين لها ويمنطقها ويجمل من دواعيها ، ويجعلها وكأنها لا فكاك منها ولا يمكن تركها . وهو في سبيل ذلك يقلب الباطل حقاً والحق باطلاً ، ويظل في خداعه وتزيينه حتى يظن نفسه سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- مرة ، ويرى نفسه صلاح الدين الأيوبي مرة أخرى .

ويخرج بجيوشه إلى إيران ، في حرب لا غاية من ورائها ، ولا هدف

لها غير البقاء والاستمرار حتى يهزم وينهك ويصير سخرية قومه والعالم ، فيلجأ إلى تغيير الوسائل ، ولابد من استمرار الحرب والقتال ، فهو لا يثق في جيشه ولا يأمنه داخل حدوده .

وكان غزو الكويت !! ولو ترك أياماً قليلة لاجتاح بلاد العرب ، ولكن للبيت رب يحميه ، وهو يطهره من دنس « البعث » والإلحاد . وهو يقيض له من يدافع عنه وعن أرضه ، وقد كان .

لم يستطع صدام حسين أن يصل إلى هذا المدى من العدوان إلا بعد أن جاوز بنظامه كل أفق للطغيان .

فقد اجتاز الحدود الكويتية ، واجتاح الدولة الآمنة وشعبها الوديع المسالم ، وهدَّد الدول المجاورة ، على مكانتها الشريفة في نفوس المسلمين ، مدججا بكل ما استطاعه من سلاح ، وجاء معه بمفهوم الإبادة والتشفي والخلاص من هذه الشعوب ، ونثر التعاميم على رجاله والتي تفيد عدم التقيد بأي مبدأ من مبادئ الأخلاق ، وكان هذا ما صنعوه وفعلوه على مشهد ومرأى من العالم أجمع .

من ينبغي أن يحاكم كمجرم حرب عربي ؟

عند النظر في الحوادث التي جرت في شهور محنة الخليج الغريبة العجيبة ، نجد أن صدام حسين قد فعل ما لم يفعله أحد قبله ، وربما لا يأتي في منظور التاريخ القريب أو البعيد من يفعل مثل هذا الطاغية المريد . ويصعب تحليل ما حدث أو فهمه فهما صحيحا دقيقا يفسر

تصرفات صدام حسين .

ولكننا يمكن أن نفهم ما حدث إذا عرفنا أن ذلك الطاغية هو جماع الشر والجهل . شره لا حدود له ، فهو يقتل منذ أن عرف الحياة وتنفس الهواء ، وران على قلبه ما كسب من السيئات والكبائر والجرائم العظام .

والكلام عن تاريخه قد تناولته الكتب المختلفة باللغات المتعددة ، وكلها موثق وصحيح ، ومنقول عن الوثائق وعمن عرفوه من الأحياء ، وهو ما لم ينقضه صاحب رواية مختلفة أو رأي مغاير .

وحادث غزوه للكويت وتهديده للمملكة العربية السعودية نقطة تحول في تاريخه وتاريخ العرب ، وتغير الرؤية لآفاق المسلمين جميعا لعدة عقود قادمة .

لأسباب معقدة ليس للحق فيها نصيب حرك جيوشه واجتاح الكويت . وروع الآمنين من أهالي السعودية بغزو قادم ، فقد وقعت المصيبة على الكويتيين وهم يجترون مرراتها ، وينتظر الباقون وقوع المصيبة ، فهم في خوف منها وشك من وقوعها ، وقبل أن نناقش جريمة الحرب ينبغي أن نعرف المجرمين ونحددهم ونميزهم ، وألا ننسى أن الذين حوكموا في نورمبرج كان منهم رجال الصناعة والسياسة والإعلام ، فجريمة الحرب يشارك فيها أصحاب أنشطة متعددة، يتعاونون على أدائها ، وكل يقوم بدوره حتى تكتمل الجريمة وتكون .

ومجرم الحرب الأول في المصيبة التي حلت هو صدام حسين ، فبإرادته ارتكبت كل الفظائع ، ووقع باسمه على كل المراسيم والأوامر التي تتنافى مع الإنسانية ، وتصطدم بالدين وتحاربه . وهو الفاعل الأصيل في كل ما

ارتكب مما يندى له الجبين . ويأتي من بعده كل الذين ساعدوه في الوصول إلى سدة الحكم في العراق من الأحياء ، ويندرج ضمن هؤلاء حتى الذين كتبوا يؤيدونه في مقال أو كتاب أو قصيدة أو رواية ، أو بأية صورة من صور الإعلام المسموعة أو المرئية ، أو بأي شكل من أشكال الثقافة . وكل الذين عملوا في أجهزة الأمن العراقية بأشكالها المختلفة . ويجب تقديم كل الذين شاركوا في الوزارات المختلفة التي شكلها صدام حسين ، وجميع قادة الجيش للمحاكمة .

وجميع أعضاء حزب البعث الاشتراكي العراقي من أكابر المجرمين يجب تقديمهم أيضا إلى المحاكمة بتهمة المشاركة في جرائم الحرب .

ومن المسلم به أن شخصا واحداً لا يمكنه أن يرتكب مثل هذه الجرائم الهائلة إلا إذا قام على دعمه ومساندته أجهزة ضخمة وإدارات سرطانية الحجم ، ونظام كامل يقوم على تقنين الجريمة وفعلها وتهيئة المناخ المناسب ليحكم المجرمون ، كما حدث تماما في عراق صدام حسين . فهو ونظامه نسيج واحد ، وقد تعاونوا جميعا في صناعة بعضهم بعضاً . وأسفر هذا التعاون عن نظام شيطاني غريب لم تعرف البشرية مثله في تاريخها القديم والوسيط والحديث .

وإن شيطانا مثل صدام حسين يوحي إلى أوليائه أو يأمرهم بأن يقتل بعضهم بعضا في مأساة نادرة لجدير بأن يعصى أمره وأن يحارب ويقصى عن الحكم ، وأية فتنة يمكن أن تسفر عن ذلك لهي صغيرة بالتأكيد بجانب ما حدث بعد ذلك ، وما نعيشه هذه الأيام الكالحة من تاريخ العرب والمسلمين .

فقد نقل الرواة الثقاة أنه أمر الوزراء والكبراء بأن ينفذوا حكم

الإعدام ، عقب مؤامرة يوليو عام 1979 المزعومة ، في واحد وعشرين وزيرا وكبيرا أو اثنين وعشرين . وكان المتآمرون قد حوكموا محاكمة هي أقرب إلى الملهاة الساخرة ، حيث يسأل قاض مجرمٌ المتهمَ- بعد أن ينادي عليه- عن اسمه وصناعته وأين يقيم . ثم يصدر الحكم بعد ذلك ، وهو الإعدام . ويأتي الشيطان الأكبر صدام حسين فيذرف الدمع عليهم ويأسف لخيانتهم ، ويقول إنه تقديراً لمكانتهم التي كانت في نفوسهم والحزب ، فإنه ينبغي تكريمهم رغم إدانتهم ، ولا يتأتى هذا التكريم إلا بأن يقتل كل واحد فيهم بيد رفيق له من الحزب أو الوزارة .

وهذه المأساة ليست خيالا يرويه قصاص بل هي جزء من تاريخ العراق ، وتاريخ الأمة العربية والإسلامية ، وهي جزء أيضا من تاريخ الإنسانية .

وأكثر الذين أساءوا إلى بلادنا وأقطارنا ، في تاريخ الأمة الحديث ، هم الوطنيون من بني جلدتنا الذين يؤمنون بديننا ، والذين رفعوا ظلمهم عنا هم الآخرون الذين ليسوا منا بل نتهمهم بعداوتنا ونؤلف الكتب ونلقي المحاضرات لترسيخ هذه المفاهيم . وفرق كبير بين قوم يرعون مصالحهم ، وقوم يناصبوننا العداء ويتربصون بنا . واضطراب المفاهيم في أذهاننا سببه طغاتنا عندما يجورون ، ولا يقف أمام جورهم أحد . وأشهرهم وأكبرهم صدام حسين والذين معه !

وجرائم حرب الخليج لا ينبغي أن تقف عند المجرمين الذين ارتكبوها من العراقيين . بل يجب أن يتعدى الأمر ذلك إلى محاسبة مجرمي الحرب من المصريين والأردنيين واليمنيين والسودانيين والجزائريين والتونسيين والليبيين الذين شاركوه وشجعوه .

وقد يعجب أحد لهذه المقولة ، ولكنها حقيقة واقعة فقد ساعد صدام حسين وكان جزءًا من نظامه الشيطاني الذي صنع الجريمة ، بعض ممن يعدون من قيادة الحركة الإسلامية في مصر وفي العالم ، وقد بدأ الدفاع عنهم بعد سقوط الطاغية وهزيمته المنكرة ، وقالوا : اجتهدوا فأخطأوا ، وهو قول مرفوض فلا اجتهاد مع نص ، وهم أولى الناس بالوقوف بأدب واحترام عند النصوص . وهم من كان ينبغي عليهم محاربة الطغيان والقضاء عليه ، في قضية ليس هناك أظهر من حقها وباطلها لقوم يسمعون . وقد أثبتت الحادثة– مع إدانتهم لجرائم الحرب– أنهم لا يعرفون معنى الدين ويجهلون كليات السياسة ، وقد نسوا جميل السعودية والكويت والخليج الذي طوقوا به بعد طول عذاب واضطهاد في السجون المصرية ، فقد آمنوهم وأطعموهم وأعطوهم فأغنوهم في أريحية نادرة ، وكل واحد منهم له ملف على انفراد يفيد هذا . والجماعة كلها لها ملف يفيد تلك النصرة التي قدمتها السعودية والكويت . وحديث رسول الله ﷺ : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . ومن مكارم الأخلاق أن نرد الجميل إلى من قدمه ، أما أن نشارك في ارتكاب الجرائم ضده فمعناه أننا ، نمضي قدما في خداع الجهلة والسذج من الشباب ، وعلينا أن نترك مكاننا ونجلس بين المتعلمين والمتلقين ، وليس بين الأساتذة والمحاضرين هذا إن نجونا من محاكات نورمبرج العربية .

والذين أرشحهم للمحاكمة من قيادات الحركة في مصر كثير ، وينبغي أن نفرد لهم مكانا خاصا بهم . أما الأردن فهناك الملك حسين ونظامه ورؤساء صحفه وكل قيادات الحركة الإسلامية في بلده وكذلك الحال مع اليمن ، وتونس ، والسودان .

قضية محاكمة مجرمي الحرب العراقيين ومن عاونهم وشايعهم ، قضية

جديرة بالاهتمام والتحضير ، وقد جاء وقتها الآن ، ولكن يجب التحضير وتوصيف التهم وإعداد قوائم بأسماء المتهمين ، وأن تقوم على ذلك محكمة دولية . ثم يسلم المتهمون بعد ذلك للسلطات المحلية لترى فيهم رأيها ، وهذا لمن ينجو من العقاب .

الجريمة والمجرمون :

ارتكب صدام حسين ورجاله كل الجرائم التي حوكم بسببها النازيون في محاكمات نورمبرج وزادوا عليها ما يمكن أن يسمى بالجرائم المعنوية أو جرائم ضد مستقبل الوحدة العربية والإسلامية .

والجرائم الأخيرة ربما تكون أكبر وأعظم من الجرائم الأخرى التقليدية التي يرتكبها المجرمون مثل القتل والسرقة والتعذيب والاعتصاب فقد تتساوى معهم – والإجرام له منهج متفق عليه بين المجرمين – ثم تتباين الجريمة حسب نفسية صاحبها ومدى ما فيها من الخبث والرداءة . أما الجرائم التي حطمت وحدة الأمة وأجهضت آمال الإصلاح والتقدم إلى حين ، وأدت إلى ضرب المسلمين بعضهم بعضا ، وانقسامهم على أنفسهم وخداعهم بالشعار الزائف والحلم الذي لن يكون فآثاره أكبر ووقعه أعظم .

وعندما يتسبب إنسان لأمته في مثل تلك الكوارث الكبرى كالتي أحدثها في العراق وفي بلاد العرب صدام حسين فإنه يقدم في العادة على الانتحار كما فعل هتلر وبعض معاونيه ، فجرمهم لا يساويه عقاب والقتل فيهم قليل ، أما جبارونا ومجرمونا من أهل الشرق من أصحاب « الأمة العربية الواحدة ذات الرسالة الخالدة » فهم من الصفافة والبجاحة بحيث لا يقدمون على مثل هذا أبداً ، وليمت الناس ولتخرب البلاد ، وهم باقون دائمون لأنهم بركة الأمة وسر خلودها . هو عالم من الرعاع والمجرمين سطا على الحكم وأمسك به كما يمسك كلب ضال بعظمة فهو لا يتركها أبداً حتى يأتيه قاتل الكلاب فيضربه بهراوة على أم رأسه أو يعطيه لحما متبلا

بالسم ، وهذه وسيلة وحيدة للخلاص من هؤلاء الجبارين إن لم يدركهم الموت بشكل لا إرادة لأحد من الناس فيه .

ويصعب علينا تخيل مثل هذه البلاد التي تعيش بحاكمها المجرم كخلية سرطانية تؤذي الرعية والجيران ، ولهذا كان لابد من محاكمات نورمبرج جديدة . هل يترك حاكم في بلد متخلف يستعبد رعاياه ويقتلهم ، ويهدد جيرانه ويطلق عليهم الصواريخ العشوائية ؟ أم أن للمجتمع الدولي دوراً في محاسبته والقضاء عليه ؟ إن لم يكن هناك دور فعلينا أن ننادي بوجود مثل هذا الدور لحماية الإنسانية والأخذ بيد الشعوب المقهورة .

أما أن يطلق حاكم مجرم غير مؤهل لشيء فيصير كالكلب العقور يضرب رعاياه ويقتلهم في الناصرية وبغداد والعمارة وجبال الأكراد وفي البصرة وما حولها ، ويزهق أرواح العلماء والوزراء والكتاب والموظفين وآلاف الناس ، ويجمع مجلس قيادة الثورة ويصدر حكما بإعدام ثلاثة من الوزراء ويكتب القرار على ورقة صغيرة أو لا يكتب ، ويرسلون فرق الاغتيال في أنحاء العالم لتنفيذه فهذا ما لا يرضى عنه إنسان ولا يقبله مخلوق ويحزن أصحاب الضمائر الحية من أهل العالم أجمع .

وهذا الحاكم لا ينبغي أن يترك ، ولابد من إضافة جديدة لميثاق الأمم المتحدة تسمح بتقديم مثل هذا الحاكم إلى محاكمة دولية ، ويكون هذا تطويرا لحقوق الإنسان والمحافظة عليها ، وطريقة جديدة لتخليص بلاد العالم الثالث من الطواغيت والفجرة ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد .

لابد أن يجتمع العالم الحر لتقديم هذه المكرمة إلى عالم العبيد !!

فقد جرت العادة ألَّا يقدم لمثل محاكمات نورمبرج إلا من تمت هزيمته واحتلت بلاده وقامت القوات الغازية بالقبض على مجرميه وفي حالة صدام

حسين الذي ينبغي محاكمته كيف يتم هذا ؟ وهو لا يزال في سلطانه ، ويجتمع المطبلون والمزمرون وحملة البخور يحتفلون بعيد ميلاده بعد هزيمته المخزية في « أم المعارك » وهم يقدمون له الورود والنياشين ، ويتشدق منهم من يقول مقولة سخيفة قد سمعناها من سلفه من قبل في زمن أغبر قد انقضى : لقد انتصرنا فالعدو كان يريد أن يفرض إرادته علينا و لم يستطع ، فالنظام باق أما الجند الذين ماتوا فيمكن أن نجند غيرهم ، والخراب الذي حلّ بالعراق يمكن تعويضه ، فالأمة تعيش وتحت أرضها نهر يجري من النفط ، نبني به من جديد ، ونصنع جيشا يهدد الجيران ويحقق إمبراطورية الكفر والإلحاد .

حاكم فظ غليظ تعرف سمته وخلقه عندما تبصر الشعب كله وهو يقدم استقالته ويغادر الحدود في ملايين من البشر قد حطمهم البرد وأضناهم الجوع وهم يتسلقون الجبال هربا من حاكمهم إلى تركيا أو إيران ، وهو فاجر غادر صفيق يدرك كراهية شعبه له ومقته الناس لنظامه ورجاله ، وهو يفرض عليهم وجوده ولا ينتابه شيء من الحياء لكبريائه المهيض وكرامته المجروحة وسخرية العالم منه في كل وسائل الإعلام .

ونعود إلى تعديل الميثاق .. ميثاق الأمم المتحدة ! هل يمكن أن يقدم العالم الحر هذه المكرمة لعالم العبيد ؟! أم أنهم لا يريدون ! لو ثبت على حاكم ما ثبت على صدام حسين فينبغي أن تتكون محكمة دولية من قضاة ثقاة ، ويتم القبض عليه وعلى أعوانه ، وتفرض الوصاية على هذه الدولة وتحكم بمعرفة الأمم المتحدة حتى يمكن تكوين من يصلح لحكم هذا البلد من أبنائه ، ولعمري هذا يستدعي وقتا طويلا ، فهي بلاد قد نخر فيها السوس وخيمت عليها عوامل الظلم والفساد والاضطهاد فأصبح أبناؤها لا يقدرون على شيء .

وينبغي أن يتم تنفيذ العقوبة على مرأى ومسمع من الناس في العراق ، وتنقل هذه المشاهد وكالات الأنباء المصورة ويبثها التليفزيون في العالم أجمع ليكون عبرة ومثلا للطغاة الذين يعج بهم عالمنا المريض .

وهكذا يعلم الناس أي منقلب ينقلب إليه الظالمون .

نحن ندعو العالم الحر أن يسعى لإيجاد الصيغة المناسبة للقبض على صدام حسين وتقديمه إلى المحاكمة ، وأن تتكون قوة حراسة دولية لحماية الشعوب المسكينة من الكلاب الضالة المجرمة التي تحكمت في مصائر الناس وأذلت العباد وحولت الرعايا إلى قطعان من النعاج . ولم يعد في إمكاننا عمل شيء غير هذا الرجاء حتى يعتدل ميزان الزمن وتأخذ الحضارة دورتها المرتبطة بالسنن والنواميس ويشرق فجر جديد نستطيع فيه كشعوب أن نقضي على تلك الغدة السامة ، التي تفرز الطغاة والظالمين ، ويكون عالم جديد من الحرية والخير والحق وينجح الناس في حكم أنفسهم ونأخذ مكاننا الطبيعي في ركب الحضارة المتدفق عبر التاريخ الموغل في أنوار المستقبل وفي هدي من تعاليم الإسلام .

1991/ 4/ 1 **أحمد رائف**

مقدمة المترجم

هذا الكتاب ألفه الدكتور جيلبرت ، وكان يعمل في سجن نورمبرج أثناء محاكمة كبار مجرمي الحرب النازيين ، ويقوم بدور المحلل النفساني للمتهمين ودراسة ردود أفعالهم . وهو وثيقة هامة تبين هؤلاء الوحوش بعد أن تجردوا من السلطان والجاه ونزعت عنهم رتبهم ونياشينهم وصاروا يتبرأون من جرائمهم وينكرونها ، وكيف هزتهم فكرة الموت ، وصارت ظلال المشانق تؤرقهم في نهارهم وليلهم وتحولوا من آلهة كاذبة إلى آدميين ضعفاء ينتظرون الموت ويأملون في معجزة تحول بينهم وبين تلك النهاية المخيفة التي تمت بشنقهم .

ولعل نقله إلى العربية مع الدراسة والشروح والتعليقات تلقي الضوء أمام العرب في كيفية تكون المستبد وآثاره المدمرة على الإنسان والبلاد . ولعل قراءة مثل هذه الكتب تساعد على ابتكار وسيلة تمنع الطغيان ، وتحول دون الاستبداد ، وتحفظ حقوق الإنسان .

ولو أني ، مع الأسف ، غير متفائل بالنسبة لمستقبل التاريخ القريب للعرب . فالطغيان والاستبداد وضياع حقوق المواطن . كل هذا أصبح سمتًا عربيًا يعرفه العالم كله .

والأمل الوحيد في استعادة هذه الحقوق ومنع الاستبداد والطغيان يكمن في الإسلام .

ولكن كيف يتم هذا ؟

لست أدري !

كنت قد بدأت ترجمة هذا الكتاب في صيف عام ١٩٦٨ م وأثناء وجودي بمعتقل طره السياسي على أثر نصيحة من صديقي العزيز الدكتور علي محمود الذي كان زميلاً لنا في ذلك الوقت ، وكانت زنزانته عامرة بالكتب المختلفة والقواميس ، وقد قمت بترجمة فصول قليلة منه آنذاك ، ثم استكملت ترجمته بعد ذلك بعشرين عامًا ، وإني أتقدم بخالص الشكر إلى صديقي الدكتور علي محمود لعظيم معونته ، وإلى ابنته نجوى التي أمدتني بالكثير من الصور الموجودة في آخر الكتاب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أحمد رائف

هتلر بين الطغيان والعدوان

بقلم : أحمد رائف

تمهيـــد

كل الفترة التي قضاها هتلر في الحكم هي اثنا عشر عامًا فقط استطاع فيها أن يغير كل خريطة أوروبا ، وأن يرسم السياسة لخمسين عامًا بعد أن غادر الدنيا وانتهى نظامه تمامًا .

واستطاع أن يغير المفاهيم والأفكار ، وأن ينشر بذور الاستبداد والطغيان في البلدان الضعيفة المتهرئة ، وأن يعطي المثل الأعلى للمستبد فيقلده أي « بكباشي » من البلاد النائمة .

وقد ساعدت ظروف ألمانيا وأوروبا والمفاهيم السائدة في العالم في نهاية عصر الاستعمار بالقوة العسكرية في ظهور هتلر على الساحة . وقد كان هو شخصيًا مؤهلاً للدور الذي قام به ، وكان لديه الاستعداد الكامل لأداء ذلك الدور المرعب الذي قام به في ساحة التاريخ الحديث .

وكانت نهاية هتلر بمثابة علامة على انتهاء عصر الامبراطوريات الاستعمارية الضخمة ، تلك التي نشأت وازدهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ثم بدأت في الاحتضار مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، وانتصاف القرن العشرين .

وورثت أمريكا والاتحاد السوفييتي هذه الامبراطوريات باقتراب مختلف من تلك الدول التي تملأ العالم ولها قابلية عظيمة للتبعية والاستعمار . وقد قام السادة الجدد بإحكام قبضتهم على هذه البلاد بتوريث الاستبداد وزرعه من خلال التلامذة والعملاء . وقد علَّموا هذه البلاد ودربوها تدريبًا جيدًا ، وعلموا التلاميذ كيف يعتمدون في وجودهم على الاستدانة والقروض والمعونة ليتم استنزافها ، وزرعوا في دمائهم أهمية الخلاف بينهم ، والحروب المحلية التي ينبغي أن تنشأ بين الحين والآخر حتى يدوروا في حلقة مفرغة من الضياع . وكانت فرنسا وانجلترا تحكمان العالم وتقتسمان معا مناطق النفوذ ، ثم غادرا الساحة وتركا مكانيهما لقوى جديدة قاهرة لها أسلوبها المختلف ، وتحكمها البارد الشديد الوطأة وعظيم النفوذ .

ولعلنا لا نجاوز القول إن زعمنا أن مرحلة هتلر هي التي أبرزت للوجود هذين العملاقين : أمريكا وروسيا ، واحد مسيحي ناعم يستعبد الشعوب ويلف حول أعناقها حبال الحرير ليخنقها ، والآخر لا يؤمن بالله ملحد في تصوره وتوجهه ، كافر ينشر كفره بين الشعوب .

وهذان العملاقان قد وهبا بلادنا الاستبداد والتبعية ، وكرسا الاحتياج والفاقة ، والاعتماد الكامل عليهما ، وهما يمنحاننا الأرزاق ، ويتحكمان في أموالنا ، وهما يستنزفاننا استنزافًا يجعلنا نتقلب بين الموت والحياة .

وبينما هم يفعلون هذا معنا إذا بهم يتجهون إلى عالمهم المسيحي يبشرون فيه بالديمقراطية والحرية ، وهم لا يستوعبون أنه مع تعاقب الحقب فإن رياح الحرية لا تعرف لها مسارًا محددًا لا تتجاوزه ، بل هي تنتقل إلى كل رقعة من الكون الفسيح . وأن آفاقًا جديدة يمكن أن تلف الشعوب المستعبدة التي ضاعت بين القوى ، والتي أكد ضياعها تأثير الجبابرة في محو الدين من ذاكرتها ، وتأكيد المفاهيم الجديدة حول العلمانية والليبرالية ، وقائمة لا نهاية لها من الأدوية السامة والمصطلحات الغربية .

وقد استطاعت فترة هتلر في الحكم أن تشكل المارد السوفييتي تشكيلاً مخيفًا غير حقيقي ، وقد تركه فترة طويلة من الزمن عبر ما سمي بالحرب الباردة ، ولا أحد يعرف أنه مارد من ورق . وقد جاء هذا العصر وهو يحمل في طياته أوان تفككه وذوبانه ، وانفصال جمهورياته واستقلالها . ثم أسفر عن حقيقته فإذا به يطلب الدعم الاقتصادي والمعونة من بلاد الغرب ومن الولايات المتحدة الأمريكية .

كانت بلاد المسلمين هي موضوع التفاهم والتقسيم وتوزيع مناطق النفوذ بين السوفييت والأمريكان . ثم أسفرت حقائق السياسة والاجتماع أن السوفييت أضعف حالاً من الأمريكان ، وهم يطلبون منهم المعونة وحق الحياة . ففقد الأمريكان اهتمامهم مؤقتًا بالمسلمين وأحوالهم ، واتجهوا بهمتهم إلى السوفييت ، فهم الذين سوف يقضون على الشيوعية في العالم ، وهم أهم كيان ، فمن خلاله سيقوم السدنة والكهان القدامى بهدم دينهم الذي ينكر الله والعياذ بالله . وعندما ينتهون من هذا فسوف يكون هناك حلف جديد لهم ، أعداء جدد سيخرجون من الغيب . ومن أهمهم في حسابات الأمريكان هم المسلمون والصحوة التي تلفهم ، وقد بدأت ريحها في الهبوب .

كل هذا قد بدأه هتلر دون قصد وتخطيط ، ولكنه ما أسفرت عنه سياسته وتعاقبات الليل والنهار .

كانت الشيوعية شرخًا في الحضارة الغربية المسيحية وجُرْحًا غائرًا في جسدها ، وهو يوشك على الالتئام الآن في مهرجان كبير يشهد العالم كل تفاصيله ، وما يقدم فيه من عروض ، وهو مبهور لاهث الأنفاس . وكل الدول التي كانت تدور في فلك الكومنترن أو الشيوعية الدولية قد بدأت تطرح عنها هذه الترهات ، ثم تعود إلى مكانها القديم في حماية أجراس تدق في الكاتدرائيات التي تملأ أوروبا من جبال الأوراس حتى جبل طارق الذي شهد مجد المسلمين القديم .

وعندما تأخذ الأيام دورتها سيجد المسلمون أنفسهم أمام عدو جديد قاهر

وقادر أيضًا ، وهو يختلف عن سائر ما قابلوه وما مرَّ بهم من عداوات عبر سنين الضياع والتيه منذ سقوط غرناطة في ١ يناير عام ١٤٩٢ . وقد كان عهد هتلر هو العلامة التي أخذت تتجمع سحبها عبر خمسين عامًا !! فقد كان هتلر هو قدر ألمانيا وقدر العالم الذي لا يستطيع أحد له دفعًا ولا ردًا .

هتلر في المدرسة :

ولد آدولف هتلر في الساعة السادسة والنصف من مساء ٢٠ إبريل عام ١٨٨٩ في فندق بسيط متواضع في بلدة صغيرة على الحدود النمساوية الألمانية من ناحية بافاريا من أبوين من الفلاحين البسطاء . وكان والده قد فشل في تعلم صناعة الأحذية ، فهاجر مع أسرته إلى فيينا حيث عمل موظفًا صغيرًا في خدمة مصلحة الجمارك النمساوية .

وقد دخل هتلر المدرسة في سن السادسة ، وهي نفس السنة التي أحيل فيها أبوه إلى المعاش . وكان يحضر الدروس في دير الآباء البندكتيين ، ويشترك في الإنشاد ، ويحلم أن يكون راهبًا في يوم من الأيام .

وقد التحق بالمدرسة الثانوية في لينز عندما بلغ الحادية عشرة من عمره ، وقد عانى أبوه معاناة مالية شديدة من هذه الخطوة ، فقد كانت فوق قدرته على الإنفاق .

وكانت حالته الدراسية ليست حسنة بوجه عام ، فلم يكن من التلاميذ النابهين بأي حال ، وهو بالتأكيد في قائمة التلاميذ الذين لا يجيدون استذكار دروسهم .

وقد كان يكره مدرسيه كراهية عميقة كنتيجة طبيعية لفشله في الدراسة . وقد وصف مدرسيه بالمجانين حينًا والطغاة حينًا آخر ، وذلك عندما كتب كتابه

« كفاحي » في السجن بعد ذلك .

وعلى أي حال فقد كان تلميذًا مغمورًا لم يلفت الانتباه إليه بشكل أو بآخر . وكان هذا هو انطباع مدرسيه عنه بعد أن غدا سيد أوروبا .

وقد أصيب وهو في السادسة عشرة من عمره بمرض في رئته جعله يترك المدرسة لمدة عام للعلاج والنقاهة ، ثم عاد بعد ذلك بمدرسة الحكومة الثانوية في ستير .

وقد غادر المدرسة في ١٦ سبتمبر عام ١٩٠٥ بدرجات متوسطة بوجه عام .

هتلر بعدالمدرسة :

لم يكن هتلر يشرب الخمر ، ولم يدخن ، وهو نباتي في طعامه بسبب الفقر في مبدأ الأمر ، ثم صار عقيدة وعادة بعد ذلك . وقد عاش في كنف والدته حتى بلغ التاسعة عشرة من عمره .

وقد كان في تلك الفترة شاحبًا نحيلاً شديد الحياء والخجل ، ولكنه على استعداد للانفجار غضبًا في أية لحظة من اللحظات إذا ما استدعى الأمر ذلك . وكان يكتب بعض الشعر الضعيف الركيك ، ويرسم لوحات ليست لها قيمة فنية عالية ، وكان يود لو يصبح فنانًا مشهورًا ولكنه لم يستطع .

وكان إحساسه السياسي عاليًا وعميقًا ، وله ارتباط بكل ما يدور حوله من حوادث ، وهو يفكر في ألمانيا تفكيرًا عميقًا ، ويحلم بمستقبلها وكيف يكون .

وكان قارئًا نهمًا ، قرأ الكثير في الأدب والفلسفة والسياسة والتاريخ ، وكانت القراءة هي همه ومتعته الوحيدة . وقد حاول عدة مرات أن يلتحق بأكاديمية الفنون ولكنه فشل ؛ لأن رسومه التي تقدم بها للامتحان لم تلق الترحيب أو الرضا ممن قاموا بفحصها . وقد نصحه أحد الأساتذة بالالتحاق بالهندسة المعمارية ، فلعله

يجد فيها حظًا أحسن من حظه الذي لم يوفق فيه في أكاديمية الفنون .

هتلر في فيينــا :

توفيت والدته في ٢١ نوفمبر عام ١٩٠٧ ، ودفنت بجوار زوجها في مدينة ليوندينج ، وكان لوفاتها بالسرطان أبلغ التأثير على هتلر الفقير الشارد .

وقد غادر بلدته ليبحث عن حظه في فيينا ، وقد وصف تلك الفترة الأولى التي قضاها حتى عام ١٩١٣ بأنها أشقى أيام حياته ، فقد عرف الفقر فيها معرفة وثيقة ، وأحس بألم الجوع والبرد والتشرد ، فهو يعاف العمل اليدوي ، ولا يريد أن يكون موظفًا كأبيه . وهو ولوع بالسياسة ، ويفكر في المستقبل تفكيرا ممضًا عميقًا . وكل هذا قد كرَّس الفقر والحاجة في حياته التعسة في تلك الأيام ، في الوقت الذي كان يرى فيه مدينة فيينا وكأنها من الأحلام بعظمتها وثرائها وكل مظاهر الفخامة والأبهة التي لا يناله منها شيء .

تعلم هتلر في فيينا كيف يكره اليهود ويمقتهم لتحكمهم في الحياة الاقتصادية للبلاد . وقرأ لنيتشه ، واستمع بكل كيانه إلى فاجنر ، وعرف أن الجنس الآري هو أرق الأجناس ، وسرت في دمائه فكرة أن ألمانيا فوق الجميع .

هتلر يغادر فيينــا :

غادر هتلر فيينا عام ١٩١٣ إلى الأبد ، ليعيش في ألمانيا التي هام بها حبًا وتعلق قلبه بها منذ طفولته . وكان في الرابعة والعشرين من عمره آنذاك ، وهو في نظر من يعرفه إنسان فاشل بكل المعايير ، ولم يستطع أن يكون فنانًا ، ولم يدرس الهندسة

المعمارية التي اقترحت عليه ، وهو ليس غير متشرد شديد الحماسة ، قد صارت القراءة هي كل ما يشغله في الحياة . وهو في نظر نفسه صاحب رسالة هامة مبهمة ، عليه أداؤها ، وهي تتكون في ذاته عبر الأيام .

وقد عاش هذا النمساوي بقية حياته في ألمانيا ، وقد قدر له أن يكون رئيسها المطلق ، وحاكمها الذي لا ينازع ، وهو الغريب عنها الوافد إليها .

هتلر يشترك في الحرب العالمية الأولى :

عاش هتلر في ميونخ فترة متشردًا صعلوكًا كما كان شأنه في فيينا حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى ، وقد اجتذبته بنارها كما اجتذبت غيره من ملايين الشباب من بين الفرقاء المتحاربين . فقد تقدم في أغسطس عام ١٩١٤ بطلب التطوع إلى لودفيج الثالث ملك بافاريا ، ووفق على الطلب وألحق بالفوج البافاري .

وكانت هذه الحرب وتطوعه للقتال في صفوف الألمان كأنها اللمسة القدرية التي غيرت حياة ذلك النمساوي الشارد ، حيث وضع أقدامه على أول خطوة في طريق المجد والسلطة ، لتقود عبقريته الخفية وروحه الوثابة الغريبة عن عالم ذلك اليوم .

وقد قاتل هتلر بشجاعة أثناء الحرب ، فقد كان يعمل كجندي مراسلة في السرية الأولى من فوج المشاة البافاري الاحتياطي السادس ، وقد أبيدت وحدته تقريبًا في معركة أيبرس الأولى .

وأصيب بجراح مرتين ، الأولى في عام ١٩١٦ ورقي إلى رتبة عريف ، والثانية في عام ١٩١٨ حيث أصيب بعمى مؤقت من جراء استخدام البريطانيين للغازات .

وقد أحرز مرتين وسام الشجاعة ، فمنح عام ١٩١٤ الصليب الحديدي من الدرجة الثانية ، وفي أغسطس عام ١٩١٨ الصليب الحديدي من الدرجة الأولى ، وهو نادرًا ما يمنح لجندي عادي في العصر الإمبراطوري .

أثر الحرب على تفكير هتلر :

وقد عمقت الحرب إحساس هتلر اللاهب بعمق الرسالة التي عليه أداؤها في سبيل ألمانيا . ثم جاءت الهزيمة العسكرية واستسلام ألمانيا في كومبيين فكان شعوره وكأنه نبي قد هبط الوحي عليه . وقد بكى بكاء مرًا يوم أن سمع خبر هذه الهزيمة والاستسلام من راهب مرَّ على المستشفى الذي كان يعالج فيه من جراح الحرب والعمى المؤقت الذي أصابه .

وكان يشعر من خلال واجبه الذي أداه في الحرب وشجاعته الفائقة ، أن الجيش كله قد كان على هذا النحو ، وأن الهزيمة قد جاءتهم كطعنة في الظهر من قبل السياسيين والإمبراطور والأعداء الألداء الذين يحكمهم اليهود ويسيرونهم .

وقد قرر هتلر بعد هزيمة ألمانيا واستسلامها أن يدخل عالم السياسة ، وكان لا يعرف على وجه التحديد من أي باب يدخل إليها . وكانت ألمانيا في ذلك الوقت تمور بالأحزاب والأفكار ، وقد نمت وترعرعت أسطورة الطعن من الخلف ، وأن الاشتراكيين هم السبب في هزيمة الجيش .

هتلر والحزب :

أثار استسلام ألمانيا ومعاهدة فرساي هرجًا كبيرًا في كل أنحاء البلاد ، وتنازل القيصر عن العرش ، وقامت جمهورية فايمار ، واستقر رئيسها هندنبرج . ولكن الساحة السياسية قد ملئت بالمتناقضات والإحساس العميق بالذل والعار والهوان ، وارتفعت مقولات سياسية كثيرة ونشأت أحزاب متعددة .

وظل هتلر يعمل في الجيش البافاري في وظيفة غامضة غير محددة ، هي إلى أعمال المخابرات أقرب ، فهو يقدم رأيًا أوتقريرًا عما يدور في الاجتماعات السياسية والحزبية .

وكلف مرة بالذهاب إلى حانة لحضور اجتماع حزبي صغير لحزب جديد هو حزب العمال الألماني . وكان النظام الملكي قد انهار في بافاريا ، وحلت بدلاً منه جمهورية يمينية بعد جمهورية سوفييتية ، ثم تم القضاء عليها بقوة الجيش .

وحضر هتلر الاجتماع كمراقب ، وأثناء الاجتماع سأل أحد الحاضرين أو اقترح إقامة دولة مستقلة من بافاريا والجزء الألماني من النمسا ، وهنا انفجر هتلر صاحب الرسالة الملتهبة في وجه صاحب الاقتراح ، وأعطاه درسًا قاسيًا في الوطنية والوحدة ، وأن ألمانيا لا ينبغي أن تتجزأ ، وأن هناك رسالة عظمى لهذا الوطن ، وعلى أبنائه أن يقوموا بأدائها .

وانبهر الموجودون من كلام ذلك الغريب الذي تحدث بحرارة وبلاغة وإيمان ، وفي اليوم التالي وجد دعوة لحضور اجتماع هذا الحزب . وانضم إليه ، وكانت بطاقة عضويته تحمل رقم سبعة . وحمل هتلر هذا الحزب معه إلى الذرى ، وغير اسمه وابتكر له شعارًا هو الصليب المعقوف . ونقله من بافاريا إلى ألمانيا كلها . واستطاع في وقت وجيز أن يكون هو السيد المتصرف المستبد في كل شئون الحزب ، وبعد ذلك بقليل كان هو سيد أوروبا ، وأوشكت سيادته أن تشمل العالم كله في ملحمة من الحرب والعذاب .

رفاق الحزب :

بعد أن عرف الحزب في بافاريا كانت هناك مجموعة من الرفاق الأوائل الذين انضموا إليه في تلك الفترة الأولى التي كان هتلر فيها هو القوة المحركة الأساسية ، وكانوا مجموعة من النجوم مثل جورنج وهيس وشترايخر وروبرت لي وغيرهم .

فرودلف هيس الذي قضى صباه في مصر عندما كان أبوه يعمل تاجرًا بالجملة ، وكان قد التحق بعضوية الحزب في عام ١٩٢٠ — جاء من مصر في سن الرابعة عشرة ليستكمل تعليمه في منطقة الراين ، وقد عمل أثناء الحرب في نفس

الفوج الذي كان يعمل فيه هتلر ، ولو لم يلتقيا معا في تلك الفترة . وتحول هيس إلى الطيران بعد أن جرح في الحرب ، والتحق بجامعة ميونخ لدراسة الاقتصاد . وكان يعيش متشردًا يشترك في العصابات التي تثير الشغب ، واشترك في القضاء على العهد السوفييتي الذي نشأ لفترة قصيرة ببافاريا ، ثم استمع مرة إلى هتلر بمحض المصادفة ، وصار عضوًا في الحزب وصديقه المقرب وأمين سره ، وكان له دور في تثقيف هتلر في الجغرافيا السياسية .

رسالة هيس الجامعية :

وقد أثار هيس انتباه هتلر عندما قدم رسالته الجامعية وكان عنوانها : « التركيب الضروري للرجل الذي يجب أن يعيد ألمانيا إلى أمجادها القديمة » والفقرة التي لفتت انتباه هتلر وأثارته وشحذت حواسه كانت :

« وعندما تضيع كل السلطات لا يكون في وسع أحد إلا إذا كان منبثقًا من الشعب أن يعيد تركيز السلطة . وكلما كانت جذور ذلك الحاكم الأوحد أعمق فطريًا في القاعدة الجماهيرية كان أكثر صلاحًا لفهم معاملتها نفسيًا ، وزادت ثقة العمال به ، واكتسب عددًا أكبر من الأنصار بين صفوف الشعب من ذوي الحماسة والحيوية ، وقد لا يشترك هذا الرجل مع الجماهير في أية خصلة من خصالها ، إذ يكون كأي عظيم من العظماء ، شخصية قائمة بذاتها . وعندما يحزبه الأمر فإنه لا ينكمش أمام سفك الدماء . وكثيرًا ما تتقرر القضايا العظيمة بالدم والحديد . وهو على استعداد ليدوس أقرب أصدقائه ليتمكن من الوصول إلى هدفه . أما ذلك المشرع للقوانين فلا يخطو إلا بمشقة بالغة . وإذا ما اقتضت الحاجة ففي وسعه أن يخطو على الشعب بحذاء الجندي القاذف للقنبلة اليدوية »(*) .

(*) عن ظهور وانهيار الرايخ الثالث ، لوليم شيرر بتصرف ، ص ١٠٧ الطبعة الأولى عام ١٩٦٢ .

ألفرد روزنبرج :

وكان ألفرد روزنبرج فيلسوف الحزب ، الذي يضع له النظريات ويشرح ما غمض على الأتباع ، وهو رجل متوسط الذكاء ، وهو ينتمي إلى أصل ألماني من الشعوب التي تحيط ببحر البلطيق في الإطار الروسي . وقد نال شهادته في الهندسة من جامعة موسكو عام ١٩١٧ ، وكان موجودًا هناك أيام الثورة البلشفية ، ثم عاد إلى ألمانيا ورفض تطوعه للخدمة العسكرية بحجة أنه روسي ، ثم ذهب إلى ميونخ ، ونشط في الأوساط السياسية والأحزاب الناشئة . وانضم أخيرًا إلى الحزب . وقد أعجب به هتلر لسعة اطلاعه ولكراهيته العميقة للشيوعيين واليهود . وقد عينه هتلر رئيسًا لتحرير جريدة الفولكشاير بيوباختر ، وظل يدعمه ويؤيده رغم تشوش فكره وعدم وضوح فلسفته ، وقد اعتبره هتلر مستشارًا ثقافيًا له ، وأحد أصحاب الشأن في قضايا السياسة الخارجية .

هيرمان جورنج :

وقد حضر هيرمان جورنج إلى ميونخ بعد الحرب لدراسة الاقتصاد ، وكان من الأبطال المشهورين ، فهو الحاصل على وسام الاستحقاق ، وآخر قائد لسرب الطيران المحارب في الحرب العالمية الأولى . وكان يعمل طيارًا في إحدى شركات الطيران الدانمركية ، ثم عمل بعد ذلك في السويد في المهنة نفسها . وتزوج من سيدة سويدية شديدة الثراء ، وقد قدمت معه للحياة في ميونخ . وتعرَّف بهتلر ووقع أسيرًا لسحره ، ثم صار من أهم معاونيه ، وكان هو الذي ينفق على الحزب بسخاء شديد من مال زوجته الكثير ، وقد شارك في تكوين جيش العاصفة ، وصار قائدًا له في عام ١٩٢٢ .

رفاق آخـــرون :

وقد جذب هتلر إلى الحزب مجموعة من القتلة والشواذ والمنحرفين جنسيًا مثل إرنست روهم وجوليوس شترايخر الذي بدأ حياته معلمًا في مدرسة من المدارس الابتدائية . والذي عمق مكانته عند هتلر هو كراهيته الشديدة للسامية . واشتهر أيضًا بسبب مجلته الأسبوعية العاصفة بما تنشره من فضائح وقصص خليعة مكشوفة . وكان يدعى بملك فرانكونيا غير المتوج . وكان سيد نورمبرج ، وكلمته فيها صارت قانونًا بعد أن وصلوا للسلطة والمجد . ولم يكن لأحد أن يحاسبه أو يسأله عن أي شيء يفعله .

هتلر يتفرغ للحزب :

استقال هتلر نهائيًا من خدمة الجيش عام ١٩٢٠ في شهر أبريل ليتفرغ لخدمة الحزب دون أن يتقاضى منه راتبًا . وقد ظل دخله مجهولاً عن الفترة السابقة لذلك . والظن أنه كان يتقاضى مكافأة من المصاريف السرية التي كانت للجيش آنذاك ؛ لقيامه بكتابة التقارير وإبداء الرأي حول بعض الشئون . وقد ثار عليه بعض الزملاء في فترة كان يجمع فيها خيوط السلطة في الحزب بين يديه ، وسألوه عن مصدر دخله في تلك الحقبة فكان يثور ويغضب ولا يقدم بيانًا مفيدًا حول هذا الشأن . أما في حياته الجديدة فقد كان يعيش على القروض التي يقدمها له أصدقاؤه المخلصون أمثال هيرمان جورنج ، وذلك لدفع أجرة بيته المتواضع ، ولشراء الملابس البسيطة التي اشتهر بها ، ونفقات الطعام البسيط المكون من النباتات .

والحقيقة أن كل أحلام هتلر وآماله تركزت في السلطة ، وفي تحقيق تلك الرسالة التي يجيش بها صدره وتجعله يفكر بها ليل نهار . وكانت السنوات من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٣ من أشق السنوات التي مرت عليه ، ففيها استطاع أن يبني الحزب بناء عاليًا

له وجود ، وينظر إليه الأعداء في حذر وارتياب .

وتمكن هتلر بمناورات كثيرة أن يكون سيد الحزب ، وأن تصير كلمته هي القانون ، فهو الذي يجذب إلى صفوف الحزب الألوف من الناس بعد خطبة ملتهبة ثائرة . وقد كانت لديه موهبة فائقة في التنظيم والدعاية مكنته من أن يصنع تنظيمًا حديديًا جماهيريًا قويًا .

ألمانيا بعد الحرب :

كانت المشكلات السياسية التي تلف ألمانيا بعد الحرب تتمثل في ضياع الكرامة الوطنية بعد الهزيمة ، والبطالة التي ضربت أطنابها ، حيث كان الملايين لا يجدون عملاً ، وكان الضباط المشوهون من آثار الحرب يجلسون في الشوارع مستندين إلى الجُدُر بملابسهم الرسمية ، وقد مدَّ كل واحد منهم غطاء رأسه العسكري يتسول من الناس .

وقد قام الحلفاء في أبريل عام ١٩٢١ بوضع قائمة التعويضات التي ينبغي على ألمانيا أن تدفعها ، وهي تساوي ثلاثة وعشرين مليارًا من الدولارات ، وهو رقم يثير الفزع في تلك الأيام ، وأظن في هذه الأيام أيضًا .

ألمانيا وجمهورية فايمار :

وتعرضت جمهورية فايمار الوليدة للمتاعب الجمة من ناحية اليمين ومن ناحية اليسار في آن واحد . وكان الناس يأملون فيها الخير بعد أن أصر الرئيس ويلسون على القضاء على أسرة الهوهنزولرن ، وكل الأسرات المالكة في ألمانيا .

وكانت جمهورية فايمار تدير الدولة تحت سيف معاهدة فرساي المسلط ، ولعل أهم ما في هذه المعاهدة هو نزع سلاح ألمانيا . فقد حددت المعاهدة الجيش الألماني

بمائة ألف متطوع ، ومنعته من الدبابات والطائرات ، وأن هيئة أركان الحرب غير مشروعة ، وجعلت من الأسطول مجرد قوة رمزية ، وحظرت عليهم بناء الغواصات والقطع البحرية التي تتجاوز حمولتها عشرة آلاف طن .

وقد أدرك هتلر بحسه الدقيق أن الشعب ضد هذه المعاهدة الظالمة ، ومن ثم فقد كان عليه أن يرفع شعار سقوط الخونة الذين قاموا بتوقيعها . وأن أعداء ألمانيا ليسوا الفرنسيين ، ولكنهم الذين سلموا البلاد للفرنسيين . وكان الشعب يلتهب حماسًا بخطبه وشعاراته التي يلقيها عليهم .

وكانت ألمانيا كلها ساخطة على النتائج التي وصلت إليها الهزيمة ، وكل فريق يحاول أن يحقق أحلامه في السلطة من خلال استخدام تلك الصورة المقيتة من الهزيمة . وكانت بافاريا من الأقاليم التي تمور بالغضب والثورة على أولئك الذين يحكمون في برلين ، والذين حملوا الشعب العار ، وكانوا يستطيعون تجنب ذلك في زعمهم . وكان نشاط الشيوعيين بالغًا ، وهم في تنظيم دقيق ، وأهدافهم واضحة ، ولهم مثال في روسيا التي قضت على القياصرة وأقامت نظامًا جديدًا يبشر بجنة للعمال والفلاحين حيث ذهب الإقطاع والرأسمالية إلى غير رجعة .

انقلاب حانة الجعة :

كان هناك خوف شديد في برلين من أن تنفصل بافاريا عن الرايخ الألماني ، وتعيد الأسرة المالكة السابقة ، وتؤسس مع النمسا دولة جديدة ، وربما كانت كل النذر تشير إلى هذا . ولولا وقوف الجيش الألماني بجانب الدولة الأم لربما حدث هذا الانفصال .

وكانت أفكار هتلر أن يفجر ثورة في بافاريا من خلال حزبه القوي ، ولا ينفصل عن الرايخ ، بل يزحف في جموعه إلى برلين مستوليًا على الحكومة مقلدًا في ذلك موسوليني الذي فعل شيئًا شبيهًا في إيطاليا .

وقد ظلت بافاريا على تحديها للحكومة المركزية ، وكانت تحت حكم مطلق ممثل في ثلاثة ، أولهم كار مفوض الدولة ، وثانيهم الفريق أوتوفون لوسّو قائد الجيش في بافاريا ، والثالث هو العقيد فون سيسر رئيس شرطة الولاية .

وكانت الحكومة المركزية في برلين قد أعلنت حالة الطوارئ في البلاد ، وقد رفض كار الامتثال لهذا . وصدرت له الأوامر بإغلاق جريدة الفولكشاير بيوباختر بسبب التهييج المستمر الذي كان يقوم به هتلر من خلالها . ورفض كار تنفيذ أمر بالقبض على ثلاثة من رؤساء العصابات النازية . وصدر أمر بعزل قائد الجيش فون لوسّو وتعيين غيره ورفض كار تنفيذ ذلك أيضًا .

وحاول هتلر إقناع الثالوث الذي يحكم بافاريا بالزحف نحو برلين قبل أن تتحرك قوات الحكومة المركزية لتنفيذ ما تراه . وقد رفض كار ومن معه الانسياق وراء ما يوسوس به هتلر ، وبدأت قوى الحكومة البافارية تخور ، وربما كانوا يفكرون في الانفصال فعلاً عن ألمانيا .

وأدرك هتلر أن ساعة العمل قد حلت ، وأن في وسعه القيام بالعمل منفردًا بحزبه وقوات العاصفة بعيدًا عن الحكومة المحلية . وقد نصحه بعض رفاقه بالقبض على الثالوث الذي يحكم ، وإرغامه على تنفيذ ما يريده النازيون .

وتقرر عرض عسكري يوم ٤ نوفمبر بمناسبة يوم ألمانيا ، وأن الثالوث الحاكم سوف يحضر العرض ، وحدد مكانه في شارع ضيق في ميونخ . وكانت الخطة سهلة وبسيطة وتقضي بإغلاق الشارع قبل وصول القوات المشاركة في العرض ، ولم يتم تنفيذها لامتلاء الطرق برجال الشرطة والجيش ، واستحالة الوصول إلى المكان .

ثم جاءت الفرصة عندما قرر كار أن يخطب في حانة الجعة الكبرى بميونخ بناء على طلب بعض المؤسسات التجارية . وأحاطت قوات العاصفة بحانة الجعة ، وبينما كان كار يخطب في الساعة التاسعة إلا ربعًا من مساء الثامن من نوفمبر عام ١٩٢٣ دخل هتلر ورجاله ، وفي يده مسدس أطلق منه طلقة في سقف القاعة للسيطرة على المكان ، وأخذ الثلاثة إلى غرفة جانبية للاتفاق معهم ، ورفضوا ذلك رفضًا باتًا . وفشلت

المفاوضات معهم في تأليف حكومة .

وكان أحد النازيين قد جاء بالجنرال لودندورف أحد الأبطال القوميين الألمان الذي حضر ولم يكن يعرف شيئًا عما يدور على وجه التحديد .

وجاءت التعليمات من الحكومة المركزية إلى الجيش بإخماد هذا الانقلاب عن طريق البرق. وكان الثالوث قد غادر حانة الجعة في خدعة ، وتحرك الجيش لإخماد هذا الانقلاب ، وأصدر جوستاف فون كار رئيس الحكومة البافارية بعد هربه قرارًا بنقل مقر الحكومة إلى مكان بعيد عن ميونخ ، وأعلن عن حل حزب العمال الاشتراكي الألماني ، وأحزاب أخرى كانت تثير الشغب .

وقد تغيرت جميع المعايير أثناء الليل ، واقترح لودندورف على هتلر أن يقودا مظاهرة يقتحمان بها المدينة لاحتلالها ، ولن يجرؤ جندي في زعمه على إطلاق النار عليه لبطولته الشهيرة ، فهو الذي قادهم في الشرق والغرب .

واجتازت المظاهرة معبرًا حيث كانت الشرطة تقف على بعد مائة متر من الحانة عندما هدد جورنج بقتل الرهائن الذين كانوا في نهاية الركب . وانضم إلى هذه المظاهرة جوليوس شترايخر الذي جاء من نورمبرج واندس ومن معه خلف هتلر . وفي حاجز آخر حيث كانوا في طريقهم إلى وزارة الحربية لإنقاذ روهم المحاصر رفضت الشرطة السماح لهم بالمرور . وتم تبادل النيران على عكس توقع لودندورف . وانبطح هتلر على الأرض ومن معه ، وقتل ستة عشر نازيًا ورفض لودندورف أن ينبطح أرضًا .

وفشل الانقلاب وقبض على هتلر ومن معه وقدموا للمحاكمة ، التي وجدها فرصة ليكون نجمًا وبطلاً قوميًا من خلال ما قاله للدفاع عن نفسه .

وحكم عليه بالسجن خمس سنوات في قلعة لاندسبرج ، وأفرج عنه بعد تسعة أشهر ، فقد اكتسب شهرة كبيرة وعطفًا زائدًا من الصحافة والشعب أثناء محاكمته .

الطريق إلى السلطة :

سنحت فرص كثيرة لهتلر وللحزب النازي أن يقوم بانقلاب ضد الدولة ، وقد أغراه رفاقه بهذا في عديد من المرات ، ولكنه كان قد تعلم من درس انقلاب حانة الجعة الفاشل ، ومن ثم فقد رفض رفضًا باتًا كل هذه الإغراءات وكان يريد أن يصل إلى السلطة مؤيدًا من الشعب والجيش في آن واحد .

وكانت السنون التي انقضت من بعد خروجه من السجن في عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٩ من السنوات الصعبة التي مرت عليه وعلى الحزب النازي ، ولكنه كان قد خرج به بالفعل من دائرة المحلية الإقليمية إلى آفاق الرائج .

وكان نشاط هتلر الرئيسي في تلك السنوات هو محاولة تجنيد أكبر عدد من الضباط الشبان في الجيش ، وقد نجح في ذلك تمامًا ، وفي أن يتصل بكبار رجال الصناعة وأصحاب الإقطاعيات الضخمة حتى يمكن أن يجد المدد المالي لحزبه في الوقت الذي يعلن فيه الشعارات الاشتراكية بينما هو في أحاديثه الخاصة يؤكد على الملكية الفردية وأنه سوف يدعمها ويؤيدها فهي دعامة ألمانيا المستقبل ، واستطاع أن يقنع من يحدثه حول هذه الأمور .

رشح هتلر نفسه للانتخابات لرئاسة الجمهورية أمام هندنبرج الرئيس العتيد ، وقد أعلنت نتيجة الانتخابات في مارس عام ١٩٣٢ ، ولم تكن الانتخابات تزور في هذه البلاد ، لا في ذلك الزمن ولا في أي زمن آخر مثلما يحدث في بلادنا النائمة . وكانت النتائج مخيبة للآمال ، فقد حصل هندنبرج على ٦ , ٤٩ ٪ من إجمالي الأصوات وحصل هتلر على ١ , ٣٠ ٪ وكان هناك مرشحان آخران حصل أحدهما على ٢ , ١٣ ٪ والآخر على ٨ , ٦ ٪ ولم يحصل هندنبرج على الأغلبية المطلقة .

وأعيدت الانتخابات وحصل هندنبرج على ٥٣ ٪ وهي أغلبية مطلقة وحصل هتلر على ٨ , ٣٦ ٪ ، وترددت شائعات في العاصمة برلين أن قوات العاصفة بقيادة

إرنست روهم تزمع الانقلاب لحساب الحزب النازي . وقد ظهر بعد ذلك أن هناك مؤامرة بين روهم وبين المستشار شلايخر لضم قوات العاصفة إلى الجيش النظامي وهو الأمر الذي كان يرفضه هتلر طوال الوقت .

استطاع هتلر أن يحقق نجاحًا جماهيريًا بكل الوسائل التي عرفها في ذلك الوقت فما ضرورة الانقلاب ، وبعد سلسلة من المؤامرات والدسائس ومن خلال الاتصال بقصر الرئاسة والتأثير على ابن الرئيس هندنبرج العجوز سمح أخيرًا لهتلر أن يكون مستشارًا لألمانيا ، وكان ذلك في ٣٠ يناير عام ١٩٣٣ ، وتم ذلك من خلال حكومة ائتلافية ليس للنازيين فيها كل الحقائب الوزارية ، ولكن كان هذا ما يريدونه على وجه التحديد ، وقد قال واحد منهم إنهم لن يغادروا هذه الوزارة إلا إلى القبور . وقد صدقوا في ذلك . فقد كان هتلر ومن معه يبحثون عن أي قدر من الشرعية والسلطة ليقوموا على تطويره بعد ذلك إلى ذلك الشكل من الاستبداد الذي لم يعهده أحد من قبل .

هتلر في السـلطة :

وصل هتلر إلى السلطة ليس بالمناورات السياسية وخداع كبار رجال الدولة والجيش فقط ، ولكن بطرق يمكن أن توصف بأنها شرعية ، وقد تمت وفقًا لقواعد الدستور وبتكليف من رئيس الجمهورية هندنبرج . ولكنه كان قد عاهد نفسه ألا يتركها أبدًا مهما كانت الظروف ، وقد صدق في عهده هذا .

عندما وصل هتلر إلى السلطة كان مقيدًا بجميع بنود الدستور ، ويحكمه مجلس الرايخستاج وليس له فيه الأغلبية المطلقة . وهناك جيش بروسي له ماض عريق وتقاليد راسخة ، ولا بد من إرضائه ومباركته لنظام هتلر .

وعندما وصل هتلر إلى السلطة كان لا بد من ضرب القانون والشرعية وكل ما يتشدق به رجال السياسة والحكم ، ولا بد له من إحكام السيطرة بأية وسيلة

كانت مشروعة أو غير مشروعة . وقد شجعه على هذا أنه يحمل للشعب الألماني آمالاً كبيرة وأحلامًا عريضة ، وهو يبشر بمستقبل زاهر يستعيد فيه الشعب عزته وكرامته . وقد استطاع هتلر أن يوحي للجيش ورجاله أنه سوف يعيد تسليح ألمانيا وأنه سيضرب عرض الحائط بمعاهدة فرساي ، وأن هناك ألمانيا جديدة سوف تبرز للوجود . وإعادة تسليح ألمانيا معناها أن تعمل كل المصانع الألمانية بكامل طاقتها من أجل إنتاج الحرب ، فهي الثروة لرجال الصناعة والتجارة ، والعمل لكل العمال العاطلين الذين يبلغ عددهم عدة ملايين ، وليس هناك في ألمانيا ذلك الحاكم الجريء المقدام الذي يمكنه اجتياز هذه الخطوط الحمراء غير هتلر .

وهتلر في حاجة إلى سلطة مطلقة ليس فيها معارضة صغيرة أو كبيرة ، فهو يريد الشعب كله خلفه ، وعلى المعارضين أن يموتوا طواعية أو بمعرفته بالرصاص ، أو في معسكرات الاعتقال .

تم تدبير حرق مبنى الرايخستاج بمعرفة هولندي مجنون ، واتهم الشيوعيون بهذه الجريمة ، وبدأ القضاء على الثورة الشيوعية المضادة . الأمر الذي يحكم قبضة الجستابو الذي أنشأه ، ويقضي على أكبر مناوئ ومعارض للنازيين . وتم القضاء قضاء مبرمًا على الشيوعيين ، إما بالمحاكمات الهزلية التي تقضي بالسجن ، أو البراءة التي يتلوها الاعتقال ، أو بالتصفية الجسدية في الأزقة والبيوت .

القضاء على المعارضة :

واستطاع هتلر أن يحمل الرئيس هندنبرج على توقيع مرسوم هو بداية العهد الديكتاتوري ، وهو يقضي بوقف العمل بالأجزاء السبعة من الدستور الخاصة بالحريات الشخصية والمدنية من أجل حماية الدولة والشعب .

وتم فرض القيود على الحريات الشخصية ، وحرية التعبير والرقابة على الصحافة ، كما ألغي الحق في الاجتماع ، أو حرية تأليف الجمعيات ، وفرضت الرقابة على

الرسائل والبريد ، والتنصت على الاتصالات التليفونية ، ومراقبة البرق . وعدم ضرورة وجوب إصدار أوامر قضائية قبل تفتيش المنازل ، والسماح بمصادرة الممتلكات وفرض القيود عليها دون الحاجة للشروط القانونية .

وأحكمت قبضة هتلر والحزب النازي على ألمانيا ! .

واستطاع هتلر أن ينشر الذعر في كل أنحاء البلاد بعد أن تم القبض على أكثر من خمسة آلاف شخص بتهمة الشيوعية ، وهم جميعًا ليسوا بشيوعيين ، بل معهم كل رموز المعارضة وفصائلها ، وانتشرت أبواق الدعاية تحذر الشعب من الوقوع تحت سيطرة الشيوعيين ، ودعاهم إلى التصويت لجانب الاشتراكية الوطنية في الانتخابات التي كانت ستجري بعد أسبوع من هذه الأحداث . وامتلأ الشعب رعبًا من الجستابو ومن الشيوعية التي يخوفهم بها هتلر .

وبعد ذلك استطاع هتلر أن يجبر الرايخستاج على إقرار قانون الصلاحيات والذي يخول المستشار ــ أي هتلر ــ كل سلطات الدستور دون الرجوع إلى أحد ، وهو الإشراف على الميزانية وعقد المعاهدات وتعديل الدستور وكل شيء ، وذلك لمدة أربع سنوات استمرت حتى نهاية عهد هتلر .

وقد تم الاقتراع على هذا القانون بأغلبية ساحقة بعد اعتقال بعض النواب من الديمقراطيين ، بينما قوات العاصفة تحيط بالمكان الذي تم فيه هذا الاجتماع ، وهم يملئون الممرات ويوجدون بين جميع النواب ..

وفي ٢٣ مارس عام ١٩٣٣ صار هتلر هو الحاكم المطلق لألمانيا بغض النظر عن الرئيس هندنبرج ومجلس الرايخستاج الذي منح هتلر جميع الصلاحيات .

ثم جاءت أوامر وقرارات من وزير الداخلية فريك بحل الأحزاب المعارضة الموجودة على الساحة واحدًا بعد الآخر . وهناك من الأحزاب من قام بحل نفسه طواعية بعد أن رأى المستقبل المجهول وهو يلوح في الأفق .

حتى حزب الوسط الكاثوليكي وهو من أقوى الأحزاب الألمانية قام بحل نفسه .

وبعد ذلك صدر قرار وزير الداخلية بأن يكون الحزب النازي هوالحزب السياسي الوحيد في ألمانيا ، وكل من يحاول أن يعيد تشكيل حزب أو ينشئ أي تجمع تحت أي مسمى يعاقب بالأشغال الشاقة مع السجن .

وقد تلا ذلك حل جميع النقابات العمالية وعمل جبهة جديدة اسمها جبهة العمل الألمانية لتحل محل جميع الاتحادات والنقابات ، وقد رأسها روبرت لي النازي المتعصب المدمن للخمر .

وفتحت المعتقلات أبوابها ، وأنشئت وملئت بجميع المعارضين من جميع الاتجاهات وعرف الضرب والتعذيب في داخلها والقتل أيضًا . وأسلمت ألمانيا قيادها لهتلر أملاً في المستقبل أو خوفًا من الاعتقال .

هتلر يحكم قبضته على الجيش :

بعد أن تحكم هتلر في الدولة لم يعد في حاجة إلى روهم وعصابته التي أصبحت مصدر إزعاج شديد ليس للمواطنين ولكن لهتلر شخصيًا ، بالإضافة إلى عدم رضى قيادة الجيش النظامي عن وجود هذه العصابات التي تعيث فسادًا في الأرض . وكانت هناك بعض القوى المناوئة لهتلر مثل المستشار السابق شلايخر الذي كان يفكر في عمل بعض الترتيبات للتخلص من هتلر ، أو هكذا أشيع في ذلك الوقت . وكان الجيش قد ضج من قوات العاصفة ، وفكر جديًا في عمل انقلاب عسكري ضد العهد النازي وسائر ما يمثله من غوغائية وقوات عاصفة .

وأراد هتلر أن يرضي قيادات الجيش بأن يقضي على قوات العاصفة ، وقد تم له ذلك في يونيو عام ١٩٣٤ ، وتم اغتيال قيادات العاصفة فيما يسمى بحمامات روهم الدموية . وقد كانت هذه العمليات فرصة للتخلص من عدد كبير من المعارضين الذين لا شأن لهم بالعاصفة وقواتها ، وقد استمر القتل والاغتيال أسبوعًا كاملاً في سائر أنحاء ألمانيا بين الرضى الكامل الذي أبداه الجنرالات والفرقاء ورئيس

الدولة هندنبرج الذي كان يقترب من الموت .

ولم يكن أمام هتلر بعد ذلك إلا أن يعد الدولة للحرب ، وأن يعيد تنظيم القوات المسلحة ، وأن يسلح الجيش تسليحًا حديثًا يسمح له بأن يتحرك بقواته يمينًا وشمالاً في كل أنحاء أوروبا .

الحرب العدوانيـــة :

كانت فكرة إعادة تسليح ألمانيا فكرة طيبة يوافق عليها جميع الوطنيين بكل توجهاتهم ، وأن يعود إلى ألمانيا إلى مجدها وسلطانها وسيادتها في داخل أراضيها أمر لا يرفضه أحد ، ويمكن التجاوز عنه من جيرانه الأقوياء .

وكان تصور البريطانيين والفرنسيين أن الأمر لا يعدو إعادة القوة وبعض المطالب الإقليمية هنا وهناك في النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ويمكن التفاوض حول الممر البولندي ومدينة دانزيج ، وهي المنطقة التي كانت تفصل بروسيا الشرقية عن الرايخ .

وكان تصور تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا ودالاديه رئيس وزراء فرنسا أنه يمكن التجاوز عن طلبات هتلر المعقولة ، وأنه لن يتجاوز الخطوط الحمراء بأي حال فهو لا يغامر بحرب أوروبية ، لأنه مثلهم يعرف ويلات الحرب ، وما يمكن أن تجر على ألمانيا نفسها من كوارث ومصائب .

ولكن الأمور صارت تجري على غير ما أراده الإنجليز والفرنسيون ، وصار هتلر يجتاح الدول والبلاد بجيوشه واحدة بعد الأخرى حتى البلدان المحايدة مثل بلجيكا وهولاندا . واحتلت فرنسا وبولندا . ثم أعلن الحرب على الاتحاد السوفييتي ، وبدأ يهدد بغزو بريطانيا . وتغيرت جميع الموازين وصار من الواضح أن هتلر يريد غزو الأرض كلها .

ومن الصعب – ولعله من المستحيل – أن يقاتل هتلر في الشرق والغرب وفي إيطاليا وإفريقية وفي البحار والمحيطات . وكان من الطبيعي أن ينتهي هذا الجنون بهزيمة

مريرة ساحقة .

وقد كان من الممكن أن يتوقف في سنوات الحرب الأولى ولكنه لم يفعل لأنه كان يستهين بالحياة ، ويعرف أنه إذا صارت الأمور على غير ما يشتهي فإنه يمكن أن يتخلص من حياته في لحظة .

نهايـة هتـلر :

عندما تغيرت موازين القتال وفقدت ألمانيا شبابها وقوتها في تلك الحرب المجنونة التي حاربوا فيها العالم من أجل سيادة الجنس الآري . وأطبقت الجيوش الروسية على ألمانيا من الشرق . ونزل الحلفاء في نورماندي ، واقتربت جيوشهم أيضًا من العاصمة بعد أن اجتازوا الحدود . في ذلك الوقت عرف هتلر أنها النهاية . وكان قد نقل مقر قيادته إلى برلين في دار المستشارية في مخبأ مسلح تحت الأرض لا يتأثر بأقوى القنابل . وكان القتال ضاريًا ووحشيًا من شارع إلى شارع ، ومن بيت إلى بيت . فقد استطاع هتلر في سنوات حكمه أن يعبئ الشعب والجيش تعبئة جيدة ، وأن يجعلهم يقاتلون حتى الموت بحرفية شديدة واستبسال لم يوجد له نظير .

وعندما اقتربت الدبابات الروسية من الشارع المقابل لدار المستشارية عرف هتلر أنها النهاية . وآثر أن ينتحر بالرصاص بعد أن عقد قرانه على إيفا براون ، والتي انتحرت بالسم . وتم إحراق جثتيهما في حديقة المستشارية مستخدمين في ذلك مائتي جالون من البنزين حتى لا يعثر عليه أحد . وقد تم ذلك في ٣٠ أبريل عام ١٩٤٥ ، وقام عدد من مساعديه ومعاونيه بالانتحار هم وزوجاتهم ، ومنهم من قتل أطفاله مثل جوبلز قبل أن يقدم على الانتحار .

هتلر واليهود والمعارضون :

عندما تم احتلال ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية تم الحصول على آلاف

الأطنان من الوثائق ، وظهرت الحقائق الكثيرة أثناء ما تم من محاكمات في نورمبرج بعد الحرب .

وكان أهم ما أسفرت عنه هذه المعلومات أن كثيرًا من الفظائع قد حدث إبان تلك الفترة المظلمة من تاريخ ألمانيا وأوروبا والعالم .

فقد كان هناك العديد من معسكرات الاعتقال ومعسكرات الإبادة ، وقد هللت الدعاية اليهودية ونشرت في العالم كله أن اليهود هم الجنس الوحيد الذي وقع عليه الاضطهاد أثناء حكم هتلر . فقد استخدمت كل أنواع الدعاية والإعلام لتثبيت هذه المقولة من خلال القصة والمقالة والرواية والبرنامج الإذاعي والبرنامج التليفزيوني والسينما . والدعاية اليهودية تقوم بهذا الدور باقتدار وإصرار ، فلا يمر عام حتى يخرج على العالم ما يؤكد هذه المقولة .

والصحيح أن هتلر كان يكره اليهود ويمقتهم ، ولكنهم لم ينفردوا باضطهاده ، فقد نال هذا الاضطهاد جميع المناوئين والمعارضين من ألمانيا وخارج ألمانيا وقادة الجيش وزملائه في قيام الحزب النازي . وأن المحارق قد التهمت أناسًا من جميع الجنسيات وقد زاد عددهم على أكثر من عشرين جنسية وليس اليهود فقط . وقد تم إعدام عدد كبير من المسلمين أثناء الهجوم على روسيا وأثناء الانسحاب منها أيضًا . ويكفي أن نذكر أن هتلر قد قام بإعدام أكثر من خمسة آلاف ضابط ألماني بشكل رسمي بعد محاكمة شكلية على إثر مؤامرة ٢٠ يوليو عام ١٩٤٤ م ، ولم ينج من الاضطهاد أحد من الذين عارضوه .

وهناك بعض الآراء أن اليهودية العالمية هي التي قامت بتحريض هتلر ورجاله وتشجيعهم بطرق غير مباشرة لاضطهاد اليهود حتى يظفروا بعطف العالم من أجل إقامة وطن قومي في فلسطين . وقد أقاموا دولتهم هناك بعد فظائع تهون بجانبها فظائع النازي . ولكن ليس هناك من ينشر هذه الجرائم ويعرفها للعالم ، فلا يزال العرب والمسلمون لا يفهمون أهمية الدعاية والإعلام ، وربما لا يفهمون حرفية هذا المجال وخطورته .

وقد غادر هتلر الحياة بعد أن ترك بلاده خرابًا يبابًا ، وبعد أن أعطى درسًا للطغاة في كل مكان في الأرض يعلمهم كيف ينتهكون حقوق الإنسان ، وبعد أن ألقى في روعهم وأوحى لهم أن قتل إنسان وتعذيبه شيء يسير بجانب آمال وأحلام وطموح الديكتاتور .. أي ديكتاتور .

اعتمد هتلر في نظامه على التعذيب الجماعي والموت جوعًا للمعتقلين والقتل بالجملة، وحرق الجثث وسحقها وذروها في الرياح . وأن الزعيم الفرد هو الغاية والوسيلة ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنه يستحق أن يعبد ، ويجب أن يعبد ، فهو الذي ألقى إلينا أكذوبة الحاكم الإله الذي لن يجد مكانًا بعد ذلك بين الشعوب . وهو قد أعطى الدرس أيضًا أن ذلك الحاكم الإله ضعيف مغتر كاذب ، وأن قدر الله يمكن أن يأتيه فيحيل قوته ضعفًا ، وعزته ذلاً ، وغناه فقرًا وضياعًا .

هتلر والطغاة العرب:

كان جمال عبد الناصر هو الصورة الباهتة الزائفة المقيتة لهتلر ، فقد استطاع هتلر عند ظهوره أن يجعل من نفسه مثلاً أعلى لكل الشباب في البلاد المستعمرة ، وعلى الأخص في تلك البلاد التي كانت واقعة تحت الاستعمار الإنجليزي .

ولا زلت أذكر فرحة الشعب المصري عندما كانت الطائرات الألمانية تشن الغارات على مواقع الإنجليز في مصر أيام الحرب العالمية الثانية . وقد أحب الشعب المصري هتلر ، وظنوا أنه هو الذي سيحررهم من الاستعمار الإنجليزي ، وقد تطورت هذه الأسطورة ونجحت في بلادنا في ذلك الوقت لقلة المعلومات عنه وعن دولته . وكان هو الأمل الوحيد في التخلص من الاستعمار . وكان العوام من الناس يظنون أنه قد أسلم سرًا ، وأنه قادم لحماية الإسلام ورفع شأنه . وكانوا يصرخون ابتهاجًا وفرحًا عندما يرون طائراته وهي تضرب المعسكرات الإنجليزية :

ـــ اضرب يا حاج محمد .

فهو الحاج محمد هتلر الذي رآه البعض وأقسموا أنه كان يحج سرًا ويطوف بالكعبة مرتديًا الجبة والقفطان والعمامة حتى لا يعرفه أحد .

وكان هتلر هو النموذج والمثل الأعلى للأشرار والأخيار على حد سواء ، فالقمصان البنية التي كونها النازيون في ألمانيا هي التي أوحت لأولئك الذين أنشأوا القمصان الخضراء والزرقاء وسائر التشكيلات شبه العسكرية التي تكونت في مصر في تلك الفترة .

ولعل انقلاب يوليو عام ١٩٥٢ في مصر هو من وحي وإلهام محاولة انقلاب الكونت ستوفنبرج التي تمت في ٢٠ يوليو عام ١٩٤٤ .

وكان هتلر كزعيم مستبد هو مصدر وحي وإلهام جمال عبد الناصر وكل الذين اشتركوا في انقلاب يوليو بمصر ، حتى إننا نجد الرئيس السادات قد غيَّر ملابس الجيش قبل أن يقتل ، وجعل لها سمتًا نازيًا قد استوحاه من ملابس الجيش الهتلري الألماني .

وكان جمال عبد الناصر يقلده في كل شيء ويحتذيه في سائر التصرفات . حتى إنه عندما أراد أن يحاكم الإخوان المسلمين شكل لهم محكمة تحمل اسم محكمة الشعب ، وهو الاسم نفسه الذي أنشأه هتلر لمحاكمة المتآمرين ضده . واختار عبد الناصر رجلاً مجنونًا لرئاسة هذه المحكمة هو جمال سالم يسب المتهمين ويحكم ضدهم قبل أن يحاكمهم ، وهذا نفس ما فعله هتلر . وقلده أيضًا في التعذيب الجماعي الذي مارسه ضد الإخوان المسلمين وعمليات القتل داخل المعتقلات .

انتهك هتلر حقوق الإنسان في بلاده والدول التي احتلها حتى أنقذ الله هذه البلاد باستسلام ألمانيا غير المشروط في ريمز يوم ٧ مايو عام ١٩٤٥ .

وانتهك جمال عبد الناصر حقوق الإنسان في مصر ، وعلَّم الدول المحيطة به ذلك . ومات جمال عبد الناصر وماتت معه حقوق الإنسان ، ولا يوجد من يسترد هذه الحقوق الضائعة وينتزعها من يد تلامذته الذين حكموا بعده . وقد تفاقم الأمر

حتى يمكننا القول إن حقوق الإنسان التي ضاعت لم يعد للمواطن أمل في استردادها في المنظور القريب . ولم يعد المواطن آمنًا على نفسه وأهله وماله وعرضه .

وكان هتلر مقدامًا جريئًا ، أما جمال عبد الناصر فكان هيابًا جبانًا . فقد انتصر هتلر ورفرف العلم النازي بصليبه المعقوف على كل بلدان أوروبا . أما جمال عبد الناصر فقد انهزم هزيمة منكرة ذليلة في كل الحروب التي شنها بحماقته وجهله ورعونته واستهتاره .

أقام هتلر المشروعات الضخمة وأخرج بلاده من التخلف ورفعها إلى الذرى ، وتوصل إلى سر القنبلة الذرية وأوشك على إنتاجها . أما جمال عبد الناصر فحول شعبه إلى متسولين ، وترك بلاده خرائب يسكنها الجبن والجوع والعوز والكرامة المفقودة ، والاستعداد للعمالة لأي سيد يقدم الطعام الذي يقي من الموت .

وقف هتلر أمام العالم كله وحده ، وتضافر العالم عليه فهزم ، وعندما حدث ذلك أقدم على الانتحار ، فالهزيمة عار لا يساويه عار . أما جمال عبد الناصر فلم يشعر أنه صنع شيئًا عندما ضيع شعبه وجيشه وبلاده في هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .

ووقف صدام حسين أمام العالم بباطل ليس فيه من الحق نصيب ، وضيع العراق والعرب والمسلمين ، اجتاح الكويت وهدد السعودية ، وضرب ضربًا مبرحًا ، ولم يقاتل لحظة واحدة من ليل أو نهار ، ولم يهزم فهو لم يقاتل بل سحق سحقًا ، ولم يشعر بالخجل ، ولم ينتحر حتى كتابة هذه السطور .

ويبقى سؤال مهم .

ما هي الضمانات التي يمكن أن تحول دون استبداد حاكم ؟ .

ومع الأسف الشديد فإن الإجابة أنه لا توجد أية ضمانات تحول دون استبداد حاكم في بلادنا ، وستظل حقوق الإنسان ضائعة إلى زمن طويل .

أحمد رائف

تقديـم

« بقلم السير دافيد ماكسويل فايف نائب رئيس الادعاء من الجانب البريطاني في محاكمات نورمبرج » .

كان من أهم الأسباب التي دعت لمحاكمات « نورمبرج » ذلك الكم الهائل من الأعمال البشعة الرهيبة التي ارتكبها النازيون ، وما كان فيها من قسوة وجرائم تثير الفزع والرعب في القلوب عند ذكرها .

وعقب الحروب في العادة تنتشر نوبة من الفتور العام ، وعدم الاكتراث لمثل هذه الأمور ، على اعتبار أن الجرائم التي كشفت عنها التحقيقات ليست سوى دعاية من صنع الأعداء ، وتبدو تلك الفظائع في نظر البعض ضربًا من الأساطير التي يبالغ أصحاب المصلحة في صنعها والحديث عنها ، ولن نعدم بعض المؤرخين « الاعتذاريين » الذين يؤكدون أن مثل هذه الحقائق ليست سوى شائعات ، ويرددون هذا دون سند علمي صحيح ، وكأنهم يحاولون طلاء التاريخ وطمس معالم الحوادث .

ولكن في هذه الحالة فالأمر يختلف ، فلدينا براهين كثيرة وأدلة دامغة على الجرائم « النازية » ، وهذا مما وقع تحت أيدينا من سجلات الأوامر اليومية ، والخطب المسجلة والمكتوبة ، ومحاضر الجلسات التي تركت كل من اطلع عليها في حيرة شديدة .

والكل يتساءل عن طبيعة هؤلاء البشر الذين سمحوا بإعدام وإبادة حوالي اثني عشر مليونًا من الرجال والنساء والأطفال ، في بساطة وهدوء دون شعور بالإثم ، ناهيك عن الملايين الأخرى التي سفكت دماؤها في ساحة المعارك من الشعوب المختلفة .

ولا شك في أن خطورة الأحداث وتواليها والضغوط الاقتصادية والسياسية كانت من الأسباب الرئيسية لارتفاع الحزب النازي إلى مركز القوة وتسلمه مقاليد الحكم ، ولا يمكن بأي حال تجاهل كل تلك المؤثرات التي أدت إلى هذه النتيجة التي تحمَّل العالم كله وزرها وأثرها .

ومن الصعب علينا أن نتجاهل حالة الشعب الألماني ككل ، وصعب أيضًا تجاهل نفسية القادة النازيين بشكل خاص ، كما كان للعناصر البشرية التي اشتركت في تسيير الحكومة الأهمية الحيوية البالغة في السير بالأحداث إلى ما وصلت إليه . ولعل ظاهرة تولي عصابة للحكم في أمة من الأمم ، مرتفعة من العدم إلى أعلى سلطة حيث لا ينافسها منافس ولا يعارضها معارض ، وحيث تمسك بالأمور بقبضة حديدية ، وتحكم حكمًا فاسدًا استبداديًا ـــ تحتم علينا التأمل والدراسة المتأنية الواعية .

وها قد انقضى من الوقت ثلاث سنوات منذ أن انتهت سيطرة النازيين على القارة الأوروبية من **جبال القوقاز** إلى **جبال البرينيز** ، ورغم هذا فالعالم لم ينته بعد من مظاهر الديكتاتورية وأساليبها المختلفة ، وتحكمها في كثير من دول العالم .

وهذه حقيقة واقعة يصعب تجاهلها .

لذلك فإنه يجب أن ننظر عن قرب للتعبير الإنساني لفسقهم البالغ . وهذا الكتاب يبين ردود الأفعال البسيطة للقادة النازيين عندما كانوا يحاكمون وهم يواجهون احتمال الحكم عليهم بالإعدام . ولعل تعمقنا في نفسياتهم يبدو أكثر أهمية وقيمة عندما نعلم أن الذي يقدم عريضة الاتهام هو تاريخ العالم .

وإن يقيني أن هذه المسألة ليست أكاديمية الاهتمام ، وينبغي أن نذكر أن كثيرًا

من الناس لم يتناولوا « **النازية** » تناولاً جادًا قبل الحرب ، ولم ينظروا إليها بعمق إذ لم تعن وقتها شيئًا خطيرًا على نحو من الأنحاء .

فالفرنسيون مثلاً قد اعتبروا كتاب « **كفاحي** » كتابًا ضئيل الأهمية ولا قيمة له ، قد كتبه مخبول في قبو سجن تحت ظرف نفساني قاس ، وذلك أنهم قوم ذوو ثقافة عالية وأدب رفيع ، ومن ثم فقد نظروا إلى الكتاب من حيث قيمته الأدبية ، فوجدوا بنيانه هزيلاً قد ملئ بأخطاء اللغة وقواعد النحو ، ولم ينتبهوا إلى هذا الكتاب التافه في زعمهم . ثم كان خطؤهم الشنيع عندما قدروا أن الألمان مثلهم متذوقون للثقافة وأصحاب منطق عميق واضح .

وكذلك كان حال البريطانيين ، الذين اعتقدوا أن أمة حديثة في هذه المرحلة من الحضارة لا يمكن أن تدمرها مثل تلك الأفكار التي وردت في كتاب « كفاحي » لهتلر .

والآن وبعد أن انتهت الحرب فإن كثيرًا من الناس ينظرون إلى تسنم النازيين سنام القوة على أنه أمر خارج عن المألوف وغير طبيعي ، بل ولا يمكن حدوثه خارج ألمانيا .

وكم تحطمت كثير من الدول الأوربية بسبب القلق الأخلاقي والتمزق الذي كان نتيجة طبيعية لظهور الديكتاتورية . وليس هنا مجال لمناقشة أوضاع كأوضاع الحكومة السوفيتية ، ولكن لابد أن أقول إن المعلومات التي حصلنا عليها من الدول الأوربية التي وقعت تحت نير الاحتلال السوفيتي تؤكد ازدراءهم لحكم القانون وسيادته والاعتماد الكامل على الأسلوب البوليسي في الحكم كما كان النظام النازي بالضبط ، وهو أمر يهدد أي مجتمع بالفناء .

وإذا أردنا أن نُقيِّم الديكتاتورية وكيف ظهرت ، وكأنه بمثابة اختبار للديمقراطية الغربية في الوقت نفسه ، فإن هذا يحفزنا ويدفعنا لدراسة المعدن البشري للنازية .

وقد أفاد المؤلف في دراسته النفسية عن القادة النازيين أن الحالات التي قدمت

إلى المحكمة كانت فريدة ومتميزة ، فقد وقفوا في قفص الاتهام بعد أن تحطم كل شيء فوق رءوسهم ، وكان لديهم الوقت الكافي للنظر في الماضي ، ثم رأوا بأنفسهم النتائج التي أدت إليها أعمالهم .

وكانت حياتهم الشخصية تتكشف كل يوم أمام المحكمة ، ومن ثم فقد كانت أمامهم الحوافز الكثيرة ليتذكروا الماضي بتركيز ، وكانت إجاباتهم واضحة لكثرة الشهود والأدلة أثناء المحاكمات .

وفي هذا الكتاب لن نرى فقط الصراع والتباين والعداوة بين هؤلاء الذين قادوا بلادهم إلى الدمار ، ولكننا أيضًا سوف نرى الجانب الأخلاقي الذي غاب في تلك الفترة ، وكيف أدى بهم ذلك إلى مهاوي السقوط والانحدار .

وكانت ردود أفعالهم تجاه الاتهامات المقامة ضدهم تثير الاهتمام بوجه خاص ، فالمحكمة لم تتشدد معهم بالفعل ، ولم تعاملهم بقسوة ، بل جعلت الأمور هادئة في نظرهم ، مما جعل « جورنج » يصر على وضعه الاستعراضي الذي كان يثير السخرية ، وكان يقول : « المنتصر هو القاضي دائمًا ، أما المنهزم فتكثر ضده الاتهامات والادعاءات » أما « شترايخر » فقد قال في هدوء :

ـــ « هذا انتصار لليهودية العالمية » .

وربما يكون تعقيب الأدميرال « دونيتز » هو أكثر التعقيبات غرابة ، فقد قال : « لا تعنيني هذه الاتهامات في قليل أو كثير » .

ولكنه قال فيما بعد :

ـــ « دعك من أسطورة هتلر هذه التي تتكلم عنها ، فعندما يعلم الألمان بما قيل في المحاكمة فلن تجد نفسك مضطرًا لبذل جهد في إثبات إدانته فهو قد أدان نفسه » .

وهذه الملاحظات تلقي الضوء بالتأكيد على نفسية هؤلاء الرجال الشواذ الذين

انعدم عندهم الشعور والإحساس ، ولم يدركوا من هذا العالم غير ذواتهم الوضيعة التي ملئت زهوًا وخيلاء .

وقد أظهرت اختبارات الذكاء التي أجراها المؤلف للمتهمين أن جميع القادة النازيين ــ باستثناء شترايخر ــ كانوا في درجة من الذكاء تفوق المتوسط ، وعلى أي حال يجب ألا نفسر وصولهم إلى السلطة بسبب ذكائهم فقط ، فهناك خصائص أخرى بالتأكيد .

وقد وصلت إلى نتيجة تبينتها بنفسي خلال المحاكمة أن المحرك الأساسي لهم ، وتلك القوة الظاهرة قد تأتت من القسوة المتناهية وشهوة السلطة والرغبة في التحكم وعبادة ذواتهم ، وهي أمور قد تتأتى لبعض الناس عندما يتعرضون لمثل هذه الظروف ، وعندما يفقدون صفة هامة منطقية تميز الإنسان وتجعله منضبطًا في نظرته للأمور ، وقد تم لهم هذا تحت تأثير تعصب مذهبي انتشر وتمكن منهم .

هؤلاء الرجال الغامضون متوسطو الأعمار الذين وصفهم « مايكل سكوت » في كلمات :

« أنانيون .. متغطرسون .. متسلطون .. قد استمدوا قوتهم من عقلية تفردت عبر خبرات غامضة لا يعرفها سواهم ، أنتجت هوسًا وولعًا وتعصبًا للنازية ، مما أوجد شعورًا متسلطًا متجهًا إلى القسوة والشر ، ثم نشرت تأثيرًا عامًا على أفراد مختلفين قد تباينوا في هذه الدرجة من التأثر والشذوذ .

وعند اختبارات الذكاء كانت ردود الأفعال الشخصية مثيرة عند المتهمين . فعندما وضع الاختبار أمام « جورنج » عاد ثانية لخيلائه وزهوه .

ورغبة « جورنج » عارمة ليستعرض ذكاءه وتفوقه على الآخرين .

والمنافسة واضحة بين المتهمين منذ بداية المحاكمة ، وزادت حدتها مع قرب نهايتها .

ولم يتورع « جورنج » عن إظهار احتقاره الكامل للآخرين .

وحرص القادة العسكريون على تهوين دورهم في الفظائع النازية التي حدثت وظهرت تفاصيلها أثناء المحاكمات . بينما حاول كل من القادة السياسيين أن يلقي بالتبعة على غيره من الآخرين .

وقد ظهرت سطوة « جورنج » وسيطرته من خلال شخصيته القوية وشجاعته المؤكدة ، ومن إعلانه الكامل لتحمله مسئولية السياسة النازية كاملة .

وقد كان بكل تأكيد أكثرهم إصرارًا على موقفه القديم .

أما « فرانك » الذي أعلن توبته فقد كان يحاول النيل من المتهمين من زملائه ، وكان يستعلي ويسمو فوقهم بتوبته وعودته إلى المسيحية وليس كنازي .

ولم يهتم بقية المتهمين بسطوة « جورنج » وسيطرته ، بل كانوا يصفونها بأنها ضرب من ضروب النذالة لم يعرف من قبل . في الوقت الذي شاعت فيه قصة نهبه لكنوز التحف الأثرية الثمينة من البلاد المحتلة وعرفت تفاصيلها أثناء المحاكمات .

وكان جميع المتهمين باستثناء « سبير » ممتلئين شهوة إلى القوة والخيلاء ويملؤهم الزهو الجامح ، وقد أدينوا جميعًا في شخص « جورنج » .

وكانت نتيجة الاختبارات تتشابه في ردود أفعالهم النفسية بوجه عام .

وقد ظهر « جورنج » في المحاكمات كأكبر لص للتحف ، وخدش غروره حيازته لهذه الكنوز التي سرقها ، وكان بالتأكيد أكثرهم فسادًا لنفوذه القوي الذي استغله أسوأ استغلال .

وكان « جورنج » قد أهمل سلاح الطيران الألماني بعد معركة بريطانيا ، ومن ثم بدأ يفقد تأثيره على « هتلر » .

وبينما كان مواطنوه وبقية الأوروبيين يعانون من ويلات الحرب كان يعيش منعمًا في قصره ، معربدًا في ملابسه الغالية المرصعة بالذهب والجواهر وكأنه أحد أباطرة الرومان .

وكانت غاية متعته عندما يدعو ضيوفه إلى مآدب مسرفة البذخ والنعيم ، ثم يرافقهم متجولاً معهم في قصره ليريهم كنوز التحف المسروقة التي يستحيل وجودها مجتمعة في مكان واحد آخر .

وهو مثل واضح لخطورة الديكتاتورية وتعفنها وفسادها ، وهذه صورة لحياة الرجل الثاني في **الرايخ الثالث** .

لهذا كان « سبير » يقول :

ـــ « إنها لمعجزة أن يعيش عضو قيادي في الوزارة بطريقة بسيطة متواضعة » ومع تصاعد شدة الحرب وانتشارها انعزل « هتلر » عن الناس ، ولم يعد يعرف ما يدور بينهم ، وانعزل معه رجاله عن واقع الأمة ، ولم يعودوا يعرفون شيئًا إلا من خلال كم هائل من التقارير الكاذبة المزيفة ، والتي كتبها عدد من الكذابين المزيفين لتأكيد مصالحهم وأهميتهم ودورهم ، وأنه لا حياة للنظام بدونهم ، ومن ثم تبرز أهمية دورهم في تلك الآلة الجبارة التي لا تتوقف عن الدوران .

ولم يكن « هتلر » بالرجل الذي يختار مرءوسيه بذكاء ، ولم يعد يهتم بالتأكيد على التنسيق بين المسئولين السياسيين في حكومته ، ولعله قد فقد القدرة على ذلك . ولم يعد هؤلاء يعملون كفريق متجانس متعاون فيتمكن من الأخذ بنصيحتهم ويستفيد من تجاربهم .

وقد كان هدف « الفوهرر » الأول هو تحطيم الاتصال بين الأفكار والتجارب التي تحتويها قيادة النظام الديمقراطي ، مما يستحيل معه الحصول على نظرة دقيقة واضحة داخلية للميادين المختلفة المتأثرة بالسياسات الجديدة .

وقد قال « كايتل » في هذا الكتاب :

ـــ « إني أستطيع أن أدرك الآن بوضوح تعمده ـــ أي هتلر ـــ في أن يشغل وزراءه ورؤساء أركانه بمصالحهم الخاصة ، حتى صار كل واحد منهم لا يدري على وجه التحديد دوره في خطط « هتلر » الرئيسية » .

ليس في تاريخ الطغيان غير الزهو والخيلاء والأنانية ، وهذا ما تعلمناه من التاريخ ، والطاغية دائمًا لا ينتفع من مواهب مرءوسيه وقدراتهم ، ولعل هذا كان عاملاً مهمًا في اضمحلال أسبانيا تحت حكم « **فيليب الثاني** »[١] كما قرأنا ، وقد أثر فيه أبوه تأثيرًا سيئًا ، وعلمه التحكم في مرءوسيه بطريقة متعددة الجوانب بحيث لا يترك لهم فرصة لإبداء وجهة نظر أو رأي يفيد .

فهو يستخدم نبلاء أسبانيا العظام **ــ مثل إلبا ــ**[٢] في البعثات والسفارات الأجنبية والحملات العسكرية وليس أكثر من ذلك . ثم يعتمد في الخدمة والإدارة على أناس من أصل وضيع ويرفعهم إلى أعلى مرتبة ، وبهذا يكون ولاؤهم خالصًا له ، فهم يعزون ما هم فيه من نعمة إلى الملك ، وهم يطيعونه طاعة عمياء محقًا كان أم مخطئًا ، ثم حطمه منهجه الخاطئ وقضى عليه ، فقد زادت الشكوك في نفسه حول مساعديه ، ودفن نفسه تحت أنقاض من الأعمال الفرعية التي لا أهمية لها ولا طائل منها ، فهو لم يعد يثق في أحد من وزرائه ، وكان يظن أنه يستطيع أن يدير إمبراطوريته بنجاح أكثر منهم ، وهذا ما جعله يتخبط في معظم قراراته .

وربما كان التعصب الديني ورغبته في رفع شأن « الكثلكة » وخدمة شعبه من وجهة نظره هي مفتاح شخصيته العجيبة .

ولكن رذائل الخيلاء والغطرسة والأنانية والاستبداد قد غطت كل محاسنه . والوهم والأباطيل من أهم خصائص الطغاة ، وعلى هذا كان الحال مع « **لويس الرابع عشر** »[٣] ملك فرنسا ، فقد بنى قصر « فرساي » وحجب نفسه تمامًا عن جمهور « باريس » ، وأهمل نبلاءه وأشرافه ورجال دولته حتى لم يعد في مكنة واحد منهم أن يتقدم له بطلب أو اقتراح أو رأي .

وكانت الخيلاء هي الصفة الأساسية التي تميزه .

ولعلنا لن نجد أبدًا حُسْنًا أو صلاحًا في نفس أي إنسان قد بلغ مركزًا عظيمًا

من القوة ، وقد أحاطت به مخاطر كثيرة ، وحكمته مركبات النقص في الوقت نفسه .

والنتيجة حتمية ومنطقية دائمًا .

وزراء منحطون سفلة .

فشل في تحقيق الأمن مهما اتخذ من إجراءات .

غياب الحقائق عن الإدارة تمامًا ، ولا يبقى في ذهنها غير الأباطيل .

وعند النظر في المتشابه من التاريخ للطغيان الأوروبي لا يمكن لأي مؤرخ أن يغض البصر عن « نابليون » .

ووجه الشبه بينه وبين زعيم « النازية » عظيم .

فقد أسهب المؤرخون في عرض ميزاته العسكرية وعبقريته البالغة وقريحته المتوقدة ، وأطنبوا في مدحه لقاء الأيادي البيضاء التي أسداها « **قانون نابليون** » لفرنسا وأوروبا .

ثم نظرة إلى المد الهائل الذي تمثل في الفتوحات العسكرية « النابليونية » وما يقابله بالتوازي من مد عسكري « نازي » يحتم الدراسة والمقارنة لهاتين الحقبتين العظيمتين من الطغيان الأوروبي .

ولا تغيب عن بالنا أبدًا صورة « نابليون » وقد ضاعت منه عظمة الانتصار وأبهته ، وبدا لنا ذليلاً منهزمًا ، شأنه في ذلك شأن « هتلر » تمامًا .

ويمتلئ كتاب التاريخ بالدقائق المثيرة لرحلة الهزيمة وانحسار المد وانهيار المجد ، وعودته الذليلة الشهيرة مع « **كونكورت** » إلى فرنسا بعد فشله الذريع في غزو « الروسيا » .

وفي النهاية رأينا صورة مهينة أخرى قد خلت من التكريم والاحترام للقائد الذي سقط وهو يعاني في « **سانت هيلانة** » من محاولة اكتشاف الذات ، لكي يقدمها للتاريخ

عبرة للأجيال التي توالت بعد « نابليون » ، وتتوالى بعد « هتلر » أيضًا .
وهما صنوان للعجرفة والزهو والاستبداد والخيلاء .

إن العظمة التي تمثلت في عبقرية « نابليون » العسكرية ليست كافية لكي ندرك من خلالها مدى مقدرته على السيطرة والتوجيه من أماكن بعيدة لتلك الأحداث الجسام التي جرت في « أسبانيا » مثلاً . فقد استعاض عن الحاجة إلى تقييم الحقائق إلى التردي في قبول ما لا يستساغ منها ، أو ما هو غير مناسب ، وقد تم له ذلك في رؤية واضحة من وجهة نظره ، ولا يعتورها قلق أو اضطراب .

وكل هذه الشواهد رغم سطحيتها في بعض الحالات إلا أنها تؤكد لنا أمرًا أساسيًا واحدًا هو أن العجرفة والأنانية ليستا مجرد علامة الطغيان ودليله ، ولكنهما في الحقيقة جوهر ضعفه وتهافته . وهو أساس الأمل لمن يتخوفون من « الخطر التالي »(*) الذي قد يتهدد الحرية التي ننشدها .

وقد يأتي حين من الزمن يحاول فيه بعض الكتاب والمؤرخين أن يصوروا زعماء « النازية » على أنهم زعماء شهداء ، قد واجهوا الموت بشجاعة وهم يؤمنون بالوطنية الألمانية .

وقد يذهب هؤلاء — إن وجدوا — إلى أبعد مدى من ذلك بأن يضفوا لونًا من البسالة والعظمة على هؤلاء « النازيين » في سجنهم بعد هزيمتهم ، فيصوروهم قد آمنوا بعظمة منجزات « هتلر » الأولى ، ومن ثم فقد ساروا وراءه في استسلام ويقين .

ومثل هؤلاء الكتاب « الاعتذاريين » — إن وجدوا — سوف يتعين عليهم أن يواجهوا الحقائق الدامغة الدقيقة التي يحتويها هذا الكتاب .

وإن البيانات التي أدلى بها « ألبرت سبير » وزير التسليح النازي في المحاكمة ينبغي أن توضع جنبًا إلى جنب في الصراع الأخلاقي وتباين الإرادات بين الزعماء المسجونين .

(*) لعله يقصد الشيوعية والاتحاد السوفييتي بعد الحرب .

وهنا نضع مقولتين لفرانك (حاكم بولندا العسكري) أثناء محاكمته :

ــ « لقد أحاط « هتلر » نفسه بحاشية حقيرة من المتملقين والجهلة الذين لا يملكون القدرة على الاعتراض ، ولا يجيدون غير التصفيق ، ليضفي على نفسه هالة من القوة والمجد الزائفين » .

والثانية قوله بإخلاص :

ــ « ألف عام سوف تمر دون أن يمحى جرم ألمانيا » .

دافيد ماكسويل فايف

لندن سنة ١٩٤٨

المتهمون



المتهمون

وصلت إلى « نورمبرج » في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٥ م ومعي عدد كبير من المسجونين ، حيث كان موعد المحاكمة العسكرية الدولية المقدم إليها ثلاثة وعشرون من مجرمي الحرب النازيين ، وفي ذهني يتردد قول أحد ضباط المخابرات العسكرية الألمانية :

ــ « لقد رأيت آلة الحرب النازية وهي تتحطم ، وشاهدت الأدلة على همجيتهم وبربريتهم في أماكن مثل معسكر الاعتقال في « داخاو » في أيام ما قبل انتصار الحلفاء » .

وكطبيب نفسي كان يعنيني في المقام الأول أن أعرف الصلة بين الحركة النازية وبين هذه الأعمال الشنيعة التي تمت .

ولم يكن استجوابي للأسرى العاديين والمواطنين الألمان الذين تم القبض عليهم كافيًا ، فكل واحد من المسئولين الصغار يستنكر أن يُحاسب على طاعته لأوامر القادة الذين ورطوه فيما ارتكب من جرائم ، وكان هؤلاء القادة الكبار في سجن « نورمبرج » في ذلك الوقت .

وكان هو المكان نفسه الذي ينبغي عليَّ الوجود فيه .

ومن المصادفات الحسنة أنني حللت مكان المترجم الخاص لقائد السجن ، في الوقت الذي كنت فيه طبيب السجن النفسي أثناء عقد المحاكمة .

وكانت مهمتي الأساسية تنحصر في تحقيق اتصال يومي بالمسجونين المتهمين ، وهذا حتى يظل قائد السجن الكولونيل ب . س . آندروس على علم دقيق بحالتهم المعنوية ، حتى يمكننا العمل والتصرف في الوقت المناسب لمنع انهيارهم النفساني في المحاكمة . وقد اشتركت أيضًا مع المحلِّلين النفسانيين في التحليل والاختبارات العقلية التي أعدت(*) .

وكانوا يسمحون لي بالدخول إلى المتهمين في أي وقت منذ أعلنوا بالاتهام ، وتم ذلك حتى لحظة تنفيذ حكم الإعدام فيهم ، الأمر الذي مكنني من دراسة ردود أفعالهم المختلفة في ظل ظروف مرتبة بإحكام خلال عام كامل . وكانت الطريقة السهلة تتلخص في افتعال مناقشة مع ضابط الاتصال أمام أحدهم . ومن ثم استطعنا أن نمد المحكمة بتقرير دقيق من الوجهة النفسانية لآلة الحرب النازية ، والرجال الذين قاموا على صنعها وإدارتها . وبطبيعة الحال فإني لم أدون ملاحظاتي أمامهم أبدًا ، ولكني كنت أنفرد بنفسي عقب خروجي من عندهم في زنزانة من كنت معهم ، أو أترك فناء السجن حيث أكون معهم في بعض الأحيان ، أو غرفة الطعام حيث كانت تدور أغلب المناقشات الجماعية ، وإني أدعي أن ملاحظاتي التي قمت بتدوينها يوميًا هي بمثابة مادة خام جيدة لدراسة لها قيمتها التاريخية والنفسية .

* * *

(*) كان وضع المحلِّلين في السجن كالآتي : الميجور دوجلاس . م . كلي الذي ترك المهمة بعد بدء المحاكمات بشهر ، ونجح التحليل بمعرفة الميجور ليون . ن . جولدنسون . وتولى الوضع في أغلب المحاكمة الكابتن ريتشارد ورتنجتون ومعه الكولونيل و . هـ . دون في أقصر فترة من الوقت .

وسرعان ما تبلورت ردود الأفعال حيال قوائم الاتهام المقدمة ضدهم ، وكنت قد سألت بعض المتهمين أن يكتب تعليقًا مختصرًا عن رأيه في التهم الموجهة إليه .

وكانت ردود الأفعال الأولية التلقائية كما سجلتها في ذلك الوقت تعبر عن الخصائص الأساسية لكل شخصية على حدة .

١ ــ هيرمان جورنج

ماريشال الرايخ الأعظم .

القائد العام لسلاح الطيران الألماني .

رئيس الرايخستاج .

الممثل الشخصي لهتلر في خطة السنوات الأربع .. إلخ .. إلخ .

كان تعليقه المكتوب مختصرًا مبتسرًا مليئًا بالازدراء :

« المنتصر هو القاضي طوال الوقت ، والمنهزم هو المذنب دائمًا ، وعليه أن يتقبل حكم قاضيه » .

٢ ــ يواكيم فون رينتروب

وزير الخارجية النازي .

كتب تعليقًا جانبيًا :

« ينبغي أن يوجه هذا الاتهام ضد المخطئين » .

وأراد أن يضيف العبارة التالية :

« كنا جميعًا نختفي تحت معطف هتلر » .

ولكنه عدل عن كتابتها ، واكتفى بذكرها لي .

٣ ـ رودلف هيس

وكان في حالة فقدان ذاكرة وقتي منذ وصوله من إنجلترا .

وكتب باللغة الإنجليزية :

« أنا لا أذكر شيئًا » .

فقط ! .

٤ ـ إرنست كالتنبرونر

رئيس جهاز الأمن الخاص بهتلر بما فيه الجستابو والشرطة السرية .

اعترض ببراءته الشكلية وكتب :

« أنا لا أشعر بالذنب حيال جرائم الحرب ، وليس لي دخل بها ، وقد أديت واجبي كمسئول عن الأمن ، وأعترض أن أحاكم كبديل لهتلر » .

٥ ـ ألفريد روزنبرج

فيلسوف النازية ومفوض الرايخ في الأراضي الشرقية المحتلة .

كتب العبارة التالية مبرئًا نواياه :

« هذا الاتهام ليس سوى مؤامرة ، أما عداء الشعوب غير الآرية فقد كان مجرد إجراء وقائي فقط » .

٦ ـ هانز فرانك

المستشار القانوني لهتلر . ثم الحاكم العام لبولندا أخيرًا .

وكان قد أخذ سمتًا دينيًا تصوفيًا بعد القبض عليه ، وكتب تعليقًا له طابع ديني :

« إني أعتبر هذه المحاكمة هي إرادة الله العادلة ، ومحنة لا مناص منها ، ووضعًا لنهاية تلك الحقبة المرعبة من المعاناة والآلام تحت حكم (هتلر) » :

٧ ــ ولهلم فرايك

وزير الداخلية النازي .

أعطى رد فعل قانونيًا فكتب :

« هذا الادعاء ينهي المؤامرة الخيالية المزعومة » .

٨ ــ فريتز سوكل

رئيس منظمات العمل النازية .

ويبدو أنه قد وجد صعوبة في التوفيق بين قرار الاتهام وبين حبه المزعوم للعمال :

« الهوة عميقة بين مثاليات المجتمع الذي كنت أحلم به كبحار وعامل سابق وبين الأشياء المرعبة التي حدثت في معسكرات الاعتقال . لقد هزتني كل هذه الأشياء بعمق » .

٩ ــ ألبرت سبير

وزير الدولة للتسليح والذخائر .

أعلن إدانة النظام النازي في صراحة :

« المحاكمة ضرورية ، فقد كان هناك مسئولون عن مثل هذه الجرائم المرعبة

حتى لو كان هذا في ظل نظام ديكتاتوري » .

١٠ ــ هيلمارشاخت

محافظ بنك الرايخ .

وزير الاقتصاد النازي قبل الحرب .

كتب صارخًا :

« لا أستطيع أن أفهم على الإطلاق لماذا يحاكمونني ؟ » .

١١ ــ والتر فونك

خليفة شاخت في وزارة الاقتصاد .

كان ثرثارًا وتقليديًا في اعتراضاته ، يحاول إثبات براءته :

« لم أفعل في حياتي متعمدًا ما يؤيد هذا الاتهام ، وإن كنت قد فعلت ذنبًا من ذلك المنسوب إليَّ ومسجلاً في قائمة الادعاء فيكون ذلك خطأً وجهلاً ليس إلا ، وتكون حالتي حينذاك مأساة إنسانية وليست جريمة » .

١٢ ــ فرانز فون بابن

مستشار الرايخ قبل هتلر .

سفير ألمانيا النازية في النمسا وتركيا خلال عهد هتلر .

كان ثرثارًا أكثر من اللازم وهو يحاول انتزاع نفسه من الجرائم النازية :

« لقد أرعبني الادعاء لسببين : الأول هو عدم التبعة في إدخال ألمانيا الحرب العالمية ، وذلك التدمير الواسع الذي أصاب العالم . والثاني هو تراكم تلك الجرائم الفظيعة التي أصيب بها بعض مواطني من الألمان . وهناك عامل نفسي آخر يصعب شرحه ، ففي رأيي أن تقديس الفرد وتعظيمه ــ مع سنوات طويلة من الحكم المطلق ــ هو الذي يحمل الوزر الرئيسي في كل ما حدث . ومن خلال هذا أصبح (هتلر) كاذبًا محترفًا عبر السنين » .

١٣ ــ بارون فون نيوراث

وزير الخارجية في السنين الأولى للحكم النازي .

وبعد ذلك عمل محافظًا لبوهيميا ومورافيا .

ألقى ملاحظة على الهمجية النازية في استعلاء :

« كنت دائمًا ضد عقاب المتهم دون توافر وسائل الدفاع عنه » .

١٤ ــ بالدور فون شيراخ

قائد شبيبة هتلر .

حاكم فيينا العسكري .

جاءت صحوته المخلصة متأخرة :

« جاء سوء الطالع من السياسة العنصرية الخاطئة » .

١٥ ــ آرثر سايس انكوارت

مستشار النمسا .

ثم قوميسيير الرايخ في هولندا بعد ذلك .

لم يكلف نفسه عناء الاعتراض ببراءته ، ولكنه كتب في برود واستسلام :

« أرجو أن يكون هذا هوالفصل الأخير في مأساة الحرب العالمية الثانية » .

١٦ ــ جوليوس شترايخر

المناهض الأول لكل ما هو غير « آري » بألمانيا النازية .

رئيس تحرير جريدة العاصفة .

حاكم فرانكونيا .

عبر عن رأيه ووسوسته في المحاكمة :

« هذا انتصار لليهودية العالمية » .

١٧ ــ الفيلد مارشال كايتل

رئيس أركان حرب القوات المسلحة .

أعطى رد الفعل المتوقع من ضابط تربى على المدرسة « البروسية » .

« بالنسبة للجندي الأوامر هي الأوامر » .

١٨ ــ الفريق يودل

رئيس غرفة العمليات للقيادة العليا للقوات المسلحة النازية .

كان مشوش الفكر والمشاعر وهو يعلق :

« إني ألاحظ الخلط بين الاتهامات المشروعة وبين الدعاية السياسية » .

١٩ ــ الأدميرال دونتز

قائد البحرية الألمانية وخليفة هتلر بعد انتحاره .

كان يتظاهر بالضحك على أساس أن هذه الأمور لا تعنيه بالمرة :

« ليس شيء من هذه الاتهامات يعنيني على الإطلاق ، إنها الدعابة الأمريكية التقليدية ، أما أنا فلا دخل لي بما هو مكتوب » .

٢٠ ــ هانز فريتشه

مدير الإذاعة في وزارة جوبلز للدعاية .

شعر بالحرج عندما طلب منه التعليق ، وكتب وكأنه يتحدث إلى الشعب الألماني :

« هذا هو أسوأ اتهام فظيع ومرعب على مدار التاريخ ، وهناك شيء أكثر رعبًا وهو أن هذا الاتهام قد وضع لامتهان مثاليات الشعب الألماني » .

أما تعليق الأدميرال « رايدر » وتعليق « روبرت لي » فَقَدْ فقدا مني ، وكان الأدميرال « رايدر » قد جيء به من الأسر الروسي ، ورفض أن يتكلم أو يكتب . أما قائد العمال الشاذ فقد كان رد فعله الحاسم حيال الاتهام كمجرم حرب أن شنق نفسه .

* * *

وقد قمت مع زميلي بزيارة « روبرت لي » في اليوم السابق لانتحاره ، وكان

يبدو في حالة مضطربة ، ويذرع الزنزانة جيئة وذهابًا بحذائه المطاطي « النازي » الذي يصل إلى قرب ركبته ، ويرتدي سترة قد اعتاد كثير من المسجونين أن يرتدوها في هذه الظروف ، وسألناه عن الشوط الذي قطعه في إعداد دفاعه بعد قراءته للاتهام .

ووجدناه يندفع متحدثًا :

٢٣ أكتوبر : « زنزانة لي » :

« وكيف يمكنني أن أعد دفاعًا ؟ هل مفروض عليَّ أن أعد دفاعًا عن جرائم كثيرة لا أعلم عنها شيئًا ؟ هل لا بد من تقديم ضحايا لإرضاء روح الانتقام لدى المنتصرين بعد كل الدماء التي أريقت ؟ هذا حسن للغاية » .

وهنا وضع نفسه مستندًا للجدار في وضع المصلوب وواصل في لهجة درامية :

« ثبتونا إذن أمام الجدران وأطلقوا علينا الرصاص ، لا بأس بكل هذا ، أنتم المنتصرون ، ولكن لماذا عليّ أن أمثل أمام المحكمة مثل م ... م ... م ... م » .

وتلعثم ولم يستطع العثور على كلمة « مجرم » التي كان يريد أن ينطقها ولم يسعفه لسانه بها حتى نطقتها له .

ثم واصل الكلام :

« نعم .. لا يمكنني حتى مجرد النطق بهذه الكلمة » .

وصار يردد هذه المعاني عدة مرات وهو يذرع الزنزانة جيئة وذهابًا ، في حالة من الهياج ظهرت واضحة وهو يثرثر .

وفي الليلة التالية وجد مشنوقًا في زنزانته ، وكان قد مزَّق منشفته صانعًا منها أنشوطة ، ثم ربطها بماسورة المياه الموجودة بأعلى الزنزانة ، وكأنه لم يستطع تحمل كل هذا العار والإذلال أكثر من ذلك .

وتسبب موت « لي » منتحرًا في خلق جو من الانزعاج والتوتر لدى إدارة السجن ، فقد زيدت الحراسة إلى أربعة أضعاف ، حتى إنه كان يوجد حارس في كل زنزانة بصفة مستمرة في الليل أو النهار .

و لم يعلن الكولونيل « آندروز » عن موت « لي » على التو ، محاولة منه في إخفاء طريقة وفاته عن الآخرين ، ولكنه قام بعد ذلك بتوزيع بيان غامض أعلن فيه وفاة « لي » .

وكنت جالسًا في زنزانة « جورنج » عندما وزع هذا البيان في يوم ٢٩ أكتوبر ، وتناوله وقرأه دون أدنى انفعال أو حركة .

وعندما ترك الضابط الزنزانة التفت إليَّ :

٢٩ أكتوبر : « زنزانة جورنج » :

« لقد أحسن « لي » كثيرًا بموته ، فقد كنت في شك دائم مما سيكون عليه سلوكه أثناء المحاكمة ، كان متهافتًا مغرقًا في الخيال ، وكان كل كلامه أجوف لا معنى له . كنت على يقين من أنه سيجعل من نفسه أضحوكة في المحاكمة ، على أي حال أنا لست مدهوشًا لموته ، لأنه كان حتمًا سيموت على وجه ما .. » .

* * *

كانت هذه الانطباعات نفسها عند بقية المتهمين ، عدا السوقي المتعصب « شترايخر » الذي حزن كثيرًا لموت « لي » قائد العمال الشاذ الذي أرغم عماله على الاشتراك في العمل بصحيفة « شترايخر » المسماة « بالعاصفة » ، فقد كان الاثنان متلازمين أثناء اعتقالهما القديم بمعتقل « موندورف » . ورغم هذا فقد وصف « شترايخر » زميله القديم « لي » بالجبن لانتحاره تاركًا خلفه وصية سياسية يصف

فيها عداء النازية لكل الأجناس غيرالآرية بأنها غلطة كبرى كانت سببًا في كل الكوارث التي حدثت .

* * *

وكان « شترايخر » إذا قيس بزملائه فإننا نجده منحطًا من أصل وضيع ، يقع في أسفل السلم الاجتماعي إن جاز هذا التعبير ، وكان يبدو غير متناسب مع زملائه من مجرمي الحرب ، فهو ليس ملائمًا لهم ، وليس على المستوى نفسه معهم .

وكان خبيثًا شريرًا حقيرًا ، ونال أقل الدرجات في الاختبارات النفسية التي أجريت على المتهمين . وقد فحص « شترايخر » بواسطة لجنة من الأطباء النفسانيين التابعين لدول مختلفة ، فمن موسكو كان الدكتور « كراسنوشكن » ، ومن شيكاغو كان الدكتور كولونيل « شرودر » ، ومن باريس كان الدكتور « دي ليي » .

وحول « شترايخر » الاختبار النفساني إلى كلام لا أول له ولا آخر عن أفضلية الجنس « الآري » على جميع الأجناس ، وصار يحاضر في الأطباء المجتمعين شارحًا لهم كيف خصص خمسة وعشرين عامًا من حياته لدراسة هذه المشكلة ، وكيف أن علمه بها يفوق علم أي إنسان آخر على وجه الأرض .

وقد قرر الأطباء النفسانيون بعد الفحص الذي أجري له أنه ليس مجنونًا رغم أنه يعاني من ضغط عصبي شديد .

* * *

وكان « رودلف هيس » نائب هتلر في قيادة الحزب النازي الألماني هو المرشح الرئيسي لإجراء اختبار عقلي . ذلك الرجل صاحب الرحلة الجوية الغامضة إلى إنجلترا في عام ١٩٤١ م ، والتي أثارت انفعالاً عامًا في ذلك الوقت .

وكان « هيس » قد وصل أخيرًا إلى سجن « نورمبرج » من انجلترا في حالة من فقد الذاكرة الكامل ، وبين أمتعته كانت هناك بعض لفافات صغيرة تحتوي على عينات من الأطعمة التي يتناولها بعد إصابته بالتوجس والوسوسة من محاولة تسميمه في إنجلترا .

وكان يجلس في زنزانته في حالة من فقد الذاكرة الكلي غير مكترث بشيء مما يدور حوله ، وغير قادر على إعطاء أية دلالة تشير إلى تذكره لأي موضوع يذكر أمامه بما في ذلك عملية طيرانه الغامضة إلى إنجلترا .

وفي كثير من الأحيان كان كثيرًا ما يتعمد أن يطفيء شعلة الذاكرة التي قليلاً ما كانت تومض في عقله المغلف بضباب النسيان الكثيف .

وقد كان لدينا شك ضئيل في أنه يتصنع أحيانًا ، وليس من الضروري أن يكون مصابًا بحالة من الفقدان الكامل للذاكرة . ولكنه مجرد شك فقط ليس هناك ما يؤيده .

وباستمرار سؤاله لم تبق هناك فرصة لأي افتراض مهما كان الشك في أنه فاقد تمامًا للذاكرة .

وعلى هذا فقد أجمع النفسانيون بأنه ليس مجنونًا .

* * *

باستثناء حادثة انتحار « روبرت لي » والتحليل النفساني الذي أجرى لكل من « جوليوس شترايخر » و « رودلف هيس » فلم يكن هناك أي شك في سلامة القوى العقلية لبقية المتهمين المعتقلين بسجن « نورمبرج » .

وقد تم علاج « جورنج » من إدمانه للمخدرات بواسطة الدكتور « ميلر » والدكتور « كيلي » ، وذلك بإعطائه جرعات متناقصة من أقراص « الباراكودين » .

وفي أثناء أحاديثنا مع « جورنج » في زنزانته كان يحاول أن يبدو دائمًا بمظهر البشوش الراضي بالواقع ، المتقبل للهزيمة بروح رياضية . وكان أي سؤال يشير إلى جرائمه يكفي لكي يغطي تصرفاته بمظهر متعال تجاه ما أسماه بعدالة « المنتصرين » . وكانت لديه تبريرات كثيرة عن سير الحرب وتطورها ، ثم يزعم في الوقت نفسه أنه لم يكن على علم بالفظائع التي ارتكبت ، ويحاول أن يبدي روحًا مرحة تجعل شخصيته محببة لدى من يجلس إليه ، وتؤكد أن مثله بعيد تمامًا عن إلحاق الأذى بالناس .

ورغم هذا كله فلم يستطع إخفاء أنانيته المرضية ، وطبيعته التي جبلت على عدم القدرة على تحمل أي شيء باستثناء الملق والإعجاب بقيادته ، وبين هذا كله كان يبدي احتقارًا شديدًا واضحًا لبقية القادة « النازيين » .

٢٩ أكتوبر : « زنزانة جورنج » :

[بعد إذاعة خبر انتحار روبرت لي]

« ... إني أتعشم ألا ينهار « رينتروب » .. أما العسكريون فليس هناك أي خوف منهم ، فسوف يضبطون سلوكهم بالتأكيد . ولكن « هيس » .. إنه فاقد العقل . لقد ظل مجنونًا لفترة طويلة . لقد علمنا ذلك عندما طار إلى إنجلترا . هل تظن أن هتلر يرسل الرجل الثالث في الرايخ وحيدًا في بعثة مثل هذه إلى إنجلترا دون اتخاذ أبسط الترتيبات ؟ لقد كانت غضبة « هتلر » عظيمة عندما استيقظ ذات صباح فلم يجد « هيس » .. هل تظن أنه يسعدنا على المستوى الشعبي أن يكون واحد من أبرز قادتنا قد أصابه الجنون ؟ .

إن كان « هيس » يريد التفاوض حقًا مع البريطانيين فقد كان يعلم أن هناك اتصالات دبلوماسية فوق العادة موثوقًا بها في الدول المحايدة . لقد كانت علاقاتي الخاصة بإنجلترا تمكنني من ترتيب اتصال في أقل من ثمان وأربعين ساعة .

لقد انطلق « هيس » دون كلمة واحدة . دون أوراق يوضح فيها الموقف . دون أي شيء اللهم إلا مذكرة بلهاء قد تركها خلفه » .

وأردت أن أناقش معه شخصية «هتلر » فأبديت له هذه الملاحظة :

« إن الناس في هذه الأيام يقولون إنه من سوء الطالع أن محاولة اغتيال « هتلر » في ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ لم تنجح . ويبدو أنهم أحسوا بخيبة أمل مريرة تجاه القادة النازيين » وقد أثارته حقًا هذه الشهادة التي أدلى بها الشعب الألماني والتي أخبرته بها فقال :

ــ « ليس مهمًا ما يقوله الناس الآن ! وربما يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي لا أعمل له حسابًا . وماذا تهم هذه اللعنات الباهتة ؟ إني أعلم جيدًا ماذا كانوا يقولون في الماضي ! نعم .. لقد كانوا يهتفون لنا ويمتدحون أعمالنا عندما كانت الأمور تسير سيرًا حسنًا . إني أعرف الكثير عن أخلاق الجماهير وطبائعها .. ولا يعنيني ما يقولونه عنا الآن » .

١١ نوفمبر : « زنزانة جورنج » :

وفيما يتعلق بالمحاكمة قال « جورنج » :

ــ « إنها ليست سوى مناورة سياسية مكشوفة ، وقد قدَّرت كل العواقب التي يمكن أن تسفر عنها هذه المحاكمة ، وأعددت نفسي لها . وإني على يقين من أن الصحافة سوف تلعب الدور الرئيسي في التأثير على قرار المحكمة أكثر من القضاة أنفسهم ، وواثق أيضًا أن القضاة الفرنسيين والروس ــ على الأقل ــ عندهم أوامر محددة من حكومتيهم بخصوص الحكم الذي ينبغي عليهم أن يصدروه . إني مستعد أن أحاسب عن كل شيء فعلته ، أما ما لم أفعله فلا شأن لي به ، ولا ينبغي أن أحاسب عليه . ولكن ماذا أقول ؟ المنتصرون هم القضاة دائمًا . إني أعلم ماذا يخبئونه

لي ، ولذلك فسوف أكتب خطاب الوداع إلى زوجتي اليوم » .

« لقد أسفت كثيرًا عندما رأيت « ريبنتروب » ينهار ، ولو كنت أنا وزير الخارجية لكان يمكنني القول ببساطة : « لقد كانت هذه هي سياسة حكومتي الخارجية ، وكان من واجبي القيام بها كوزير لخارجية الرايخ الألماني ، ولم أقم بغير واجبي في هذا الصدد ، وإذا عَنَّ لكم أن تحاكموني لواجب حتمه عليَّ عملي فلتفعلوا ما تشاءون ، فأنتم تملكون اليوم ناصية القوة لأنكم المنتصرون » . لقد كان من العار أن يبدو مهتزًا مشوشًا هكذا ، كأنما يعتذر عن تصرفاته بملاحظاته التي لا نهاية لها ، وشروحه المسرفة في الاستفاضة » .

« ليس هناك سبب شخصي يحملني على مهاجمته ، ولكني لم أفكر فيه كثيرًا كوزير للخارجية . « فون نيوراث » هو الرجل الذي كان ينبغي أن يكون مكانه ، فقد كان يملك القدرة على معارضة « هتلر » ، وكان يستطيع أن يعرض وجهة نظره ويدلل عليها . أما « ريبنتروب » فلم يكن سوى تاجر للخمور وليس له أن ينجح إلا في مثل هذا الضرب من الأعمال ، كان محبًا لذاته إلى أبعد مدى ، ولم يكن مثقفًا أو ذا براعة تؤهله للعمل الدبلوماسي بنجاح .

وقد حاولت أن أنصح « هتلر » باستبعاده لسببين :

أولهما : أنه كان شخصًا غير مرغوب فيه لدى البريطانيين الذين كان « هتلر » يحرص أن تكون علاقتنا بهم طيبة ، وكانوا لا يقبلون « ريبنتروب » لمناوراته المتسمة بعدم الفطنة .

فقد حدث عندما كان يزور « بريطانيا » أن تكلم فور نزوله من القطار في لندن ، ناصحًا لهم بلهجة الواثق الخبير عن ضبط التوازن في القوى ضد الروسيا ، كأنه لا يعلم مطلقًا الحقيقة التي مؤداها أن البريطانيين يعتبرون أنفسهم خبراء في توزيع القوى السياسية وتحقيق التوازنات العالمية ، وأنهم كانوا يحاولون نصيحتنا بحماية أنفسنا في الشرق .

والشيء الآخر أنه عندما مثل أمام ملك بريطانيا حياه صائحًا « هايل هتلر » الأمر الذي عدَّه البريطانيون إهانة للتاج .

وقد حاولت أن أشرح هذه النقطة لهتلر فقلت له :

افترض أن الروس قد أرسلوا لك سفيرًا من أجل تحسين العلاقات معنا ، ثم جاءك هذا السفير وصاح في وجهك : لتحيا الثورة الشيوعية .

(وهنا رفع « جورنج » قبضته أمام وجهه ممثلاً التحية الشيوعية ، وانفجر ضاحكًا من قلبه) .

ثم واصل « جورنج » حديثه قائلاً :

ــ « والسبب الثاني يكمن في أن « رينتروب » لم تكن له الدراية بأسرار الدبلوماسية الدولية . و « هتلر » لم يكن في وضع يسمح له بإصدار أحكام فيما يختص بهذا الشأن ؛ لأنه لم يسافر بنفسه إلى خارج البلاد . وخدعه تاجر الخمور « رينتروب » وأفهمه أنه على صلة ببعض النبلاء الإنجليز ، ومن ثم ظن « هتلر » أنه قد حصل على رجل له « اتصالات » رغم أنني قد أخبرت « هتلر » بأنه إذا كان يريد إجراء أية مفاوضات مع إنجلترا ففي إمكانه أن يحصل على أحسن النتائج عن طريق علاقتي الشخصية بلورد « هاليفاكس » مثلاً . ولكن « رينتروب » كان بالإضافة إلى جهله متعجرفًا « كالديك الرومي » .

تخيل معي هذه الواقعة التي حدثت ساعة توقيع حلف المحور مع اليابان وإيطاليا ، فقد كان هناك مصورو السينما ومصورو الصحف ، والمكان مكتظ لتسجيل هذه اللحظة وتصويرها . تصور ! لقد طلب مني أنا . أنا الرجل الثاني في الرايخ .. ماذا ؟ أن أقف وراءه لكي تلتقط الصورة ! هل تستطيع أن تتخيل هذا ؟ .

وأخبرته لحظتها أنه إذا كان ينبغي علينا أن نظهر في صورة واحدة فالجالس يكون أنا ، والذي يقف خلفي هو أنت . ولكنني لا أريد أن أظهر في مثل هذه الصورة

على الإطلاق ، لأني لم أقرأ بعد نصوص الحلف ، وربما أتقدم ببعض الملاحظات والتحفظات في المستقبل .

وقد قلت له هذا الكلام حتى أفهمه من يكون » .

ثم شرد ببصره كأنه يسترجع ذكريات بعيدة وقال :

ـــ « كان « رينتروب » متعجرفًا منتفخًا في الماضي ، أما الآن فقد عرف حقيقة نفسه جيدًا » .

١٢ نوفمبر : « زنزانة جورنج » :

لم يكن « جورنج » يشك في انتحار « هتلر » . وكان قد عرف أن « إيفا براون » قد قالت « لسبير » في ساعة مبكرة من يوم ٢٢ أبريل إنها و « هتلر » سوف ينهيان حياتيهما .

وظن « جورنج » أن هذا هو اليوم الذي سيخلف فيه « هتلر » ، ولكن الأخير أخلف ظنه وأمر بالقبض عليه وإعدامه رميًا بالرصاص في الحال .

و لم يكن يظن أن هتلر قد انتحر جبنًا وهربًا من تحمل المسئولية .

وقال « جورنج » مستطردًا :

« قبل كل شيء لا ينبغي أن ننسى أنه ـــ يقصد « هتلر » ـــ كان رئيسًا لألمانيا ، وإنه لأمر لا يمكنني التفكير فيه مطلقًا أن أجد « هتلر » جالسًا في زنزانة مثل هذه التي أجلس فيها ، في انتظار المثول أمام محكمة من أعدائه كأي مجرم حرب ـــ رغم أنه كان يكرهني في النهاية ـــ لقد كان الأمر يبدو تمامًا كما لو كانوا قد قدموا القيصر للمحاكمة في أعقاب الحرب العظمى الماضية .. كيف يكون ذلك ؟ حتى اليابانيون قد أصروا على عدم وقوف الإمبراطور للمحاكمة .

كم يبدو هذا شاقًا على النفس عند تصوره ! إني أتحمل أي شيء تريدون أن

تلحقوه بي ، ولكن ليس أن يقبض على « هتلر » حيًا ويلقى به في السجن تمهيدًا لمحاكمته بمعرفة أعدائه . هذا أمر لا يمكنني التفكير فيه مطلقًا أو تصوره للحظة واحدة » .

« ولكن مع « هملر » فالأمر يختلف . فقد كان يجب أن يحاسب على تصرفاته وتصرفات مرءوسيه . ولا شك أن هناك من بين المتهمين من لديه معرفة بأوامره للقتل الجماعي الذي تم ، ولا يمكنني أن أفهم ، كيف يمكنه أن يذهب بعد أن فعل كل هذه الأشياء ثم لا نستطيع أن نحاسبه عليها » .

وهنا تدخلت بسؤال وجهته إليه :

« هل سمعت عن الفظائع التي ارتكبت والتي يتحدث عنها العالم الآن ؟ » .

وأجاب « جورنج » مهونًا من الأمر في رزانة :

ــ « أوه .. عادة ما يسمع الإنسان للكثير من الشائعات ، ولكن من الحكمة ألا يصدق المرء كل ما يسمع .. ولكن لا شك أن بعض قادة الحرس النازي الذين نفذوا مثل هذه الأوامر يعرفون كل شيء عنها . إني لا أستطيع أن أفهم .. ألم يكن هؤلاء الناس يشعرون بتأنيب الضمير ؟ » .

١٥ نوفمبر : « زنزانة جورنج » :

عندما ذهبت إليه في ذلك اليوم لأقدم له اختبار الذكاء وجدته معتل المزاج يميل إلى الاكتئاب ، وسرعان ما انتعشت حالته بعد دقائق قليلة من التحدث معه . وقد أبدى انفعالاً شديدًا حادًا ، واحتج أن يجرى عليه اختبار يحدد درجة ذكائه .

ولكنه مع نهاية الاختبار التمهيدي الخاص بقياس درجة التذكر كان يبدو كتلميذ صغير أناني ، قلق محب لأن يستعرض نفسه أمام المدرس .

وقد أخبرت « جورنج » أنه في المستوى الأعلى من حيث السرعة في تأدية طرق

الاختبار ، وقد قرَّر أن النفسانيين الأمريكان على خبرة تامة بعلمهم فقال :

ــ « الطريقة حسنة للغاية ، نعم هي أحسن بكثير من طرق النفسانيين الألمان » .

وألقيت إليه عبارة لأعرف ماذا يكون تعليقه عليها فقلت :

ــ « ربما كنت تصلح أن تكون أستاذًا في الجامعة بدلاً من العمل السياسي » .

وشرد قليلاً قبل أن يجيب :

ــ « ربما .. إني على يقين من أني أستطيع أن أكون شيئًا مختلفًا بطريقة عظيمة عما يمكن أن يكونه أي إنسان آخر . لست أدري ماذا كان يمكنني أن أكون ، فأنت لا يمكن أن تعرف ما هو مقدر لك في هذه الحياة .

قد يتوقف هذا القدر على أشياء صغيرة جدًا .

فمثلاً الشيء الصغير الذي منعني أن أكون (ماسونيًا) تابعًا لمنظمة يهودية عالمية أنني كنت اتفقت مع بعض الأصدقاء في عام ١٩١٩ م على اللقاء لكي نلتحق بإحدى الجمعيات الماسونية اليهودية ، وفي هذا اليوم التقيت بفتاة شقراء حالت بيني وبين الذهاب ، ولم يكن صعبًا أن أنضم إلى الماسونيين ، ولو تم هذا لما وجدتني أمامك الآن » .

* * *

من الملاحظات التي قدمها « جورنج » نجد أن « فون ريبنتروب » نزيل الزنزانة رقم سبعة شخص يختلف تمامًا عن ذلك النازي المتعجرف الذي كان سفيرًا في بلاط سان جيمس ووزيرًا للخارجية ، صاحب الفرقعة التي كانت تصدر عن سوط « هتلر » في كل وزارات الخارجية في دول أوروبا المختلفة ، والذي أخرج إلى الوجود

محور روما — برلين — طوكيو . وبعد أن انهار النظام الذي كان يدعم تصرفاته الدبلوماسية بالجيوش الجرارة المكتسحة التي كانت تتحرك خلف كلماته وتصريحاته ظهر وزير الخارجية على حقيقته ، كشخص ضعيف لا يقدر على شيء ، وقد بدا مضطربًا ، وقد هبطت معنوياته إلى أسفل درك ، وظهر انتهازيًا في سلوكه يلتمس أي سبيل للنجاة من الإدانة ، وصار في موقف صعب لا يستطيع فيه أن يقدم شيئًا لنفسه .

كان يبدو محطمًا ممزقًا معطيًا صورة مشوشة مضطربة لتاجر ألماني بسيط قد أعلن إفلاسه ، وظهر بكل الخصائص الخلقية في هذا الظرف . ولم يعد يجد في هذا العالم من يساعده ، حتى عقله لم يقدم له ما يسعفه به في هذا الموقف العصيب .

وحتى عندما حاول أن يبرر ما فعله بأنه كان يطيع « هتلر » بدا مستسلمًا لأفكار متناقضة يصطرع بها عقله ، مفتقرًا إلى البناء الأخلاقي السليم في أعماقه .

وقد ادعى أنه لم يفعل سوى واجبه في تدعيم « هتلر » ، ولكنه كان دائمًا يحذر البريطانيين والفرنسيين منه . وأن الذي منعه من الاعتراض على أعماله أنه صرخ في وجهه مرة في عام ١٩٤٠ م ، ومن يومها لم يستطع أن يعترض على أي تصرف من تصرفاته .

وقد ملأته المحاكمة خوفًا وتوجسًا وتوقعًا للشر ، ولم يكف طول الوقت عن الشكوى من حرمانه من الوقت اللازم لإعداد دفاعه ، وكان يتمنى أن تؤجل المحاكمة إلى أجل مسمى .

* * *

كان كل من « شاخت » و « جورنج » لا يخفيان احتقارهما لـ « ريبنتروب » في الوقت الذي يضمر فيه كل واحد منهما الإعجاب بنفسه والتهوين من شأن الآخر ،

وكان من الواضح أن كل واحد من المتنافسين على السلطة في الرايخ الثالث لا يحمل الحب لزملائه .

فرغبة « جورنج » في السيطرة على كل ميادين العمل قابلتها شخصية « شاخت » القديرة في المجال الاقتصادي .

وقد أثبت « شاخت » تفوقه في اختبارات الذكاء التي قدمتها لهم في الأيام التي كانوا فيها ينتظرون المحاكمة .

وعندما ظهرت نتيجة اختبارات الذكاء لم يحصل « جورنج » على المركز الأول وقد يعود هذا إلى تبرمه وضيقه ، بينما حصل عدوه ومنافسه القديم الساحر الاقتصادي « هيلمار شاخت » على هذا المركز . وأصابت هذه النتيجة « جورنج » بالدهشة ، بينما لم يفاجأ بها منافسه « شاخت » بل كان يتوقعها طوال الوقت .

وكان معروفًا أن « شاخت » هو أكثر أهل السجن ذكاء وفطنة ، وأبعدهم أيضًا عن الإدانة في الجرائم الفظيعة التي اتهموا بها جميعًا . وقد كان هناك أساس منطقي لغضبه من وضعه في السجن وتقديمه إلى المحاكمة بتهمة تأييد « هتلر » ومساندته ، وكيف يتأتى هذا وهو الذي قضى في المعتقل عشرة شهور تحت شبهة الاشتراك في مؤامرة ضد « هتلر » قبل أن يقبض عليه الأمريكان بعد الهدنة .

وكان يذكر هذه الحقائق لكل من يلقاه ، ويتكلم دائمًا عن الخطأ الفادح الذي ارتكب بوضعه مع تلك الطغمة من الأوغاد في مكان واحد وحيال اتهام واحد ، وكان يأمل ألا تأخذ المحاكمة وقتًا طويلاً ، وأن تنتهي بشنق هؤلاء المجرمين ، ومن ثم يتركونه يعود إلى بيته .

٢٣ أكتوبر : « زنزانة شاخت » :

قال :

ــ « إني ممتلئ ثقة بقضاتي ، ولست أخشى النتيجة ، عدد قليل من المتهمين

ليس مذنبًا أما الباقي فمجرمون ، حتى « رينتروب » ينبغي أن يشنق لغبائه ، وليست هناك جريمة أشنع من الغباء » .

١ نوفمبر : « زنزانة شاخت » :

ما زال مشمئزًا من وضعه في زمرة هؤلاء المتهمين مثل أي مجرم ، وما زال يأمل ألا تستمر المحاكمة طويلاً ، وقد أخبرته أن هذا يتوقف على الوقت الذي يأخذه المتهمون في الكلام والدفاع وشرح وجهة نظرهم فقال :

ــ « بالنسبة لي فكل ما أريده هو نصف ساعة فقط ليس أكثر ، فاعتراضي على سياسة « هتلر » العدوانية أمر معروف للجميع ، وقد اعتقلني لهذا السبب وقضيت بالمعتقل عشرة شهور وأنتم تعلمون هذا ، ومن ثم فما كان ينبغي أن أعامل هذه المعاملة المهينة ، الأمر الذي يصيبني بالغثيان » .

وقلت له :

ــ « يجب أن تفترض أن هناك أشياء تود المحكمة أن تسألك عنها ، وبطبيعة الحال لن يعاقب إنسان تثبت براءته » .

وعقب على كلامي قائلاً :

ــ « ليس عندي أدنى شك في هذا . ولو كنت قد اشتركت في مثل هذه الفظائع لكنت الآن أعيش بضمير أثقله الندم ، وهذا ما لا يستطيع قوله الآخرون » .

« سأفترض أنني كنت أحمق عندما صدقت ما ادعاه « هتلر » عن نواياه في إحلال السلام في أول أيام حكمه ، وأنني لم أساعد في عملية إعادة تسليح الجيش الألماني إلا من أجل تأمين ألمانيا فقط ، وصدقني فلم يساورني الشك في شيء إلا عندما حاول « هتلر » أن يمتص كل موارد البلاد من أجل التسليح .

ثم جاءت النقطة الحاسمة عندما طرد رئيس الأركان « فون فريتشه » الذي كان دائمًا ضد الحرب العدوانية . ثم وضع مكانه « كايتل » تابعه الذليل .

وعند ذلك أسرعت عجلة التسليح إلى الأمام ، وطردت من الوزارة كنتيجة منطقية .

وبينما هو يتقدم ويسرف في اعتداءاته على الأمم والدول ، كنت أنا أزداد ضعفًا وانكماشًا ، وفي النهاية ألقي بي في المعتقل عام ١٩٤٤ م .

« وبالنسبة لمعاداة الأجناس غير الآرية فإني أذكر أن « هتلر » قد أفهمني بوضوح ـــ وكان ذلك بالتحديد في عام ١٩٣٤ م ـــ أنه لن توجد تفرقة بين العاملين في ميدان الصناعة . وطوال المدة التي قضيتها في هذا المجال لم تحدث أية تفرقة من أي نوع » .

ولعل السبب ليس عنصريًا على أي حال .

والأمر كله لا يعدو أن يكون كومة من الهذيان .

ربما لا يكون هناك غير سؤال واحد عن طرد غير الآريين من المناصب الرئيسية .

كانت أول مرة أعلم فيها عن هذه الفظائع التي ارتكبوها عندما اعتقلت في « فلوسنبرج »(٤) .

كنت أسمع أصوات الناس الذين يساقون عراة إلى الموت الذي يأتيهم رميًا بالرصاص في الغابات .. أمر فظيع للغاية .

وكم شعرت بالرعب عندما علمت أن هذا المعتقل لا يخرج من يدخله حيًا على الإطلاق .

لماذا تركوني حيًا ولم يقتلوني ؟ .

ربما كانوا يريدونني كرهينة أو كمندوب للتفاوض عندما تسوء الظروف . وربما سبقتهم الأحداث فأنقذت حياتي » .

* * *

لم يكن بين المتهمين من هو مثل « جورنج » في خيلائه وتعاليه ، ولم يكن فيهم من هو في براءة « شاخت » وإحساسه بالألم البالغ .

اثنان فقط أو ثلاثة أظهروا شيئًا قليلاً من الندم ، واحد من هؤلاء كان « هانزفرانك » حاكم بولندا العام الذي لجأ أخيرًا إلى الدين . وكان يجلس الوقت كله في زنزانته يقرأ الكتاب المقدس أو كتابًا في الأدب الألماني .

وكان يقلب الصفحات بإصبعه الخنصر من يده اليسرى ، لأنه قد حاول الانتحار بقطع في رسغيه عند لحظة القبض عليه ، ولهذا لم تكن أصابعه سليمة الحركة ، وكان يغطي هذه اليد أحيانًا بقفاز ، وقد ظهر في حلقه علامة لجرح غائر غير ملتئم كان من نتائج محاولة أخرى للانتحار ، وكان قد وصفه المحققون بأنه كان يراوغ دائمًا في الإجابة عن الأسئلة التي توجه إليه .

وقال أحد المحققين إنه قد ترك غرفة التحقيق مرة لاعنًا الجميع وواصفًا لهم بالخنازير ، وكان يصيح بهذه العبارات وهو يغادر الغرفة .

وهذا هو السبب الذي جعلني أدهش كثيرًا عندما وجدته يفيض رقة وعذوبة أثناء محادثتي معه في الزنزانة ، وكانت عليه أمارات الندم واضحة ، وصار يصب اللعنات فوق رأس « هتلر » وحده في حدة بالغة ، وكانت الكلمات تساعده في تدفق وبلاغة وهو يسبه .

٧ نوفمبر : « زنزانة هانز فرانك » :

ـــ « نعم .. هناك الكثير من الأمور قد اتضحت لي بعد أن أصبحت وحيدًا

في هذه الزنزانة ، المحاكمة لا أهمية لها كما قد تتخيل ، ولكنها قد تبرز مشهدًا من صرامة القدر ومن عدالة السماء الأزلية . هل تعلم ؟ هناك عقاب إلهي أكثر تعذيبًا وإيلامًا من كل ما اخترعه الإنسان من أنواع العقاب المختلفة . كان هتلر هو روح الشر في هذا العالم ، وكان يظن أن لن يقدر عليه أحد . يقول أهلكت مالاً لبدًا . أيحسب أن لم يره أحد ؟ . وكان الله ينظر من عليائه إلى هذه العصبة الكافرة المتبجحة بقوتها الحقيرة ، وفي لحظة طردهم من مجدهم وأخزاهم بين ازدراء العالم وسخريته » .

وكان فرانك يمثل طرد الله لهم بيده المرتدية قفازًا :

ــ « أنا أخبرك .. إن ضحك الله واحتقاره لهم ليفوق في ألمه أي نقمة يمكن أن ينزلها إنسان بهم ! عندما رأيت « جورنج » وقد انسلخ من سترته الرسمية المزينة بالأوسمة والنياشين ، وهو يستسلم في وداعة للدقائق العشر المخصصة لرياضته تحت عين الحارس الأمريكي المليئة بالفضول والتسلية والدهشة ، تذكرته عندما كان يرفل في خيلاء المجد والعظمة وهو رئيس « للرايخستاج » .

لا شك أنه كان أمرًا يثير السخرية والضحك .

هؤلاء الذين كانوا يحكمون ألمانيا ، بل معظم بلدان أوروبا ، ويهددون العالم بأجمعه لم يعد لأي واحد منهم غير زنزانة مثل هذه بأربعة جدران ودورة مياه ، وليس أكثر ، وهو ينتظر المثول أمام المحكمة مثل أي مجرم عادي . أليس هذا هو الدليل القاطع على أن الله يسخر دائمًا من هؤلاء الذين ينتهكون المقدسات من أجل السيطرة والجبروت ؟ » .

ثم واصل حديثه في برود مشوب بالغضب الهادئ :

ــ « لو كان واحد منا قد واتته الشجاعة فيطلق الرصاص على « هتلر » .. هذا هو الشيء الذي يؤنبني عليه ضميري لأني لم أفعله .. ياللتعاسة !! كان الموت والدمار سيتوقفان لو أن هذا قد تم .

إني أعود بذاكرتي إلى عام ١٩٤٢ م وأنظر إلى « هتلر » وقد تقمصه الشيطان بحق عندما اعترضت أمامه على الفزع الذي أصاب الناس آنذاك ، فما كان منه إلا أن حرمني من العمل العسكري ، وجردني من أية فاعلية سياسية ، ولكنه استبقاني حاكمًا عامًا لبولندا بالاسم فقط ، حتى يرتبط اسمي في صفحات التاريخ بالجرائم التي ارتكبت ضد هذا الشعب المسكين .

كانت هذه هي النزعة الشيطانية التي تكمن في ذاته .

ولهذا أنا هنا الآن !

ولكن لا بأس ، فما حدث قد هداني إلى طريق الدين مرة أخرى .

إني أعترف أنني كنت حليفًا للشيطان أثناء عملي معه ــ يقصد « هتلر » ــ .

ولكني في السنوات الأخيرة أدركت كم كان هذا الرجل قاسيًا ومرعبًا وشريرًا .

كان يقتل وعلى شفتيه ابتسامة هادئة باردة باهتة .

قد مات في داخله كل شعور طيب ، وحلَّ محله روح عدوانية شريرة تكره كل ما هو طيب وجميل في هذه الحياة .

ومهما مضى من زمن فإني لا أنسى نظرته الحاقدة المتعصبة التي يشمل بها كل شيء عندما ينظر ، واستغراقه في العدوان والشر وقد خلا داخله من أي شعور .

كان يحب الموسيقى ويعشق الفن ! دون إدراك أو استيعاب لمغزى هذه الفنون .

كان مولعًا بفاجنر وموسيقاه ! ولعل هذا أمر طبيعي . فمن خلال موسيقاه كان يظن أنه قد صار إلهًا في جو أسطوري حافل بالمهابة والجلال .

وكان يعشق « العري » في الفنون بأشكالها ، ليس على أنه خلاصة الجمال الإنساني شكلاً وإحساسًا ، ولكن عن مشاعر مبهمة غير سوية في ذاته المضطربة المتردية .

وكان يظن أن إظهار إعجابه بهذا الضرب من الفن شيء يخالف العرف

والمحسوس والمألوف ، وهو ما كان يحاول أن يظهر به دائمًا ..

« إن الكراهية والحقد للمجتمع والعرف والتقاليد هي أساس شخصية هتلر .. وعلى فكرة ..

إنني مقتنع تمامًا أن كل المصائب والفظائع التي حدثت قد خططت سرًا بين ثلاثة أشخاص هم « هتلر » و « هملر » و « بورمان »(٥) الذين تخلوا عن كل مبادئ الشرف والإنسانية ، ويتقاسمون احتقار العالم وازدراءه هذه الأيام » .

وتناقشنا كثيرًا في تصرفات الشعب الألماني تجاه هتلر .

وفجأة رفع أصابعه الأربع محذرًا قائلاً :

« انتبه إلى الذين أقاموا الأسطورة يا سيدي الدكتور !! » .

ثم انتقل إلى أمر آخر :

« لم يكن « هملر » بقادر على تنفيذ برنامجه للقتل الجماعي لو لم تكن هناك تعليمات محددة من « هتلر » .

١٥ نوفمبر : « زنزانة فرانك » :

قال فرانك :

ـــ « إنه يشعر أن روحه قدتحررت على نحو لم يحدث له في حياته من قبل ، وأنه قد ذهب بعيدًا بها خلف قضبان الزنزانة ، وأنه حلق فوق بحار لا نهاية لها وجبال شاهقة لا يصل أحد إلى قممها ، وأنه اجتاز أجواء السماء ، وأنه قد استيقظ في حالة روحانية لم يعرفها من قبل ، وأنه في حالة نفسية حسنة » .

ثم صار يتحدث كيف يمكن للإنسان أن يتخلص من القيود التي تحيط به إن

كان يملك العزم الداخلي ، وإن كانت بداخله الإرادة اللازمة إلى عوالم أخرى لا يعرفها .

* * *

كان مستسلمًا للموت في ندم هيستيري .

ذلك هو بالدور فون شيراخ .

قائد شبيبة هتلر الوسيم الشهير .

وجدته يرتعش وقد كاد الحزن يقتله عندما دخلت عليه الزنزانة ، ولكن ظهرت نزعاته الجمالية الشاعرية عندما كتب قصيدة (إلى الموت) . وكان عارفًا بميراث الثقافة والفروسية الألماني .

وعندما تكلم إلى المحامين في مقابلته الأولى معهم قال لهم :

ــ « سوف أحتفظ برأسي عاليًا طيلة المدة التي أبقى فيها حيًا قبل أن أعدم » .

وفي لقائنا الأول الطويل بعد أسبوع من تسلمه قائمة الاتهام المقامة ضده وجدت الفرصة للتفرس في أعماقه ، واختبار أحاسيسه العميقة بالذنب .

٢٧ أكتوبر : « زنزانة فون شيراخ » :

بعد الانتهاء من اختبار بقع الحبر(*) تناقشنا حول قائمة الاتهام ، ودارت بعض الأسئلة حول التهم الموجهة إليه .

(*) هو اختبار رورشاخ لبقع الحبر ، وهو اختبار معروف يستخدمه الأخصائيون النفسانيون في التشخيص الإكلينيكي وفي القياس السيكولوجي لبعض جوانب الشخصية . « المترجم » .

وعندما أثير موضوع عداء الأجناس غير « الآرية » كما ذكر ضده في قائمة الاتهام شرد قليلاً ثم قال :

ـــ « عندما كنت في صباي كنت أعيش حياة أرستقراطية ولم أختلط فيها بأي من الأجناس الأخرى الذين لا يمثلون النبلاء الألمان ، وفي الوقت نفسه لم يكن لدي مبرر لعدائهم ، رغم ملاحظتي لنوع من التعالي والكبرياء في معاملة الطبقة الراقية لمن تحت أيديهم من غير الألمان .

ولم أتأثر بكل هذا حتى قرأت كتابًا أمريكيًا اسمه « اليهودية العالمية » ، ولا أكتمك ، فقد أدركت خطر اليهود على الجنس البشري ، وكان ذلك عندما كان عمري سبعة عشر عامًا ، وهي سن الاندفاع والحماسة كما تعلم . وأؤكد لك أن تأثير مثل هذا الكتاب على الشباب الألماني كان عظيمًا ، هذا إذا لاحظنا أنهم لم يصلوا إلى درجة النضج التي تسمح لهم بالحكم الصحيح على الأمور .

وفي تلك الأيام وقعت تحت تأثير « جوليوس شترايخر » الذي كان لديه من الأساليب الخادعة الماكرة في عرض الأفكار ما أضفى به ثوبًا علميًا لعداء غير « الآريين » .

وكان كثير من الكبار في الجمعيات الاشتراكية يسيرون على نفس النهج ، ومن الطبيعي أن يستسلم الأصغر سنًا لآرائهم بطريقة قاطعة .

وعندما بلغت الثامنة عشرة قابلت « آدولف هتلر » للمرة الأولى .

وهنا يجب أن أعترف لك ، لقد أحسست ساعتها أنني في حضرة إله .

وذهبت بعدها إلى « ميونخ » لكي أستكمل دراستي حتى أكون على مقربة منه هناك .

وهكذا أصبحت واحدًا من أتباعه المؤمنين به » .

وشرح « شيراخ » كيف أنه صار وثيق الصلة بهتلر ، ولكنه لاحظ تغيرات

طرأت عليه عبر السنين وقال شارحًا هذه النقطة :

ــ « كان « هتلر » إنسانًا قبل عام ١٩٣٤ م .

وفي الفترة ما بين عام ١٩٣٤ م حتى عام ١٩٣٨ م تسامى فوق كونه إنسانًا وصار شيئًا مهيبًا كبيرًا أعظم من البشر ، هذا على الأقل في نظر المؤمنين به وأتباعه المخلصين .

وبعد هذا العام تحول رويدًا إلى مخلوق آخر .

وفجأة صار فظًا قاسيًا منعدم الرحمة ، طاغية في حكمه وسياسته .

وفي عام ١٩٤٢ م على ما أذكر تقريبًا بدأت ألحظ عليه علامات الجنون .

فبينما أنت تتحدث إليه إذا به يشرد فجأة ، ويحملق في شيء لا وجود له وراءك ، حتى إنك لتضطر إلى الالتفات .

ومرة أخرى تشعر كأنه يحاول أن يمنع أذنيه من سماع شيء مجهول لا يسمعه سواه ، ولا يريد أن يصل إلى أذنيه .

وفي عام ١٩٤٣ م حدث حادث لا ينسى .

فقد علمت زوجتي أن الناس يختطفون من منازلهم بالليل ، ويعتقلون ويُذهب بهم إلى حيث لا يعرف أحد ، وكانت سيدة مثالية النزعة مرهفة الشعور ، وفي مناسبة سألت « الفوهرر » إن كان يعلم بهذه الأساليب الشنيعة التي تحدث . ولكنه ظلَّ صامتًا ولم يجب عليها . وتدخلت بلباقة أسأله عن الطريقة التي يعامل بها المعتقلون ، وإذا به ينفجر في وجهي كبركان ثائر ، وقال ما لا أذكره الآن ، وتصورت ساعتها أنه سوف يأمر باعتقالي ، ومكثت يومها في خزي وخجل شديدين لهذه الإهانة الجارحة » .

وكان الشفق قد بدأ يرسل ضوءه الخابي عبر نافذة الزنزانة .

و لم يعد أحد منا يرى الآخر إلا بصعوبة من خلال أضواء السجن الآتية عبر خصاص الباب ، واستمر يتكلم منفعلاً حتى حال الظلام دون رؤية أحدنا الآخر ، وكان صوته متهدجًا :

ـــ « كانت الجرائم والفظائع التي ظهرت في نهاية الحرب هي غاية ما كنت أخشاه .

وقد عرفت أنني لا بد أن أدفع حياتي ثمنًا لها .

لم أفكر في الانتحار فهو سبيل الجبناء ، وأيضًا لم أحاول الهرب حينما أرادوا اعتقالي .

واقترحت وتمنيت لو وافقتني الإدارة الأمريكية على جمع كل رؤساء وحدات الشباب في معتقل « بوخنفيلد » من أجل برنامج جديد للتثقيف والتوعية والتنوير أبين لهم أي ضلال كنا فيه ، ثم أسلم نفسي لأتحمل « نتيجة » الأخطاء العمياء المبكرة التي فعلناها » .

وهنا بلغ تأثره مداه وزاد تهدج صوته .

وخيم على الزنزانة صمت مطبق .

* * *

« سبير » ، ذلك الفارع الطول ، غير متناسق المظهر ، وزير التسليح في آلة الحرب النازية التي صنعها « هتلر » .

جذب انتباهي أول الأمر قليلاً ، فقد تخيلت أنه صادق الطوية .

وفي النهاية شرح الجريمة النازية ودوره فيها شرحًا وافيًا أكثر من أي واحد آخر .

٢٣ أكتوبر : « زنزانة سبير » :

كان « سبير » يبدو أكثر المتهمين واقعية ، فقد قال إنه لم يكن مضللاً أو مخدوعًا ، ولذلك فإن الاتهام الموجه إليه لم يدهشه أو يصدمه ، وقرر أن التاريخ يطالب بمثل هذه المحاكمة إذا أخذنا في الاعتبار بشاعة الجرائم التي ارتكبها النظام ، وأثنى على المحكمة بشكل عام .

ولكنه عاد وقال إنه ليست لديه فكرة عن الجرائم المدونة في قائمة الاتهام ! .

وكان قد عين وزيرًا للإنتاج الحربي في عام ١٩٤٢ دون خبرة سابقة في هذا المجال .

وأكد أنه لم يكن يعرف شيئًا عن معسكرات الاعتقال، وأنه في شهر مارس الذي سبق نهاية الحرب أخبر « هتلر » أن كل شيء قد انتهى ، وأن عليهم الآن أن ينقذوا ألمانيا من الدمار الشامل ، وهو بذلك قد أخلى مسئوليته .

وقد أجابه « هتلر » على حد تعبيره بأن ألمانيا إذا عجزت عن كسب الحرب فإنها لا تستحق أن تعيش ، ودمارها أولى وأجدى .

* * *

كانت الملاحظات التي أبداها « سبير » تتناول في أغلبها اتهامًا ضد « جورنج » الممتلئ غرورًا ، ولكنها تعرضت أيضًا لذلك المتهاوي المتخاذل ، نموذج المدرسة البروسية العسكرية في السجن ، الفيلد مارشال « وهلم كايتل » .

وعلى الرغم من أن « كايتل » قد رِبِّي على التقاليد العسكرية البروسية العريقة الشجاعة فإن سلوكه كان مخزيًا ومهينًا عندما قابلته في زنزانته .

ذلك الفيلد مارشال الذي كان رئيسًا للأركان في القيادة العليا للجيش الألماني

« الفيرماخت » والذي استطاع بقواته أن يحتل معظم بلدان أوروبا محطمًا بذلك كل قواعد السلام الدولي .

هذا الرجل صاحب الألقاب الفخمة كان يبدو ذليلاً محطمًا متهالكًا أمام أي ضابط صغير يأتي ليراه من إدارة السجن .

وقد بين بذلك حقيقته ، كرجل ضئيل عديم القيمة ، ليست له أهمية أو شخصية متماسكة في واقع الأمر .

ورغم أن رتبته العسكرية قد نزعت عنه بعد اعتقاله فإنه كان بمظهره شديد الشبه بضباط المدرسة البروسية القديمة التي سمعنا عنها من حيث الشكل فقط .

وعندما جرد من جيوشه وقواده ورتبه بدا شيئًا تافهًا لا وزن له .

ولم يكن يخطر بباله أن هناك مسئولية جنائية يمكن أن يسأل عنها ضابط في تلقيه الأوامر وتنفيذها حسب ما يمليه عليه قادته .

وكانت هذه هي انطباعاتي الأولى عنه في اللقاءات القليلة الأولية .

٢٦ أكتوبر : « زنزانة كايتل » :

كان « كايتل » قد أخذ فرصة لدراسةالادعاء . ولهذا سألته عن رأيه فيه .

وكان قد وضع خطًا في الادعاء تحت عبارة « اتباع الأوامر » . وهي العبارة التي استظل تحتها كل أعضاء المؤامرة ، كاعتذار عما ارتكبوه من جرائم .

وقال متهافتًا ذليلاً :

ــ « كيف يحملونني ــ بحق السماء ــ تبعة إشعال حرب عدوانية في وقت لم أكن فيه شيئًا ، سوى أنني أنفذ رغبات « الفوهرر » ؟ وأنا كرئيس للأركان لم أكن أملك سلطة سياسية ، كل ما هنالك أنني أحمل أوامره إلى الأركانية العامة

للحرب ثم أتابع تنفيذها .

لم تكن لدي أية فكرة عن خطته العامة . وهذا ما كان يميز سياسة « هتلر » فقد شغلني تمامًا في الأمور العسكرية . وأستطيع أن أرى الآن بوضوح كيف أنه شغل جميع الوزراء والقادة العسكريين بأعمالهم ، ومن ثم لا يستطيعون تكوين فكرة واضحة عن خطته العامة والأغراض التي يرمي إليها » .

* * *

وكان الفريق البافاري « يودل » يبدو أكثر « بروسية » من « كايتل » .

كان متحفظًا وجامدًا في أول الأمر ، ولكن رغبته في التنصل وتوضيح براءته وموقفه من الادعاء سرعان ما فرضت نفسها وتكلم .

١ نوفمبر : « زنزانة يودل » :

ـــ « أولا : كان الادعاء بمثابة ضربة مفاجئة على أم رأسي ، فأنا ليست لدي أية فكرة عن تسعين في المائة عما فيه من اتهامات . فالجرائم أكثر رعبًا من أن تصدق ، هذا إذا كانت قد حدثت بالفعل .

ثانيًا : أنا لا أدري كيف لا تتفهمون عذر الجنود في طاعة الأوامر الصادرة إليهم ! .

وهو القانون الذي عشت حياتي في ظله وعلمته لتلامذتي .

ثالثًا : إن هذه الفظائع قد ظهرت في الشرق فجأة كما قلتم ، فكيف يجلس الروس للحكم علينا من أجل أعمال بربرية يقال إنها ارتكبت ضد أوروبا الشرقية ؟ .

ثم يقول الادعاء إننا أثرينا أنفسنا بسلب ضحايانا . الأمر الذي بهت عندما قرأته .

تستطيع أن توجه إليَّ اتهامًا بإصدار أوامر الحملة ضد هولندا وبلجيكا والنرويج وبولندا إذا شئت . ولكن لا يمكنك اتهامي بكسب مليم واحد بغير حق عبر هذه الأحداث ، لا تنس أنني رجل عسكري .

في الحقيقة إنني كنت مدهوشًا عندما سمعت أن المكتب السياسي للحزب قد ازداد ثراء باستغلال انتصاراتنا ، وقد حققوا أهدافًا شخصية عبر هذا .

ولكني أكرر لك : لقد كنت جنديًا أولاً وأخيرًا » .

* * *

كان « فون بابن » يفيض أدبًا وعذوبة ، باستثناء الحالات القليلة عندما تتعرض السبعون عامًا التي يحملها لبعض المثيرات الخفيفة .

وقد بين في مقابلاتنا أنه كان يعلم جيدًا أن « هتلر » مخادع وكاذب .

ولكنه لم يستطع أن يشرح بدرجة كافية كيف استمر في العمل معه رغم ذلك .

٣٠ ـــ أكتوبر « زنزانة فون بابن » :

بعد الانتهاء من اختبارات الذكاء تناقشنا حول « هتلر » .

قال « فون بابن » :

ـــ « كان يبدو بوضوح أنه كاذب بالسليقة ، ومن الصعب تحديد طبيعته بالضبط .

كنت أظن أول الأمر أنه يعمل من أجل ألمانيا ، ولكن سرعان ما أحيط بالمتملقين الجهال من أتباعه ، أمثال « هملر » و « جورنج » و « ريبنتروب » .. إلخ .

« وكم حاولت إقناعه بخطأ السياسة التي يتبعها ضد معارضيه ، وكان يبدو أنه يستمع إليّ في أول الأمر ، ولكن سرعان ما ضاع نفوذي عنده بعد ذلك » .

واستمر يصف كيف طلب من « هتلر » ألا يوافق « جوبلز » على مقاطعة مهرجان « سالزبورج » أثناء سنواته الأربع في النمسا ١٩٣٤ ـــ ١٩٣٨ » .

(وكان « جوبلز » يريد مقاطعة المهرجان بسبب رئيسه « رينهاردت » المعارض للنازية) .

وفي عودة إلى دوره في السياسة النازية قال :

« إني أعلم بالطبع أن « هتلر » كان مخطئًا في انتهاكه لمعاهدة « ميونخ »[٦] .

ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟ .

هل أترك البلاد ؟ .

كنت أظن أنني قد أستطيع أن أثبت لكم أنني عملت جاهدًا من أجل السلام ، وإني واثق من عدالة القضاء الأمريكي . وسعيد أيضًا أن الحقائق سوف تظهر خلال المحاكمة .

ليس مهمًا ما سيفعلونه بي ، فأنا في أيامي الأخيرة ، ولكن هذه المحكمة عليها أن تؤدي رسالة عظمى ، هي أن تضع دعائم العدالة الدولية » .

* * *

كان الانتهاء من اختبارات الذكاء قبل البدء في المحاكمة تقريبًا ، بينما كان المتهمون

في الحبس الانفرادي ، وقد انعكس أثر النتائج على طريقة حراسة كل منهم .

وقد أجريت اختبارات متعددة ، وكانت النتيجة كما هو موضح في الجدول الآتي :

الرقم	الاســم	درجة الذكاء
١	هيلمار شاخت	١٤٣
٢	سايس انكوارت	١٤١
٣	هيرمان جورنج	١٣٨
٤	كارل دونيتز	١٣٨
٥	فرانز فون بابن	١٣٤
٦	إيريش رايدر	١٣٤
٧	د . هانز فرانك	١٣٠
٨	هانز فريتشه	١٣٠
٩	بالدور فون شيراخ	١٣٠
١٠	يواكيم فون رينتروب	١٢٩
١١	ولهلم كايتل	١٢٩
١٢	ألبرت سبير	١٢٨
١٣	ألفريد يودل	١٢٧
١٤	ألفريد روزنبرج	١٢٧
١٥	قسطنطين فون نيوراث	١٢٥
١٦	والتر فونك	١٢٤
١٧	ولهلم فريك	١٢٤
١٨	رودلف هيس	١٢٠

[وهذا التقدير على أن يعاد اختباره بعد استعادته للذاكرة] .

الرقم	الاســم	درجة الذكاء
١٩	فريتز ساوكل	١١٨
٢٠	إرنست كالتنبرونر	١١٣
٢١	جوليوس شترايخر	١٠٦

وباستثناء « شترايخر » فإننا نلاحظ أن درجات الذكاء تدل على أن القادة النازيين فوق المتوسط (٩٠ ــ ١١٠) من حيث الذكاء .

وهذا يؤكد أن معظم الرجال الناجحين في أي ميدان من ميادين النشاط الإنساني ــ سواء كان في السياسة أو الصناعة أو الناحية العسكرية أو الإجرام ــ لابد وأن يكونوا أذكياء .

على أية حال فليس من السهل أن نحلل الحركة النازية في تقدمها المدمر من خلال فهمنا لأخلاق أصحابها وقادتها . فإن الفهم النفساني الدقيق يتطلب نظرة فاحصة لجميع الشخصيات التي اشتركت في الأحداث من الناحية الاجتماعية ، ثم دراسة تاريخ كل شخصية على حدة . وقد قدمت محاكمات نورمبرج فرصة مثالية لهذه الدراسة ، وكان تسجيل المحادثات وردود الأفعال الذي تم يومًا بيوم قد أخذ صبغة قانونية في المحكمة .

وكل نظامهم الأخلاقي من الناحية النفسية قد أصبح واضحًا أمام العالم ، واضحًا وكاشفًا لكل الخبايا أكثر من أية نتيجة يمكن الحصول عليها خلال أية اختبارات .

ولهذا فعلينا أن ننتقل إلى التسجيل التاريخي والنفساني الذي تضمنته المحاكمة .

١

فتحت الجلسة



٢٠ نوفمبر

قراءة قرار الاتهام

الجلسة الصباحية :

تلا المدعي العام الجرائم البشعة التي قام بها النازيون من قائمة الاتهام ..

١ ــ الخطة العامة أو المؤامرة :

تأسيس حكومة مستبدة بألمانيا .

توجيه النظام النازي والانتفاع به في العدوان الخارجي .

٢ ــ جرائم ضد السلام :

انتهاك المعاهدات والاتفاقيات الدولية .

ســاعة الغداء :

اندفع المتهمون يصافح بعضهم بعضًا ، ويتحدث كل واحد إلى الآخر ، فهذه

هي المرة الأولى التي يلتقون فيها منذ أن تم اعتقالهم . وكان بعضهم يلتقي بالآخرين للمرة الأولى في حياته . وتناولوا طعامهم في قاعة المحكمة بعد أن أخليت تمامًا ، وكانوا يحدثون همهمة عالية من أحاديثهم الكثيرة المتناثرة .

وقد انطلق انتباههم وانفعالهم في أشياء كثيرة ، منتقلين بسرعة بين الحديث السياسي إلى الحديث عن الاحتياجات الطبيعية وأحوال المعيشة اليومية .

وبينما كنت أراقب بعضهم وهم يأكلون ، وجدتهم جميعًا يمتدحون الطعام ويثنون عليه .

بينما غمغم « فون شيراخ » :

ــ « أظن أنكم سوف تمنحوننا شريحة كبيرة من لحم البقر صبيحة اليوم الذي سنشنق فيه » .

كان « شترايخر » يجلس وحيدًا والآخرون يوجهون إليه كلمات اللوم والتوبيخ . وعندما مررت أمامه وقف ليجذب انتباهي محاولاً أن يتحدث معي لفترة قصيرة :

ــ « هل تعلم يا سيدي الدكتور ؟ لقد حكم عليَّ من قبل في هذه القاعة نفسها » .

ــ هذاغريب حقًا ! كم مرة حوكمت فيها في حياتك ؟ .

ــ « آه .. اثنتي عشرة مرة أو ثلاث عشرة .. لقد حوكمت كثيرًا في العهد القديم » .

وقد شدَّ انتباهي « رينتروب » عندما تحدثت إليه قليلاً وقال :

ــ « سوف ترى بعد سنوات قليلة من الآن سوف يلعن هذه المحكمة كل من في العالم من المحامين ، فليس ثمة محاكمة دون قانون ، أضف إلى هذا أنه ليس من الصواب أن تجعلوا رجال ألمانيا يقفون ليُشهَّر بعضهم ببعض ، فهذا لن يخلق تأثيرًا كريمًا . تذكر ما أقوله لك الآن جيدًا » .

أشار إليَّ الكولونيل أن آمرهم بالجلوس إلى مقاعدهم ففعلت ، وعندما مرَّ أمامي « فون شيراخ » قال :

— « هذا يوم سيئ .. ليس بالنسبة لك ولكن بالنسبة لنا » .

جلسة بعد الظهر :

استمر المدعي العام في قراءة قائمة الاتهام :

٣ — جرائم الحرب :

القتل والمعاملة التي أدت إلى مرض المواطنين في الأراضي المحتلة .

أسرى الحرب .

ترحيل العمال للعمل بالسخرة .

قتل المعتقلين .

٤ — جرائم ضد الإنسانية :

القتل .

الإبادة .

الاستعباد .

الاضطهاد .

التعذيب لأسباب سياسية أو عنصرية .

٢١ نوفمبر

الكلمة الافتتاحية للمدعي العام جاكسون

الجلسة الصباحية :

كانت إجابة جميع المتهمين حيال الاتهام واحدة :

ـــ « غير مذنب » ! .

وبعضهم أدخل فيها تعديلاً بإضافة جملة :

ـــ « في الأشياء المنسوبة إليَّ في هذا الاتهام » .

بدأ جاكسون كلمته الافتتاحية للادعاء ، وقد وصف صعود الحزب إلى السيطرة بمساعدة كتائب « العاصفة » التي تكونت من المشاغبين الذين « أرعبوا الناس وأسكتوا المعارضة السياسية ، والذين استطاعوا ـــ على المدى الطويل ـــ أن يصنعوا تآلفًا مع الانتهازيين من الساسة والعسكريين ورجال الصناعة والملكيين والرجعيين » وبعد صعود « هتلر » إلى الحكم بشهر واحد استغل حريق « الرايخستاج »(*) كذريعة لحمل « فون هندنبرج » على تعطيل الضمانات الأساسية التي تضمنها دستور « فيمار » وإعطاء « هتلر » جميع الصلاحيات التي تؤهله للعمل كديكتاتور .

وفي غضون شهور قليلة انمحت الاتحادات العمالية الألمانية من الوجود ، وحلَّ محلها « روبرت لي » الذي أصبحت له الكلمة الأولى والأخيرة في كل ما له علاقة

(*) الرايخستاج هو البرلمان الألماني ، وقد ثبت بعد ذلك أن جورنج هو الذي دبر حادثة الحريق ، واستغل في ذلك رجلاً هولندي الجنسية مصابًا بالجنون وأعدموه لإخفاء المؤامرة (المترجم) .

بالعامل الألماني .

وقد تصدى النازيون لتأثير المثاليات المسيحية ، فقضوا على كنائس عديدة وعلى وجه الخصوص كان قضاؤهم على الكنيسة الكاثوليكية مروعًا بالرغم من الاتفاقية التي أبرموها مع الكرسي البابوي . وقد ألقي « باستور نيميولر » في المعتقل كوسيلة لإيقاف معارضته المستمرة من الكنيسة « اللوثرية » .

ســاعة الغداء :

كانت جرائم النازية ضد المسيحية هي الحديث الرئيسي بين المتهمين في ساعة الغداء .

وقد أبدى « روزنبرج » ملاحظة في شيء من التعالي والكبرياء :

« جرائم ضد المسيحية ! هل أعطيتم أدنى اهتمام للجرائم التي ارتكبها الروس ضد الكنيسة ؟ » .

وسألت « رينتروب » عما إذا كان إقراره يحتوي على معلومات أو مساعدة بخصوص اضطهاد النازية للكنيسة كما ذكر في الاتهام فأجاب :

ــ « نعم . لقد أخبرتهم أن ذلك صحيح . وكانت هناك احتجاجات كثيرة من الفاتيكان . ولكن « هتلر » قد تجاهلها في النهاية . لم يكن هناك ما أفعله حيال ذلك » .

وهنا تدخل « جورنج » وفمه مليء بالطعام :

ــ « ولكن هذا كان من حقنا ! لقد كنا دولة ذات سيادة . وكانت هذه الأمور من صميم أعمال السيادة » .

وسمعت « جورنج » يقول « لفونك » فيما بعد :

ــ « لا تهتم . أنت كنت تنفذ الأوامر الصادرة إليك مني . سوف أتحمل المسئولية الكاملة عن خطة السنوات الأربع » .

وغمغم « فونك » يشكره .

جلسة بعد الظهر :

وصف ممثل الادعاء جاكسون الجرائم التي ارتكبت ضد غير « الآريين » :

ــ « أكثر الجرائم وحشية تلك التي خططها النازيون . وكان « الجيتو » معملاً لاختبارات القمع الرهيبة وإجراءاته . وقد بدأوا مع اليهود ، ثم تلاهم غيرهم . فنزعوا أملاكهم ، ثم تحولوا إلى جميع المناهضين للنازية من الألمان ، وتلاهم البولنديون فالتشيك ثم الفرنسيون ثم البلجيك .

وكانت الإبادة التي بدأت في ألمانيا هي التدريب العملي لتنفيذ هذه الإجراءات مع البولنديين والصرب واليونانيين وكل البلاد التي وقعت تحت الاحتلال النازي .

وسمعت أثناء الاستراحة « فون شيراخ » يسأل « جورنج » عن الذي أعطى الأوامر لمثل هذه الإبادة الوحشية لجيتو وارسو وسائر الإجراءات الهمجية التي اتخذت حيال الناس .

وأجاب « جورنج » في تململ وعدم ارتياح :

ــ ربما « هملر » .

وهز « شيراخ » رأسه مستاء وغمغم :

ــ « في الحقيقة هذا أمر فظيع » .

ثم اسند رأسه إلى ظهر المقعد ، وقد علت وجهه جهامة شديدة .

واستدار « جورنج » ناحيتي فقلت له :

ـــ هذه أشياء مرعبة وفظيعة بالتأكيد .

وأجاب في عصبية ظاهرة :

ـــ « نعم أعرف ذلك » .

وأدار وجهه وشمل القاعة كلها بنظرة زائغة ثم عاد يكمل حديثه :

ـــ « أستطيع أن أرى الآن بوضوح أن الشعب الألماني كله سيدان إلى الأبد من أجل هذه الوحشية التي ارتكبت ولكنها .. ولكنها فظائع أكبر من أن تصدق حتى بين جمعنا الصغير الذي استمع إليها . وأكاد أؤكد لك أن هذه القصص كلها من صنع الدعاية » .

وبدا عليه الارتباك والتردد وأكمل :

ـــ « ولكن « هملر » عدواني النزعة ، له طبيعة تؤهله لعمل مثل هذه الأشياء . وإن حدثت فهي من الأسرار التي لا يعرفها أحد منا . ولكن .. ماذا أقول ؟ لا أستطيع أن أتهمه بها فهو لا يشبه القتلة في شيء .. أنت طبيب نفساني ، وينبغي عليك أن تفهم هذه الأمور ، أما أنا فلست بقادر على شرحها » .

واستمر المدعي العام « جاكسون » في سرد الجرائم التي تمت أثناء الحرب مثل قتل الأسرى والرهائن . ونهب كنوز الفن من البلدان المحتلة ، وإرغام العمال بالقوة على السخرة وتجويعهم . والحرب ضد المواطنين الآمنين معتمدين على نظرية الجنس الأرقى .

الســـجن في المساء

زنزانة فريتشـــه :

عند نهاية الجلسة المسائية كان وجه « فريتشه » قد شحب كثيرًا ، حتى إن

الكولونيل آندروز سأله عن صحته وطلب الكشف عليه ، ولكن « فريتشه » أجابه أنه بخير .

وفي هذا المساء وجدته يقطع الزنزانة جيئة وذهابًا في توتر وعصبية ، وقد ظهر وجهه شاحبًا في وضوح ، ثم تملكته نوبة من الغضب وقال :

ــ « أكاد أتميز غضبًا ، فهذا تحقير لا يمكن احتماله ، فمسئولية الحرب العدوانية من ناحية ، والفظائع المخزية من الناحية الأخرى . كيف يمكن لهم أن يتهمونا بالتآمر وبأفكار حاقدة مسبقة وبقولنا فلتحيا ألمانيا وليسقط أعداؤها . صدقني أنا لا أدافع عن حياتي فقد أصبحت لا أهتم بها كثيرًا . ولكن يجب ألَّا يستغل هذا الجهاز القضائيُ الضخم في أغراض الدعاية . أكرر لك : أنا لا أهتم بحياتي . ولكن ما يخوفني هو الخزي والعار » .

فقلت له :

ــ هل تقصد أنك قد أعددت نفسك للموت من أجل أخطاء الألمان ، ولكن ليس كمجرم اشترك في قتل أعداد كبيرة من الناس تنفيذًا لمخطط عام ؟ .

فأجاب :

ــ « بالضبط . هذا ما أقصده بالفعل . وهذه هي وجهة نظر الشعب الألماني كله ممثلة في شخصي الضعيف . لا بد أن يكون هناك مسئول عن هذه الجرائم بطبيعة الحال . ولكن في الوقت نفسه يجب أن نعطي الفرصة لتوضيح وجهة نظرنا حيال العالم ، حتى لا يقتلنا ذلك العنت القاسي من الخزي والعار » .

زنزانة « شترايخر » :

سألت « شترايخر » كرجل لرجل عما إذا كان قد خالجه شك في أنه هو الذي مهَّد الطريق ــ بالمهيجين والبلطجية ــ للإبادة والقتل بالجملة كما ذكر في جلسة

المحكمة المسائية .

وأجاب معترضًا :

ـــ « أنا لم أمهد الطريق لشيء . وإلا فأخبرني لماذا لم تحدث جرائم قتل في الفترة ما بين سنة ١٩١٩ م و سنة ١٩٣٤ م إذا كانت الحالة بالوصف الذي سمعته ؟ كل هذا كان من صنع « هملر » صدقني أنا لا أقوى على القتل . وهذا هو السبب الذي منعني من قتل زوجتي ونفسي عندما كنا في « التيرول » عند نهاية الحرب وقبل أن تقبضوا عليّ . لقد قررت ساعتها أن أحمل صليبي وأنتظر ساعتي » .

وسألته :

ـــ ولكن لماذا تحاول أن تلصق باليهود كل انحطاط وقذارة ؟ .

وأجابني بعينين متوهجتين :

ـــ « معذرة . هذه مسألة أخرى . أنا لم أفعل هذا . اليهود هم الذين وصفوا أنفسهم في كتبهم . هذا ليس من عندي ولكن اقرأ « التلمود » لتفهم كل شيء . ألم يرتكب يوسف الإثم مع ابنة فرعون ؟ هم يقولون هذا . وماذا عن لوط وبناته وما دار بينهم ؟ سوف تجد الإجابة في « تلمود » اليهود . إنهم يصلبونني الآن . أنا أعرف كل شيء . ثلاثة من القضاة يهود . أليس كذلك ؟ » .

ـــ وكيف عرفت ؟ .

ـــ « صارت لي خبرة بتمييز الأجناس ومعرفتها . ثلاثة منهم أحسوا بعدم الارتياح والقلق عندما نظرت في وجوههم ، وهذا أمر من السهل معرفته . لقد عكفت على دراسة الأجناس عشرين عامًا . تركيب الجسم يدل على الشخصية . أنا حجة في هذا الموضوع .

« هملر » يظن نفسه أدرى مني بهذه الأمور ، ولكنه لا يعرف مثلما أعرف . هو نفسه تجري في عروقه دماء زنجية » .

ـــ هل هذا صحيح ؟ .

وأجاب في انتصار :

ـــ « نعم بكل تأكيد . أستطيع أن أعرف بشكل رأسه ونوع شعره . أنا أستطيع أن أميِّز الأجناس كما قلت لك » .

ومع أنه كان يبدو طبيعيًا فإنه أعطاني انطباعًا ظهر في الوهلة الأولى التي التقيت فيها به من أن تعصبه يعود إلى حالة من حالات « البارانويا »(٧) .

٢٦ نوفمبر

التخطيط النازي للحرب العدوانية

الجلســة الصباحية :

قرأ السيد « إلدرمان » ملف « هوشباخ » القدري الذي يحتوي على بعض أحاديث « هتلر » السرية ، وقد نسبت فيها خططه العدوانية لكل من :

« جورنج » ، « فون بلومبرج » ، « فون فريتشه » ، « ريدر » ، « فون نيوراث » بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ م .

وأثناء بعض المناقشات التي جرت حول بعض الإمكانات لتنفيذ المخطط العدواني ، كما هو مسجل بملف أركان حربه « هوشباخ » ، قرَّر « هتلر » في جزء منه :

ـــ « يجب على السياسة الألمانية أن تعمل حسابًا لعدويها اللدودين انجلترا وفرنسا . فهما تنظران إلى ألمانيا نظرتهما إلى مارد هائل يقف وسط أوروبا ولا يمكن احتماله » .

« ولتحسين وضعنا السياسي والعسكري ينبغي علينا أن نجعل هدفنا الأول في حالة استعار الحرب أن نغزو تشيكوسلوفاكيا والنمسا في آن واحد ، ومن ثم يمكننا إبعاد أي تهديد للأجنحة في فرصة التقدم نحو الغرب . فعند هزيمة تشيكوسلوفاكيا وعند إذابة الحدود الألمانية الهنغارية نستطيع أن نحقق حياد بولندا أثناء الصراع مع فرنسا .. وتبقى المعاهدات مع بولندا صحيحة ما دامت قوة ألمانيا لا يمكن التأثير فيها ... و « الفوهرر » شخصيًا يعتقد أن هناك معاهدات سرية بين انجلترا — وربما فرنسا أيضًا — وتشيكوسلوفاكيا .. ومن الطبيعي في أي الحالات فإنه يلزمنا أن نؤمن جبهاتنا الأمامية أثناء عمليات الهجوم ضد تشيكوسلوفاكيا والنمسا . ومن ثم يكون مكسب ألمانيا من هذه الحرب هو حل المشكلة التشيكية والنمساوية .. وإذا كان من الممكن التخطيط لحرب بين انجلترا وإيطاليا فإنها في هذه الحالة لن تقرر بدء عمليات عسكرية مع ألمانيا ... وبالنظر إلى المعلومات التي بينها « الفوهرر » فإن جورنج يرى أنه من الضروري سحب القوة العسكرية الموجودة بإسبانيا أو تخفيض عددها » .

ســاعة الغداء :

عبر البعض عن دهشته الشديدة من هذا الملف المتضمن لتوقعات « هتلر » السياسية .

فقال « يودل » : إنه ليست لديه فكرة عن هذا الملف ، شيء واحد هو الذي أثار فكره منه وهو إعطاء إيطاليا كل هذه الأهمية الكبيرة .

وقد تكلم « سايس انكوارت » بتعقل مبينًا أنه لم يكن يعرف سببًا يدعو « هتلر » إلى رفع قيمة إيطاليا أكثر مما تستحق . فقد كان يصف الإيطاليين دائمًا (بالأولاد الصغار) .

وعندما عدنا في الحديث إلى ملف « هوشباخ » قال :

ــ « كل ما أعرفه أنه قد أصدر قرارًا ما في عام ١٩٣٧ م » .

ثم شرد قليلاً وقال :

ــ « كان يجب أن أفكر مرتين قبل أن أضع نفسي في هذا الموضع » .

أما « فون شيراخ » فقد كان يعتقد أن هذا الملف (جنون سياسي مركز) ! هذا على حد تعبيره .

وقال « فرانك » :

ــ « انتظر حتى يقرأ الشعب الألماني هذا الكلام ، ويعرف كيف أن « الفوهرر » كان يقود أقدارهم بهذه البلاهة » .

ولم يتكلم « جورنج » بمثل ذلك الكلام ولكنه انفجر قائلاً :

ــ « هذا أمر يدعو إلى الاحتقار ! ماذا عن اختطاف الأمريكان لكاليفورنيا وتكساس ؟ لا شك أنها كانت خطة عدوانية لاحتلال أراضي الغير بالقوة أيضًا » .

جلسة بعد الظهر :

شرح السيد « إلدرمان » الخطوة التالية في التخطيط النازي العدواني .

فبعدما تم إعداده لتشيكوسلوفاكيا والنمسا كان هناك ملف آخر قد أعده مساعد « هتلر » « شموندت » مسجلاً فيه قرار « الفوهرر » غير الحكيم للحرب العدوانية في مقابلة سرية تمت في ٢٣ مايو سنة ١٩٣٩ م في حضور كل من « جورنج » و «كايتل » و « ريدر » .

وبعد أن اتخذت جميع تدابير الحرب طلب « هتلر » الاجتماع بكل قادته العسكريين في يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٩ م في « برختسجادن » وبيّن لهم أن الحرب قد جاء أوانها ، وأنه على استعداد لبدئها الآن كما هو مبين في الملف الأخير :

ـــ « سوف نقدم سببًا مفتعلاً لبدء الحرب ، سواء كانت الظروف مناسبة أم لا ، ولن يقدم المنتصر كشف حساب عن شيء ، ولن يهم بعد ذلك أن نذكر الحقيقة أو لا نذكرها .

فعندما تدخل في حرب فليس من المهم أن تكون على حق ، ولكن المهم أن تنتصر » .

٢٩ نوفمبر

عرض فيلم في قاعة المحكمة عن فظائع النازي

جلسة بعد الظهر :

استغرق كل من « جورنج » و « ريبنتروب » في ضحك شديد عند قراءة ما تم في المحادثة التليفونية التي دارت بينهما في اليوم الذي دخل فيه « هتلر » « فيينا » منتصرًا .

وكانا يصفان هذه العملية كأنها نزهة بين شقشقة الطيور .. إلخ .

ولكن سرعان ما زال هذا المرح من القفص عندما أعلن القائد « ديفان » عن عرض فيلم تسجيلي لمعسكرات الاعتقال النازية كما وجدتها القوات الأمريكية .

[ووقفت مع زميلي د . « كيلي » كل في ناحية من نواحي القفص الموجود به المتهمون ، وقمنا بملاحظتهم أثناء عرض الفيلم ، وكانت في يدي مفكرتي أدوّن بها ما أراه وأسمعه] .

اعترض « شاخت » على مشاهدة الفيلم عندما طلبت منه ، وتحرك بعيدًا ، وقد

أدار وجهه للشاشة ، ثم شبك ذراعيه فوق صدره محملقًا في القاعة الفسيحة .

... [بدأ الفيلم] .

أشار « فرانك » إلى الطابع الرسمي الموجود بمقدمة الفيلم .

أما « فريتشه » ـــ الذي لم ير فيلمًا قبل ذلك في حياته ـــ فقد كان ينظر في شحوب ، وقد اعترته حالة من الذهول الشديد عندما بدأ الفيلم ببعض المناظر لبعض المعتقلين وهم يحرقون أحياء في مكان أشبه بالاصطبل .

« كايتل » ينشف جبهته بمنديل ، بينما يدون بعض الملاحظات عما يشاهده وهو يحملق إلى الشاشة بطرف عينيه .

أما « فون نيوراث » فقد كان محني الرأس لا ينظر إلى شيء ..

غطى « فونك » عينيه وصار يهز رأسه كأنه يحتضر .

أغلق « رينتروب » عينيه والتفت ناحية أخرى .

قطب « ساوكل » جبينه .

« فرانك » يبلع ريقه بصعوبة بالغة ، ويحرك عينيه بسرعة كأنما يستجدي الدموع .

« فريتشه » ينظر بإمعان وقد تغضن وجهه زاحفًا إلى نهاية المقعد ، وفي وجهه ألم بالغ قد ظهر في وضوح .

اعتمد « جورنج » بذراعيه على سور القفص ، لم يلتفت إلى الفيلم معظم الوقت ، ولكنه كان يبدو متهالكًا .

« فونك » يجتر شيئًا هائلاً تحت أنفاسه المتهدجة .

« شترايخر » كان يحملق في الشاشة دون ما حركة ، باستثناء تحول يسير عنها لمدة بسيطة .

بدأ « فونك » في سكب الدموع وقد احتقن أنفه ، وصار يمسح عينيه وهو منحن بوجهه إلى الأرض .

كان « فريك » يهز رأسه لمنظر (الموت العنيف) .

غمغم « فرانك » :

ــ هذا مرعب وفظيع ! .

كان « روزنبرج » يتململ وهو ينظر خلسة إلى الشاشة محني الرأس ، ويبدو وكأنه يحاول أن يرى أثر المناظر في وجوه الآخرين .

« سايس انكوارت » بدا كفيلسوف رواقي رابط الجأش لا يتأثر .

« سبير » يزدرد ريقه في صعوبة والحزن يغطي وجهه .

في هذا الوقت كان كل المحامين يغمغمون :

ــ « يالله ! كم هذا مفزع وفظيع » ! .

« ريدر » كان يتابع الفيلم دون قلق ظاهر .

« فون بابن » يجلس ويده على جبهته ناظرًا إلى أسفل ، ولم يكن قد بدأ يشاهد بعد .

« هيس » كان يتابع الفيلم والدهشة تملأ وجهه .

أكوام من القتلى ظهرت صورتها في معسكر من معسكرات العمل الإجباري .

« شيراخ » يشاهد وهو منفعل تمامًا ثم يهمس لـ « ساوكل » همسًا خفيفًا .

الآن قد بدأ بكاء « فونك » يرتفع في المكان .

اعتمد « جورنج » على مرفقيه وبدأ الحزن يبدو جليًا على وجهه .

« دونيتز » لم يشاهد كثيرًا ، وظل محني الرأس .

أخذت « ساوكل » قشعريرة عند عرض منظر المحرقة الموجودة في معتقل « بوخانفيلد » الرهيب ، وعندما عرضت عينة من الجلود البشرية التي كان يصنع بها غطاء للأباجورات قال « شترايخر » :

ـــ « أنا لا أصدق هذا » .

انتابت « جورنج » نوبة قوية من السعال ..

زادت الانفعالات في المكان وتقطعت الأنفاس .

والآن مناظر لمعتقل « داخاو » .

« شاخت » لا يزال ينظر بعيدًا .

« فرانك » يهز رأسه بمرارة ويكرر : « هذا فظيع » .

ما زال « روزنبرج » متململاً وقد اتكأ إلى الأمام . ثم ينظر حوله ويتكئ إلى الخلف ، ورأسه مشرئب دائمًا بين هذا وذاك .

« فريتشه » شاحب يعض شفتيه ويبدو حقيقة وكأنه يحتضر .

« دونيتز » يعتمد رأسه بين كفيه .

« كايتل » يشرئب برأسه الآن .

نظر « رينتروب » إلى الشاشة عندما ظهر ضابط بريطاني وقال إنه قد تم دفن سبعة عشر ألف مجموعة في التراب .

« فرانك » يقضم أظفاره .

« فريك » يهز رأسه غير مصدق ما تقوله الطبيبة ـــ في الفيلم ـــ وهي تصف المعاملة والتجارب التي كانت تجري على النساء المعتقلات في « بلزن » .

وعندما ظهر « كرامر »[٨] قال « فونك » في صوت متهدج :

ــ « الخنزير القذر » .

صار « رينتروب » مقلوب الشفة مرتعش العينين ، غير ناظر إلى الفيلم الذي يعرض .

يرتفع صوت « فونك » بعويل مرير ، ويحاول أن يكتم صوته بيده الممتدة إلى فمه عندما تظهر صورة امرأة عارية في إحدى المجموعات التي يلقون بها في حفرة .

ارتفع نظر « كايتل » و « رينتروب » عندما كان جرار يتحرك لينظف المكان من الجثث .

وشاهدوا المنظر ثم أخفوا وجوههم من جديد .

أبدى شترايخر بعض التململ في جلسته للمرة الأولى ..

انتهى عرض الفيلم .

بعد انتهاء العرض تمتم « هيس » :

ــ « أنا لا يمكنني أن أصدق هذه الأمور » .

وطلب إليه « جورنج » هامسًا أن يلزم الصمت ، ولكن بعد أن فارقه هدوءه المتسم بالخيلاء والتعالي .

أما « شترايخر » فقد قال شيئًا يفهم منه أن هذه الأشياء ربما حدثت في الأيام الأخيرة .

وتمتم فريتشه في احتقار شديد :

ــ « ملايين من القتلى في الأيام الأخيرة ؟! كلا » .

وخيم على القاعة صمت مطبق أثناء عودة المتهمين إلى السجن .

السجن في المساء

ذهبنا على الفور إلى الزنازين لنتحدث مع المتهمين كل على انفراد .

وكان الأول هو « فريتشه » ، وما إن أغلقنا باب الزنزانة حتى انفجر في بكاء عنيف عميق ، وصار ينهنه ويشهق في مرارة شديدة ، وصار يردد :

ــ « لا توجد قوة في الأرض ولا في السماء تقدر أن ترفع عن بلدي هذا العار الذي لحقه ! .

هذا الإثم لن تذهبه الأجيال القادمة والقرون الآتية » .

وصار يشهق وهو يستجمع قبضته ويضغط بها على جبهته ويمسك أنفاسه التي قطعها البكاء المر ليقول :

ــ « اعذروني فقد فقدت السيطرة على نفسي ، ولكن هذه الحالة ستغادرني بعد فترة من الراحة .. نعم ساعة كاملة تلزمني حتى أهدأ » .

وسألناه عما إذا كان في حاجة إلى أقراص منومة ؟ .

فأجاب :

ــ « كلا . ما فائدتها ؟ إنه من النذالة أن يحاول الإنسان أن يطرد مثل هذا الشعور بالإثم من داخله » .

أما « فون شيراخ » فقد كانت تبدو عليه علامات عدم الشعور بالإثم وقال :

ــ « أنا لا أعرف كيف يمكن للألمان أن يفعلوا هذه الأمور ؟ » .

وقام « فريك » بمحاولة ضعيفة لتبرير ما حدث :

ــ « إني أفترض أنه قد حدثت اضطرابات نتيجة لقصف القنابل المركز مما أدى إلى قطع كل الاتصالات في الشهور القليلة الأخيرة . هذا ما أخمنه . ولكني لا أعرف حقيقة ما حدث تمامًا » .

ثم غيَّر موضوع الحديث ، وسأل عما إذا كانوا سيخرجون للطابور في هذا اليوم أم لا .

كان « فونك » مكتئبًا وسرعان ما انفجر في البكاء عندما سألناه عن تأثير الفيلم فيه فقال :

ــ « مرعب . مرعب » .

وكان صوته متهدجًا وهو ينطق هذه الكلمات ، وعندما سألناه عما إذا كان في حاجة إلى أقراص منومة قال وهو ينشج نشيجًا مكتومًا :

ــ « وما فائدتها ؟ وما فائدتها ؟ » .

واعترف « شترايخر » أن الفيلم مرعب ولكن دونما شعور آخر قد بدا عليه .

ثم طلب أن يكون الحرس أكثر هدوءًا في الليل ليستطيع النوم .

ولم يظهر « سبير » أي انفعال أو تأثر ، ولكنه قال : إن الشعب الألماني بريء من الذنب ، والمسئولية كاملة تقع على رأس قادة الحزب النازي .

وكان « فرانك » كئيبًا مغرقًا في كآبته ، وتبدو عليه أمارات الاهتياج ، وعندما ذكرنا له الفيلم أغرق في البكاء بطريقة مخجلة وقال :

ــ « كنا نعيش كالملوك ونحن نقدس هذا الوحش ــ يقصد هتلر ــ لا تصدقوا من يقول لكم إنه لم تكن لديه فكرة عما يجري . كل واحد فينا كان يشعر أن هناك شيئًا مختفيًا مخيفًا فظيعًا ينبض به هذا النظام . وإن كنا لا نعرف التفاصيل ، ولم يكونوا يريدون لنا أن نعرف . وكان من راحتنا ألا نعرف ، فقد كانت عائلاتنا تعيش في نفس المستوى الذي يعيشه الملوك في قصورهم ، ولم يكن لهذا من ثمن سوى أن نعتقد أن الأمور تسير على ما يرام ولا نحاول البحث خلف الأشياء » .

واعترف « سايس انكوارت » أنه كان يعرف فقال :

ــ « لم أكن أستطيع وقف هذه الفظائع » .

وتكلم « دونيتز » وهو يرتعد من شدة الانفعال ، وكان يتكلم بالألمانية

والإنجليزية في آن واحد :

ـــ « كيف يتهمونني بمعرفة مثل هذه الأمور ؟ إنهم يحاسبونني لأنني لم أذهب إلى « هملر » وأفتش معتقلاته . لماذا ؟ هذا تصرف مستحيل ، لأنني لا أقبل منه أن يأتي ليفتش على البحرية ولو أتى فإني أطرده . وكذلك الحال معي لو ذهبت إليه ، ماذا عليّ أن أفعل بحق السماء في مثل هذه الأشياء ؟ لقد كانت مصادفة هي التي رفعتني إلى المنصب الذي كنت أتبوؤه و لم تكن لي أية علاقة بالحزب »(*) .

وسألنا « فون بابن » لماذا لم يكن يشاهد الفيلم ؟ فأجاب :

ـــ « لم أكن أريد أن أبصر عار ألمانيا ممثلاً فيه » .

وكان « ساوكل » في حالة شبيهة بالانهيار العصبي ، فقد كان يرتعد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وكانت عيناه متوهجتين وهو يباعد بين أصابعه ويصيح :

ـــ « إني لأخنق نفسي بيدي هاتين لو ساورني أي شك في أن لي ضلعًا ولو صغيرًا جدًا فيما أحدثه هؤلاء القتلة ! هذا عار ! هذا خزي لنا ولأولادنا ولأحفادنا أيضًا ! » .

أما « شاخت » فقد كان يغمره شعور بأنه قد أهين وقال :

ـــ كيف يجرءون ويجعلونني أجلس مع هؤلاء المجرمين لمشاهدة فيلم عن الفظائع التي حدثت في معسكرات الاعتقال ؟ إنهم يعلمون أنني عدو هتلر اللدود ، وأنني كنت أقضى وقتي الأخير في معتقل من معتقلاته . هذا أمر لا يمكن غفرانه » .

كان « فون نيوراث » في أشد حالات الارتباك ، و لم يكن عنده ما يقوله سوى أنه لم يكن في السلطة حينما حدثت هذه الأمور .

أما « ريدر » فقد قال إنه قد سمع أشياء قليلة جدًا ، وعرف أشياء طفيفة ـــ وبصعوبة ـــ عن معسكرات الاعتقال ، وأنه سمع ذلك من ثلاثة منهم عندما كان يبذل جهدًا لإخراج بعض أصدقائه منها .

(*) لم يتهم دونيتز بالبند الرابع في الاتهام وهو ارتكاب جرائم ضد الإنسانية .

وكان « يودل » هادئًا ولكنه يتحرك في انتظام وهو يقول :

ــ « صدقني لقد صدمت ولكن الأمر الذي يبعث على العار والخزي أن كثيرًا من الشباب انضم إلى هذا الحزب بدوافع مثالية تمامًا » .

كان « كايتل » يأكل وقد عاد للتو من جلسة مع محاميه . وكان يبدو أنه قد نسي الفيلم حتى ذكرناه به ، وعندها توقف عن الطعام وقال وفمه نصف ممتلىء :

ــ « إنه مخيف بالفعل . عندما شاهدته شعرت بالخجل من كوني ألمانيًا . إنها الخنازير القذرة التي يسمونها بالفرق الخاصة ! ولو عرفت ذلك من قبل لقلت لابني (إني أفضل أن أطلق النار عليك من أن تنضم إلى الفرق الخاصة) ولكنني لم أكن أعرف . لست بقادر على النظر في وجوه الناس بعد ذلك » .

كان « هيس » يبدو في حالة ارتباك عقلي وصار يردد :

ــ « أنا لاأفهم .. أنا لا أفهم » .

وكان « ريبنتروب » هو الآخر مرتبكًا ويداه ترتعشان وقال :

ــ « لم يكن « هتلر » نفسه يستطيع مشاهدة هذا الفيلم .. أنا لا أفهم .. أنا لا أعتقد أن هملر يستطيع إصدار أوامر بتنفيذ مثل هذه الأشياء .. أنا لا أفهم » .

وكان « روزنبرج » أكثر عصبية على غير العادة :

ــ « هذا شيء مخيف ولو كانت روسيا هي التي فعلته .. مخيف .. مخيف .. مخيف » .

وأشرت إليه مبينًا دوره في تكوين العقيدة النازية الخاصة بتفضيل العناصر .. فقال يدافع عن نفسه :

ــ « لأن كثيرًا من الألمان قد قتلوا . هذا هو دفاعنا الوحيد الضعيف » .

أما بالنسبة « لجورنج » فقد كان مرتبكًا ارتباكًا ظاهرًا ، لأن الفيلم قد جرده من

قناعه الذي كان يرتديه :

ــ « لقد كان أصيلاً ممتعًا حتى ظهر هذا الفيلم . لقد كانوا يقرأون محادثتي التليفونية الخاصة بالشئون النمساوية ، وكان الكل يضحك معي . ثم ظهر الفيلم اللعين فحطم كل شيء في الحال » .

٣٠ نوفمبـر

شهادة الجنرال « لهاوزن » وعودة الذاكرة لهيس

الجلســة الصباحية :

أدلى الجنرال « لهاوزن » الذي بقي على قيد الحياة من هيئة المخابرات العسكرية بشهادته اليوم ، وجعل « رينتروب » و « كايتل » و « يودل » وكثيرًا غيرهم يترنحون .

[كان حضوره وإدلاؤه بشهادته صدمة لجميع المتهمين ، وهو الذي تعلم حركة المقاومة للنازية لأول مرة من داخل جهاز المخابرات الحربية ، وأحد الذين سمعوا واحدًا من إعلانات هتلر للحرب العدوانية] .

وتولّى استجوابه كشاهد الكولونيل « إيميه » ، وقد شرح الجنرال « لهاوزن » كيف شارك في حركة سرية ضد « هتلر » من داخل المخابرات الألمانية ، وكان قائدها هو رئيسه الأدميرال « كاناريس » . وكان الغرض هو تخريب خطط هتلر للحرب العدوانية إن كان هذا ممكنًا . وفي حالة الفشل يعملون على منع أي هجوم ناجح من خارج ألمانيا . أو يفعلون شيئًا مع هتلر ، مثل اغتياله أو اعتقاله .

وقد شرح بالتفصيل دور « جورنج » و « كايتل » و « يودل » مع هتلر في التخطيط لقصف وارسو بالقنابل ، وإبادة الصفوة المختارة من البولنديين والنبلاء ورجال الدين واليهود ، وذلك بخلق حادث مفتعل يبرِّر به الهجوم على بولندا .

وأعدَّ « هملر » ملابس رسمية مما يستعمله الجيش البولندي ، ثم ألبسوها لبعض النزلاء بأحد معسكرات الاعتقال ، ثم أطلقوا النار عليهم بعد أن جعلوهم يهاجمون محطة إذاعة (جلايفتز) حتى يبدو الأمر وكأنه اعتداء على أراض ألمانية .

ســـاعة الغداء :

كان « جورنج » يحترق من الغيظ وهو يردد :

ـــ « هذا عميل ! هذا واحد من الذين غفلنا عنهم ليلة العشرين من يوليو(٩) كان « هتلر » على حق . كانت المخابرات منظمة مكتظة بالعملاء ، ـــ هل تتصور ذلك ؟ لا عجب إذن لو خسرنا الحرب . لقد باعنا رجال المخابرات للعدو ! » .

وكان يتحدث معي في صوت خافت بهذا الحديث ، ولكنه كان يعبر عن رأي الحزب بوضوح في شهادة « لهاوزن » .

وقلت له :

ـــ حسن . قد تختلف الآراء بهذا الصدد ولكن هل هذه الشهادة صحيحة أم لا ؟

وقال « جورنج » :

ـــ « وما قيمة شهادة لعميل ؟ لا شك أنه كان مشغولاً بتقديم تقارير خاطئة لي عن نتائج القصف الجوي الذي كنا نقوم به ، مما أدى إلى تخريب مجهوداتنا الحربية . الآن فقط عرفت السبب الذي من أجله لم أعتمد على معلوماته . انتظر حتى أوجه

إليه سؤالاً واحدًا (لماذا لم تعلن عن رأيك إن كنت حقًا تظن أن الانتصار الألماني كان عبارة عن مأساة ؟) انتظر حتى أحصل على الفرصة لإحراجه » .

تكلمت مع « لهاوزن » حول هذه الأحاديث في مرة أخرى فقال لي :

ــ « إنهم يتكلمون الآن عن الشرف بعد أن قتلوا عدة ملايين من الناس ! لا شك في أنه أمر لا يبعث على السرور أن يقف أمامهم شخص ما ثم يضع الحقائق المريرة في وجوههم . كان يجب أن أقف أمامهم وأواجههم هؤلاء الذين لوثوا أيديهم بالدماء . أنا الشخص الوحيد الذي نجا من الموت طيلة المدة السابقة » .

جلسة بعد الظهر :

في جلسة بعد الظهر وقف « لهاوزن » وأجاب عن الأسئلة التي وجهت إليه بطريقة درامية . وقد بيَّن كيف أن أوامر القتل الجماعي تصدر ضد الشيوعيين وكل المناوئين للنازية وتنفذ أثناء الهجوم على روسيا ، وكانت هناك أوامر أيضًا تقضي بقتل بعض المواطنين والأسرى بمعرفة الحرس النازي والجستابو والفرق الخاصة .

وبين « لهاوزن » أن معاملة المعتقلين غير الإنسانية تسببت عنها الأوبئة والمجاعات ، وكاد الناس أن يأكل بعضهم بعضًا في المعتقل .

هيس يستعيد ذاكرته :

ثم وقف الدكتور « رور شيدت » وطلب تأجيل المحاكمة بالنسبة « لهيس » ــ وكان هو محاميه ــ وقد برر طلبه هذا بأن « هيس » في حالة لا تمكنه من الدفاع عن نفسه حيث إنه فاقد الذاكرة .

وفجأة كتب « هيس » ورقة صغيرة وسلمها إلى الحارس ليسلمها إلى المحامي

الذي تجاهلها تمامًا .

ودفع الادعاء بأن « هيس » يمكنه الدفاع عن نفسه ، حيث إن الأطباء النفسانيين قد قرروا أنه ليس مجنونًا .

وبعد ساعة ونصف ألقى « هيس » قنبلته أثناء نظر القضية بأن قال :

— « لقد عادت ذاكرتي مرة أخرى ، فقد كان تظاهري بفقدي للذاكرة مناورة مني . صحيح أن قدرتي على التركيز قد تضاءلت ، ولكني ذكرت للمحامي قبل الآن في محادثة بيني وبينه أنني مصر على فقدي للذاكرة ، وكان لهذا السبب يعمل باقتناع عندما أصر على ذلك » .

وأخليت القاعة من المتهمين .

وعندما التقيت بالدكتور « رورشيدت » كان في حالة شديدة من الذهول ، فهو لا يدري إن كان « هيس » قد خدعه في القاعة أم قبل ذلك .

وعندما قابلت « هيس » أنا و « كيلي » في زنزانته بعد ذلك كانت ذاكرته في حالة نشاط كامل . وكان يستطيع الإجابة عن أي سؤال حول اعتقاله أو طيرانه إلى انجلترا ، أو دوره في الحزب ، أو حتى عن شبابه الأول .

١ ديسمبر

ذهبت أنا و « كيلي » قبل أن تبدأ الجلسة إلى الزنازين لزيارة بعض المتهمين لنخبرهم عن مفاجأة استعادة « هيس » لذاكرته .

لم يصدق « جورنج » أول الأمر ، ولكنه تساءل بعد ذلك عن الدوافع التي دفعته ليسخر من المحكمة ومن الأطباء النفسانيين .

ورغم ذلك لم يكن متأكدًا أن استعادة « هيس » لذاكرته مسألة حقيقية ،

وتمنى لو كان موجودًا هناك ليستمتع بمنظر القضاة والادعاء .

أما « فون شيراخ » فقد تهلل لهذه الأخبار في دهشة وقال :

ــ « حسن . هذه هي نهاية علم النفس » .

فقلنا له أن ينتظر ويرى بنفسه تطور الحوادث ، ولم يكن هناك من داع لنقول إن هيستيريا « هيس » سوف تثير دهشة شديدة ستنتشر فيما بعد .

وكان « ريبنتروب » في حالة شديدة من الارتباك جعلته يقول عندما أخبرناه :

ــ « هل تقصد « رودلف هيس » ؟ « هيس » ذلك الذي معنا متهمًا ؟ هذا شيء صعب التصديق » .

وبينما كانوا جلوسًا في قفص الاتهام سأل « جورنج » « هيس » عما إذا كان قد استعاد ذاكرته حقًا أم أنه يكذب على المحكمة .

على أي حال فقد تذكر « هيس » حقيقة كل التفاصيل عن رحلته الجوية إلى انجلترا . وكان يذكر هذه التفاصيل في متعة وفخر ، وكيف كان ماهرًا في إدارة المحرك والصعود في الهواء ، ثم اجتياز حاجز النباتات .. تشغيل الطائرة آليًا .. الهبوط بالمظلة ..

وعندها قال « جورنج » :

ــ « نعم .. نعم .. لقد استعملت الطائرة آليًا أيضًا ! على أي ارتفاع قفزت ؟ » وأحس « هيس » بالزهو مرة أخرى لأنه نزل من انخفاض مناسب ، حوالي مائتين من الأمتار .

ورويدًا رويدًا بدأ « جورنج » يفقد لذته في الاستمتاع بفكاهة « هيس » في فقدانه المزعوم لذاكرته ، عندما نظر حوله متفحصًا في القاعة فوجد أن « هيس » أصبح مركزًا لدائرة الاهتمام والانتباه .

وكان إحساس « هيس » بالمتعة عارمًا لا حد له .

١ ـــ ٢ ديســمبر

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة هيس :

كان « هيس » في حالة طيبة ويتمتع بمزاج هادئ . وقد سعد بنفسه كثيرًا لأنه استطاع أن يجعل الجميع يشعرون بأنهم حمقى . وقال أيضًا إنه كان يستطيع الحصول على نتيجة أحسن في الاختبار النفساني لو كان قد بذل اهتمامًا أكثر . أو على الأقل كان الاختبار يمكن أن يأخذ مدة أقل مما حدث بالفعل .

وعند إعادة اختبار الذكاء معه أظهر تقدمًا مصطنعًا في درجة الاستذكار ، ولكن تقدمه كان ضئيلاً في أجزاء الاختبار الأخرى .

ويرجع ذلك إلى أنه قد بذل مجهودًا أكبر ، وكان أكثر انتباهًا .

وعلى أي حال فقد كرر بعض الأخطاء التي وقع فيها من قبل ، وكذلك حصلنا منه على نفس الإجابات الناقصة لبعض الأسئلة التي ألقيت عليه .

وعلى هذا فادعاؤه بأنه كان يستطيع الحصول على نتيجة أحسن ادعاء لا يمكن أن يقوم .

وقد ذكرته فيما بعد بما سبق أن قلته قبل الجلسة من أنه ربما لا يستطيع العودة إلى ذاكرته أكثر مما هو عليه فقال :

ــ « نعم . وهذا ما جعلني أقرر أن الوقت قد حان لوقف هذه اللعبة » .

[مما تقدم نجد مفتاحًا لحالاته التي مر عليها ، ونستطيع أن نكون فكرة عما أصاب الأنا عنده . فقد اعتبره « الفوهرر » مجنونًا ونبذه ، فوجد ملجأ من هذا الشعور بفقدان الذاكرة . ثم طرح هذه الحالة عنه ليتجنب النبذ من أصدقائه القدامى] .

زنزانة فريتشه :

قال « فريتشه » إنه قد أفاق قليلاً من الحالة التي انتابته بعد مشاهدة الفيلم . وظل يومي الجمعة والسبت في حالة من وهن العزيمة لم تمكنه من استجماع أية نقاط يساعد بها الدفاع .

واعترف أن هذين اليومين هما الوحيدان في حياته اللذان مرًّا عليه دون صلاة .

ولكنه لا يزال يبدو كئيبًا ويهز رأسه بحزن عندما نعود إلى الفيلم ويقول :

ــ « إنه يذهب بي بعيدًا خلف أكثر أفكاري وحشية ودناءة » .

ثم أبدى اهتمامًا كبيرًا باختبارات الذكاء التي أجريت ، وقد أخبرته عن ستة أو ثمانية أشخاص كانوا في مقدمة النتيجة . وتكلمت معه حول بعض الأفكار الخاصة بعلم النفس وشرحت له منحنى النمو العقلي وانحداره . وناقشنا ما تدل عليه جبهة « جورنج » من قدرة على الاحتمال . وقال إن « ريبنتروب » يستطيع أن يتحمل أكثر من « جورنج » . وقال إن « فون شيراخ » ما زال يلفه الدوار ، ولكنه كان واثقًا أن الفيلم قد أحدث تأثيرًا مدمرًا في نفوس كل من شاهدوه ، وأنه هدم خيلاءهم جميعًا .

زنزانة كايتل :

كان كايتل يعاني من شهادة « لهاوزن » الساحقة ، وكان هذا يبدو في وضوح .

ورغم أنني لم أحاول الاقتراب من الموضوع فإنه بدا شبيهًا بالخروف وهو يمأمئ في حديثه عن رد فعله حيال الشهادة ، ومما قال :

ـــ « لم أعرف ما يجب عليَّ قوله .. هذه الشئون الغريبة .. حسن ، لقد كنت أعرف أنها آتية لا محالة .. ولكن ماذا يمكنني القول ؟ .. أنا أعرف أن سيدًا مهذبًا وضابطًا مثلك لا شك سيشعر هو الآخر بالدهشة ويقدر ما أنا فيه .. سنفهم هذه الأشياء التي تطعنني في شرفي كضابط .. أنا لا يهمني إذا اتهموني بإشعال الحرب .. فقد كان هذا هو واجبي ، ولم أفعل غيره ، وكنت أنفذ الأوامر .. ولكن هذه القصص عن الاغتيالات لست أدري .. هل انغمست فعلاً في هذه الأشياء ؟ » .

[لم يحاول تكذيب أية قصة ، وكان من البين الواضح أن له علاقة بمؤامرة اغتيال اثنين من زملائه في السلاح ، بالإضافة إلى دوره في قيادة الحرب العالمية والعمل ضد قيمه الخاصة الذاتية التي يدعيها] .

زنزانة سـبير :

كان سبير هادئًا رابط الجأش ، وقد هيأ نفسه تمامًا لعقوبة الموت ثمنًا للجرائم الجماعية التي اشترك في ارتكابها . حتى الكآبة لم تكن تبدو عليه . ولكنه كان يحتقر الجهود التي يبذلها القادة العسكريون من أجل إنقاذ رقابهم ، وهو مقتنع تمامًا أنهم مشتركون في هذه الجرائم .

٦ ديسمبر

جهود لمنع نشوب الحرب

الجلسة الصباحية :

تكلم السيد « جريفث جونز » من البعثة البريطانية ، وشرح كيف أن « هتلر »

و « ريبنتروب » كانا يتكلمان عن السلام في الوقت الذي يعدان فيه لخطط الحرب . ثم قرأ تسجيلاً لآخر مكالمة اتصلت فيها فرنسا وانجلترا بهتلر يتوسلان فيها إليه ويحذرانه من الهجوم على بولندا .

جلسة بعد الظهر :

قرأ السيد « جريفث جونز » برقية الرئيس روزفلت المؤرخة في ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ م والمرسلة لهتلر يحاول فيها منع الحرب وهذا نصها :

« لم يصلني رد على الرسالة التي أرسلتها لكم في إبريل الماضي . ولكن لأني أومن بالسلام العالمي ـــ الذي يمثل قضية الإنسانية نفسها ـــ فينبغي أن نرتفع فوق كل الاعتبارات ، ولهذا فإني أكتب إليك مرة ثانية ، وكلي أمل في أن الحرب التي توشك أن تقع والتي ستسبب الدمار والخراب للعالم يجب أن تمنع » .

وهكذا حاول روزفلت الاتصال بهتلر ثانية .

وأيضًا لم يحصل على رد للمرة الثانية !

وفي ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٩ م كتب روزفلت مرة أخرى :

« أبلغني الرئيس البولندي ردًا على رسالة لي أن الحكومة البولندية على استعداد لحل كل المشاكل التي نجمت بين جمهورية بولندا والرايخ الألماني على الأسس التي حددتها في رسالتي . وذلك بمفاوضات مباشرة ، أو عملية مصالحة . وهو أمر سوف يبقي على حياة أعداد كثيرة من الناس . ولعل الأمل ما زال موجودًا في أن أمم العالم الحديث سوف تشيد الآن دعامة العلاقات المليئة بالسلام والسعادة إذا وافقتم ومعكم حكومة الرايخ على معاني السلم الذي يتضمنه قرار الحكومة البولندية والذي رضيته . وإن العالم كله يصلي ويدعو الله أن تقبلوا هذا » .

واستمر السيد « جريفث » يخاطب المحكمة :

« ولكن ألمانيا لم تقبل يا سيادة الرئيس ، ولم يقبلوا حتى طلب البابا الذي يظهر في هذه الوثيقة الأخرى » .

في ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٩ كتب البابا :

« إن البابا لا يستطيع أن يطفيء الأمل في أن المفاوضات التي ينبغي أن تتم ربما تحقق العدالة والحل السلمي الهاديء الذي يصلي من أجل تحقيقه كل من في العالم الآن » .

ولكن البابا لم يأته رد على هذا الطلب وأهملت رسالته . فقد قرر « هتلر » أن تنشب الحرب في عهده .

وهكذا بينما كان « هتلر » و « جورنج » و « رينتروب » يتظاهرون كاذبين بالإعداد للمفاوضات كانت قوات « الفيرماخت » تهاجم بولندا .

السـجن في المساء

زنزانة « يودل » :

لاحظت أثناء الغداء أن « يودل » لم يعد يأكل مع « كايتل » . ولهذا قمت بزيارة « يودل » في المساء وبدأنا الحديث عما جرى اليوم من أحداث ، وكان هادئًا ، ولكن يبدو أن سحابات الوهم والضلال قد انقشعت عنه وقال :

« أرجو أن تفهم أن خياناتهم لنا أسوأ من الهزيمة ذاتها ، لقد قمت بدوري في الحرب وكنت أعتقد أنه لا يمكن تجنبها ، وكنت أحمي وطني ، ولكني أعتقد الآن أن « هتلر » قد خطط لها بالفعل ، وأنه قد أهمل متعمدًا كل الجهود التي بذلت من أجل السلام .

لست أدري ماذا كان يمكنني أن أفعل ساعتها لو تيقنت مما عرفته الآن .

ربما من السهل الآن الحديث عن الحقائق والوقائع .

ولكن لعل صراعًا مريرًا كان ينشأ في نفسي آنذاك بين الواجب والضمير .

ومن يدري ربما كانت الأمور مرسومة بصورة لا أتمكن فيها من معرفة شيء .

ولكني في النهاية قاتلت عن اقتناع وبشرف .

صحيح أن هناك أشياء لا تتفق مع شرف الضابط » .

وقاطعته :

ــ « مثل الاغتيال ؟ » .

وتردد لفترة ثم أجاب في هدوء شديد :

ــ « نعم بطبيعة الحال . فهذه أشياء لا تتناسب مع شرف الضابط ، لقد أخبرني « كايتل » أن « جيرو » قد وضع تحت المراقبة ، وأن موضوعه قد حول لمكتب الرايخ المركزي للأمن ــ ولم يذكر كلمة واحدة عن الاغتيال ــ كلا .. هذا شيء لا يشرف » .

٨ ــ ٩ ديسمبر

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

في المساء أخبرني القس « جيريك » أن « جورنج » قال له إنه سوف يواظب على الحضور إلى الكنيسة :

ــ « لأنني الرجل الأول في المجموعة فإذا واظبت على الحضور فسوف يحذو الآخرون حذوي » .

زنزانة فرانك :

مزيد من مناجاة فرانك لنفسه .

ــ « آه .. نعم .. كم تقدمنا في السن .. وكذلك أوروبا قد تقدمت في السن هي أيضًا .. لقد أصابت ألمانيا الشيخوخة .. قد ولّى شبابها .. أفكر أحيانا أن « البربرية » خلق أصيل في الشعب الألماني .. وإلا فكيف كان يتسنى لرجل مثل « هملر » أن يجد من ينفذ أوامره القاتلة التي تقضي بإبادة هذه الشعوب ؟ .. أحيانًا كنت أفكر والرعب يملؤني وأقول لنفسي إن هتلر ليس سوى مرحلة من مراحل الاستبداد والطغيان الأولى ، وإن هذه المرحلة آخذة في التطور حتى تدمر نفسها .. لقد انتهت أوروبا .. لقد قال « هتلر » أمامي :

ــ « لا بد أن تنشب الحرب في عهدي » ! .

هل رأيت ؟ جنون رجل واحد يقضي على عدة ملايين من البشر ! .

ولكن .. ألست معي في أن الموت هو أكثر أشكال الحياة وداعة ؟ .

في الواقع هذا هو اعتقادي » .

ثم علّق على سؤال خاص بجريمتهم التي ارتكبوها فقال :

ــ « الطموح والرغبة في العلو والاستكبار هي ما ساقنا جميعًا لارتكاب هذه الجرائم .. كلنا وأنا أولهم .. ولكن لا تخبر الآخرين أنني قلت هذا الكلام .. سوف أقول هذا أمام المحكمة ولكن بطريقة مختلفة » .

زنزانة « ريبنتروب » :

عاد إلى الموضوع الذي يشغل باله دائمًا .. ذلك الدليل القاطع الذي ظهر ضده خلال الأسبوعين المنصرمين .

كان شديد القلق من شهادة الجنرال « لهاوزن » عن بياناته الوحشية التي يشجع فيها القضاء على الشعوب غير الآرية والتي يدعم بها سياسة « هتلر » .

وقال :

ـــ « لم أفعل مطلقًا ما قاله « لهاوزن » في شهادته ، وقد كان رأيي في السنوات الأولى أن معاداة الشعوب غير الآرية ضرب من الجنون ..

بالطبع قد قدمت لهتلر كل المساعدات والتأييد في الشئون السياسية ، ولكن بيانات مثل التي قال عنها « لهاوزن » غير صحيحة .. كلا بكل تأكيد ..

صحيح أنني واحد من أشد أتباعه إيمانًا به ، لا أنكر هذا .

ولكن هذا أمر من الصعب عليك أن تفهمه ..

كانت للفوهرر شخصية طاغية مرعبة شديدة التأثير . وهو أمر لا يمكنك فهمه إلا إذا جربته بنفسك .

سوف أخبرك بشيء ..

لقد مضت ستة شهور على وفاته حتى الآن ، ورغم ذلك لا أستطيع التخلص من سلطانه كلية ، ما زلت أشعر أنه حي .

هذا هو حال الجميع ، كان كل شخص واقعًا تحت تأثيره ..

حتى الصفوة المختارة التي جاءت لمناقشته والجدل معه وقعت تحت تأثيره وظهر تأثير نفوذه عليهم بعد دقائق من لقائهم به .

ماذا أقول لك ؟ .

« دالادييه » و « تشمبرلين » وقعا ببساطة على معاهدة ميونخ تحت تأثير سحره » .

ـــ هل هذا معقول ؟ .

ـــ « نعم .. نعم .. لقد جربت هذا بنفسي » .

١٠ ديسمبر

العدوان على روسيا

جلسة الصباح :

قدم السيد « ألدرمان » الدليل على أن العدوان على روسيا كان مبيتًا وقد خطط له « هتلر » في وقت مبكر في ١٨ ديسبر سنة ١٩٤٠ م ، وأطلق عليه اسمًا رمزيًا « العملية بربروسة » .

وكانت أوامر الفوهرر تقضي بأنه « على القوات المسلحة الألمانية أن تعد نفسها لتحطيم روسيا السوفيتية في عملية سريعة قبل أن تنتهي الحرب ضد انجلترا » .

ساعة الغداء :

وبينما هم يستعدون للذهاب إلى الغداء قال لي « روزنبرج » :

ــ « انتظر قليلاً .. في خلال عشرين عامًا ستجدون أنفسكم مضطرين لعمل نفس الشيء ضد روسيا .. لا يمكنكم تجاهل هذا الضرب من المشكلات » .

وبينما كان « فريتشه » يأخذ مكانه في الصف قال لذلك الحجة في المسائل الخاصة بالشعوب الشرقية :

ــ « أيكفي أن يكون شعرك مسترسلاً وناعمًا فتكون أعلى مكانًا من غيرك ؟ .

هذه طريقة صبيانية وفلسفة غير أصيلة ، ومن خلالها كنتم تلعبون بالشعوب لعبة الشطرنج » .

جاءني « روزنبرج » شاردًا وقد انتهى من طعامه يطلب المناقشة .

وبدأناها بصعوبة ، وكان « جورنج » متشوقًا لأن يدير المناقشة بعدوانية ، وصاح فينا عبر الحجرة :

ـــ « بالطبع كنا نريد أن نحطم المارد السوفييتي ، ثم صار لزامًا عليكم الآن أن تقوموا بهذه المهمة » .

واقتربت خطوات منه وقلت له :

ـــ ربما تكون هذه النقطة هي التي أوقعتك في الخطأ .

وبينما « فريتشه » والآخرون يدللون على أنهم لم يكونوا يفكرون بطريقة « جورنج » وقد لاذ بتعاليه الذي يثير السخرية قال :

ـــ « آه .. كما قلت لك .. سوف تجدون أنفسكم في مواجهة الروس يومًا من الأيام ، وسوف تسليني طريقتكم في مواجهة الموقف .. بطبيعة الحال لا يهمني أن أراقبكم من الجنة أو من ذلك المكان الآخر ، وهو في رأيي أكثر إثارة ومتعة » .

وضحك من أعماقه بلا معنى كعادته ، وشاركه في الضحك بعض من يشايعونه ولكن بطريقة أقل حرارة .

وأخيرًا قال « فريتشه » :

ـــ « كنت أقول دائمًا إن جُرْمَنَا في الحرب ضد الحلفاء يمثل حوالي خمسين في المائة ، لأن معاهدة « فرساي » كان فيها الكثير مما ينبغي تعديله ، ولكن جريمتنا في الحرب ضد الشرق كاملة ، وجرمنا فيها مائة في المائة ، وكانت مغامرة طائشة لم يكن هناك ما يبررها على الإطلاق » .

وبعد أن مثلوا ثانية في قفص المتهمين أحضر « كيلي » « كالتنبرونر » للمرة الأولى ، وانسابت برودة طاغية في القفص كما لوكانت ريح باردة متجمدة قد هبت عبر باب مفتوح .

جلسة بعد الظهر :

واصل السيد « ألدرمان » كلمته وبَيَّن كيف أن « رينتروب » قد نصح شركاءه في المحور بركوب عربة العصابة « بالأوامر الجديدة » التي تقضي بمهاجمة الحلفاء .

وتكلم عن « الطعن الإيطالي لفرنسا من الخلف » ، ثم كيف قامت اليابان بالهجوم على الولايات المتحدة . وكيف حاول « رينتروب » أن يجعل اليابانيين يوافقون على مهاجمة روسيا ، ولكنهم كانوا قد وعوا الدرس جيدًا .

١١ ديســمبر

عرض لفيلم نازي

الجلسة الصباحية :

كان عرض الفيلم النازي الذي يبين صعودهم إلى السلطة سببًا في انبعاث الانفعالات القديمة حيال مُثُلهم التي اندثرت وضاعت .

خطب هتلر . جوبلز . هيس . روزنبرج . صور نهوض الفيرماخت .

حل مشكلات البطالة . خطوة الأوزة في الجنة . زيج هايل .. إلخ .

حتى عينا « شاخت » قد بللتهما الدموع وهو يشاهد مناظر إعادة بناء ألمانيا بعد صعود هتلر إلى القوة والسلطة ، وأخيرًا قال لي :

ــ « هل ترى خطأ ما في حل مشكلة البطالة ؟ » .

وقال « فريتشه » :

ــ « على الأقل فإن هذه الأشياء تعطيني شعورًا بالارتياح ، فهي تؤكد أن هناك

أمورًا كانت تحتاج إلى تغيير في ألمانيا . نعم كانت هناك أشياء سيئة تحتاج إلى جهد كبير للتغيير . هذا حتى عام ١٩٣٨ » .

وكان « فرانك » قلقًا على نحو معذب ، يتحرك كثيرًا ويحاول أن يقول شيئًا من وقت لآخر ولكنه لا ينطق ، فسألته :

ــ هل تقصد ضحك الله من الأشرار ؟ .

فأجاب :

ــ « نعم .. نعم .. هذا هوهتلر الذي نصبه الألمان إلهًا » .

وأثناء عرض الفيلم كانت هناك لقطة للرايخستاج ، وأعضاؤه يضحكون عندما كان هتلر يقرأ رسالة روزفلت التي يطلب فيها السلام .

وفي القفص كان « جورنج » يضحك للمرة الثانية على نفس الموضوع .

ســاعة الغداء :

استغرق « ريبنتروب » تمامًا في صورة « هتلر » وصوته ، وصار يبكي كالأطفال ، وكما لو كان أبوه الذي مات قد بعث مرة أخرى إلى الحياة .

ولما استفسرت منه عن سبب ذلك قال :

ــ « هل تحس شخصيته الجارفة المرعبة ؟ هل ترى كيف كان يجعل الناس يشبون على أقدامهم ؟ لا أدري إن كنت تحس هذه الأشياء أم لا . نحن نحسها ونشعر بها وكنا نعيشها . ولكنها كانت مدمرة » .

وأبديت ملاحظة « لهيس » في أنه كان مؤمنًا بهتلر في تلك الأيام الخوالي ، وكذلك كان سائر الناس ، فأجاب مزمجرًا :

ــ « لا أستطيع أن أنكر ذلك » .

ـــ « لقد تغيرت الأمور الآن . أليس كذلك ؟ » .

ـــ « أوه .. هذه فترة عارضة .. انتظر عشرين عامًا فقط وسوف ترى » .

[وكان « جورنج » قد أخبر « هيس » قبل ذلك أنه على يقين من أن الشعب الألماني سوف ينهض مرة ثانية . ولا تستطيع قوة أن تقضي عليه] .

وأظهر « جورنج » بعضًا من الثقة القديمة المتكبرة . وقال إن الفيلم كان له تأثير نفسي حسن إلى درجة كبيرة ، وإنه على يقين من أن القاضي جاكسون كان يود لو يلحق بالحفل .

وقلت له إن تلقي الرايخستاج لرسالة روزفلت التي يطلب فيها السلام كان مليئًا بالاحتقار والازدراء ، وإن ضحك الأعضاء كان مكلفًا وغالي الثمن ، وقد نتج عنه تدمير ألمانيا .

وقال « جورنج » :

ـــ « ولكن الأمر وقتها كان مثيرًا للضحك » .

ـــ لماذا ؟ .

وقال « جورنج » :

ـــ « أية فائدة تجدها في احتلال فلسطين ؟[10] لقد وجدت نفسي أضحك أنا الآخر .

ثم استخدم طريقته العدوانية المعهودة في المناقشة مبينًا أن العدوان يقع من القوى المنتصرة دائمًا فقال :

ـــ « عندما التهمت الولايات المتحدة تكساس ونصف ولاية مكسيكو ماذا حدث ؟ ونحن لم نحصل على شيء ! هل صار اتساع رقعة الأراضي جريمة فجأة ؟ سوف يظل هذا الأمر جائزًا عبر القرون . نعم سيظل هكذا ، لقد تغيرت الأسلحة ، ولكن الطبيعة البشرية لم تتغير . فإذا عدنا إلى العصر الحجري فإننا نجدهم يشدخون

رءوس بعضهم البعض بالهراوات ثم يأكل من بقي منهم على قيد الحياة الذين ماتوا .

هذه هي المشكلة في بساطة ، لا توجد ذخائر ، لا توجد تعيينات للجند ، لا يوجد شيء على الإطلاق » .

وضحك من أعماقه كعادته ، ثم أضاف :

ــ « ليتني أحصل على وجبة طعام لاثنين ، ما قولك ؟ » .

جلسة بعد الظهر :

استمر عرض الفيلم النازي ، وظهرت صور لبداية الحرب والانتصارات الأولى .

[وكان الجنرالات والأدميرالات يحدقون مشدوهين عندما يرون أنفسهم في هالة المجد القديم . وعندما عرض منظر قاعة المحكمة أثناء محاكمة متآمري ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ في محاولة الاغتيال صار « جورنج » و « رينتروب » يهمسان « لهيس » حتى يركز انتباهه .. « هؤلاء الذين وضعوا الخطط لاغتيال الفوهرر »] .

السجن في المساء

زنزانة جورنج :

كان « جورنج » في أحسن هندام عندما زرته أنا وكيلي في المساء . وقال :

ــ « لقد كنت أظن أن الاتهام مليء بالمتاعب . لم يكن هناك من داع لعرض الأفلام وقراءة الوثائق حتى يبرهنوا على أننا نعيد تسليحنا من أجل الحرب . لقد أعدنا

تسليح أنفسنا بكل تأكيد . لماذا ؟ سؤال عجيب . لقد أعدت تسليح ألمانيا حتى أصبح عندنا فائض عظيم من السلاح ! وإن أسفي لشديد لأننا لم نستطع إعداد أسلحة أكثر مما أعددناه بالفعل . وإني أعتبر ــ وهذا بيني وبينك فقط ــ أن كل المعاهدات شيء لا قيمة له على الإطلاق . من الطبيعي أن أطلب العظمة لألمانيا ، فإن كانت هذه العظمة تتحقق بالطرق السلمية فلا بأس مطلقًا . وإذا صعب تحقيقها بهذه الطريقة وتحققت بطرق أخرى فهذا أيضًا لا بأس به . لماذا ؟ .. إن خططي التي أعددتها ضد بريطانيا أكبر مما كانوا يتوقعون حتى الآن . انتظر حتى أقف للاستجواب وسأخبرهم بكل شيء . كم أتشوق لرؤية وجوههم . لم أكن أريد الحرب ضد روسيا في عام ١٩٣٩ م ولكنني كنت قلقًا بالتأكيد . كنت أخشى أن يهاجمونا قبل أن نهاجمهم ، وكان ذلك سيحدث في عام ١٩٤٣ م أو عام ١٩٤٤ م على أي حال » .

وكان يتكلم بحرية وبلا حساب ، وكان استمتاعه بالحديث لا حدود له ، وأضاف :

ــ « وعندما أخبروني أنني ألعب بالنار وأن الحرب وشيكة ، وذلك بعد أن استكملت بناء سلاح الطيران الألماني ، لم أقل سوى أن ذلك ــ يقصد بناء سلاح الطيران ــ ليس للدعاية » .

١٤ ديسمبر

عمليات الإبادة في بولندا

سرعان ما انخفضت الروح المعنوية التي ارتفعت عقب عرض الفيلم النازي عندما ظهرت البراهين القاطعة على عمليات القتل الجماعي في جلسات الأمس واليوم .

وقبل أن تبدأ جلسة هذا الصباح كان « بالدور فون شيراخ » يصارع من أجل التشبث ببقايا التماسك والخيلاء « الجورنجية » والتشكيك في أهمية المحاكمة وقال :

ـــ « إني أشك كثيرًا أن امرأة ألمانية تستخدم عن قصد وعمد غطاء لأباجورة من الجلد الإنساني » .

ورددت عليه :

ـــ إن المرأة الألمانية ترضى بذلك لو علمت أن الذي صنع لها غطاء الأباجورة رجل ألماني .. ما الفرق ؟ .

وصار « شيراخ » يقلب نظراته اليائسة هنا وهناك .

والتقت عيناي « بكايتل » فإذا به يهمس :

ـــ « مرعب .. مرعب » .

ودارت عيناه بعيدًا عني وهو يقلب يديه متبرئًا من هذه الأشياء المخيفة .

الجلسة الصباحية :

قرأ الميجور « والسن » بعض المقتطفات من شهادات الشهود ، وبعضًا من الوثائق التي أكدت الخطة النازية التي قضت بقتل البولنديين جوعًا وكيف نفذت . فمن يوميات « فرانك » :

« لا بد أن يسجل على الهامش أننا قد نجحنا في القضاء على مليون ومائتي ألف بالموت جوعًا ، وليس بالحتم أن يجوع الباقون حتى الموت ، وهذا ما نأمله إذا اهتممنا بسرعة الإجراءات » .

ومن تقارير أحد جنرالات قوات العاصفة بخصوص إبادة جيتو « وارسو » :

« ... ولهذا قررت أن أدمر الأماكن التي خصصت لسكنى اليهود ، وذلك بإشعال النيران في بلوكات المنازل ، وكان نادرًا ما يظل أحد من السكان في منازلهم

المشتعلة بسبب الحرارة الشديدة والخوف من الحرق وهم أحياء ، فكانوا يفضلون القفز من الأدوار العليا ويزحفون بعظامهم التي هشمها السقوط عبر شوارع قد اكتظت بأمواج البشر الهاربين ناحية البيوت التي لم تشتعل بعد ، أو تلك التي وصلتها النيران بدرجة أقل ..

وظل بعض الذين نجوا يعيشون سعداء بحياتهم تحت الأرض في شبكة المجاري لمدة أسبوع تقريبًا حتى قمنا بنسف هذه المجاري وتدمير الخنادق ، ولم نستطع رغم المجهودات الكبيرة والعمل المتصل حصر كل الذين قضي عليهم ، وكل من استطعنا التثبت من القضاء عليه عدد لا يتجاوز ٥٦٠٦٥ حسب البيانات التي توافرت لدينا ، بالإضافة إلى أولئك الذين ماتوا نتيجة الحرائق وانهيارات المنازل وصعب حصرهم على وجه اليقين » .

وأثناء الاستراحة صاح « يودل » بشدة وفي صوت عال :

ــ « قوات الحرس النازي ــ تلك الخنازير القذرة ! لكم أن تتخيلوا كم هم أوغاد ، فحين يكتبون خمسًا وسبعين صفحة متضمنة تقريرًا وقحًا متبجحًا عن حملة قتل صغيرة حقيرة ، ترى تقريرهم لا يأخذ سوى صفحات قليلة عندما يقاتل الجنود أمام أعداء قد سلحوا تسليحًا جيدًا ! » .

وتكلمت مع « فرانك » حول هذه التقارير التي تنبعث منها برودة الموت ، والتي يتكلم فيها عن تركه لملايين يموتون جوعًا محرومين من أبسط الوجبات .

وقال إنه قضى حياته يكتب هذه التقارير عن التعصب النازي الأعمى ، ولكنه قام بتسليم كل اليوميات التي كتبها إلى السلطات الأمريكية العسكرية عند اعتقاله .

وعلى هذا فهو يؤكد أن القصة الكاملة القبيحة سوف تبدو جلية واضحة للعيان .

وقال :

ــ « دع الفأس تسقط حيث ينبغي أن تسقط » .

واستمر الميجور « والسن » يقرأ الوثائق التي تشرح عمليات الإبادة في « تريبلنكا » و « أوشفيتز » وفي وثيقة بولندية :

« كان على جميع الضحايا أن يخلعوا ملابسهم وأحذيتهم .

وكانت تجمع بعد ذلك .

وأينما وجدت الضحايا كانوا يقدمون النساء والصبيان والصبية .

أما الأطفال الصغار ــ فكانوا يقذفونهم ببساطة إلى داخل هذه الغرف » .

كان كل هذا يتم في الوقت الذي كان « فرانك » حاكم بولندا العام حريصًا على كتابة يومياته .

وكتب في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤١ :

« يمثل هؤلاء الأعداء المناوئون مشكلة غير عادية بالنسبة لنا في الوقت الحاضر ، فهم يستهلكون الطعام والمواد الغذائية بطريقة تضر باقتصاد الجمهورية ، ولكنهم لا يتجاوزون مليونين ونصفًا في كل الأنحاء » .

وكتب في يناير سنة ١٩٤٤ :

ــ « ربما لا يزال عندنا في كل أنحاء الجمهورية حاليًا عدد لا يتجاوز المائة ألف » .

ســاعة الغداء :

كانت هناك مائدتان ، واحدة يجلس عليها « جورنج » ومعه البعض ، والأخرى يجلس عليها « فرانك » ومعه آخرون .

وكان « هتلر » هو موضوع الحديث عبر المائدتين .

وردَّد كل من « هيس » و « ريبنتروب » سؤالاً واحدًا :

ــ « هل كان هتلر على علم بهذه الجرائم التي ارتكبت ؟ » .

وأجاب « فرانك » في احتقار :

ــ « نعم لقد كانت هذه هي أوامره الصريحة المباشرة » .

وتوجه « كايتل » بملاحظة ناحية مائدة « جورنج » في شكل سؤال :

ــ « هل يتحمل الفوهرر مسئولية الأوامر التي يصدرها إلى أتباعه ومرءوسيه ؟ » .

وقال « جورنج » في محاولة يائسة لرأب الصدع الذي حدث بينهم :

ــ «ينبغي يا عزيزي « كايتل » أن تتذكر وضعه ومن يكون » .

وكنت واقفًا بين المائدتين فقلت « لجورنج » :

ــ بالتأكيد هو مجرم الحرب الرئيسي .

وقال « جورنج » :

ــ « ليكن من يكون .. ولكنه كان سيدنا ولا يمكنني تخيل مثوله أمام محكمة أجنبية . أنت لا تعرف الفوهرر » .

ــ كيف ؟ .

ــ « إنه يستطيع أن يقف ويتحدث علنًا بكل قوة :
أنا الذي أعطيت الأوامر بفعل كل شيء وأتحمل المسئولية كاملة » .

وقلت له :

ــ أحقًا ؟ .

فقال « جورنج » :

ــ « إني على استعداد أن أموت أكثر من عشر مرات ولا أرى سيد ألمانيا موضع

إذلال وتحقير » .

ولم يستسغ أحد من الجالسين كلامه ، ولم يبد عليهم التأثر لهذا المنظر الدرامي .

وزأر « فرانك » عبر موائد الطعام :

ــ « هناك أسياد كثيرون وقفوا أمام المحاكم متحملين للمسئولية وممثلين للقانون » وهكذا تحدى « جورنج » للمرة الأولى منذ بدء المحاكمة .

وزاد انفعال « فرانك » واحمر وجهه من شدة الغضب وهو يردف قائلاً :

ــ « لقد ساقنا كالنعاج إلى هذا الموقف الصعب ، وسوف نعرف جميعًا كل الحقائق عبر هذه المأساة » .

وفجأة تسلل كل من « كايتل » و « دونيتز » و « فونك » و « شيراخ » تاركين مائدة « جورنج » لأول مرة على غير عادتهم المألوفة أثناء طعامهم معه ، فقد كان هو الذي يبدأ بالقيام أولاً حسب ما لاحظت في الأيام التي مضت .

ووجد « جورنج » نفسه وحيدًا فجأة على المائدة ، وشعرت بحرجه الشديد الذي لا يدري كيف يخفيه ، وقام في تثاقل مصطنع تاركًا مكانه متجهًا ناحيتي وكأنه يواصل الحديث معي :

ــ « هل تعلم ؟ ليس لي مأرب أريده في أن أبالغ في حبي للفوهرر ، فأنت تعرف كيف عاملني في النهاية » .

وبدا عليه التردد والارتباك وقال :

ــ « في الواقع لا أدري ماذا أقول دفاعًا عن « هتلر » ، ولكني أظن أنه ربما ترك « هملر » يتصرف في بعض الأمور في السنة الأخيرة أو السنة والنصف على نحو ما يريد ، لا أذكر بالضبط على وجه التحديد » .

وقلت له :

ــ ولكن لا بد أنهم كانوا على فهم كامل مما يريده « هتلر » منهم ، وإلا كان من المستحيل أن تحدث هذه الجرائم على هذا النطاق الواسع .

وهزَّ رأسه يائسًا وغمغم بكلمات لم أفهمها وانصرف متثاقلاً .

جلسة بعد الظهر :

قرأ الكابتن « هاريس » مزيدًا من المقتطفات التي أخذت من يوميات « فرانك » : « سوف تعامل بولندا كمستعمرة ، وسوف يكون أهلها عبيدًا في أعظم إمبراطوريات العالم ، الإمبراطورية الألمانية المقدسة » .

« ينبغي أن نبيد الأعداء في كل مكان وبكل طريقة » .

« كل شيء مباح من أجل عظمة الدولة وقوتها ، ولا يوجد ما يسمى بالجريمة من أجل تحقيق هذه الغاية ، وهكذا تعلمنا من الفوهرر » .

١٥ ــ ١٦ ديسمبر

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

قمت بجولة على جميع الزنازين حتى أتبين ردود الأفعال عند المتهمين حيال تراكم الأدلة على جرائم النظام ، وآراءهم حول « هتلر » ، وحول الحزب النازي ، على ضوء البيانات والنتائج التي ظهرت حديثًا .

زنزانة روزنبرج :

كان « روزنبرج » يبدو مدهوشًا كعادته عندما سألته أنا و « كيلي » عما يمكن

أن يقوله أو يعلق به ، ولكنه قال :

ــ « هذا مرعب بالطبع ..

هذا ما يدركه أي عاقل ..

كل هذه الأعمال قد حدثت ؟ .

لا أتصور أن تتحول الأهداف العظيمة إلى هذا النحو الفظيع .

لست أدري ..

هذا مخيف بالفعل ولا يصدق ! .

على مثل هذا النطاق الكبير ؟ .

بالتأكيد هذه هي أوامر « هتلر » ليس في ذلك شك .

أو أن « هملر » فعل ذلك بتوجيهات من « هتلر » .

وسألناه :

ــ ما رأيك في « هتلر » الآن ؟ وما شعورك تجاه النتائج التي ساقت إليها برامج الحزب ؟ .

وظل « روزنبرج » صامتًا لبضع دقائق .

وكان يفرك يديه في عصبية وينظر إلى الأرض ويهز كتفيه في استهجان ثم قال أخيرًا :

ــ « لست أدري .. أظن أن الأمور قد أفلتت من يده . نحن لم نفكر في قتل أي إنسان في البداية .. أنا أؤكد ذلك .. لقد كنت على صلة وثيقة بكل ما يحدث ، وكنت أتدخل دائمًا من أجل إحلال السلام » .

زنزانة شترايخر :

كان لا يزال على تعصبه لا يُبدي أي تردد كشأنه دائمًا .

لا يبدو عليه أي تأثر من تراكم الأدلة والبراهين التي تركت أثرًا مخزيًا ومخجلاً .

أو على الأقل ارتباكًا وحيرة وموقفًا دفاعيًا بالنسبة للآخرين .

وسألناه لو عاد به الزمن وعرف ما جرى من أحداث هل كان سيغير رأيه وموقفه ؟ .

وأجابنا في بساطة وبرود :

ـــ « حسن .. لعلكم تعلمون أنني أقول ما أعتقده بالفعل .

وفوق هذا لا ننسى أن التلمود قد أمر اليهود بالمحافظة على نقاء جنسهم .

وهذا ما حاولنا فعله بالنسبة لأنفسنا .

ويجب ألا ننسى قول « تيودور هرتزل » الزعيم الصهيوني الشهير ، بأنه حيث يوجد اليهود يوجد عداء السامية » .

وابتسم واثقًا وأضاف :

ـــ « لا شك أن اليهود سوف يخطئون أشد الخطأ لو صنعوا مني شهيدًا .

سوف نرى على أي حال .

أنا لم أخلق هذه المشكلة ، هي موجودة بالفعل منذ مئات السنين .

لقد رأيت بنفسي كيف كان اليهود يزجون بأنفسهم في كل المجالات بألمانيا .

وأنا أقول بوضوح شديد إنه كان علينا أن نخرجهم منها بأي ثمن .

إذا قرأتم « التلمود » فسوف تفهمون هذه الأشياء جيدًا » .

هكذا كان يتحدث !

فكرة متسلطة على عقله تسلطًا قهريًا لا يمكنه الفكاك منها .

أو هذا هو تركيب نفسيته العضوي .

ليس في إحساسه أي أثر للعدوانية أو الشعور بالخزي .

لا يوجد في داخله سوى البرود وعدم المبالاة وفقدان العواطف والشعور ، ثم القيم التسلطية التي صنعها أو صنعت له .

زنزانة سبير :

كان « سبير » يبدو هادئًا ومتزنًا كعادته . وعندما سألناه عن رأيه في هتلر الآن وبعد أن ظهرت كل هذه المعلومات الجديدة أجاب قائلاً :

ــ « هي نفس أفكاري عنه في الشهور الأخيرة من الحرب ، ربما اتضحت الأمور في خاطري أكثر حول أنانيته وقوته المدمرة التي لا تضع اعتبارًا للشعب الألماني ، وكما قلت لك من قبل ، لقد فهمته تمامًا عندما أمرني بتخريب كل المنشآت في أيام الحرب الأخيرة ، وهذه المنشآت هي ما تبقى من مقتنيات للشعب الألماني ، وقد أعلنها لي في وضوح أنه شعب لا يستحق الحياة لأنه لم يكسب الحرب .

ولكن هناك أشياء أدهشتني عندما عرفتها في جلسات المحكمة .

أولها : كلمته التي قالها في ١٩٣٧ م ونصها : « يجب أن تنشب الحرب في عهدي » .

وثانيها : الدليل الذي ساقه الجنرال « لهاوزن » من أن الفظائع البولندية قد ارتكبتها قوات الحرس النازي بالفعل .

وثالثها : ذلك النظام السري الذي شكَّله « هملر » من القتلة المحترفين » .

وبعد ذلك ناقشنا قضية تسليح ألمانيا وكيف تمت ، وبيَّن لنا كيف زاد إنتاج الأسلحة زيادة هائلة بعد أن اضطلع هو بالعمل .

وقد ذكر لنا أنه قد نصح القائمين من القوات الأمريكية على استراتيجية

القصف ، بأن يقوموا بقصف عنق الزجاجة الياباني في كل مكان ، وذلك بعد أن تحققت هزيمة ألمانيا » .

وأضاف :

« إن استراتيجية قصف ألمانيا أثناء الحرب قد أربكت وزارته ، وخاصة في ذلك اليوم المشهور بيوم القصف الأمريكي المركز » .

وعندما عرجنا على موضوع القنبلة الذرية قال :

« إنه كان يعلم أن الأمريكان يعملون على إنتاجها ، وأنهم قد حصلوا على بعض الخبرات والمعلومات الخاصة عن الطبيعة النووية ، وأن لديهم المواد الأساسية اللازمة بالتأكيد » .

ولكنه لم تكن لديه فكرة محددة عن مدى تقدمنا ــ الأمريكان ــ في هذا المجال .

وكان الألمان يعملون بجدية على إنتاج القنبلة الذرية .

وعلى حد تعبيره :

ــ « ولكن كان بيننا وبين تحقيق هذا الهدف عدة سنوات » .

وقلت له إن « جورنج » قد أخبرني أنهم كانوا يحتاجون إلى عدة شهور فقط لتحقيق هذا .

وقال « سبير » :

ــ « إن « جورنج » لا يعلم شيئًا عن العلوم ، وهو لا يجيد غير الكلام الكثير ، وأذكر أنني ما كدت أتحدث معه عن التجارب الأولية التي نقوم بها عن طائرات نفاثة كنا نزمع إنتاجها حتى طار إلى « هتلر » وأخبره أنه سيكون جاهزًا عنده خمسمائة طائرة نفاثة خلال ثلاثة أشهر ، هكذا كانت تسير الأمور ، هذيان مطلق » .

وأكد لي أن الجعجعة الكاذبة المليئة بالأماني الزائفة هي التي ملأت « هتلر » بالأمل في حدوث معجزة تجعله يكسب الحرب .

زنزانة « فونك » :

كان « فونك » مكتئبًا عبوسًا كالعادة وقال :

ــ « إنه أمر بالغ القسوة ولا يمكن تحمله ، لقد خيم العار على ألمانيا إلى الأبد .

صدقني هذا ما سوف تنجم عنه هذه المحاكمة » .

وكان منتفخ الوجه من كثرة البكاء .

ثم مضى قائلاً :

ــ « ولكن هل تظن أن لي أي دخل مهما كان هذا الدخل ضئيلاً بعربات الغاز التي كانوا يقتلون بها الناس وسائر الأشياء الأخرى المرعبة ؟ .

ولقد سمعت بهذه الأشياء للمرة الأولى في « مندروف » وأقسم على ذلك .

لقد بذلت كل ما في طاقتي لمنع أعمال كثيرة غير قانونية .

لقد منعت تسليم الذهب البلجيكي الموجود بالخزائن الفرنسية لألمانيا ، فملكيته لم تكن واضحة المعالم .

وقد عملت على منع تدهور « الفرنك » أثناء فترة الاحتلال .

واستطعت بجهودي وحدها أن أحتفظ لفرنسا بأموالها رغم أنواع المصادرات الكثيرة للمقتنيات الثمينة التي تمت » .

زنزانة شـاخت :

لا يزال على ثقته بنفسه وقال :

ــ « أظن أن الآخرين قد بدأوا يشعرون بما خبيء لهم . ليس عندي ما يقلقني ، كل ما آمله أن يستمر نظر المحاكمة وأن نصل إلى نهايتها » .

زنزانة ســاوكل :

كان يرتعد فرقًا كما لوكنت قد جئت لأعذبه .

وانبرى يدافع عن نفسه سريعًا بصوت مضطرب ويدين ترتعشان :

ــ « أريد أن أقول لك شيئًا .

أنا لا أعلم شيئًا عن هذه الأمور على الإطلاق .

أؤكد لك ــ صدقني ــ لم يكن في وسعي فعل شيء .

لقد كنت ضد هذا كله .

لقد حاولت جهدي أن أهيئ أحسن الظروف والأحوال بالنسبة للعمال الأجانب » .

وعندما انتهى سألته :

ــ ما هو رأيك في « هتلر » الآن ؟ .

وقال « ســاوكل » :

ــ « حسن .. من الصعب عليَّ أن أشرح ..

نحن مختلفون في آرائنا بالتأكيد .

ولكن سواء كان « هتلر » يعلم بهذه الأشياء أو لا يعلم فأنا لا دخل لي بها على الإطلاق . ولكني على يقين من أن « هملر » هو صاحب هذه الجرائم ، وعلى يقين أيضًا من أنهم لم يعاملوا أهل البلاد المحتلة بأي قدر من العدل .

في الحقيقة لا أستطيع التخيل كيف حدث كل هذا ! .

أما عن سوء معاملة العمال الأجانب فلست مسئولاً حقيقة عن ذلك .

لقد كان مثلي كمثل صاحب وكالة تقوم على إمداد السفن بالعمال . فإذا أرسلت عمالاً لسفينة ما للعمل عليها فلست مسئولاً عن مشاجرة تحدث على سطحها في أثناء الرحلة ، وإن حدثت فإني لا أعلم بها .

حاول أن تفهم الموقف يا سيدي ، لقد كنت مجرد مورد للعمال للمؤسسات المختلفة مثل مؤسسة كروب مثلاً ، وكان ذلك يتم تبعًا لتعليمات « هتلر » فإن أساءت هذه المؤسسات معاملة هؤلاء العمال فما هو جرمي في ذلك ؟ ولا ينبغي أن ألام أو أحاسب على أخطاء غيري .

ألم تقرأ ما كتبته تعليقًا على ما حدث ؟ .

هذه أشياء مرعبة جدًا .

أنا أسمح لك بقراءة كل ما كتبت بالطبع » .

زنزانة « فون نيوراث » :

« بطبيعة الحال كان « هتلر » كاذبًا بالفطرة ، واتضحت هذه الحقيقة مع الأيام ، ولم يكن يلقي بالاً للحقائق الواضحة .

لم يتبين أحد هذا في مبدأ الأمر .

لقد كان ..

لست أدري كيف أعبر تعبيرًا دقيقًا ؟ .

هو متعصب غوغائي همجي ..

نعم .. لقد استخف بشعبه فأطاعه من معه .

كان يتآمر مع مجموعة صغيرة من أتباعه بليل ، وأنا رجل لا أقوى على السهر ، أما هو فقد كان يستيقظ من نومه في الواحدة أو الثانية أو الثالثة بعد أن ينتصف النهار .

لا شك أن هناك اتفاقات سرية قد تمت بينه وبين « هملر » و « بورمان » وأخذت مكانها من التنفيذ » .

زنزانة « كايتل » :

وبيَّن « كايتل » أنه في حالة نفسية بالغة السوء وقال :

ــ « إني أموت من الخزي .. هذا عار .. هذا فظيع .. كنت على يقين من أن اسمي سوف يكتب في لوحة الشرف الخاصة بالقوات المسلحة الألمانية . ولكن الأمور قد اختلفت الآن ، لقد خيم العار على القوات المسلحة أيضًا فقد كان ارتباطها عظيمًا بتنظيمات الحزب .

تلك الجرائم الرهيبة التي حدثت في « وارسو » .

تخيل يا سيدي ماذا يقول تقرير قوات الحرس النازي ! .

(إن مهندسي القوات المسلحة قد قدموا كل ما في وسعهم من مساعدات في جو من الزمالة الحقيقية لتنفيذ .. إلخ .. إلخ) .

لماذا ؟ .

إني أقسم لك أن آمر الجيش الذي أرسل هؤلاء المهندسين لم تكن لديه أدنى فكرة عن المهمة القذرة التي كان عليهم إنجازها .

كنت أتمنى لو بقيت في الميدان معظم الوقت . ولكن لحظي التعس قد قضيت

أكثر مما ينبغي في مقر قيادة « هتلر » .

عندما كان يطلب مني شيئًا كنت أخرج من عنده وأستشير الجنرالات في كل صغيرة وكبيرة ..

ماذا أقول ؟ .

كان عليَّ أن أراقب العمل على المستويات الأدنى ..

ولكن .. ماذا ينفع هذا الآن ؟ .

لقد فات وقت الندم بالفعل » .

وكنت أستمع إليه دون تعليق ، وعندما هممت بمغادرته وقف في وضع الانتباه كعادته ، وتكلم بلهجة شبيهة بعواء الكلب :

ــ « أرجو أن تعود للتحدث إليَّ بين الحين والآخر .

لم تتم إدانتي بعد .

أرجو ألا تعاملني بازدراء .

فلتمر عليَّ من وقت لآخر أرجوك .

هذا يرفع من روحي المعنوية حتى أستطيع مواجهة هذه المحنة .

كل ما أطلبه مجرد القدرة على الحديث مع شخص ما » .

زنزانة « جورنج » :

مكثت ساعتين ونصفًا أتحدث مع « جورنج » في شتى الموضوعات المختلفة ، ابتداء من المسائل الشخصية حتى وصل بنا الحديث إلى حمامات « روهم » الدموية[١١] في عام ١٩٣٤ م .

كانت حاجة « جورنج » ملحة ورغبته عارمة في توضيح موقفه والدفاع عن نفسه وخصوصًا في هذه الأيام الأخيرة من نهاية الأسبوع .

يريد أن يدعم وجهة نظره بأية طريقة ويثبت مجهوداته التي يزعم أنه قد بذلها لمنع الحرب مع انجلترا حتى آخر دقيقة .

ــ « انظر .. إن « رينتروب » سوف ينفجر غيظًا عندما يرى كيف كنت أتخطى الطرق الدبلوماسية المعهودة وأفعل ما أشاء » .

وأراني نسخة من كتاب ألفه « داهليروس » وسيطه السويدي ، يصف فيه تفصيلاً المجهودات السرية التي بذلت من أجل التفاوض بينه وبين البريطانيين ، وكان يقول إنه سوف يحضر هذا الكتاب إلى المحكمة .

وتوسع في الحديث عن السياسة الألمانية ونظيرتها البريطانية ، وبيَّن أن ألمانيا لم تكن تستهدف تقوية اليابان على حساب بريطانيا ، وقال :

ــ « في الحقيقة لم نشعر بالارتياح عندما سقطت « سنغافورة » في يد اليابانيين . فقد كنا على يقين أن يومًا ما سوف يأتي لا بد أن تلتقي فيه القوى الأوروبية ضد القوى الآسيوية . على أي حال لم يكن بيننا وبين اليابان عداء ، وكانت الحرب تحتم علينا أن نبحث عن حلفاء أينما وجدوا . ولا يأتي النصر في الحروب إلا ببذل كل جهد ممكن » .

وبعد فترة من الوقت عدنا للحديث عما جرى في المحكمة في الأسبوع المنصرم فقال :

ــ « نعم .. نعم .. أنا أعلم .. الأمور تسوء وتسوء .. وستظل هكذا حتى نقف ونحكي القصة من وجهة نظرنا » .

ويبدو أن قلقه الناجم عن مشاهدته لأفلام الجرائم النازية التي عرضت قد أفقده حرصه المعهود على المظهر العسكري ، فبدا غير متزن ، وربما إحساسه بوضعه

الرئيسي بين بقية المتهمين في المحاكمة قد زاد من ذلك .

وكنت أحاول أن أعرف مدى شعوره بالذنب من دوره فيما حدث عقب مؤامرة الاغتيال التي اكتشفت ، وقدمت له سؤالاً عما يحس به الآن تجاه « هتلر » :

ـــ بعد كل هذا قد رأينا الدلائل والبراهين على إبادة الشعوب وعمليات القتل بالجملة ، وهذا كله يقع فوق رأس ألمانيا ، وهذا من فعل الفوهرر بالتأكيد .

ولست أدري ماذا يدفعك لتأييد « هتلر » حتى هذه اللحظة ؟ ولا أظن أن الناس سوف يقبلون منك هذا بسهولة .

وقال « جورنج » :

ـــ « لا أظنك تفهم الناس كما أفهمهم أنا . لو تخليت عن « هتلر » في هذه الظروف فسوف يزدريني الناس إلى الأبد . ومن يدري كيف تسير الأمور بعد خمسين أو قل مائة سنة » .

وقلت له :

ـــ سيظل الناس يذكرونه فظًا قاسيًا ممتلئًا بالكراهية والحقد كأبشع مخلوق ظهر في القرن العشرين .

وقال « جورنج » :

ـــ « ربما يكون الأمر كما تقول .. ولكن من الوجهة الأخرى لا أتخيله وقد فعل هذه الأشياء . صحيح إنه قد عاملني بفظاظة في العامين الأخيرين كما أخبرتك من قبل بذلك . ولكن .. » .

وسكت ولم يكمل .

وقلت له :

ـــ ولكن من الواضح أنه كان قادرًا في بطشه صارمًا في قسوته ، لا يعرف الرحمة .

هل نسيت حمامات « روهم » الدموية عام ١٩٣٤ م ؟ .

وعندما ذكرت اسم « روهم » انتفض « جورنج » غاضبًا منفعلاً :

ـــ « روهم » ! لا تكلمني عن هذا الخنزير القذر المصاب بالشذوذ الجنسي ، كانوا عصبة من الفاسدين المفسدين الذين جعلوا الانقلابات حرفة لهم ، أرادوا أن يملئوا صفوف الحزب بالدهماء والسوقة ، ثم عربدوا في البلاد ، وضربوا المواطنين في الشوارع والطرقات وحطموا النوافذ والبيوت ، وفعلوا للوهلة الأولى ما أحدثته الحرب رغمًا عنا بعد ذلك بسنين . كانوا يمثلون ثورة حمقاء جاهلة ، أرادوا فيها القضاء على قادة الجيش وقادة الحزب وبالتالي كل شيء ، في دفعة واحدة وعبر حمام هائل من الدم .

كم كانت عصابة « روهم » شريرة وفاسدة ! .

لقد كان أعظم ما أنجزته هو القضاء على هذه العصابة . ولو لم أفعل لقضوا علينا » .

وهنا وأثناء انفعاله ظهر الجانب الذي يحاول إخفاءه من شخصيته .

قاطع الطريق القاتل الذي لا يعرف سبيل الرحمة .

وسقط قناع البشاشة والهدوء الذي اجتهد في إبقائه معظم الوقت .

بينما كان يوسع الخطا جيئة وذهابًا في زنزانته مرتديًا سروالاً يستخدمونه في امتطاء الخيل قد علاه قميص وفي قدميه خفان ، ويرسل بيديه إشارات شرسة عصبية ، والشرر يتطاير من عينيه وهو يتحدث :

ـــ « لم أثر أية ضجة ، كل ما فعلته أنني ذهبت إلى قائد العاصفة وسألته : هل لديك أية أسلحة ؟ .

فأجابني الخنزير :

ــ ولماذا لا يوجد يا سيدي ؟ ليست سوى الغدارة التي صرَّحت لي بحملها . وبعدها وجدت في القبو ترسانة من السلاح أكثر مما هو موجود لدى قوات البوليس البروسي كلها ! .

وعندها أمرت رجالي أن يأخذوا هذا النذل الكاذب ويطلقوا عليه الرصاص في الخارج .

وقد فعلوا .

وتمت تصفيتهم جميعًا في تلك الليلة ! .

هذه هي العصابة التي يؤلمك القضاء عليها .

هل تظن أن « هندنبرج » الطيب العجوز كان يرسل إليَّ رسالة تهنئة لولا أنه علم بجلاء أنني قد حلت دون وقوع مصائب وعظائم ؟ » .

وقلت له :

ــ إنه من المضحك حقًا أن نجد « هتلر » يؤسس منظمته على أكتاف هؤلاء القتلة الغوغائيين ، بينما يدعي في الوقت نفسه أنه يريد تحقيق القانون والنظام .

وقال « جورنج » :

ــ « لقد أردنا التخلص منهم أيامها لنستطيع بناء الحزب والدولة » .

وفي هذه اللحظة جاءه الحارس وطلب « قروانته » ليضع له فيها طعام العشاء .

وهممت لحظتها بمغادرته لأتركه يتناول طعامه بحريته وقلت :

ــ حسن .. أظن أن لدينا الوقت الكافي للتحدث عن كل شيء قبل صدور الحكم . ووجدته فجأة قد تغير .

عاوده كبرياؤه وتعاليه ونفخته الكاذبة ، وصار يزمجر :

ــ « تقصد حكم الموت ؟ هذا لا يجعل شعرة واحدة تهتز مني . حاول أن تفهم يا سيدي ، سمعتي في التاريخ هي ما تعنيني .

وبدت عليه علامات عجيبة ، فقد صار يضحك ، وفي الوقت نفسه يحاول كتم ضحكاته وهو يقول كلمات وجملاً ، تربط بينها في صعوبة شديدة :

ــ « هذا ما يسعدني » .

لقد أساء « دونيتز » كثيرًا إلى نفسه بتوقيعه صك الاستسلام .

لا أريد لاسمي أن يرتبط مستقبلاً بهذا الشيء في التاريخ .

لا شك أن خطة السنوات الأربع كانت عملاً عبقريًا مجنونًا .

الشعب لا ينظر باحترام إلى قادته الذين رضوا بالهزيمة .

وبالنسبة للموت ..

ماذا عن الموت ؟ .

فليذهب الجميع إلى الجحيم هذا أمر تافه .

وأنا أخبرك بشيء ..

منذ أن كنت في الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمري وأنا لا أشعر بأدنى خوف من الموت ».

زنزانة « هيس » :

ضاعت فرصة « هيس » في طابور بعد الظهر .

وظل في زنزانته مفضلاً الاستلقاء على ظهره والاستغراق في التفكير .

على أي حال فقد أظهر ترحيبًا بي عندما دخلت لزيارته .

وسأل أولاً عن موضوع إعادة اختبار الذكاء الخاص به مظهرًا قدرة على التركيز أكثر مما ظهر فور استعادته لذاكرته .

وسألته :

ـــ هل تستطيع متابعة ما يجري في المحاكمة بطريقة أحسن الآن ؟ .

وأجاب :

ـــ « نعم . أستطيع الآن أن أتابع كل شيء بوضوح . في أول الأمر لم تكن الأمور واضحة بالقدر الكافي ، ولكني أستطيع استيعاب ما يدور الآن » .

كان يبدو ساخرًا ولم يحاول بذل مجهود في إخفاء هذا الجانب . ويبدو أنه لم يكن يتظاهر بفقدانه الذاكرة كلية . وكان يرفض بوضوح أي اقتراح يقضي بأن هناك خللاً عقليًا عنده .

وسألته في تراكم الأدلة حول إجرام النظام ورأيه في ذلك فقال :

ـــ « في الحقيقة ليس من السهل إدراك الكيفية التي تمت بها هذه الأشياء » .

وسألته :

ـــ ما رأيك في « هتلر » الآن ؟ .

وأجاب :

ـــ « لست أدري . ولكن لكل عبقري نقطة ضعف لا بد أن تلاحقه وتظهر على نحو ما .. لا يمكنك لومه .. لقد كانت آلة ضخمة .. هذا كل ما في الأمر » .

وأراد أن يتعمق في هذه الفكرة ، ولكن عجزه عن التعبير كان واضحًا ولكنه قال :

ـــ « كل ما تم كان يبعث على الحزن الشديد ، ولكني أحس بالرضا على الأقل لكوني حاولت أن أفعل شيئًا يوقف هذه الحرب » .

وعندما جاء وقت الذهاب إلى الكنيسة رفض « هيس » الذهاب إليها مرة ثانية قائلاً إنه لم يجد أدنى فائدة للدين من قبل وإنه لضعف أي ضعف أن يذهب الإنسان إلى الله لمجرد أن حياته معرضة للحكم بالموت .

١٧ ديســمبر

جلسة بعد الظهر :

وصف الكولونيل « ستوري » الجهود التي بذلها النازيون للقضاء على المسيحية وكيف أن « بورمان » خليفة « هيس » وضع الحزب في مواجهة مع الدين قاذفًا بالمسيحية إلى حلبة المصارعين في توجيه سري يقرر :

« الاشتراكية الوطنية والتصورات المسيحية لا يمكن أن يلتقيا » .

٢

عطلة عيد الميلاد في السجن



٢٢ ديســمبر

فرانك وتأنيب الضمير

زنزانة « فرانك » :

كان « فرانك » يدخن غليونه في هدوء عندما دخلت عليه الزنزانة . وقال :

ــ « لقد فرغت توًّا من المناقشة مع « رينتروب » ليست هناك فائدة . أستطيع أن أقرر لك ببساطة أن هؤلاء الناس لا يفهمون معنى هذه المحاكمة . تصور كان يحاول أن يخبرني أن هذه الحرب كانت ضرورية ولم يكن من المستطاع تجنبها .

يقول لي هذا الكلام بعد البراهين القاطعة التي تؤكد أن « هتلر » هو الذي عمد إليها وسعى فيها .

أما الرجل السمين الغاضب فهو يتميز غيظًا لأنني سلمت يومياتي .. الأربعين مجلدًا .. وقال لي :

ــ ما الذي حدث لك ؟ لماذا لم تحرقها ؟ .

ما الذي يعرفه هذا المخلوق عن الحقيقة والقيم العليا ؟ .

إني أتذكر الآن .

عندما دخلت جيوش العدو علمت أن الأمر قد انتهى .

لقد توسلوا إليَّ أن أحرق كل هذه المجلدات قبل اعتقالي ، وكنت ساعتها أستمع لبعض الموسيقى بينما أفكر في الموقف من جميع جوانبه .

كان نشيد « باخ » الديني .. « آلام القديس متى » .

وعندها سمعت صوت المسيح .

سمعت شيئًا كأنه يقول لي :

ــ ماذا يا فرانك ؟ هل تواجه الأعداء بوجه زائف ؟ إنك لن تستطيع إخفاء الحقيقة عن الله .

كان لا بد للحقيقة أن تظهر بالنسبة لي وبالنسبة للجميع .

لقد تناقشت مع الرجل السمين أثناء الغداء في ذلك اليوم حول ما إذا كان على « هتلر » أن يقف للمحاكمة للحساب عن أعماله [انظر ١٤ ديسمبر] .

يبدو أنه ليس هناك من يعتقد بضرورة ذكر الحقائق في هذه المحاكمة باستثناء سايس انكوارت » .

وقلت له :

ــ وكذلك « فريتشه » و « سبير » .

وغمغم فرانك :

ــ « نعم وكذلك فريتشه وسبير أيضًا . إنه لشيء معذب أن يمثل الإنسان أمام المحكمة . كم هي مرعبة تلك الأشياء التي تجثم فوق صدورنا في برودة قاتلة .

وكذلك العالم كله ، تدور فيه عبر فلك دوار من الحيرة والضلال .

أشياء نعرفها .

أشياء لا نعرفها .

أشياء لا نريد أن نعرفها .

ثم لا يملك الواحد منا غير أن يستغرق في لجة الخزي والعار » .

وصرت أحدق في عينيه محاولاً فهم كلماته ، وسرعان ما أدركت معنى الخزي الذي يقصده عندما استمر في الكلام :

ــ « آه .. أنت لا تدرك .. الخزي مدمر .. والعار يقتل .

كم هم متأنقون عليهم سيماء الجلال .

هؤلاء القضاة ورؤساء النيابات .

تلك الوجوه النبيلة .. الإنجليز .. الأمريكان .

وخصوصًا ذلك الإنجليزي الطويل المتأنق .

وهم دائمًا يجلسون في الناحية الأخرى .

وأين أجلس أنا ؟ .

دائمًا في تلك الناحية المختلفة بين تلك الشخصيات الكريهة مثل : شترايخر .. جورنج .. ريبنتروب .

أنت تعرفهم جميعًا .

ولكن الحمد لله على كل حال . ليس هناك ما يمكنني عمله حيال هذا كله .

إني سعيد لأنك والأب « سكستاس » ، تأتون لزيارتي بين الحين والآخر .

كم هو ممتاز ذلك الأب « سكستاس» ، فإن كان هناك من هو كامل بين الرجال

فهو الأب « سكستاس » بالتأكيد . كم هو رقيق وطاهر وعطوف .

أنت تعلم ما الذي أقصده بالضبط .

والدين ! .

كم يبعث على الراحة والهدوء . هو ملاذي الوحيد الآن .

إني أنتظر قدوم عيد الميلاد كطفل صغير » .

كان يتحدث كأنه ينشد « مرثية » غير منضبطة القافية والوزن .

وعدت أسأله عن جرائمه :

ــ إني مدهوش . كيف تسنى لك كتابة كل ما كتبت في يومياتك مع علمك أنها أشياء شريرة وخاطئة ؟ .

وأجاب :

ــ « لست أدري . أنا نفسي لا أكاد أتبين هذا الأمر إلا بصعوبة بالغة . لا بد أن شيطانًا كان يتقمصني .. وكذلك كان الأمر في كل واحد منهم .. ربما أستطيع أن أشرح لك ذلك فيما بعد بطريقة أحسن .

لا بد من مرور بعض الوقت لاستيعاب ما حدث .

سوف أكتب لك ما يجعلك تفهم الأمر بوضوح .

ربما يفسر التنويم المغناطيسي الكامل الأمر ولكن بصعوبة .

التطلع أو الطموح كان يدفعني إلى فعل الكثير .

حاول أن تتخيل الأمر معي ..

لقد كنت وزيرًا في الثلاثين من عمري .

أستعمل سيارة ليموزين .

عندي جيش من الخدم .

ربما كنت أريد أن أدخل في منافسة مع قادة الفرق الخاصة .

لا شك أن « هتلر » هو الذي غرس تلك الروح الشيطانية في كل منا .

هذا هو التفسير الحقيقي لهذه الظاهرة في رأيي .

عندما رأيته في ذلك « الفيلم » الذي عرض في قاعة المحكمة ، ورأيت كيف تم تأسيس الحزب ، وجدت نفسي أغوص عبر ذاتي للحظة بالرغم عني .

لست سوى مجرد رجل استجاب لكل نزعات الشر والأنانية .

شيء يثير السخرية ! .

وصرت أخاطب نفسي ..

أنت تجلس الآن يا « فرانك » في القاعة مثقلاً بالخزي والذنوب وتشحذ عقلك علَّك تجد ما تبرر به أعمالك ، تحاول الإمساك بأي شيء قد يقدم لك مساعدة ولو ضئيلة وحقيرة ، وربما تعلم أنها لا تفيد في النهاية .

ثم ظهر « هتلر » على الشاشة .

أبعده بيديك يا فرانك .. انزعه من أعماقك » .

وهنا صار كأنه يطرده بيديه وأغلق عينيه ، بينما أرسل من صدره شهيقًا مثل رجل يغرق بعد أن أجهد نفسه في الإمساك بقشة تنقذه من الغرق .

ثم واصل كلامه :

ــ « وللحظة تشعر أنك ثمل وأن عقلك غارق في الضباب .

وتفكر فلا يستجيب لك شيء .

ربما للحظة تشعر أن في يديك شيئًا ، ولكن سرعان ما تمر هذه اللحظة ، فتفتح يديك فتجدهما فارغتين . نعم فارغتين تمامًا ليس بهما غير الهواء .

أما جوهر الخزي القاسي فسرعان ما ينمو في نفسك يومًا بعد يوم ، في قاعة قد صفت فيها المقاعد بعناية ، والكل يتحرك عبرها بنظام ودقة ، وقوم رغم أناقتهم ونبلهم فالشفقة لا تعرف طريقها إلى قلوبهم أبدًا .

يا إلهي !

كم نحن ضعفاء ومساكين ! .

وكذلك كان الذين عذبناهم وقتلناهم .

لقد ارتكبنا جرائمنا دون أن يهتز لنا جفن .

هذا على الأقل بالنسبة لي .

ولكن بالنسبة لنا جميعًا نستطيع أن نبصر بوضوح أن ذلك الإلهام القديم كان كاذبًا وشيطانيًا ومصطنعًا ، إذا ما عرضناه على الخلفية الباردة للمنطق والعقل وكل مستويات الأخلاق التي ظهرت في كل الحضارات . ولكننا لم نكن نقدر على الرؤية آنذاك .

هذا رغم وجود الحقائق حولنا في كل مكان .

كانت هذه الحقائق تغيب وتتلاشى ويعظم الوهم . وسبب ذلك شيء ضئيل للغاية .

حادثة ما .. خطبة حماسية .. نصر عسكري ..

كان ذلك يجعلنا نثمل ونعربد في معبد القوة ، والكل يحاول الاقتراب من الوثن الأعظم ، والسعيد من يلمسه بأطراف أصابعه .

لقد كنا جميعًا زمرة من الشياطين » .

٢٣ ديســـمبر

القوى الســياســية

زنزانة جورنج :

كان « جورنج » في حالة فلسفية ، وبدأ يتأمل مستقبل ألمانيا وأوروبا . وصار

يردد وجهة نظره بأن هناك صراعًا محتملاً لا يمكن تجنبه بين القوى السياسية العالمية ، وأن أمريكا ليس هناك ما يثير اهتمامها في أوروبا ، وعلى هذا فهي ستجلو عنها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، تاركة خلفها صراعًا دمويًا في القارة بين بريطانيا وروسيا .

وسألته :

ــ وما الداعي لأن يكون هذا الصراع الدموي حتميًا ؟ وما ضرورة هذه الكراهية ؟ ألا ترى أن الأمم والشعوب تستطيع أن تتعايش فيما بينها تعايشًا سلميًا ؟ .

وأجاب :

ــ « كلا .. لماذا ؟ ببساطة يوجد في العالم خلق كثير جدًا » .

وكانت إجابته جاهزة وكأنها معدة من قبل وواصل وهو يمزح قليلاً :

ــ « ربما يستطيع العلم أن يطوِّر طريقة إمداد العالم بالطعام بصنعه على هيئة أقراص أو شيء قريب من هذا » .

ثم عاد إلى جده مرة ثانية واستمر في الحديث :

ــ « الحقيقة الثابتة غير المشكوك فيها أن على إنجلترا أن تحقق توازنًا للقوة في القارة ، أو أن تفرضها مباشرة . إن تعداد سكانها خمسة وأربعون مليونًا بينما تحكم امبراطورية يعيش فيها أكثر من خمسمائة مليون من الناس . فعليها أن تؤمن حياتها في البحر المتوسط ، وأن تمنع أي دولة من الوصول إلى القوة التي تصبح بعدها محل تهديد لها . وهنا أنا أريد أن أنصح إنجلترا .. فمن مصلحتها أن نصبح نحن القوة المسيطرة في القارة ..

وهذا من مصلحتنا نحن أيضًا ، وأن نقف في مواجهة التهديد الروسي والياباني لقد أخبرتك من قبل .. لم نكن نشعر بالارتياح من احتلال اليابان لسنغافورة . ولكن رغم كل ما في حديثي من حجج ومنطق فانجلترا لا يرضيها أن ترانا ونحن مسيطرون على القارة ..

ولكن رغم كل شيء فسرعان ما يرون هذه القارة وهي تعلن الحرب عليها في ركاب المارد السوفييتي .

إني أخشى أن تكون بريطانيا قد تحولت إلى دولة من المرتبة الثانية في الوقت الذي تبدأ روسيا في تكوين الإمبراطورية الأوراسية الكبرى .

تعتمد انجلترا على شبكة دقيقة وهائلة من خطوط المواصلات التي يقوم على حراستها السلاح البحري البريطاني الذي أصبح اليوم ضعيفًا للغاية .

وفي نفس الوقت تعتمد روسيا على احتياطي هائل من الأيدي العاملة ومن الجهد البشري المخزون .

وأؤكد لك أن مستقبل الحروب لن يعتمد على السلاح البحري في حسم المعارك ولكن على السلاح الجوي بالتأكيد .

هل تظن أن روسيا سوف تلقي بالاً إلى البحرية البريطانية التي تستطيع بالكاد أن تحمي عدة موانئ هنا أو هناك ؟ .

لا يوجد ما يمنع روسيا من تأسيس إمبراطوريتها الأوراسية من فرنسا إلى الصين ــ فكِّر فقط في كلامي ــ سيكون تعداد السكان النهائي على الأغلب في حدود ألف مليون من البشر ، أي نصف سكان الأرض » .

وسكت « جورنغ » ليرى أثر كلامه على وجهي ثم واصل محاضرته :

ــ « إنها لن تحتاج إلى إثارة الثورات لتحقيق هذه السيطرة ..

ألمانيا مثلاً قد أجدبت اليوم تمامًا فمن المنطقي أن تحل فيها الاشتراكية .

نفوذ « ستالين » في الثورة البولشفية لم يعد محل شك أو مراجعة ..

ولكن عليه أن يفكر ..

أي نوع من الراديكاليين ربما يأتي إلى الحكم إذا مات ستالين فجأة ؟ .

هناك فئة معدة مرشحة للسلطة والنفوذ ..

مولوتوف والآخرون .. أظنك تعلم هذا » .

وهنا ضحك ضحكة عالية لا معنى لها ثم استرسل :

ــ « هناك بالفعل طبقة عليا من المرشحين ، ولا أهمية لنوع الحكومة التي ستأتي ، شيوعية كانت أم غير ذلك .. الأكثر قوة ومهارة هو الذي سوف يصل إلى الحكم ، أظنك لا تخالفني الرأي » .

كان مزهوًا بنفسه وسعيدًا تمامًا وهو يحلل السياسة العالمية :

ــ « أنت تعلم أن الأمريكيين هواة في هذه اللعبة ، فهم متعجرفون وساذجون إلى أقصى حد .. ونحن الألمان قد وقعنا في نفس الخطأ ، أما الإنجليز فهم أكثر مهارة في هذه الأمور ، وأقدامهم أكثر رسوخًا فيها .

هناك مثل يقول :

(للألماني قلب طيب ويد خشنة ، أما الإنجليزي فقلبه خشن ويده ناعمة) .

وهذا هو سر احتفاظهم بقوتهم .

فبعد أن حطموا « البوير »[١٢] استخدموا أيديهم الناعمة ، ثم جعلوهم يحاربون في جانبهم عشر سنوات بعد ذلك .

وهم الآن يفعلون نفس الشيء .

فهم يقولون فلندع الأمريكان يقدمون قوائم الاتهام ويقومون بدور السجان ، وعلينا نحن أن نمثل دورنا ببساطة ، فعندنا رئيس القضاة العادل الذي يدافع عن المتهمين ويحمي حقوقهم ، بينما يقوم الأمريكان بالجانب العدواني الذي يثير كراهية الشعب الألماني .

وقلت له :

ــ أنا أجزم أنك لا تود أن تكون إنجليزيًا لو قدر لك أن تحيا مرة أخرى .

وقال :

ــ « حبي لشعبي يقع في المرتبة الأولى من نفسي ، وبعده يوجد حب وعطف كبيران للإنجليز ، فهناك شيء عند الإنجليز يفتقده الأمريكان ، فالإنجليز مثلاً يحترمون مراكز الرجال ، فهم لا ينادون الجنرال أو الماريشال بيا سيد كما يفعل شعبك . فالجنرال يظل جنرالاً ، واللقب محفوظ ولا ينسى تحت أي ظرف .

الأمريكان لا يفهمون هذه الأشياء . أما الإنجليز فهم يحافظون عليها .

وهناك شيء آخر ، ليست للإنجليز طريقة واحدة يتبعونها حيال الدول المنهزمة أمامهم ، وهم لا يحاولون إقامة الديمقراطية في لحظة . فهم يقولون : حسن فلنفعل كذا في هذه الدولة ، وفي تلك سوف نفعل شيئًا آخر .

أما أنتم فسياسة واحدة تتبعونها في كل الحالات .

ونحن مثلكم وقعنا في نفس الخطأ ، فقد حاولنا إقامة الاشتراكية الوطنية مرة واحدة في كل البلدان التي قمنا باحتلالها » .

« على أي حال هناك شيء يبدو واضحًا بجلاء تام .

سوف تنهض ألمانيا مرة ثانية على يد الإنجليز أو الروس .

ويبدو أن الروس سوف تكون لهم اليد العليا في هذا الأمر فمهارتهم لا حدود لها . وقد أخبرني « فريتشه » أنهم يسألون عني . ولست أدري تفسيرًا لاهتمامهم الكبير بي ، لعلي أكون أكثر فاعلية في أيديهم » .

وقلت :

ــ هل تظن حقيقة أن الأمور تسير على هذا النحو ؟ .

فأجاب في دهاء المقامر وخبث الثعلب :

« ومن يدري ؟ هي لعبة شبيهة بالمقامرة . ربما يصفون حسابهم معي على التو ،

وفي الوقت نفسه يحتفظون بي في يدهم الأخرى . أنا لا يمكنني التلاؤم مع الشيوعية حتى الآن فقد حاربتها طويلاً ، ولكن من يعلم ربما يمكننا التراضي والاتفاق » .

زنزانة « ريبنتروب » :

كان « ريبنتروب » عاكفًا على المنضدة في عصبية ، وأمامه كومة من الأوراق ينظر فيها ، وفور دخولي اندفع محتجًا مدافعًا عن نفسه ، يتكلم بسرعة كأنه في سباق مع الزمن من أجل إنقاذ روحه :

ـــ « سيدي الدكتور . هل تظن حقًا أنني قد وضعت الخطط من أجل نشوب حرب عدوانية ؟ لقد أوضح الادعاء جانبًا واحدًا من الصورة فقط . هناك وثائق تفوق الحصر لم يعثر أحد عليها ، رغم ثقتي أن في حوزة الادعاء من الوثائق ما يكفي لتأييد عكس ما يؤيدونه الآن . فهم يعمدون إلى القول بأنني الذي أخبرت « هتلر » أن انجلترا لن تقاتل . هناك مآخذ كثيرة حول هذا الكلام . هل تعرف ؟ أنا أوقفت التحرك بالفعل ضد بولندا عندما ضمنت انجلترا سيادتها .

وذلك الاتهام بعداء الشعوب غير الآرية ؟ هذا ضد طبيعتي بالتأكيد ! لا ينبغي لك أن تثق في كلام ذلك الرجل المدعو « لهاوزن » . أنت تستطيع أن تحصل على أية معلومات من بقعة الحبر كمحلل نفساني إن اعتبرت هذه البقعة مصدرًا للمعلومات ، ولكنها مليئة آنذاك بالكراهية والحقد .

أنتم تملكون القوة ونحن لا نملك بجانبكم الآن شيئًا .

ولكن صدقني ، ليس من الحكمة أن تديروا هذه المحاكمة وسط هذه الحرب النفسية التي تشنونها علينا ، سيأتي يوم تجدون فيه من يلومكم على ما حدث » .

وهنا تغيرت لهجته وشابها شيء من الضعف والخنوع وقال :

« لماذا لا ينظر المنتصرون إلى الأمر على أنه مأساة تاريخية لم يكن لأحد أن

يتجنبها ، ثم يعملون جاهدين بعد ذلك على تحقيق حل سلمي لكل شيء » .

ثم اندفع محتجًا :

ـــ « ليست هناك من فائدة ترجى على الإطلاق من تكديس الكراهية فوق الكراهية ، هي نار سوف تحرقكم في النهاية ، ولن يمكنكم النجاة منها ، وسوف يأتيكم صدق ما أقول مع الأيام » .

وقلت له :

ـــ كان عليك أن تفكر في هذه المعاني مع « هتلر » والآخرين من قبل . أنت تعلم أكثر من غيرك أن الحلفاء لم يكونوا يريدون الحرب . لقد فجَّر « هتلر » كل ما في نفوس الناس من كراهية وحب للعدوان . وضرب بالمعاهدات والاتفاقات عرض الحائط . ثم خرق الحياد الدولي . وأحبط كل المحاولات التي بذلت من أجل تحقيق السلام .

وبدا ضعيفًا متخاذلاً وهو يتمتم :

ـــ « صدقني لم يكن يطلعني أبدًا على كل الملابسات . معظم هذه الأشياء التي أشرت إليها قد عرفتها للمرة الأولى أثناء المحاكمة . ولست متأكدًا من أن ملف سنة ١٩٣٧ م هذا ملف حقيقي أم لا(*) على أي حال لم أكن هناك في ذلك الوقت على العكس من « فون نيوراث » و « فون فريتشه » ، لقد كانا هناك حينذاك . ولكن .. ولكن .. كل هذه الجرائم والفظائع منسوبة إلينا جميعًا دون استثناء ، ونحن متهمون جميعًا بالقيام بها ، وهذا ليس من العدل ، وهذه ليست ألمانيا ، أؤكد لك ذلك . أنظر إليَّ مثلاً . هل يمكنني قتل إنسان ؟ أنت محلل نفساني دارس ولا شك . فأخبرني صراحة . هل هناك بيننا من له ملامح القتل ؟ » .

ونظرت إليه صامتًا واستمر هو :

ـــ « لا أظن أن هتلر قد أمر بهذه الأشياء ، ولا أعتقد أنه يعرف شيئًا عنها .

(*) ملف هومشباخ : انظر الفترة الخاصة بتاريخ ٢٦ نوفمبر .

صحيح أنه كان خشن الجانب ، ولكني كنت أومن به من أعماقي ، كان يستطيع أن يكون رقيقًا للغاية ، وكنت على استعداد لفعل أي شيء من أجله . « هملر » هو الذي فعل هذه الجرائم وأمر بها ، وأشك أنه كان ألمانيًا ، وكان له وجه غريب يختلف عنا » .

٢٥ ديســمبر

نظرة إلى العدوان الذي حدث في الماضي

زنزانة جورنج :

ما زالت روح عيد الميلاد هي أبعد الأشياء عن عقل « جورنج » في هذا اليوم . وكان يؤكد أن الحقيقة الوحيدة هي ما يهم الذات نفسها ، وأن هذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الأمم .

وهكذا دار بنا الحديث أو درنا به حتى ناقشنا معاهدة ميونيخ وقال :

ــ « بالفعل ، كان الشيء الأساسي هو أهمية الحسم في هذه الأمور ، لم يكن عند كل من « دالادييه » أو « تشمبرلين » أقل رغبة أو اهتمام بالتضحية أو تحمل أقل القليل من أجل إنقاذ تشيكوسلوفاكيا . هذا ما كان واضحًا لي في ذلك اليوم .

وتقرر مصير تشيكوسلوفاكيا في ساعات ثلاث .

ثم تباحثوا أكثر من أربع ساعات حول كلمة « ضمان » .

استمر « تشمبرلين » في تحفظاته بينما كان « دالادييه » لا يعطي للأمر أدنى انتباه .

فقط كان يجلس هكذا في نهاية المكان » .

وأرسل « جورنج » رجليه في استرخاء على السرير ممثلاً جلسة « دالاديه » وأمال رأسه جانبًا في تعبير بليد .

واستطرد « جورنج » :

— « كل ما كان يفعله بين الحين والآخر هو إيماءة استحسان أو موافقة . ولم يكن لديه أدنى اعتراض على أي شيء . وفي الحقيقة كنت مدهوشًا قليلاً لطريقة « هتلر » في إدارة الأمور .

وبعد هذا عرفوا أن سكودا وغيره قد زرعوا حقول الألغام في أراضي السوديت وأن تشيكوسلوفاكيا سوف تكون تحت رحمتنا عند التفكير في أي شيء .

وقال « هتلر » إن القوة العسكرية الموجودة على حدود السوديت سوف تدخلها في لحظات عند إعطاء القرار بهذا .

وعند هذه النقطة ظننت أن انفجارًا سوف يقع في القاعة ، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث على الإطلاق . لقد حصلنا على كل ما أردناه ببساطة ودون جهد .

لم يصروا على استشارة التشيك كما تقضي بهذا الشكليات .

لم يثيروا أية مشكلة ، ولم يتمسكوا بأي شيء على الإطلاق .

وفي النهاية قال المبعوث الفرنسي :

— حسن .. علينا أن ننقل الحكم إلى المحكوم عليهم .

يقصد بذلك التشيك .

هذا تلخيص لما حدث حول موضوع تشيكوسلوفاكيا .

أما مشكلة « الضمان » التي أثيرت في أول المباحثات فقد استقر رأي كل المجتمعين أن يتركوا لهتلر تقدير ما يراه يكفي لتأمين ما يمكن أن يتبقى من

تشيكوسلوفاكيا . وأظنهم الآن قد عرفوا معنى هذا الضمان » .

زنزانة « كايتل » :

كان « كايتل » ممتنًا بزيارتي له في عيد الميلاد . وبدأ يفتح لي قلبه بجرأة وصراحة :

ـــ « أرجوك ألا تخبر أحدًا حتى تنتهي هذه الأمور تمامًا ، ولكني اقتنعت الآن أن قرار « هتلر » بالهجوم على روسيا لم يكن قرارًا حكيمًا . واقتنعت الآن أيضًا أن غزو بولندا لم يكن ضروريًا » .

وسألته :

ـــ هل حق ما تقول ؟ .

وقال :

ـــ « نعم إني مقتنع بذلك تمام الاقتناع . ولن يستطيع أي من « جورنج » أو « ريبنتروب » أن يغيرا من فكري من هذه الناحية ، لقد أصبحت أرى الأشياء في وضوح الآن .

ولكني أرجوك ألا تخبر الآخرين ، وإلا فإني سأحتفظ بفمي مغلقًا إذا فعلت .

نحن نعيش في سجن تحكمه عوامل أخرى غير التي تعرفونها عن الإدارة والحراسة والإعاشة وما إلى ذلك . هناك قواعد أقوى وأعتى تحكم سلوكنا وتسيرنا » .

ولم أعلق على كلامه بينما استطرد هو في الحديث :

ـــ « عندما لم نستطع العبور إلى انجلترا ، وكان ذلك مستحيلاً لعدم وجود السفن الكافية . كان ينبغي على « هتلر » أن يصنع شيئًا ما على الفور .

ولكن ما الذي يمكن عمله ؟ .

لقد فكر في احتلال جبل طارق ، وحاول ذلك وعارض « فرانكو » فقد كان يخشى فقده ، ولم يكن أمامنا غير أن نظل في حالة الطوارئ القصوى .

في ذلك الوقت كانت انجلترا تستطيع أن تميتنا من الجوع إن عاجلاً أو آجلاً .

وكان الشريان الرئيسي الذي يمد قواتنا المسلحة يأتي من حقول الزيت الرومانية .

تذكر هذا جيدًا أيها الأستاذ .

الزيت كان هو المفتاح الحيوي للموقف برمته .

نعم بدون زيت رومانيا لم نكن نستطيع الحياة أسبوعًا واحدًا .

وكانت هناك روسيا على الجانب الآخر ، وفي إمكانها القضاء علينا في أي وقت .

وكان « هتلر » يعلم أننا نقف موقفًا ميئوسًا منه .

كنا نحصل من رومانيا شهريًا على حوالي ١٥٠ ألف طن من الزيت .

وكنا نحتاج لتسيير الحرب من ٣٠٠ ألف طن زيت إلى ٣٥٠ ألفًا شهريًا على أقل تقدير . وكانت هناك مائة ألف طن نحصل عليها تقريبًا من إنتاجنا المحلي بما في ذلك الزيت الصناعي ، وهي تمثل القدر الضئيل من احتياجاتنا كما أوضحت .

فسلاح الطيران وحده يحتاج إلى هذا الرقم في الشهر الواحد .

كل هذا يؤدي إلى تقرير حقيقة استراتيجية هامة هي أن فقدنا لحقول الزيت في رومانيا معناه نهايتنا .

وتأكد « هتلر » أنه لا يمكننا الجلوس والانتظار هكذا . ولعله من الناحية الاستراتيجية كان أكثر دقة من كل من « رينتروب » ومن « جورنج » ومني بالطبع .

وكان الهجوم على روسيا من الأعمال الانتحارية التي فرضها اليأس .

فقد رأى بوضوح أن انتصارنا مؤقت ، وأن حملة « روميل » الصغيرة في شمال إفريقية لم ينتج عنها شيء .

بطبيعة الحال عندما شرح « هتلر » فكرته عن الحملة ضد روسيا تكلم عنها على أنها ناجحة مائة في المائة ، وأنها قدرنا الذي لا نستطيع تجاهله . وأنه واجب لا ينبغي التخلي عنه ، ولكني الآن عندما أنظر إلى الوراء أراها بوضوح أنها لم تكن غير مقامرة يائسة ساعدت على تحديد معالم النهاية » .

وقلت له لأختبر مدى تغير رأيه في « هتلر » :

ــ بالتأكيد كان « هتلر » شيطانًا مدمرًا .

وأجاب :

ــ « نعم ، ولكنه كان محظوظًا في البداية . كانت الأمور ستظل على ما يرام لو لم يسرف في اندفاعه غير المحدود . انظر إلى الصورة معي مرة أخرى .

لقد أعدنا احتلال منطقة الروهر بثلاث كتائب .. ثلاث كتائب فقط .

لقد قلت لبلومبرج :

كيف أمكننا عمل ذلك بثلاث كتائب فقط ؟ افترض أن الفرنسيين قاوموا ؟ .

وردَّ عليَّ بلومبرج :

ــ لقد أخذنا الفرصة ومرت بسلام .

وقلت له دون قصد وأنا أهم بالانصراف :

ــ أعتقد أن لواء واحدًا من الفرنسيين المشاة كان باستطاعته أن يقذف بكم بعيدًا .

وبإصبعه الأوسط أحدث كايتل حركة كأنه يمسك برغوثًا وهو يقول :

ــ « لو كانوا طردونا خارجًا هكذا لما كانت لدي أدنى دهشة ، ولكنه لما رأى أن ذلك سهل وبسيط ، وكذلك (الانشلوس)[١٣] الذي تم دون طلقة واحدة . وجد أن الأمور تسير سيرًا حسنًا الواحد منها تلو الآخر » .

وكنت في طريقي إلى باب الزنزانة خارجًا فقال لي :

ــ « أنا أشكر لك من أعماق قلبي هذه الزيارة في عيد الميلاد . أنت الشخص الوحيد الذي أستطيع الحديث معه بصراحة ، أتمنى لك السعادة كلها في هذا العيد » ثم قفز واقفًا في وضع الانتباه ، وانحنى انحناءة عميقة بالاحترام من خصره .

٢٧ ديســمبر

زنزانة « هيس » :

كان « هيس » راقدًا في فراشه شاردًا كعادته .

وتحدثنا قليلاً حول المحاكمة ، واعترف أن أشياء كثيرة كانت مغماة عليه ثم سطع النور عليها أثناء نظر المحاكمة ، وأنه لم يكن يدري عنها شيئًا أثناء وجوده في السجن بانجلترا . وتصورت أنه لا بد قد شعر بخيبة أمل كبيرة لتحول مجرى الحرب بعد دخول أمريكا فيها وقال :

ــ « بالفعل كان ذلك صدمة بالنسبة لي ، فعندما طرت إلى انجلترا كنت على يقين من أننا سوف نكسب الحرب » .

كان هذا هو رده دون أي مظهر من مظاهر الانفعال .

وقلت له :

ــ ولكن كان على « هتلر » أن يتصور إمكان دخول أمريكا الحرب ، وأن يعمل حسابه على ذلك حتى قبل الهجوم على بولندا .

وقال « هيس » :

ــ « لماذا ؟ هل تدخل أمريكا الحرب من أجل « دانزنج » ؟ .

فقلت :

ـــ كلا . ولكنها خطوة ضرورية من أجل وقف العدوان . قبل أي شيء لا يمكن للعالم أن يقف مكتوف اليدين وهو يرى « هتلر » يسطو على الدول ، الواحدة تلو الأخرى ، حاولنا عمل اتفاقات معه . فعلنا كل ما من شأنه أن يوقف الحرب . كان عليه أن يعرف أن الأمور لا يمكن أن تسير بالبساطة التي ظنها والتي تمت في النمسا وتشيكوسلوفاكيا . أنت تقول إنك كنت تريد السلام . هل حاولت منعه » .

وفكر « هيس » قليلاً ثم أجاب ببطء :

ـــ « حسن . أظن أنه لا يمكنني الكلام حول هذا الآن » .

وبعد ذلك أصابته نوبة من نوبات التشنج ، فقبع ساكنًا من الألم لفترة ثم هدأ بعد ذلك . ثم سأل مرة ثانية عما إذا كنت قد قرأت ملاحظات الصحافة عن إجابته عن الأسئلة التي ألقيت حول رحلته إلى انجلترا ، وكان قد سلمها إلى وكيله ، فقلت له إنني لم أقرأ شيئًا ، وسوف أخبره إذا قدر لي أن أطلع على هذه الموضوعات .

زنزانة « شاخت » :

كان لا يزال في حالة عارمة من الابتهاج ، وكان ينظر إلى وضعه في السجن كشيء ينبغي أن ينظر إليه نظرة متفائلة في بشاشة . وهكذا كانت تعني المحاكمة بالنسبة له :

ـــ « أنا على الأقل حاولت أن أوقف « هتلر » قبل أن أترك مكاني ..

أنا أعتبر أن « جورنج » مجرم بالفطرة ، أنا لا أطيق النظر إليه ، السرقة في بعض الأحيان تعتبر أسوأ من القتل ، إنها تبين أخلاق الإنسان الحقيقية ، أنت قادر على إدراك الجرائم التي سببها بواعث نفسية ، أما السرقة فهي شيء وضيع جدًا » .

وارتسمت على وجهه علامات الاحتقار الشديد .

ــ « الاستيلاء على كنوز البلاد المحتلة ، هذا أمر يدعو إلى الازدراء والاحتقار . خذ مثلاً واحدًا مثل « فون فريتشه » كان رجلاً ووقف أمام « هتلر » بوضوح في مشكلة الحرب العدوانية ، وتستطيع أن ترى الآن السبب الحقيقي في إزاحته عن منصبه ، كان ذلك بعد مناقشة ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ بثلاثة شهور »[*] .

وسألته :

ــ هل تظن أن موته في الميدان كان مرتبًا من قبل ؟ .

وأجاب « شاخت » :

ــ « لا يمكنني الوصول إلى استنتاج آخر » .

وعبَّر عن قلقه على مستقبله بعد إخلاء سبيله الذي كان يتوقعه لأن أملاكه قد نهبها الألمان إثر القبض عليه كمجرم حرب . وكان يشك فيما إذا كانت ألمانيا ستحتاج في مستقبلها إلى من يعملون في قطاع البنوك والمصارف ، ثم أضاف في بشاشة :

ــ « على أي حال أنا أمامي اثنا عشر عامًا فقط قبل أن أغادر العالم ، سوف أموت في الواحدة والثمانين » .

وسألته في فضول شديد ولم أكن أظن أنه يعتقد في الخرافات :

ــ كيف ذلك ؟ .

وأجاب :

ــ « لأن عائلتنا تموت بطريقة تنازلية ، فجدي قد مات في الخامسة والثمانين ،

---

(١) راجع يوم ٢٦ نوفمبر من المحاكمة .

وأبي مات في الثالثة والثمانين ، وعلى هذا فيجب أن أموت في الواحدة والثمانين ثم يموت ابني في التاسعة والسبعين » .

٢٩ ــ ٣٠ ديســمبر

زبانيــة داخــاو

قمت بزيارة سجن (لاندسبرج) قرب (ميونخ) حيث كان الثمانية والثلاثون مجرمًا الذين حكم عليهم بالموت في قضية زبانية (داخاو) ينتظرون تنفيذ الإعدام .

وكان السجن الذي كتب فيه « آدولف هتلر » (كفاحي) يستخدم الآن لإعدام أولئك الذين قتلوا وارتكبوا الجرائم حتى يحققوا ما جاء في الكتاب .

بناؤه ضخم جدًا مثل سجن (نورمبرج) ويبدو منظر الزنازين غريبًا . وأنت ترى صفين من رءوس المجرمين وقد برزت من كوة في كل زنزانة ، وهم يتكلمون أو يضحكون بعضهم مع بعض خلال عتمة الدهليز ، وكأنما قد علقوا من رقابهم قبل الإعدام ، وبدوا كأنهم يتسلون بهذه اللعبة .

وقد قابلت نصف هؤلاء المجرمين تقريبًا ، وأجريت اختبارًا لعشرة منهم ، وكانوا متفاوتين في سلم الذكاء ، فمن محدودي الفهم الممتلئين شراسة إلى الأطباء الأذكياء مثل « كلاوس شيلنج » العجوز الذي قتل مئات من نزلاء (داخاو) في التجارب التي كان يجريها عن مرض الملاريا .

وقد قال الدكتور « كلاوس » إنه كان يبحث عن مصل ضد مرض الملاريا ، ولكنه لم يكن متأكدًا مما إذا كان قد حقق شيئًا في هذا المضمار أم لا ، لأنه لم يحصل على تقارير دقيقة عن أسباب الوفاة .

وقد شجع « هملر » هذه التجارب لأن « هملر » على حد تعبير الدكتور « كلاوس » كان متأثرًا بإمكان ذيوع صيته وصيت قواته الخاصة إذا ما نجح الدكتور في تجاربه .

٣

محتويات الادعاء الأنجلو- أمريكي



٣ ينــايــر ١٩٤٦

سبير يحطم جبهة جورنج المتحدة

الجلسة الصباحية :

قام الكولونيل « إيمن » باستدعاء « أولندورف » رئيس القوات الخاصة للاستجواب كشاهد . ووصف « أولندورف » كيف كانت أوامر القتل الجماعي تصدر ، وكيف كانت تنفذ ، وكيف أنه أعطى أمرًا مرة لإحدى مجموعات التنفيذ بإعدام تسعين ألف شخص دفعة واحدة .

ســاعة الغداء :

فور نهاية الجلسة ابتسم « جورنج » في اعتداد وختم الشهادة بالعبارة التالية :

ــ « آخ .. ها هو ذا شخص آخر جديد يبيع نفسه للاعداء ! ما الذي يريد أن يحصل عليه هذا الخنزير ؟ على أي حال سوف يشنقونه في النهاية » .

وأراد « فونك » أن يدافع عن « أولندورف » بطريقة ما ، ولكنها بدت ضعيفة فقال :

ــ « إني أعرف « أولندورف » كأحد أشرف العاملين في وزارتي وأكثرهم كفاءة ، وليس هناك شك في أنه يحاول خدمة الحقيقة باعترافه النزيه » .

وكذلك قال عدد من الآخرين إنه ليس هناك شك على الإطلاق في صدق شهادته .

وعبَّر فرانك عن إعجابه الشديد برجل يوقع على تفويض بموته في سبيل الحقيقة وعند هذه النقطة التفت إليَّ « فرانك » وقال :

ــ « لا أظن أن أحدًا يمكن أن يعتبره ألمانيًا وغدًا بعد أن قال ما قال . أنت تعرف وضعي بطبيعة الحال » .

ولم أعلق بكلمة على ما قال فأنا لم أفهم المقصد من العبارة جيدًا .

وعلى مائدة الطعام عند الغداء في الدور العلوي جلس « فريتشه » مكتئبًا أشد الاكتئاب ، وكان يأكل بصعوبة . أما « فريك » فقد أبدى ملاحظة عن مدى المتعة التي يمكن أن تتحقق لو استطاعوا الزحلقة على الجليد في هذا الطقس اللطيف .

وتوقف « فريتشه » عن الأكل وحملق إليَّ في قنوط ، ثم حدج « فريك » بنظرة قاسية ، وبينما هم يهبطون السلم إلى القاعة لحضور جلسة بعد الظهر همس إليَّ « فريتشه » وهو يمر أمامي :

ــ « فلنذهب إلى الزحلقة على الجليد يا دكتور » .

وكان شاحب الوجه من شدة الغضب .

جلسة بعد الظهر :

وأثناء استجواب « أولندورف » ألقى « سبير » قنبلة عن طريق محاميه ، وكان

هذا على هيئة سؤال عما إذا كان الشاهد على علم أن « سبير » قد حاول اغتيال « هتلر » في فبراير ، وأنه قد وضع الخطة لتسليم « هملر » للأعداء ليحاسبوه على جرائمه أم لا .

وأحدث هذا السؤال توترًا بالغًا بين المتهمين الذين صاروا ينظرون بعضهم لبعض في حيرة وارتباك . بينما انفجر « جورنج » مغمغمًا بشتائم وسباب غير مفهومة وهو قابع في ركنه من القفص .

وأثناء الاستراحة انفجر « جورنج » صارخًا في « سبير » ، كيف يجرؤ أن يدلي بمثل هذا الاعتراف المنطوي على الخيانة على مرأى ومسمع من الجميع ، محطمًا بذلك جبهتهم المتحدة القوية ! .

وسرعان ما احتدمت مناقشة حامية بينهم .

وقال له « سبير » ولأول مرة إنه لا يعنيه أن يذهب إلى الجحيم .

ولكي يحقق شيئًا من التعاطف التفت ناحية « فونك » قائلاً :

ــ « وبالمناسبة لقد كنت محقًا في كل ما قلته عن « أولندورف » .

أما « جورنج » فقد عاد إلى مقعده هامسًا باللعنة على خيانة « سبير » لأكثر زملائه تعاطفًا معه وهم « هيس » و « رينتروب » و « كايتل » .

السجن في المساء

زنزانة جورنج :

كان « جورنج » في هذه الليلة متعبًا مكدودًا قد ملأته الكآبة وهو يقول :

ــ « هذا يوم سيئ . اللعنة على الغبي الأحمق « سبير » ! هل رأيت كيف وقف

هذا الموقف المخزي هذا النهار في المحكمة ؟ كيف استطاع أن ينحط إلى هذا الدرك ويفعل هذه الفعلة الذليلة من أجل إنقاذ رقبته الحقيرة ؟! أنا أكاد أموت من الخزي والعار ! » .

وواجهني بعينين متقدتين باللهب وهو يقول :

ـــ « بالنسبة لنفسي لن أهتم كثيرًا لو أعدموني ، وأظنهم يفعلون ، ولا قيمة على الإطلاق في أن أموت غريقًا أو تتحطم بي طائرة ، أو حتى أقتل نفسي بنفسي ولكن هناك الشرف الذي يجب أن تنتهي به حياة الإنسان ، يحاولون اغتيال « هتلر » آخ .. ليت الأرض تنشق وتبلعني ، هل تظن أنني أسلم « هملر » للأعداء مهما فعل مذنبًا كان أم لا ؟ اللعنة على المجرمين والخونة ، كم كنت أتمنى أن أصفي الحساب بنفسي مع هذا الكلب . وإذا كان لا بد من محاكمة فليمثل هذا المجرم أمام محكمة ألمانية . هل سمعت أن الأمريكان يسلمون مجرميهم لنا حتى نحاكمهم ؟ » .

وفي هذه اللحظة دعي لمقابلة محاميه فعاد إلى مظهره البشوش خشية أن يكون هناك بين الحرس من ينصت إلى غضبه أو يراه بعض المسجونين ، وكان حريصًا على أن يبدو هادئًا طول الوقت .

زنزانة سبير :

وعندما دلفت إلى زنزانة « سبير » ضحك في وجهي بعصبية وقال :

ـــ « حسن .. هل رأيت ؟ لقد فجرت قنبلة هذا النهار . أناسعيد لكونك قد جئت لزيارتي . ستكون الأمور قاسية بعض الشيء بالنسبة لي ابتداء من الآن . كان القرار صعبًا في تنفيذه ، لقد قررت أن أقول هذا منذ مدة طويلة ولكنه كان قاسيًا على نفسي جدًا » .

ومضى يشرح كيف أن الشيء الوحيد الذي يأسف عليه هو عدم استطاعته

في نفس الوقت أن يقدم اعتذارًا على مشاركته في الجريمة العامة الجماعية التي قام بها قادة الحزب النازي بمساندتهم لهتلر .

وتوسع شارحًا كيف وضع الخطة لخطف عشرة من قادة الحزب ومن بينهم « هتلر » نفسه « وهملر » و « جورنج » و « جوبلز » و « بورمان » و « كايتل » وحملهم في طائرة إلى انجلترا ، ولكن شركاءه في المؤامرة تراجعوا وأحسوا بالخوف الشديد في اللحظة الأخيرة .

وقال « سبير » :

ـــ « سوف يصفني الجميع بالجنون الآن . ولكن ما حدث يدل على أن فردًا ما قد حاول أن يصنع شيئًاحيال هذه الأمور يومًا ما ، رغم جبروت ذلك الطاغية المتهوس الذي دمر كل شيء » .

٤ يناير

جلسة الصباح :

الادعاء المقام ضد جنرالات ألمانيا والقيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية (الفيرماخت) .

وأثناء الاستراحة رأيت الفريق « يودل » وقد احمر وجهه من الغضب للمرة الأولى .

وكان يتكلم مع محاميه بصوت لا يكاد يسمع :

ـــ « هؤلاء الجنرالات الذين يخونوننا بشهاداتهم لينقذوا رءوسهم اللعينة ، كان عليهم أن يدركوا أنهم أكثر إجرامًا منا ، وأن الإعدام مطلوب لهم أيضًا ، ولن يفيدهم التفكير بأنهم يستطيعون إنقاذ أنفسهم بالشهادة ضدنا ، ثم القول بأنهم لم يكونوا سوى

كتبة لا حول لهم ولا طول » .

٥ ــ ٦ ينايــر

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « شاخت » :

كان « شاخت » يجلس وحيدًا إلى المنضدة مرتديًا سترة من الفرو ، فقد كانت الزنزانة باردة تمامًا .

وسألته عن رأيه في آخر ما جرى بالمحكمة من أحداث فضحك وقال :

ــ « حسن .. أنا أخمن أن أوزة « كالتنبرونر » قد نضجت . هل تعلم أنني حقيقة لم أظن أبدًا أنه قادر على إنجاز عمل مثل هذه الأشياء . وهذا أيضًا بالنسبة « لأولندورف » ، هل رأيت من قبل رجلاً مشرق الطلعة مثله أو رجلاً مستقيمًا شريف الأخلاق كما بدا لنا ، كان قبل هذا رجل أعمال ناجحًا ، وفجأة وجد نفسه على رأس مجموعة تنفيذ ومعه أوامر بقتل تسعين ألفًا من البشر ؟!.. ولكن كيف يمكن لرجل في مثل رقته أن يفعل ذلك ؟ .

أنا نفسي غالبًا ما سألت نفسي كيف يمكن أن أتصرف لو وضعت تحت مثل هذه الظروف . ماذا يمكنني أن أقول ؟ حقيقة لست أدري » .

وازدرد « شاخت » ريقه وتلعثم كأنما يمثل المشهد كما لو كان قد حدث بالفعل .

ــ « حقيقة أنا مرتبك تمامًا .. أنا لا أتوقع أن آتي هذا النوع من الأعمال ! .

كنت سأفكر في الأمر فيما لا يقل عن ساعتين ، وفي النهاية كنت سأقول في بساطة هذه من الأشياء التي لا يمكنني أن أفعلها ، ويمكنهم بعد ذلك أن يعدموني

رميًا بالرصاص ، أو يضعوني في المعتقل ، أو يرسلوني إلى الجبهة ، أو يفعلون أي شيء يرونه ، ولكني لا أوافق على ارتكاب هذه الجرائم أبدًا » .

وواصل الحديث :

ــ « حسن « سبير » أيضًا رفض أن يلعب الكرة مع « هتلر » في النهاية ثم حاول أن يغتاله ، كما كشف عن ذلك يوم الثلاثاء الماضي ، ينبغي ألا تؤخذ الأمور من جانبها السطحي . ما رأيك ؟ » .

زنزانة « جورنج » :

كان « جورنج » لا يزال يتجاهل عن عمد الدلائل القاطعة على عمليات القتل بالجملة ، وما يتعلق بشئون الحرب العدوانية ، ثم يلتقط بعض التحفظات القانونية حول المحاكمة . وقال :

ــ « القضية ضد جنرالات ألمانيا ضعيفة جدًا . إني أنتظر ما يمكن أن تقوله جريدتك (الجيش والبحرية) عن هذا الموضوع ، على أي حال قد زالت فكرة المؤامرة التي كانت موجودة .

وكتلخيص أخير فإني أقول كانت عندنا قيادة عامة للفوهرر .

وكانت هناك أوامر تصدر من رئيس الدولة ينبغي أن تطاع .

نحن لم نكن عصابة من المجرمين تلتقي في الغابات في آخر الليل من أجل القتل الجماعي كما جاء في تلك الروايات الرخيصة .

إن المتآمرين الأربعة الرئيسيين قد ذهبوا ..

الفوهرر . هملر .. بورمان .. جوبلز .

و « هيدريش » أيضًا فيكونون خمسة .

أما « فايس ليش » فليس سوى خنزير صغير يبدو كبيرًا في أعينكم لأن « إيخمان » ليس هنا » .

وفكر قليلاً شاردًا ببصره ثم واصل حديثه :

ــ « هملر هذا ! كم كنت أتمنى أن أنفرد به ساعة واحدة حتى أسأله عن بعض أشياء ، وهذا ما أقوله لمن أثق فيهم من المقربين إليَّ .

لو استطعت لتخلصت من بورمان وهملر .

بورمان لا يستغرق أمره مني أكثر من خمس دقائق فقط .

ولكن الأمر مع هملر يختلف بعض الشيء ويطول قليلاً .. ربما لعدة أسابيع كانت هناك طريقتان في عقلي .

إما أن أدعوه ومعه كل حاشيته إلى الغداء ، ويكون في انتظارهم فرقة من الجند ليتخلصوا منهم .

أو أبعده عن القوة والسلطة وأجرده من كل صلاحياته ، ثم أهيل عليه كومة من الألقاب الرنانة مجردة من القوة والفاعلية .

وأول الأشياء التي ينبغي عملها حينذاك هو فصل الشرطة عن القوات الخاصة .

هل توافقني على هذا ؟ انظر مثلاً « بورمان » لا شيء ، شخص فارغ المحتوى والمضمون ، أخذه « هتلر » فنفخ فيه من روحه فصنع منه شيئًا . أما « هملر » فهو قصة أخرى ، كانت لديه القوة التي يستطيع أن يتخلص بها من الجميع دفعة واحدة ، ودون مضاعفات » .

زنزانة « رينتروب » :

أخذ ينحي أوراقًا كثيرة جانبًا وقال إنه لن ينتهي على أي حال من كل هذه

الأوراق الآن ، فمن ثم لن تشوش هذه الزيارة على عقله .

وعدنا بالحديث إلى أحداث اليوم فقال :

ـــ « بالنسبة للفظائع والجرائم التي ارتكبت ضد البلدان المحتلة فجريمتنا هائلة كألمان ، وهذا ما يجعل الإنسان غير قادر على الكلام . ليس هناك من دفاع يمكنني ذكره ، ولا يمكن لأحد أن يبرر ما حدث .

ولكن إذا وضعت هذا جانبًا فسوف تجد حقيقة أن الدول الأخرى تتقاسم معنا جريمة الترتيب والتمهيد للحرب ، وكثيرًا ما قلت لأصدقائي من الفرنسيين والإنجليز أعطوا ألمانيا فرصة ، وسوف لا يكون هناك « هتلر » ، كان هذا قبل أن يصل « هتلر » إلى السلطة بالطبع ، وهناك شهود أحياء على كلامي هذا » .

وسألته :

ـــ من كان هؤلاء الأصدقاء الفرنسيون والإنجليز ؟ .

وأجاب :

ـــ « أوه .. كثير .. كان هناك كورونول إيفانز ، ودلاديه بالدوين ، ولورد روزرمير ، وآخرون » .

وقلت له :

ـــ كان ذلك قبل وصول « هتلر » إلى السلطة ؟ .

وتردد قليلاً وقال :

ـــ « حسن .. كلا .. أظن أن هؤلاء كانوا بعد ذلك . ولكن دعني أتذكر . كان هناك سير ألكسندر ووكر ، والسير إرنست تينانت ، واللورد لوثيان ، والليدي أسكويز ، وكان هناك أيضًا المركيز دي بولجناك والكونت دي كاستجليون ، دي برينون ، كل هؤلاء كانت مقابلاتي معهم عندما كنت أزور إنجلترا وفرنسا لإنجاز

بعض الأعمال .

لم ينتبه أحد إلى أن معاهدة فرساي صارت شيئًا لا يمكن احتماله .

والتف الناس جميعًا تحت قيادة قائد قوي حازم ، فقد كانوا كغنم شاردة ساعة العاصفة تبحث عمن يقودها وينقذها .

وقد كنت على علم بالمشاكل الاقتصادية ، لخبرتي في استيراد وتصدير الخمور في بعض المبادلات التجارية ، وكنت أدرك كيف أن ألمانيا توشك أن تختنق من معاهدة فرساي .

أما كيف فعل « هتلر » ما فعله بعد ذلك فهذا ما لا أعلمه ، بالفعل لا أعلمه لا علم لي على الإطلاق بما حدث بعد ذلك » .

زنزانة كايتل :

عاد يردد من جديد :

ـــ « الأوامر هي الأوامر ويجب تنفيذها .. ولكن ألا ترى معي أنه إذا كانت هذه هي أوامر « هتلر » أليس ذلك كافيًا لتحسين موقفي ؟ وفضلاً عن ذلك فأنا لم أكن سوى رئيس لأركان حربه . وربما يكون هذا هو الجانب الفاسد في الأمر برمته ! » .

وهنا ازدادت حرارته في الحديث :

ـــ « لم أكن مطلقًا في وضع يسمح لي بإصدار الأوامر . كنت أحمل أوامر « الفوهرر » فقط . لا يتحمل إنسان مسئولية دون أن تكون له صلاحية .

وهذا هو أكثر الأشياء رعبًا وظلمًا في هذا العالم . كنت أحمل الأوامر و لم يكن لي حق إصدارها .. ثم أتحمل المسئولية ؟ .

إن خريطة سلطة إصدار الأوامر التي قدموها اليوم في المحاكمة تعطي صورة زائفة غير حقيقية .

أنا لم أكن الرجل الثاني في القيادة كما صورت هذه الخريطة الزائفة .

لقد أعددت هنا خريطة لتدرج السلطة في إصدار الأوامر تعطي صورة هي أقرب إلى الحقيقة من تلك التي قدمت » .

ثم أراني رسمًا كروكيًا بالقلم الرصاص يبين « هتلر » كقائد رئيسي ، وهو بجانبه كرئيس لأركانه مع الآخرين الموجودين تحت قيادة « هتلر » وليس تحت قيادته هو .

وقلت له : إن إيمانه بهتلر كان خطأ قدريًا ، ووافقني حزينًا على ذلك .

ثم سألته عن محاولة « سبير » لاغتياله فثار حينذاك :

ــ « لا .. لا يمكنك رؤية المسألة على هذا النحو . وليست هذه هي الطريقة الصحيحة . هناك أمور ليس في وسع الضابط أن يفعلها » .

وشعر أنه قد اندفع قليلاً أكثر مما ينبغي فتوقف عن الحديث وأعمل فكره لفترة قصيرة ، ثم واصل حديثه بطريقة أكثر رتابة وهدوءًا :

ــ « أستطيع أن أقول إنني هذبت من التقاليد البروسية العسكرية التي تقضي بطاعة الأوامر في ولاء وشرف . الله وحده يعلم كم هم شرفاء وطاهرون وطيبون ولا يقبلون الرشوة . هؤلاء الضباط البروسيون ! هم سجل الشرف الذي هو فخر هذه الأمة منذ أيام « بسمارك »[١٤] .

ولهم تقاليد عريقة ترجع إلى أيام فريدريك الأكبر .[١٥]

لماذا أتصور أن « هتلر » يتبع قواعد أخرى غير تلك التي نعرفها ؟ .

عندما تدخل مكتب « هتلر » تجد تمثالاً رخاميًا لفريدريك الأكبر ، ثم لوحة زيتية « لبسمارك » و « هندنبرج » . بماذا توحي هذه الأشياء ؟ » .

وأجبته :

ــ لقد كان يستغفلك بالتأكيد . لقد أخبرني أحد الثقات الذين لا أشك في كلامهم أنه قد عمد إلى استبعاد (الجنرالات القدامى الذين ينتمون إلى العصر الجليدي ويثرثرون عن دستور الشرف العسكري ، وليس عنده أي استيعاب لمبادئ الثورية) على حد تعبير « هتلر » نفسه . كان سيطردهم بعد النصر ثم يضع بدلاً منهم عصابته من السفاكين أعضاء فرق العاصفة .

ولم أقل له إن الثقة الذي لا أشك في كلامه هو الجنرال « لهاوزن » وكان قد تكلم معي في هذه الأمور منذ أسابيع مضت .

وعندما هممت بالخروج انتفض واقفًا في وضع الانتباه وانحنى لي من خصره كعادته .

زنزانة « هيس » :

بعد الانتهاء من الاختبار تكلمنا عرضًا حول (التركيز) ، وهو الجانب الذي نتفق معًا على أنه السبب الأساسي لحالته العقلية ولفقده الذاكرة .

وذكر أنه كان يرى أحلامًا من وقت لآخر حول صباه وطفولته في مصر .

ولكنه لم يقص عليَّ أيًّا منها ، ولعله لم يقدر على تذكرها تمامًا .

وعلى أي حال فقد كان لأبويه دور مهم في حياته ، وقد قال عن هذا :

ــ « أنا أفترض أن ذلك قد تكون مع الزمن » .

وسألته عن قدرته على التركيز أثناء وجوده في السجن بانجلترا . وكيف كان رد فعله حيال تغير مجرى الحرب . وصار يتكلم بطلاقة حول فقدانه الذاكرة :

ــ « كانت الفترة الأولى لفقدي الذاكرة حقيقية غير مصطنعة ، وأعتقد أن

سببها هو العزلة الدائمة . ولا شك أن الحيرة والتخبط قد لعبا دورًا في هذه المسألة . ولكن في الفترة الثانية أظن أنني قد بالغت فيها بعض الشيء . لم يكن هناك فقدان كامل للذاكرة بالتأكيد » .

و لم يقدم أية علامة تبين علاقة هذه الفترات بالفروض العلمية التي أعرفها ، وقد تجنبت تمامًا أي مظهر يدل على أنني أقوم بفحصه من أجل تحقيق الوئام والوفاق بيننا .

٧ ينايـــر

الأحزاب تقوم بأعمال المقاومة

جلســة الصباح :

وصف الكولونيل « تيلور » التدابير التي اتخذت لقتل الكوماندوز الأسرى وفرق المقاومة التي أنشأتها الأحزاب المختلفة في البلدان المحتلة .

ساعة الغداء :

كان غضب « جورنج » قد بلغ مداه للشهادات والإقرارات المكتوبة من شهود الإثبات ضد النازيين والتي كانت تحكم الأنشوطة حول رقاب المتهمين وقال :

« إنه شيء يملؤني بالتقزز والنفور أن أرى ألمانًا يبيعون أنفسهم للأعداء ! » .

ويكاد يحترق من الغيظ في وقت الغداء وهو يحاول أن يدحض تلك الشهادات الوضيعة ــ في نظره ــ والتي كانت محل ثقة الجميع ، وبدأ يدلي باحتجاجاته في حذلقة كلامية :

ـــ « كل ما في الأمر أنني أستهجن كل ما أراه غير كريم ! .

لماذا ؟ أنا لم أتفوه بأي لفظ فيه سباب أثناء التحقيقات ، وهذا هو السبب الذي يجعلهم لا يقدرون على تقديم أي بيان من بياناتي كدليل إثبات » .

وبدأ يضحك مسرورًا من مهارته .

ـــ « ولا أقل لفظ قد صدر مني ! ها .. ها .. كل هذا رغم القسم الذي أقسمته وحرصي عليه » .

ثم نظر إلى « هيس » وقال :

ـــ « لقد تصرف على خير وجه .. كل ما في الأمر أنه لا يذكر .. ها .. ها .

هذا حسن للغاية ، هو لا يستطيع التذكر ما دام غير جاهز للإجابة » ، وبدأ الذين يجلسون إلى مائدته في الابتسام ، ولكنهم في نفس الوقت لم يعتقدوا أنها فكاهة تستحق كل هذه الضجة . وكان جميع الحاضرين لديهم شكوكهم في أن « هيس » شخص غير طبيعي ، وأغلبهم قد أفضى بهذه الشكوك إليَّ .

وبعد فترة قصيرة قال « جورنج » ساخرًا :

ـــ « وهكذا سوف يحضرون « باخ زيلفسكي » بعد الظهر » .

وهنا أبدى « فونك » ملاحظة على هذه العبارة مبينًا رأيه في أن ذلك الرجل المدعو « باخ » ليس سوى خنزير كبير .

وقلت :

ـــ على أقل تقدير سوف يكون الاستجواب مثيرًا بعد الظهر .

جلسة بعد الظهر :

وتحت استجواب مباشر قام به الكولونيل « تايلور » للجنرال « باخ زيلفسكي »

قائد القوات المناهضة لحركات الأحزاب في المقاومة بالشرق ، وصف الأخير ، ذاكرًا التفصيلات كيف أن عصابات القوات الخاصة التابعة لهملر قد قضت على قوات المقاومة التي أنشأتها الأحزاب بعمليات قتل جماعية وبوسائل أخرى أكثر رعبًا ، وكان « هملر » قد شرح حسب الشهادة : « أن الغرض من الحملة ضد روسيا يتلخص في القضاء على ثلاثين مليونًا من الجنس السلافي ، وحتى نستطيع أن نحقق هذا الغرض بنجاح يجب إنشاء كتيبة من السفاكين وأصحاب الأخلاق المنحطة المجردين من كل المبادئ الإنسانية والشرف » .

٨ ينايـر

روزنبرج ضد الكنيســة

الجلسة الصباحية :

وصف الكولونيل « هويلر » بعض التفصيلات حول اضطهاد المسيحيين وأصحاب المذاهب الدينية الأخرى ، مثل قتل وحبس القسس والرهبان ، وإلغاء جميع المؤسسات التابعة للكنيسة ــ المدارس ودور النشر وغيرها ــ وكان روزنبرج في كل هذا هو كاهن الوثنية الأعظم .

ســاعة الغداء :

قبل جلسة بعد الظهر قطع « روزنبرج » الصمت متحدثًا عن روسيا والكنيسة :

ــ « هل لدى الروس تلك الجرأة التي تمكنهم من الجلوس في مقعد القضاة في موضوع كهذا ؟ وفي ضمائرهم يعيش ثلاثون مليونًا من الذين قتلوهم ؟ يتكلمون

اليوم عن اضطهاد الكنيسة ! .

إنهم يتصورون أنهم أصحاب أعظم الخبرات في العالم وفي يدهم دينونة الناس . وهم الذين قتلوا آلاف القسس إبان ثورتهم ، كانوا يصبون عليهم الماء حتى يغمرهم ثم يتركونهم يتجمدون . لقد ارتكبوا جميع أصناف القتل والتعذيب . لقد سلخوا الجلود من أفخاذ الجنرالات الهنغاريين ليصنعوا منها شرائط حمراء للزينة . وبالنسبة لمسألة اضطهاد الكنيسة فهي مشكلة كبيرة ترجع إلى مئات السنين . وهناك جوانب عديدة لهذه المشكلة ، والله وحده يعلم الدماء التي سفكتها الكنيسة نفسها أو التي أريقت بسببها » .

واستمر « روزنبرج » في حديثه :

ــ « آه .. أنا لا ألوم الروس على الإطلاق في محاولتهم تحطيم المارد الكهنوتي الذي كان يضغط عليهم ، فقد كنت ضد المسيحية طيلة حياتي . ولكن من أين تأتيهم الجرأة والأعصاب الهادئة التي تجعلهم يجلسون منا مجلس القضاة بتهمة اضطهاد الكنيسة ؟ .

هذا هو كل ما عندي .

لماذا كل هذه الضجة حول شيء كان يحدث في أوروبا كلها على مدار القرون الطويلة ؟ .

أما إذا كان الحزب النازي قد بالغ في هذا فلا بأس ، لقد انتهى الحزب .

وإذا لم يكن فلْيُلْغ ، ولكن يجب ألا تنظروا إلينا كمجرمين . هذا هو وجه اعتراضي » .

١٠ ينايــر

شــترايخر وفرانـك

زنزانة « فرانك » :

أثار محامي فرانك دهشة من يعرفونه كحاكم عام لبولندا عما إذا كان الفاتيكان

قد ساعد في تجهيز الادعاء ، وقال إن موكله في هذه الحالة سوف يعلن خروجه من الكنيسة .

وبعد المحكمة هذا الصباح كنت قد سألت فرانك عما يقصده بالضبط بهذا الكلام فوضح أن محاميه قد أخطأ فهمه ، فقد كان يريد فقط أن يعرف إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية ــ التي ينبغي أن تكون بعيدة تمامًا وفوق كل الشئون الدنيوية ــ قد ساعدت في تكوين الادعاء أم لا ، ولكنه لم يقل أبدًا إنه سوف يترك الكنيسة ، لقد قال فقط إن هذا سوف يضع الكاثوليك الألمان في وضع صعب .

ــ « في مرة وجدت نفسي أنهض فجأة في فزع . إنه من المثير والممتع أن تلاحظ رد الفعل هذا الخاص بي أنا شخصيًا .. وهو على ما يبدو لي يشير إلى أني مزدوج الشخصية فأنا نفسي فرانك هنا ذلك الذي تراه ، وهناك فرانك آخر القائد النازي ، وأحيانًا أسأل نفسي كيف يستطيع ذلك الإنسان المدعو فرانك أن يفعل ما فعل ؟ .

وفرانك هذا الذي تراه يقف أمام فرانك الآخر ، ويقول له :

كم أنت حقير يا فرانك ، كيف تفعل مثل هذه الأشياء القذرة ؟ .

إنك بكل تأكيد تترك انفعالاتك تجري بك بعيدًا .. أليس كذلك ؟ أليس هذا مثيرًا ؟ ، إنك كرجل من رجال التحليل النفسي سوف تجد الأمر يثير الاهتمام . مجرد أن أكون شخصيتين منفصلتين ــ أنا هنا شخصيتي الحقيقية التي تراها . وذلك الفرانك الآخر النازي الكبير صاحب الكلمات الرنانة بعيد هناك ، ولا وجود له في المحاكمة . أليس هذا شيئًا يخلب اللب ؟ » .

وعلى نحو ما نرى في كلامه نجد أن ما يقوله يخلب اللب إلى أقصى درجة .

جلسة الصباح :

لخص الكولونيل « بالدوين » أدلة الاتهام ضد فرانك بصفته الحاكم العام لبولندا

وذلك بقراءة مقتطفات من يومياته :

« حتى لا يتعرض الشعب الألماني للمجاعة فيجب أن تتحمل البلدان المحتلة وشعوبها ذلك العبء .. هذه البلدان في مساحاتها العامة تمثل مزرعة للرايخ الألماني » .

« ليس عندي تردد في أن أعلن أنه مقابل كل ألماني يقتل سوف أقتل مائة من البولنديين » .

« إنه يسعدني أيها الرفيق « ساوكل » أن أبلغك بصفة رسمية أننا قد أرسلنا ثمانمائة ألف عامل للعمل في الرايخ الألماني » .

ساعة الغداء :

كانت الأضواء مسلطة على « فرانك » ساعة الغداء :

ــ « إنه لأمر يثير العجب البالغ !! كيف يتخذ القاضي فقرة من سياق كدليل على شيء ما ! يا للغرابة البالغة ! هل هذا هو العدل ؟ هل هذه هي النزاهة ؟ لقد صرت أشك في الطبيعة الإنسانية ، وشيء مثل هذا يستفزني حقيقة ، لعلك تفهم ما تحدثه بي مثل هذه الانفعالات المفاجئة » .

وسألته :

ــ لعلك آسف الآن ونادم على تسليمك لليوميات التي كتبتها ؟ .

وأجاب « فرانك » :

ــ « كلا مطلقًا . الله يعلم أنني فعلت هذا من أجل أن تعرف الإنسانية جمعاء كل الحقيقة ، الحقيقة الكاملة ، الحسن منها والقبيح ، ما يحسن فهمه وما لا يحسن فهمه ، ليس عندي شكوك حول مصيري كما أخبرتك طول الوقت . الآن لم يبق أمامنا غير الحقائق المجردة فقط » .

وهنا تحولت المحادثة إلى « شترايخر » وكانوا يتجنبونه مثل الطاعون منذ أن قرئت عباراته المقتبسة المليئة بالعهر الثائر والغباء المطبق والتي ما زالت حية في رءوسهم . وأدلى ببعض الملحوظات التي يفهم منها أنه لم يكن من المقدر له أن يكون ناشرًا على الإطلاق لولا أن « هتلر » أراد ذلك ومدَّه بالمال الكافي لهذا .

وحتى « روزنبرج » كان يستهزئ من ادعائه العلمي الكاذب بتعمقه في دراسة الأجناس الآرية .

جلسة بعد الظهر :

بيَّن السيد جريفث جونز أنه بجانب نشر صحيفة مليئة بالدعارة والقتل الديني ، وقصص الاغتصاب ، وسائر الأشياء المستهجنة التي تدعو إلى التحريض والتهيج والتي كان شترايخر يقوم على نشرها ، نجده قد أغرم أيضًا بعدائه للشعوب غير الآرية وحقق ثراء فاحشًا من هذا السبيل مثل جوليات من فرانكونيا .

وربما يكون السبب الظاهري في استبعاده من منصبه في عام ١٩٤٠ أن كثيرًا من عمليات المصادرة للممتلكات التي تمت كانت لحسابه الخاص .

ورغم هذا فقد استمرت صحيفة (العاصفة) في الظهور لتحقق أغراضها .

١٢ ــ ١٣ ينايــر

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « فون بابن » :

سألني عن مؤتمر منظمة الأمم المتحدة ، وقلت له إن معلوماتي عنه قليلة جدًا ،

ومن ثم تحول الحديث إلى « هتلر » .

وقال « فون بابن » :

ــ « في البداية كان من الممكن أن توافقه وتسير في طريقه . كنت أتكلم أنا وشاخت حول هذا ، لم يكن هناك ما يقلقنا حتى عرفنا أننا نتعامل مع رجل مجنون .

لم يكن في الاستطاعة فيما بعد أن نتعامل معه بالعقل والمنطق . خذ مثلاً انسحابنا من عصبة الأمم . كم حاولت أنا و « فون نيوراث » أن نجعله يعدل عن ذلك .

لم نكن في أول الأمر نظن أنه جاد في الانسحاب حتى لحقت به في مسكنه بميونخ وتناقشنا معه عدة ساعات وظننت أنني قد أقنعته . وفي الصباح التالي بدا كمن أوحي إليه رؤيا بليل وقال :

ــ كلا .. لقد ظننت أن الأمر قد انتهى بمناقشتنا في الليل ، ولكني الآن مقتنع تمامًا أن على ألمانيا أن تأخذ طريقها وحدها ! .

وهكذا ببساطة لم يكن من المستطاع مناقشته أكثر من ذلك مادام قد أثبت أنه يستطيع تحقيق الكثير دون أن يريق قطرة دم واحدة .

حتى « تشرشل » نفسه كتب في عام ١٩٣٧ م :

(إذا فقدنا حربًا فإني آمل أن نجد الزعيم الذي يفعل الكثير لإعادة بناء وطننا) .

هل تتوقع من ألماني أن يرضى من « هتلر » بأقل مما رضي به منه « تشرشل » ؟ .

وقلت :

ــ ولكنك حين قرأت (كفاحي) ألم تبصر في أي طريق تسير ؟ عداء كل الشعوب غير الآرية .. العدوان .. بذور الحقد والكراهية في كل مكان .

— « أوه . ومن أخذ (كفاحي) مأخذًا جادًا يا عزيزي الأستاذ ؟ الناس في العادة يكتبون أشياء كثيرة مبالغًا فيها من أجل تحقيق أغراض سياسية .

كنت أختلف معه كثيرًا . ولكني حقيقة لم أتصور أنه يقصد الحرب حتى ضرب بمعاهدة ميونخ عرض الحائط . وقد أبعدني عن النمسا قبل عملية (الأنشلوس) بخمسة أسابيع ، لأنه قرر ألا يسير وفق سياستي المتطورة . ولكن يبدو أن النمساويين كانوا راضين تمامًا بما حدث » .

وقلت له :

— ولكن لماذا لم تنسحب من الحكومة النازية عندما تأكدت من نواياها العدوانية ، وعلى الأقل بعد خروج « هتلر » عن اتفاق ميونخ ؟ .

وأجاب :

— « هذا سؤال مثير . ولكن ماذا كان يمكنني أن أفعل ، أغادر البلد وأعيش كمغترب في الهجرة ؟ لا أستطيع هذا . أذهب إلى الجبهة للقتال كأي ضابط ؟ ، كانت السن قد تقدمت بي كثيرًا . أن أقدم على الانتحار ؟ هذا لم يكن في تفكيري في الواقع . معارضة « هتلر » كانت تعني ببساطة تامة أن تقف مستندًا إلى جدار ثم يطلق الجند عليك النار . وأظنك تتفق معي أن هذا ليس حلاً لشيء .

لقد عشت خارج الحياة العامة لسنة تقريبًا . وكان ذلك بعد إتمام الأنشلوس مع النمسا ، ثم استدعاني ريبنتروب تليفونيًا وقال :

— هر فون بابن ، عليك أن تذهب سفيرًا لنا في تركيا .

وعندما وصلت إلى برلين قال لي ريبنتروب إن ألمانيا مهددة بتضييق الخناق عليها إلى درجة قد تؤدي إلى إشعال الحرب ، ونريد أن تبقى تركيا على الحياد على الأقل .. إلخ .. إلخ ..

حسن .. لقد تصورت أنني أستطيع على الأقل أن أحفظ هذا الجزء من أوروبا

في سلام . وهذا ما نجحت في تحقيقه بالفعل . وعندما اشتعلت الحرب ، ماذا كان في وسع مثلي أن يفعله حينذاك ؟ » .

زنزانة « سبير » :

صار يشرح مسرورًا كيف أنه أصبح محط أنظار الآخرين وإعجابهم ، وأنهم يلتفون حوله راضين تمامًا عن محاولته في القضاء على حياة « هتلر » وقال :

ــ « هذه صورة طبق الأصل لنظامنا الذي كان يلفه الرياء والنفاق . كل فرد يتظاهر بصداقة الآخر ويعانقه وفي يده السكين خلف ظهره . ولا أكتمك لقد كنت مثل الآخرين في هذا المضمار » .

وسألته :

ــ هل ما زلت تعتبر نفسك مسئولاً مسئولية عامة مع سائر قادة الحزب ؟ .

وأجاب بسرعة :

ــ « كلا مطلقًا يا سيدي .. سوف أقول الكثير في كلمتي الأخيرة .. وقد اتفقت مع « فريتشه » على تنسيق الملاحظات بيننا حتى لا يكون أحدنا نسخة من الآخر . ولكن ينبغي على شخص ما أن يقف ليقنع الناس . شخص يتمتع باحترامهم . وأظن أنهم يحترمونني لأنهم يقولون :

هذا أحد قادة الحزب ولكنه يعيش حياة متواضعة .

وهذا أيضًا شيء يدعو إلى التأمل في نظامنا . فقد كان أمرًا غريبًا ومخالفًا للمألوف أن يعيش وزير في الرايخ الألماني معيشة متواضعة » .

« أما عن « فرانك » فقد مسه شيء من الجنون . فهو يلقي الخطب الرنانة

النازعة إلى التصوف والغموض والتدين العميق مستندًا إلى إيمانه الحديث بالمسيحية ، لقد كان دائمًا شديد الانفعال . ولكن كانت سمعته غير حسنة على أي الأحوال ، حتى « فريتشه » نفسه لم يكن يتمتع بالسمعة الطيبة بين المثقفين ، وهذا بسبب عمله في الدعاية ، وهو عمومًا لطيف المعشر ، وأنا أعلم أن كل كذباته بيضاء لا تضر » .

٤
الادعاء الفرنسي



١٧ ينايـر

خطـاب الافتـاح

جلســة الصباح :

بدأ السيد فرانكويز دي منثون(*) ممثل الادعاء الفرنسي خطابه في حماسة وغيظ فاضحًا العدوان النازي الذي جرح كبرياء الأمة الفرنسية ، وفي الوقت نفسه تسبب في قتل أبنائها وسلب مواردها :

ــ « مع أن القاضي « جاكسون » قد أبدى ملاحظاته عن تخطيطات المؤامرة النازية وكيف تطورت ، وقد عدد السير « هارتلي شاوكروس » العديد من خرقهم للمعاهدات على اختلافها ، إلا أني أقصد اليوم أن أبرهن لكم أن كل الأشياء التي رتبت والنزعة الإجرامية التي لا حدود لها . إنما تنبثق في رأيي عما يمكن أن نسميه جريمة ضد الحياة نفسها » .

(*) سافر إلى باريس لمهام سياسية بعد خطابه وخلفه المسيو شامبيتيه دي رايب .

« لقد أعادونا إلى الوراء على قدر ما استطاعوا ، إلى أكثر الأزمنة بدائية عند القبائل المتوحشة ، كل القيم الإنسانية التي تكونت عبر القرون قد نبذت جانبًا ، جميع الأفكار المثالية عن الأخلاق والعدالة والقانون قد تنحت ليتربع مكانها فكر سقيم عن جنس متفوق لا وجود له ، ليرضوا غرائزهم وما يحتاجون إليه ، ويغذون اهتماماتهم الدنيوية في السلب والنهب ، أما عن الفرد وحريته وحقوقه وتطلعاته وطموحه فلا مكان له عندهم » .

« وتغير شكل الأمة الألمانية ، وضاعت أصول الشعب وجذوره ، وتحول إلى طبقة عريضة واسعة من المرءوسين ، ولم يكن هناك أكثر من إجراءات عامة ، وضاع الإخاء الإنساني مع سائر ما ضاع من القيم الأخلاقية الموروثة .. وكل رجال الدين المسيحيين منهم وغيرهم على جميع طبقاتهم قد حوربوا وأوذوا لأنهم يعملون على تثبيت شرف الدين والأخوة ، ولأنهم يعملون على قتل روح الشر في نفس الإنسان ..

وارتفعت الصيحة ضد الديمقراطية المثالية في العصر الحديث ، وسرعان ما وقفوا أمام العالم أجمع .. وقادت هذه المبادئ بالضرورة ألمانيا إلى إشعال حرب واسعة عدوانية ، وسارت عجلتها وقد تقمصتها روح إجرامية منظمة .. » .

وفي القفص كنت أقف على مقربة من فرانك الذي كان يستمع إلى الخطبة في سعادة لا حد لها . وهمس لي :

ــ « آه .. هذا يبعث على الانتباه ! هذا الرجل غزير كالعقل الأوروبي ، سيكون من دواعي سروري أن أتحدث إليه ، ولكن لعلك تعرف أنه من دواعي السخرية أن أول من كتب عن الفكر العنصري والجنس المتفوق كان رجلاً فرنسيًا هو « دي جوبينو » .

١٩ ــ ٢٠ يناير

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة شترايخر :

لم يتأثر شترايخر بشيء مما قيل في المحكمة رغم العرض البريطاني لحالته ،

والتشهير الفرنسي لنظرياته العنصرية ، فقد ظل سلبيًا طول الوقت . وما زال يتقمصه شيطان يضمر العداء لكل الأجناس غير الآرية إلى الأبد . ورغم ذلك فقد فارقه شيء من شعوره بالأمن ، وصار احتقار بقية المتهمين له واضحًا بشكل لا يمكن الشك فيه .

ــ « بالطبع .. لا يزال اليهود هم القوة المسيطرة على العالم ، وما الكنيسة الكاثوليكية سوى أداة لهم ، والبابا نفسه ما هو إلا ألعوبة في يد اليهودية العالمية » .

كان هذا ما نطق به ، ثم بين كيف غررت اليهودية بالمسيحية وبكل المسيحيين ، وأنه متأكد تمامًا أن المسيح لم يكن يهوديًا في يوم من الأيام ، بل جاء للقضاء على سلطانهم ونفوذهم .

زنزانة « فرانك » :

ببطء ولكن بطريقة مؤكدة كان « فرانك » يتقدم حثيثًا نحو نبذ النازية نبذًا صارمًا ، مبديًا نفس الضعف الشخصي حيال رد فعله تجاه الجريمة ، مثلما عبر عن قيادة النازي فيما سيأتي .

وكان يناجي ذاته بعد أن انتابته نوبة من نوبات المزاج المتفائل الودود :

ــ « لقد بدأت أتساءل الآن .. ماذا يمكنني أن أفعل بالضبط ؟ .

هل أضع حدًا لوقوفي وسط القادة النازيين ؟ .

هل أعلن تبرئي منهم وألفظهم لفظة نهائية ؟ .

إنه صعب عليَّ أن أقف هذا الموقف ! » .

وعبرت له عن دهشتي لهذا التردد ، واضعًا في اعتباري احتقاره البالغ الذي عبَّر عنه تجاه « هتلر » والنظام النازي برمته . وإحساسه بالعار والخزي من كل الأشياء

التي حدثت ، وقد عبَّر عن كل هذا أمامي في كثير من الأوقات .

وذكرته بما سبق أن قاله بعد مشاهدة فيلم الفظائع النازية .

وسرعان ما انطلق مؤكدًا لي :

ــ « أوه .. أنا لم يغب عن بالي شيء من هذا صدقني . لقد أحدث ما رأيت تأثيرًا بالغًا في نفسي ، ولن أنساه أبدًا . ولكن انفعالاتنا تأخذ أشكالاً مختلفة ، وهنا تكمن المشكلة . هل أستطيع أن أهجر رفاقي هجرانًا تامًا ؟ حقيقة لست أعرف ، أنا مجرد إنسان مسكين ضعيف تتنازعني انفعالات لا حد لها . ولكني لا أستطيع أن أنفصل عن المحيط الذي يلفني » .

ونظرت إليه صامتًا وكان يمكنه أن يخمن ما يدور في خاطري فأضاف :

ــ « أرى أنك لن تواصل المناقشة معنا أكثر من ذلك ، ولكنك قد تكتفي بملاحظتنا فقط ، وهذا حسن على أي حال ، وأؤكد لك أنك سوف تصل إلى استنتاجات صحيحة » .

ولم أعقب على حديثه بكلمة واحدة .

٢٢ ينايــــر

ســاعة الغداء :

عادت مجموعة جورنج لمناقشة موضوع الدعاية وتأثيرها ومدى قوة الصحافة . ووافق جورنج وروزنبرج ثانية على أن كل أمريكي تهزه الصحافة وتؤثر فيه بقوتها . وتكلم روزنبرج بتأثر وعاطفة :

ــ « مسكين « هيرست » .. لمجرد أنه نشر بضعة مقالات لي ، ثم ظهرت

صورته معي وسرعان ما هدده دائنوه بإعلان إفلاسه ومقاطعته وسائر هذه الأعمال » .

٢٦ ــ ٢٧ ينايــر

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « روزنبرج » :

طلب مني « روزنبرج » أن أتجول معه في الطابور هذا النهار . وأنا في العادة لم أكن أتبادل الأحاديث معه كثيرًا ، لأنه لم يكن بيننا ما يمكننا الحديث فيه . ولكن تصادف أن التقينا ونحن خارجان إلى الفناء في وقت واحد .

وبدأنا الحديث عن براهين وأدلة الأمس التي ساقها الفرنسيون عن التعذيب وسائر الفظائع الأخرى ، وقال لي في براءة :

ــ « لست أفهم كيف يمكن لألماني أن يفعل هذه الأشياء » ؟ .

ووجدت نفسي أرد عليه بسرعة .

ــ أما أنا فأستطيع أن أفهم ذلك جيدًا . أنت وفلسفتك النازية ونزعتك الوثنية وهجومك على الكنيسة وسخريتك الدائمة من مبادئ الأخلاق هو ما ساعد على تحطيم مجتمعكم . وليس هناك عجب أن تنجم جميع التصرفات البربرية التي عرفناها نتيجة لهذا .

زنزانة « رينتروب » :

قدمت لـ « رينتروب » محلل السجن النفساني الجديد الميجور « جولدنسون » ،

وبدأ الأول يذكر شهاداته الجامعية ، وانتهى كالعادة بحيرته من تكافؤ الأدلة في داخله بين الإعجاب بهتلر واحتقاره له .

وصار يحكي بعضًا من صور حياته .

كيف عاد من كندا ومعه شحنة من الفحم الحجري عند اندلاع الحرب العالمية الأولى . ثم كيف خدم أثناء هذه الحرب كضابط .

ثم كيف تزوج بعد ذلك من وارثة لمصنع للشمبانيا بعد الحرب .

وقال في سرور خفي كيف إنه اختلط « بالشلة » الدولية إن جاز هذا التعبير والتي تلتقي بباريس في الربيع ، وتقضي الشتاء في سان مورتيز ، والصيف في الريفيرا وبيارتز . إلخ .

ولم يتدخل في السياسة حتى سنة ١٩٣٢ م حيث بدأ يهتم بها عندما أصيبت الأعمال التجارية بالكساد التام بسبب البطالة والتضخم ، وكان ذلك بوازع من داخله حرَّك في نفسه الطموح إلى التسلق حتى أعلى درجات السلم الاجتماعي .

ودلَّل على تأثيره ونفوذه عندما قال إن هتلر قد سمح له أن يظل على اهتمامه بأعماله الخاصة في تجارة الخمور ، ووصف هتلر بأنه رجل .

ــ « لم يكن يريد سوى رأسمالية مناسبة غير محتكرة » .

وكانت آخر مرة شاهد فيها هتلر حسبما روى لنا في ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٥ . وسألته عما إذا كان في ذلك الوقت قد بدا له أي أثر يدل على أن « هتلر » قد عقد العزم على الانتحار فقال : إنه كان متأكدًا في ذلك الوقت أن « هتلر » قد قرر أن يموت في برلين .

« هو لم يقل هكذا تمامًا بالضبط ، ولكن ذلك كان واضحًا ، فقد ذكر للمرة الأولى كلامًا حول الهزيمة الوشيكة . وكان قد قال قبل حوالي ستة أسابيع من هذا التاريخ إننا نستطيع أن نكسب الحرب ربما بطائرة واحدة ، ولم أفهم عبارته وماذا يعني

من ورائها آنذاك .

نعم قبل ذلك لم يذكر شيئًا عن الهزيمة في الحرب وربما لم يخطر على باله .

ولا يستطيع أحد أن يستنتج معنى الهزيمة من كلامه أبدًا .

في هذا الوقت سألته على استحياء وتردد عما يريده مني أن أفعله إذا وصلنا إلى نقطة الاستسلام .

وأذكر أنه أجابني وهو مجهد قائلاً إنه يحاول أن يبذل جهدًا من أجل استعادة شيء من العلاقة الحسنة مع الإنجليز .

كان هذا الكلام بعد ضياع كل شيء تقريبًا .

ولكن للحقيقة كان يريد تحسين العلاقات مع الإنجليز طول الوقت .

وحسبما قال « رينتروب » فإن « هتلر » أصبح صلب التفكير بالنسبة للنهاية » .

وواصل رينتروب :

ـــ « وكانت إحدى عينيه قد أصابها حول وغطتها سحابة ، وكانت يداه ووجهه في السنتين الأخيرتين قد أصبحت في شحوب شديد ، حتى إن ذلك يعطي انطباعًا بأن عروقه لم تعد بها نقطة دم واحدة . ولم يكن يستطيع النوم في هذه الأيام ، ومن الناحية الفعلية كان يعيش معتمدًا في نومه على حقن الدكتور « موريل » .

٢ فبرايـــر

جورنج ضد الشيوعيين

زنزانة « جورنج » :

زرته مع جولدنسون بعد الظهر مباشرة .

وتكلم بطريقته المعتادة المليئة بالعظمة والكبرياء .

والآن لقد هبت ريح الفرنسيين ، ولم يكن هذا ما يخشاه « جورنج » .

فقد كان يتوقع أن الادعاء الروسي سوف يكون ضده شخصيًا ، وكان يتوقع أن الروس سوف يقسون عليه بصفة خاصة ، لأنه كان أكثر النازيين معارضة وحربًا للبولشفية .

وقلت له :

ـــ يخيل إليَّ أن « روزنبرج » سوف ينازعك هذه المكانة .

ولكن « جورنج » أصر أنه هو الذي يستحق لقب مناهض الشيوعيين الأول . لأنه عبَّر عن معارضته لهم بالأعمال دائمًا وليس بالكلمات فقط . وهو على يقين من أن الشيوعيين لن يغفروا له بعض الإجراءات التي فعلها ضدهم أبدًا ، وهذه الإجراءات أكثر من أن تحصى .

وبدأ يحكي في حالة من المتعة والسرور كيف اضطهد الشيوعيين بمجرد أن وصل « هتلر » إلى الحكم :

ـــ « وكرئيس لشرطة بروسيا قمت باعتقال عدة آلاف من الشيوعيين ، وكان هذا هو السبب الحقيقي لإنشاء معسكرات الاعتقال لأول مرة .

ثم قطعت الطريق على الاعتمادات والأموال التي كانوا يرسلونها إلى الملكيين في إسبانيا . ثم كانت هناك شحنات الأسلحة والذخائر التي سلمت بحرًا في برشلونة ، هي قصة لا تنسى . ها .. ها .. إنهم لن ينسوا هذا لي مطلقًا » .

وهنا ضحك كطفل خبيث قد وضع مسمارًا في مقعد المدرس فاستخفه الطرب :

ـــ « وكانوا قد دفعوا أموالاً وأعدوا العدة حتى يرسلوا شحنة من الأسلحة

ليتسلمها الملكيون في بلد محايد ، وكان رجالي ضمن الطاقم الذي قام على تحميل السفينة . ووصلت الشحنة عبارة عن مواد للبناء تعلوها طبقة لا قيمة لها من الذخائر .. ها .. ها ! سوف لا يغفرون لي هذا أبدًا » .

وكانت ضحكات « جورنج » السمين تدوي في فراغ الزنزانة ونحن ننظر إليه صامتين بلا أي تعبير على وجهينا . ولم يقل أحد منا شيئًا .

وفي النهاية جاء وقت الذهاب إلى الكنيسة .

وعند خروجنا من الزنزانة أخبرته أنني لا أريد أن أشغله عن صلاته ، لأن الله يعلم كم هومحتاج إليها .

وضحك ثانية وقال في مرارة وسخرية وتبجح :

ــ « فلتذهب الصلاة إلى الجحيم ، هي مجرد فرصة للخروج من هذه الزنزانة اللعينة لمدة نصف ساعة ، فالكنيسة أخف وطأة من الزنزانة على أي حال » .

وبعد الانتهاء من الصلاة شاهدت القس « جيريك » قابعًا في زنزانة « جورنج » يحاول أن يغرس شيئًا من مشاعر التوبة في نفسه جاهدًا أن يجعله يشعر بالندم على ما اقترفت يداه بلا فائدة .

وقد أخبرني « جيريك » فيما بعد أن « جورنج » قد قال له إن المسألة بالنسبة له هي رفضه كلية لتعاليم الدين وأنه شيء لا معنى له ، وأنه يأمل أن تجد زوجته الشجاعة الكافية فتقتل طفلهما ثم نفسها ، فذلك خير من الحياة على هذا المنوال الذي عرفنا جيدًا كم هو سخيف ولا معنى له .

٧ فبرايــر

الأيديولوجية والنهب ــ بعثة هيس

جلسـة الصباح :

بدأ المسيو « مونييه » من البعثة الفرنسية في تحريك الادعاء الفرنسي وذلك

بإعطاء ملخص واف عن دور « روزنبرج » في المؤامرة النازية .

ساعة الغداء :

بيَّن « سبير » و « فريتشه » أن سرقات « جورنج » لكنوز الفنون في أوروبا كانت شيئًا بشعًا في نظر الألمان .

وقال « فريتشه» :

ـــ « إنهم لم يذكروا الجانب الأسوأ في القصة ، لقد كان يبيع هذه المسروقات لحسابه ، ولكن هذا الفرنسي الذي عرض الحالة قد أدى عملاً طيبًا في الواقع ، كانت فعاليته أكثر من ذكره لاسمه في حقيقة الأمر ، وبمهارة فائقة ترك الكلمة في ذلك لتقررها المحكمة بنفسها » .

وأضاف « سبير » :

ـــ « لست أدري . كيف تكون هناك جهة متحدة بين المتهمين بعد أن لوَّث هذا الرجل شرفه على هذا النحو ؟ » .

وجاء « جورنج » بعد الغداء بينما كنت أقرأ الجريدة لبعض الآخرين ، ونظر من فوق كتفي ، ثم بدأ يتكلم بحكمة عن عدم حمل الضغائن والإحن للأطباء النفسانيين . وانصرف الآخرون ليتجنبوا المباسطة معه .

وأبدى « جورنج » في هذا اليوم اهتمامًا عظيمًا بالأخبار .

جلسة بعد الظهر :

عرض المستر « جريفث جونز » (بريطاني) التهم ضد « هيس » ومنها أن « هتلر » قد أملى عليه كتاب (كفاحي) أثناء وجودهما معًا بالسجن في قلعة (لاندسبرج) في عام ١٩٢٤ م . وبعد ذلك صار نائبًا للفوهرر ، وكان من أكبر

مراكز القوة في ألمانيا ، وهو الذي وقَّع قرارات اضطهاد الكنيسة ورجالها وبعض العناصر الأخرى من المواطنين . ودعم عملية التسليح ، وساعد على ربط الطابور الخامس الأجنبي مع منظمة الأوسلاند (هيئة الألمان المغتربين) .

وشارك في إعداد الخطط العسكرية العدوانية ضد كل من تشيكوسلوفاكيا وبولندا . وأخيرًا وصوله جوًا إلى انجلترا في ١٠ مايو سنة ١٩٤١ ليقدم السلام للإنجليز على الشروط النازية :

ــ « وأعطى مبرراته .. وذلك أنه مشفق عليهم من حرب طويلة لن يستطيع الإنجليز كسبها ، وعلى هذا فمن مصلحتهم أن يوافقوا على السلام الآن .

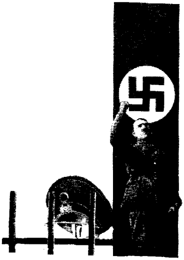
وقال : إنه ليست لدى الفوهرر أية نوايا عدوانية ضد انجلترا ، وليست لديه فكرة السيطرة على العالم . وإنه حريص كل الحرص على عدم انهيار الإمبراطورية البريطانية » .

كان « هيس » يريد أن يترك بريطانيا وحالها ، على أن تترك هي ألمانيا مطلقة اليد في أوروبا ، وفي مواجهة روسيا . ولكن بطبيعة الحال عليهم إن راقتهم هذه الأفكار أن ينحوا « تشرشل » عن الحكم .

وفي نهاية الجلسة تمكن « جورنج » بصعوبة بالغة من أن يضبط نفسه فلا يظهر احتقاره لهيس لمحاولته الحمقاء أن يكون دبلوماسيًا ، ومن ثم فقد ربت على ظهره مبديًا تشجيعًا وتهنئة على هذه المحاولة التي وصفها رياء بأنها طيبة .

٥

الادعاء الروسي



٨ فبرايــر

خطـاب الافتتاح

بدت الكآبة على وجه « جورنج » عندما أشرت إليه أن القاعة قد ملئت للمرة الأولى منذ عدة أسابيع ، وأن كل هؤلاء قد جاءوا ليسمعوا خطاب الافتتاح من ممثل الادعاء الروسي الجنرال « رودنيكو » .

وقال وهو لا يستطيع إخفاء علامات الاحتقار التي بدت على وجهه :

ــ « نعم .. الكل يريد أن ينعم بالمشاهدة .. ولكن سوف ترى أيها الدكتور .. ستكون هذه المحاكمة فضيحة بعد خمسة عشر عامًا » .

جلسـة الصباح :

بدأ الجنرال « رودنيكو » منفعلاً وهو يتلو الادعاء الروسي وهو يدين الغزاة واصفًا إياهم بالقسوة والهمجية :

« إن المتهمين يعلمون أنهم قد استهزءوا متكبرين بكل القوانين الخاصة بالحرب ، وضربوا بتقاليدها عرض الحائط ، وارتكبوا بذلك أعظم الجرائم وأخطرها ، وكانوا يفعلون هذا وهم يعلمون ، ولكنهم كانوا يأملون في الفوز بالنصر ، ومن ثم يكونون بمنجاة من العقاب ، ولكن خاب فألهم ، وكانت جرائمهم سببًا أساسيًا في هزيمتهم المنكرة التي أدت إلى تسليم ألمانيا غير المشروط ، ومع هذا التسليم المهين جاءت ساعة الحساب والسؤال عن كل ما ارتكبوه ، فهذا هو يوم دينونة هؤلاء المجرمين ... » .

ســاعة الغداء :

كان كل من « جورنج » و « هيس » قد خلع السماعة أثناء إلقاء خطاب الافتتاح بالمحكمة كإشارة تفيد أن الخطاب ليس بالأهمية التي تجعلهم يستمعون إليه .

وعندما سألت « جورنج » لماذا لم يستمع إلى الخطاب . قال : إنه كان يعلم مقدمًا ماذا يمكن أن يقوله الروس ، ولكنه كان متشوقًا لسماعهم وهم يتحدثون عن بولندا .

وكان قد توقف عن السماع عندما كان الجنرال « رودنيكو » يتحدث عن العدوان ضد البلدان المختلفة وقال :

ــ « أنا لا أظن أن حياءهم قد انعدم لدرجة أنهم يتكلمون عن بولندا » .

وسألته :

ــ ولماذا تظن أن حياءهم يمنعهم من مثل هذا الحديث ؟ .

فقال :

ــ « لأنهم هاجموا بولندا معنا في نفس الوقت ، والمسألة كلها كانت مرتبة بيننا وبينهم من قبل » .

وهنا ضحك « فون شيراخ » وقال :

ــ « لهذا شعرت أنني أكاد أموت من الخجل عندما جاء ذكر بولندا » وأثناء الحديث قال « فريتشه » إن هناك شيئًا واحدًا ذكره الروس وهو لم يكن يعلم عنه شيئًا ، ذلك هو معسكرات الإعدام خلف الخطوط الألمانية مباشرة ، حيث كان يعدم الأطفال والنساء الروس في حفر قد أعدت لهذا الغرض ، ولم تكن هناك علامات تميز هذه الأمكنة » .

وهنا زأر « جورنج » قائلاً :

ــ « هذه الفظائع جميعها من صنع الروس بمواطنيهم ثم نسبوها الآن للألمان » .

جلسة بعد الظهر :

بينما كان الروس مستمرين في عرض أدلتهم عن العدوان والفظائع النازية كان « جورنج » لا يزال يحاول أن يبدو في صورة الضجر غير المهتم بما يرى ويسمع .

وواصل الجنرال « رودنيكو » ممثل الادعاء الروسي :

« وتضامنًا مع كل من ممثلي الاتهام في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا فإني أحمل المتهمين مسئولية الإعداد والتنفيذ لعدوان غادر لم يحدث مثله ضد بلادي وشعبي ، وضد الحرية التي تقدسها جميع الأمم في العالم » .

السجن في المساء

زنزانة « فريتشه » :

ذهبت إلى « فريتشه » في المساء .

وفي أثناء الحديث ذكرت له اتهام « جورنج » للرئيس « روزفلت » بأنه قد رجح

كفة الحرب ضد ألمانيا . ولدهشتي وجدت « فريتشه » يقول إنه قد ناقش هذه المسألة مع « جورنج » و « رينتروب » .

وسألته عن الأسباب التي دعت إلى هذه المناقشة فقال :

ــ « لقد كنت أشرح الأسباب التي حملتني على إذاعة الأحاديث التي كنت أقولها بالراديو ، ومن الطبيعي أنني لم أكن أعلم في ذلك الوقت شيئًا عن الخطط التي يعدها « هتلر » من أجل الحرب العدوانية ، كل ما عرفته فقط أن كلاً من السفيرين « بوليت » و « بيدل » قد أكد للدول الأخرى أن أمريكا سوف تؤيدهم » .

٩ ــ ١٠ فبراير

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « فون شيراخ » :

زايلت « فون شيراخ » حالة تأنيب الضمير التي كانت تنتابه واختفت تمامًا ، وذلك بعد أن وقع مرة ثانية تحت تأثير « جورنج » منذ الأسبوع الأول من المحاكمة .

إن ضعف الأخلاق الأساسي لهذا الإنسان المصاب بالنرجسية نراه بوضوح في محاولته لكبح واستبعاد أي شعور بالسخط والندم لخيانة ألمانيا عبر ما كان يسمى بشبيبة هتلر .

وتحت تأثير عدوانية « جورنج » المتعالية ، وظنه أنه أصبح مثلاً وطنيًا ، ثم الظهور بمظهر البطل الرومانسي .

وكانت المحاولات التي بذلت لسبر غوره ومعرفة ردود أفعاله لخدمة الأدلة المقدمة ، وعلى مدار شهرين ــ لم ينتج عن هذا كله غير إنسان يتملص دائمًا من أية

محاورة ولا يستجيب لشيء إلا بنصف قلبه إن جاز هذا التعبير .

وكان ينتبه تمامًا عندما طلبنا منه كتابة ما يفيد أن « هتلر » قد خان ألمانيا بما فعل ، وأن يترك هذا المكتوب معي بعد أن يتم إعدامه ، ولكن تبخرت جهودي مع الميجور « كيلي » من أجل هذه الورقة وفشلنا تمامًا في انتزاعها منه .

وعندما دخلت الزنزانة وجدته ملفوفًا « بالبطانية » كعادته ومستلقيًا على الفراش ، ودعاني إلى الجلوس على المقعد الوحيد الموجود .

ثم تكلم على الفور عن موضوع اعتقال عائلته ، ثم أراني الكتاب الذي كتبه الجنرال « سكوت » للمحكمة ، ويبدو أنه رد على التماسه .

وتحدث شارحًا الدواعي والأسباب التي أدت لوضع عائلته في المعتقل .

وتحدث ساخرًا من هذه الأسباب والدواعي ، وصار يستهزئ وينتقد سوء المعاملة التي يلقاها الألمان من قوات الحلفاء المحتلة .

وقلت له بعد أن انتهيت من قراءة الخطاب إنه يبدو لي في منتهى الوضوح أن كل التدابير التي اتخذت للأمن تتسم بالعقل والاتزان ، بالإضافة إلى أنها ضرورية بالفعل بعد نهاية الحرب مباشرة ، وخصوصًا أثناء انعقاد المحكمة . وأنه يعلم جيدًا أن أسرته لم تعامل معاملة سيئة كما يدعي ، وأنهم لم يعدموا كما كان الجستابو يفعل مع ضحاياه في الزمن القريب .

وكانت لهجتي حادة وحاسمة حتى إنه أجفل واتخذ موقفًا دفاعيًا وصار يقدم الاعتذار . وقال إنه لم يكن يعني الأمريكان بل الروس .

وقلت له : إنه لو كان منتبهًا في المحكمة وإنه لو استمع جيدًا لما يقوله الادعاء الروسي لفهم الدواعي والأسباب التي تجعلهم يظهرون بمظهر المقهورين الغاضبين من سوء ما حاق بهم على يد الرايخ الألماني .

وهنا قال مؤكدًا إنه لم يعمل من أجل الحرب ضد روسيا ، وإنه لم يوافق

« جورنج » على أن الحرب ضد روسيا كان من المستحيل تجنبها ، وأنه يعتقد بالفعل أن الهجوم على بولندا كان مؤامرة مسبقة . وانتقد « رينتروب » لسياسته المزدوجة التي أدت إلى إشعال الحرب مع الروس .

ثم انتقل بنا الحديث إلى « رينتروب » .

واستمر « فون شيراخ » متحدثًا :

ـــ « لقد قلت له في ذلك اليوم إنني لا أوافقه ، وقد كنت دائمًا أعترض ـــ وما زلت ـــ على سياسته الخارجية . وقلت له إذا كنت قد حققت تفاهمًا مع الروس فكيف تضع الترتيبات للعدوان عليهم ؟ فقال لي إن الفوهرر كان يخشى من هجوم الروسيا علينا » .

وقلت :

ـــ أظن أن « رينتروب » كان في وضع يحتم عليه تنفيذ أوامر هتلر بحذافيرها .

وقال :

ـــ « هذا صحيح .. وكان في غاية العنجهية والتكبر وهو يتحدث عن سياسته الخارجية ، وكيف أنه و « هتلر » سيقودان ألمانيا إلى العظمة والمجد .

إنه لمن الأشياء التي تثير السخرية والعجب وصول هذا الرجل إلى المكانة الأولى في تحريك السياسة الخارجية .

لم يكن أحد يسمع به ، أو يعرف عنه شيئًا .

وفجأة وجدناه أهم رجل في وزارة الخارجية .

وسألت بعضهم عمن يكون هذا عندما ظهر في المفاوضات مع الدول الأخرى .

فقالوا : هو « رينتروب » ، وهو أهم رجل في السياسة الخارجية .

ومن يكون « رينتروب » ؟ وماذا عن ماضيه ؟ ومن أين أتته هذه القوة ؟ و لم أسمع إجابة واضحة من أحد .

كانت المسألة برمتها من هذه الناحية يلفها غموض كامل .

كل ما استطعت أن أعرفه أنه قد جعل بيته في ميونخ تحت تصرف البعثات الدبلوماسية أثناء سير المفاوضات .

وفجأة صار هو الذي يصرف السياسة والدبلوماسية في الرايخ الألماني .

وسألته :

ــ ولكن هل ينتمي حقيقة إلى طبقة النبلاء؟ أنا على يقين من أن هناك شيئًا خادعًا في شخصية « رينتروب » .

وابتسم « فون شيراخ » في خبث وقال :

ــ « هو في الواقع لم يكن ينتمي إلى طبقة النبلاء ، وقد كنا دائمًا نضحك من هذه القصة » .

وعندما هممت بمغادرته ، وجدته وفقًا لطبيعته الأخلاقية الضعيفة يطلب مني ألا أتحدث إلى أحد ، وألاّ أقص عليهم ما رواه لي عن « رينتروب » .

زنزانة « سبير » :

كانت معي نسخة من كتاب ألفه أحدهم عن « سبير » يقود « هتلر » في مجال المعمار ، وقد قادنا ذلك إلى الحديث والمناقشة حول خطط « هتلر » وتذوقه للتصميمات المعمارية ، وكذلك إنجازاته النهائية في هذا الاتجاه .

وأكد ما قاله لي الدكتور « براندت » طبيب « هتلر » حول خططه في التشييدات الفخمة التي كان يحلم بها ويرتب لها منذ انقلاب حانة الجعة في أيام

الكفاح الأولى .

وقارن « سبير » بين حاسة الذوق عند هتلر ومثيلتها لدى نابليون ، وكان الأخير قد تدرج عبر عدة مراحل .. اليعقوبيين . الديركتوار ، ثم الإمبراطورية التي شيدها بزخرفة كاذبة فارغة مُدّعاة . وكان ذلك حتى آخر أيام الإمبراطورية النابليونية .

وكان « هتلر » يفضل الأسلوب المشابه للعهد الإمبراطوري أيام نابليون .

ولكن « سبير » استطاع أن يرده إلى السنين الأولى مفضلاً الخطوط البسيطة التقليدية .

ولكن رغبة « هتلر » قد مالت إلى الأبهة والعظمة ، وزادت وألحت عليه عندما استطاع الوصول إلى الحكم والسلطان المطلق .

وكان ذلك واضحًا تمامًا عندما أمر بعد انتصاره على فرنسا بالعودة إلى التشييدات الفخمة .

وقلت لسبير إنه إذا كان الأسلوب الفخم الذي هو أقرب إلى البهرجة والزيف يمثل طموحًا مدمرًا ، فإن « هتلر » كان عليه أن يتبعه منذ اللحظات الأولى ، فمن المفروض أن حاسته في التذوق تبقى بالضرورة دون تغير يذكر منذ الأيام الأولى .

ووافقني « سبير » على ذلك .

وصار « سبير » يستعرض بإصبعه مجموعة من الصور الفوتوغرافية المرفقة بالكتاب الذي جئت به معي :

مبنى المستشارية .

طرقات برلين الضخمة التي تقع على جانبيها الأشجار .

الرسومات للمدرج الهائل الذي يحاكي مدرج أثينا .

جسور طريق الأوتوبان .

ستاد نورمبرج الرياضي .

وأعمال أخرى كانت ثم دمرت ، أو لم يكن مقدرًا لها أن تكون .

وانتابه حزن عميق بعد أن رأى هذه الصور وقال :

ـــ « كم يثير التعاسة فداحة ما فقدناه . كل هذا قد دمرته الحرب » .

وقلت له :

ـــ كانت رغبة « هتلر » الملحة في البناء والتشييد يكمن في داخلها شيطان مجنون مدمر ينوي أن يحطم كل ما بناه .

وضبط « سبير » نفسه بصعوبة وقال :

ـــ « هذا كل ما في الأمر ، كما قلت ، لقد انتهى من تدمير ما بناه وكذلك ما بناه الشعب الألماني بكد وجهد طيلة الثمانمائة عام التي انقضت ، كل ذلك تبدد وتبخر كأنه لمح بالبصر » .

وأخيرًا ضم قبضته ولكم بها الفراش ، وتكلم خلال انفعالاته المتباينة وبصوت قد خنقه الغضب والندم والألم :

ـــ « لعل يومًا يأتي سوف أخرج فيه من عزلتي ، وعندها سوف أعطي جزءًا كبيرًا من عقلي لأجلس وأكتب عن لعنة النظام النازي برمته ، وسوف أذكر أسماء وتفصيلات ، ولعلي أجعل الشعب الألماني يبصر جيدًا الأسس التي قام عليها هذا النظام ، من الأنانية والاستبداد والجنون ، ولن أعفي أي إنسان من المسئولية بمن في ذلك نفسي ، لقد كنا جميعًا مذنبين ، وسوف أظهر الحقيقة عارية تمامًا » .

وسألته عما إذا كان يهتم بكتابة ملخص لهذه الأشياء . فقال إنه سوف يشعر بحرية أكثر للعمل بعد انتهاء المحاكمة .

وخرجت من زنزانته أفكر في تلك الجرائم التي لم يتفق مثلها من قبل .

زنزانة « فرانك » :

وكان « فرانك » كالعادة مذبذبًا متأرجحًا ، وعبَّر عن آرائه في « جورنج » :

ــ « لست أدري ماذا يمكن أن يقال عن « جورنج » لقد كان حقيقة رائعًا في تلك الأيام ، ولكن كيف استطاع أن يسرق كل هذه الكنوز لحسابه أثناء الحرب مع أناس معروفين بالاستقامة ؟ .

هذا بالفعل يصعب عليَّ فهمه » .

وصرنا نناقش معًا النزوع إلى القسوة وانفصام الشخصية لدى كثير من قادة النازي ، واقتبست عبارة لجيته من فاوست[١٦] :

« هناك شخصان يصطرعان في صدري » .

وأكمل « فرانك » العبارة المقتبسة بسرعة ، ومضى في موضوعه المفضل عن انفصام الشخصية ، في واحد من مونولوجاته الطويلة المعبرة عن ذاته وضميره :

ــ « نعم .. هناك شيطان يعيش في داخلنا ، ولكن يجب ألا ننسى أن هناك دائمًا « مفستوفيليس »[١٧] يعمل على طرده ، ها هو ذا العالم واسع وعريض ومليء بالاختبار والمحن .. ها هو ذا أمامك ! سوف أريك شيئًا لا تعرفه ! هناك قدر يسير من الدناءة يلف روحك ... » .

واستطرد أكثر فأكثر متكلمًا بطريقة درامية مستخدمًا كل الإشارات التي استطاع استخدامها بيديه وذراعية ورأسه ووجهه ..

« وهكذا كان الأمر .. « هتلر » هو الشيطان .. واستطاع أن يغوينا جميعًا وأن يضلنا عن سواء السبيل » .

ولا شك أنه استخدم الغواية بمفهومها المجازي ، ولكنها استجابة لشيء في أعماقه يتحرك عند استخدامه لهذه الكلمة ، لأنها استمرت معه وعاد إليها أكثر من مرة :

« هل تعرف ؟ هذا الشعب في مجموعه من النساء ، ويجب ألا نعتبرهم رجالاً ، هو شعب يغلب عليه الانفعال ، متقلب الرأي إلى أقصى درجة ، يعتمد على أهوائه ، ويؤثر فيه ما يحيط به تأثيرًا فعالاً .

هو شعب تعود أن يعبد من يحكمه ، وهنا تكمن المأساة » .

وكان ما يثير الاهتمام أنه قد وصف الشعب بنفس الأوصاف التي وصف نفسه بها في الماضي القريب في أحاديثه معي .

وبإشارة واضحة إلى الشعب الألماني قلت له :

ـــ وهو جاهز تمامًا لتنفيذ الأوامر .

وغشيته سحابة من الحزن والقهر ، وعاد يتخبط في تحليلاته ويقول :

ـــ « نعم .. ولكن ليس ذلك إذعانًا كاملاً واستسلامًا مثل النساء ، هل تفهمني ؟ هو شيء يثير الدهشة بالفعل .. ولكن هنا تكمن قوة « هتلر » لقد ساروا خلفه في ابتهاج محموم يتسم بالجنون والهياج ، في حالة لا أظنك تصادفها في حياتك بعد ذلك . إنه من سوء حظك يا دكتور أنك لم تشهد هذه الأيام المضطرمة .. لعلك كنت تستطيع أن تكون فكرة حسنة عما حدث لنا بالضبط .. كان جنونًا مطبقًا . لقد كنا سكارى وما نحن بسكارى ولكن سلطان « هتلر » عظيم » .

وعدنا بعد ذلك للحديث عن موضوع يومياته بعد أن ناقشنا « فرانك » الشيطان الذي يعيش في داخله وقال :

ـــ « لقد كانت تلك اليوميات من صنع « فرانك » الآخر ، لقد كانت تلك الأيام الثلاثة التي تلت انتحار « هتلر » نقطة التحول في حياتي ..

بعد أن قادنا إلى إلقاء العالم بأجمعه في أتون مضطرم اختفى في بساطة وتخلى عنا وتركنا وحدنا نواجه اللوم والتأنيب عن كل ما حدث ، هل يمكن لإنسان أن يختفي هكذا بعد أن يصنع كل هذا ؟ لقد رفع رجليه عن الرمل دون أن تترك أثرًا ، وفعل ذلك في لحظة خاطفة هي كلمع البرق أو هي أقرب . كم هم غرباء أولئك البشر ــ كوكب الباسيليات[١٨] ــ هكذا كان « هتلر » يدعو الإنسانية » .

١١ فبرايــر

الجنرال فون باولوس يدلي بشهادته

ســاعة الغداء :

وزعت عليهم الصحف أثناء تناول الطعام . وانفجر « يودل » عندما رأى العنوان الرئيسي في الصحيفة .

« هيس » يطير إلى انجلترا تنفيذًا لأمر « هتلر » .

وكانت الصحيفة هي صحيفة نورمبرج .

وقال « يودل » وهو يرغي ويزبد :

ــ « هذه كذبة قذرة ! إنني لم أر في حياتي إنسانًا قد تملكه الغضب مثلما حدث لهتلر عندما سمع أن « هيس » قد طار إلى انجلترا ، لقد أوشك لحظتها أن ينفجر من الغيظ » .

وسألته :

ــ لماذا ؟ .

فأجاب :

ـــ « لأنه كان يخشى أن يظن الإيطاليون أنه يجري مفاوضات من خلف ظهورهم تاركًا إياهم في أحرج المواقف ، لقد كان يبدو كالمجنون من الغيظ » .

وبدأ « يودل » و « كايتل » يتكلمان حول شهادة « فون باولوس » المتوقعة اليوم بعد الظهر . وأكد « يودل » لي :

ـــ « بالطبع سوف يتكلم هؤلاء الجنرالات لمجرد المحافظة على كياناتهم الشخصية » .

وسألته :

ـــ « هل تقصد أنهم سيرغمون على الإدلاء بشهاداتهم تحت ضغط ؟ .

فأجاب :

ـــ كلا .. ولكنهم أدركوا أنهم لن يعودوا إلى ألمانيا بصرف النظر عما إذا كانت ستكسب الحرب أم لا .. وكان عليهم أن يحققوا سلامًا مع الروس » .

وقلت :

ـــ ولكن ألا تستطيع أن تقدر أن « فون باولوس » قد فهم أخيرًا أن « هتلر » يخرب ألمانيا ويقضي عليها في مغامرة يائسة لا معنى لها ، ومن ثم فقد وجد نفسه غير ملتزم بيمين الولاء الذي أقسمه أمام « هتلر » يومًا ما ؟ .

وهنا انفجر « كايتل » قائلاً :

ـــ « إنه كان عليه أن يقف هذا الموقف قبل أن يقع في الأسر .

كان يجب ألا يقبل وسام الصليب الحديدي .

كان عليه أن يرفض الترقية إلى كولونيل جنرال ، ثم إلى فيلد مارشال بعد ذلك .

وقبل هذا كان عليه أن يتوقف عن إرسال برقيات الولاء لهتلر .

إنه يلحق بنفسه الخزي والعار إلى الأبد عندما يقف للشهادة ضدنا » .

وأضاف « يودل » :

ــ « لقد أقسم يمين الولاء لهتلر ، وقام بجميع التزاماته حتى الدقيقة الأخيرة ، وحتى بعد أن أصبح موقفه العسكري ميئوسًا منه » .

جلسة بعد الظهر :

قرر « فون باولوس » في شهادته أمام المحكمة في جلسة بعد الظهر أن ألمانيا قد أعدت الترتيبات لهجومها العدواني الإجرامي ضد روسيا في وقت لا يتجاوز الثالث من سبتمبر عام ١٩٤٠ م ــ وذلك وفقًا لمعلوماته الشخصية ــ ضاربة عرض الحائط بميثاق عدم الاعتداء الموقع مع روسيا .

وفضح أيضًا التصرفات المتسمة بعدم تقدير المسئولية الخاصة بهتلر وكل من شركائه « كايتل » و « يودل » و « جورنج » في وضع الخطط للعدوان الحربي والتضحية بحياة الألمان دون شعور أو إحساس .

وأثناء الاستراحة انفجر العسكريون في ضوضاء كالزئير ، وكانوا في نقاش مع محاميهم ومع بعضهم وبعض ، والكراهية تلفهم جميعًا ، وألفاظ السباب البذيء تتردد هنا وهناك .

فهذا « جورنج » يندفع الكلام من فمه كمدفع رشاش في وجه محاميه :

ــ « اسأل هذا الخنزير القذر عما إذا كان يعلم أنه عميل أم لا ؟ .

اسأله .. هل تسلم جواز السفر الروسي أم لم يتم هذا بعد ؟ » .

وعندما رآني « ريدر » أرقب الحديث وأستمع إليه صاح في وجه « جورنج » :

ـــ « احذر .. الأعداء يستمعون إلى حديثك » .

ولكن « جورنج » استمر يصيح منفعلاً في وجه محاميه ولم يأبه للتحذير .

وكان قفص المتهمين أشبه بعنبر في مستشفى للأمراض العقلية في هذه اللحظات فالكل يتكلم بانفعال شديد ، وسمعت « جورنج » يزأر من جديد :

ـــ « سوف نغرق هذا العميل في العار وسوف نكشفه أمام العالم » .

وكان « كايتل » هو الآخر يتحدث في سرعة وعصبية مع محاميه ، وذهب إليه « ريدر » وهمس له بنفس التحذير الذي قدمه إلى « جورنج » .

وفي الناحية الأخرى من القفص كانت الحالة أكثر هدوءًا تجاه « فون باولوس » وقال « فريتشة » :

ـــ « هل ترى ؟ هذه هي المأساة الحقيقية للشعب الألماني .

كان متأرجحًا ولا خيار له إلا بين تنين قاتل ينوي سحقه ، وبحر أزرق بالغ العمق عليه أن يغرق فيه » .

وأعطى كل من « فون نيوراث » و « سايس انكوارت » و « شاخت » ملاحظات هادئة حول ما قاله « فون باولوس » .

وقلت لهم :

ـــ العسكريون يميلون إلى أنه عميل للسوفييت .

وقال « فونك » في حزن عميق :

ـــ « هو ليس من هذا النوع . « فون باولوس » رجل شريف ولكنه مجبور على القيام بدوره في هذه المأساة الإنسانية .

١٢ فبرايــر

الهجوم على روسيا

جلسة الصباح :

بدأ الاستجواب في قاعة المحكمة التي ازدحمت عن آخرها بالواقفين ، وكان ذلك

للمرة الأولى منذ عدة أسابيع .

وكما توقعت فقد صممت الأسئلة بحيث يظهر « هتلر » أنه الشخص الأول الذي يصدر الأوامر . وكان هذا هو ترتيب محامي « كايتل » . وهو أمر أثار الدهشة على أي حال .

ثم وجَّه الدكتور « ساوتر » محامي كل من « فون شيراخ » و « فونك » أسئلة لفون باولوس تتعلق بشرفه الشخصي ، وليس لها أدنى علاقة بالحملة على روسيا . ويبدو أن « جورنج » قد عمد إلى اثنين من زملائه على مائدة الطعام ، وقد توسم فيهما ضعف الشخصية والإذعان له ليقوما بحملة تشهير ضد جنرال ألماني لم يستطع هو شخصيًا القيام بها .

وأضاف « فون باولوس » أنه قد قام بالمساعدة في إعداد الحملة ضد روسيا ، ولكنه لم يكن يعلم آنذاك بوجود ميثاق عدم اعتداء بينهم وبين الروس . وكيفما كان الأمر فقد حاول « يودل » أن يسوقه إلى فخ ليعترف أنه هو الذي قام بترتيبات الحملة بنفسه ، وأنه كان يعرف المعلومات الخاصة بالحشود الروسية على الخطوط الألمانية . وقال « باولوس » إنه لا يذكر التفصيلات .

وفي أثناء الاستراحة عمد « جورنج » إلى السخرية في صوت عال قائلاً :

ــ « بالتأكيد كان كذلك .. لقد كان صاحب الخبرة الأولى في رسم الخطط وإعدادها ضد روسيا ، ولكنه نجا من الفخ الذي نصبته له . لم يستطع القول بأن القوات الروسية كانت ضعيفة ، لأنني كنت سأواجهه في هذه الحالة بتقريره الخاص ــ ولم يستطع القول بأنهم كانوا أقوياء ، لأنه في هذه الحالة سوف يربك الروس ويحرجهم ، وهو أمر يحرص على تجنبه .

كان كل ما قاله إنه لا يعرف .. ولن أعرف .. انتظر حتى أقف وأقص القصة كلها » .

زنزانة « رينتروب » :

زرت « رينتروب » في زنزانته هذا المساء من أجل الحصول على بعض آرائه بخصوص العدوان على روسيا .

وقد وجهت إليه الأسئلة بطريقة مباشرة .

وكان الشرح الذي قدمه « فون باولوس » قد أعطى انفعالاً عنيفًا عندما وصف الحملة الألمانية ضد روسيا بأنها « هجوم إجرامي » .

وسعل « رينتروب » وتلعثم قليلاً ثم قال :

ــ « حسن .. ربما يبين التاريخ في المستقبل أنني كنت مخطئًا ، وأن «هتلر » كان على « صواب » .

وقلت له :

ــ ما الذي تقصده بهذا على وجه التحديد ؟ .

فأجاب :

ــ « لقد كنت دائمًا أحمل فكرة التقارب والتفاهم مع روسيا ، أما « هتلر » فكان يعتقد أنهم سوف يهاجموننا عاجلاً أوآجلاً .. ربما كان هو على صواب » .

وقلت له :

ــ ولكن .. لقد كان بينكم ميثاق عدم اعتداء . ألم يكن الهجوم نقضًا إجراميًا للثقة من جانبكم ؟ ولن نقول شيئًا عن أنه كان مقامرة يائسة بحياة الناس من الجانبين .

وقال رينتروب :

ـــ « حسن .. إن المسألة بالغة التعقيد .. صعبة جدًا .. وعلى التاريخ أن يعطي قراره فيها .. يجب أن ننظر إلى هذه الأمور بنظرة مناسبة عادلة .. إنها ليست سهلة في الفهم كما قد تظن .. لقد أردت أن أحقق تعايشًا سلميًا مع الروس .. هل تدري ما الذي كنت أهدف إليه في هذا المجال ؟ لقد كنت أريد أن أدخلهم معنا في حلفنا الثلاثي .. ثم أحوله بهذه الطريقة إلى حلف رباعي » .

وسألت :

ـــ كم هذا عجيب وغريب ! حلف رباعي ضد الشيوعية تكون روسيا عضوًا فيه ؟ .

وقال :

ـــ « كلا .. ليس الأمر على هذه الصورة .. كان سينتهي العمل ضد الشيوعية بمجرد انضمام روسيا إلينا . لقد كنت أريد أن أحقق حرية في التفاوض مع انجلترا لمواجهة جميع الاحتمالات » .

وسألت :

ـــ من أجل التركيز في شن الحرب ضد الإنجليز ؟ .

وقال « رينتروب » :

ـــ « كلا يا سيدي الدكتور .. لقد كنا نريد أن نحقق حلاً سلميًا .. نريد أن نوجد توازنًا أمام القوة السياسية الإنجليزية .. لقد كانوا يضغطون علينا دائمًا .. تخيل معي .. كان الإنجليز يريدون الحرب ضدنا بسبب دانزنج .. يدخلون العالم كله في الدمار لمنع ألمانيا من الحصول على قطعة أرض تنتمي إليها في الواقع .. كانت بريطانيا تخشى أن تصل ألمانيا إلى درجة من القوة يستحيل بعدها التفاهم معها » .

١٥ فبرايـر

جلســة الصباح :

استمر الروس في عرض الفظائع التي ارتكبها الألمان ، وذكروا بعض المقتطفات من يوميات « فرانك » وأقواله التي تبين ارتباطه الوثيق بكل الفظائع والجرائم التي حدثت في بولندا .

ســاعة الغداء :

قال « فريتشه » بعد الغداء إنه يشعر بالمرض . وذلك عندما سألته لماذا يجلس وحيدًا كئيبًا بينما يتحدث الآخرون ويمشون كالعادة ؟ .

فقال إنه قد أحس فجأة بالمرض (شكوى سيكوماتية)[١٩] ، وكان هذا كرد فعل للأشياء التي نسبت لفرانك .

وكنت أقول لنفسي إن هتلر سيكون سعيدًا في هذه اللحظات عندما يعلم أن هناك مائة وخمسين ألفًا من البولنديين جددًا قد ماتوا .

وقال « فريتشه » :

ــ « كان الناس يؤمنون بقضيتهم في إخلاص ، ويضحون بأنفسهم دون ما أنانية ، وكانوا وطنيين بكل ما في الكلمة من معاني النظام وإنكار الذات ، ولكن في القمة كانت تتربع تلك الوحوش الجشعة الممتلئة بالأنانية » .

وفي القفص بعد الغداء تحدث « جورنج » عن إصراره على قراءة جميع الوثائق التي وصلت إلى المحكمة في القاعة أثناء انعقاد الجلسة . وسأل « ريدر » :

ـــ « ماذا تقصد بجميع الوثائق ؟ إنها ليست سوى وثيقة واحدة كبيرة عظيمة الحجم » .

وقال « جورنج » :

ـــ « كلامك صحيح .. ولكن هناك محاولات لتعطيلنا عن الكلام بكل هذه التصرفات .. أظن أن لدينا الوقت الكافي .. أو نضطر إلى عدم تقديم أي دفاع على الإطلاق .. الأمور بالنسبة لي حسنة جدًا .. دعهم حتى يبدءوا في تجريح أنفسهم وعندها ... » .

وفجأة ترك « هيس » القراءة في كتابه الذي بيده وقاطعه قائلاً :

ـــ « هل تلاحظ أنك تلف وتدور لمجرد أن تدلي بما تعودت دائمًا قوله » .

وضحك « جورنج » قائلاً :

ـــ « آه .. ها .. ها .. « هيس » هو رجل المبادئ .. لن يقول كلمة حتى ولا لنا نحن .. على فكرة .. « هيس » .. متى ستطلعنا على سرك الخطير ؟ » .

وزمجر كل من « ريدر » و « دونيتز » مستاءين لأنهما لم يعجبهما استماعي المستمر بينما هما يسخران من « هيس » .

وتدخل « ريبنتروب » في السخرية قائلاً :

ـــ « نعم يا « هيس » .. ماذا عن السر الذي تخفيه ؟ » .

واستمر « جورنج » :

ـــ « هل ستطلعنا عليه عندما نختلي ببعضنا ؟ . هه .. تكلم يا « هيس » » .

وغمغم « هيس » وهو يدس أنفه في كتابه من جديد :

ـــ « آه .. ها .. آه .. إني موافق على كل ما تقولونه » .

وكان من الواضح أنه لم يظهر أي انتباه يدل على خروجه من الحالة الغامضة التي تحيط به ، رجل يعيش في منطقة بين الوعي واللاوعي .

وفي المساء وقبل أن يعودوا إلى الزنازين مرة ثانية قرأت عليهم الأوامر الجديدة ، وكانت تقضي بحظر اتصال بعضهم ببعض في السجن . وتنفيذ الحبس الانفرادي تنفيذًا دقيقًا إلا في الفناء أثناء الطابور .

وتلقوا هذه الأوامر في استياء بالغ وغضب صامت .

١٦ ــ ١٧ فبراير

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « شـاخت » :

كان « شاخت » يكاد يشتعل غضبًا من الأوامر الجديدة . وكان يصرخ بالفعل من الحنق والغيظ نتيجة لمعاملته في السجن .

ــ « هذا شيء مخز ! شيء غير مستقيم ! يستطيع قائد المعتقل أن يفعل بنا ما يشاء ، ولا يمكنني أن أحسد هذا الكولونيل على تلك الصلاحيات المخولة له !.. ولكن هذه المعاملة تدل على أناس ليست لديهم تقاليد أو ثقافة .. إنها شيء يثير الاحتقار ! » .

وكان في هذه اللحظات شديد الشبه « بجورنج » في تحقيره للأمريكان .

وربما يكون قد تأثر من زميله « ريدر » على مائدة الطعام .

وقد كشف غضبه الشديد عن مشاعر كثيرة متضاربة تختفي تحت إحساسه العميق بالبراءة وقال :

ــ « أنا أؤكد لك أنني لا أحب الكلام مع كثير من هؤلاء الناس المجرمين أمثال « جورنج » و « روزنبرج » و « رينتروب » و « كايتل » و « شترايخر »

و « فرانك » ، ولكن هناك قلة معهم من السادة المهذبين يسعدني التحدث معهم . هناك رجال يتسمون بالرقة والوداعة مثل « فون باين » و « فون نيوراث » ولكن .. كيف يجرءون على معاملتنا بتلك الطريقة المتعالية المتسلطة ؟ .

لا تنس أن شعبنا قد حمل مشعل الثقافة منذ وقت طويل ، وما فعله « هتلر » كان جريمة ضد ثقافتنا ! .

ولا تنس أيضًا الطرق التي أرغمنا الحلفاء بسياستهم على الولوج فيها ! . لقد حاصرونا من كل ناحية ، ثم أعطونا الحبل الذي شنقنا به أنفسنا .

حاول أن تتخيل معي تلك الدواعي التي حملت شعبًا عريقًا في الحضارة مثل الشعب الألماني على السقوط في أحابيل شخص غوغائي مثل « هتلر » .

حاول فقط أن تتخيل ! .

إنه شعب حمل على عاتقه ثقافة أوروبا كلها منذ العصور المظلمة ، وأنتج شخصيات عظيمة مثل « جوته » و « شيللر » و «كانت» و « بتهوفن » ..

أعظم الشخصيات في كل المجالات .

« الأدب والفن والفلسفة والموسيقى » .

وعلى هامش الموضوع تدخلت وقلت :

ـــ والفرنسيون .. ألم تكن لهم ثقافة محترمة أيضًا ؟ .

وانتبه إحساس بالنعرة القومية عكس احتقارًا في كلماته التي خرجت من فمه في بطء شديد :

ـــ « الفرنسيون ؟ ربما في مجالات ضيقة جدًا .. وكانت بتأثير الألمان .

ولكن تخيل معي شعبًا متحضرًا مثل شعبنا يجد نفسه مضطرًا ومحاصرًا بأنواع الضغوط المختلفة . وفكر في أي شيطان ذلك الذي وضع الشعب الألماني في تلك

الورطة البالغة اليأس ، الأمر الذي حملهم على فقد إيمانهم والالتجاء إلى مثل هذا الطريق الإجرامي .

لا عليك .. أنا عندي الكثير مما يمكنني قوله في هذا المجال .

الشعب الألماني نفسه كان على أتم استعداد لبذل أي شيء من أجل السلام ..

كل ما كنا نطمع في الوصول إليه هو قدر ضئيل من إمكانية تصدير بعض الأشياء بغرض التجارة حتى يمكننا العيش بأية صورة ممكنة » .

وقلت له :

ــ هل تقصد جمهورية فايمار[٢٠] ؟

وقال « شاخت » :

ــ « نعم بالطبع .. أي اقتراح كان الحلفاء يقولون لا ! ولقد سألنا من أجل الحصول على مستعمرة أو اثنتين ــ أي شيء من أجل إمكانات التجارة ــ وكان ذلك بعيدًا عن المشاكل ! .

وقد طلبنا عمل اتحاد تجاري مع النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ولكنهم رفضوا .

وأشرنا لهم أن حوالي تسعين في المائة من الناخبين في النمسا قد أدلوا بأصواتهم لصالح الاتحاد مع ألمانيا ، فقالوا ليس هناك ما يمكننا عمله .

ولكن عندما يأتي قاطع طريق مثل « هتلر » ويأخذ السلطة .. آه ..

يا إلهي .. فليأخذ النمسا كلها .. ليعد السلاح إلى الراين ..

فليأخذ السوديت .. كل أراضي تشيكوسلوفاكيا .. ليأخذ كل شيء ..

ولم يكن أمام أحد أن يقول كلمة واحدة ..

لماذا ؟ .

لأنه قبل عقد اتفاق ميونخ لم يكن « هتلر » يجرؤ على تخيل السوديت وقد أصبح جزءًا من الرايخ ..

كل ما كان يحلم به هو تحقيق شيء من الاستقلال الذاتي للسوديت ..

وهذان الأحمقان .. « تشمبرلين » و « دالادييه » قد وضعا له كل شيء في جيبه ، وهو يضحك ويسخر منهما .

لماذا لم يقدما معشار هذه الأشياء لجمهورية فايمار من أجل دعمها ؟ .

في الحقيقة هم لم يعطونا أقل القليل ..

وكنت أحاول بناء اقتصادنا وتأمينه أخيرًا بعيدًا عن معاهدة فرساي حتى أتجنب الكارثة ..

وفي النهاية حاولت قتل ذلك المجنون هتلر .

وماذا كانت النتيجة ؟ ها هم أولاء يضعونني في السجن كأي مجرم » .

وصرخ صراخًا عاليًا عند هذه الكلمة حتي إني اعتقدت أن جميع من في السجن قد سمعوه .

ثم واصل « شاخت » غضبه وكلامه :

ــ « وهذه المعاملة المهينة المذلة المخزية التي تملؤني بالعار ! حتى في معسكرات اعتقال هتلر لم أكن أكنس زنزانتي .. أنا هنا أعامل معاملة مهينة لدرجة أنني لا أقدر على النوم » .

وجلس وهو يعض شفتيه ويرتعد من شدة الانفعال .. وكان وجهه قد غطاه الدم .. وبعد فترة قال معتذرًا :

ــ « أنا أعتذر .. سامحني .. ولكن إذا كنت تريد معرفة رد فعل هذه الأشياء معي فقد رأيتها بنفسك . وليس لدي ما يمكنني عمله مع أية هيئة أو مؤسسة

أمريكية ، حتى القداس لن أحضره بعد ذلك » .

زنزانة « جورنج » :

كان خائر النفس يرتجف كطفل منبوذ . وسأل عن الأسباب التي يعاقبون من أجلها بهذه الطريقة .

وقد خمَّن تخمينًا صحيحًا أن عادته في الهزء والسخرية والتجبر والسيطرة تحتاج إلى بعض المعالجة .

وقال « جورنج » :

ـــ « ألست معي ؟ كل هذه الضحكات والقفشات مجرد إيجاد جو كوميدي ، هل تظن أنني أستمتع بالجلوس والاستماع إلى كل هذه الاتهامات وهي تتكوم فوق رءوسنا من كل جانب ؟ .

لا بد أن تكون هناك محاولة للتخفيف من هذا الجو المتوتر على صورة ما . فإذا لم أرفع من معنوياتهم فسوف ينهارون واحدًا بعد الآخر » .

وكانت طريقته وهو يتحدث معتذرًا تدل على أنه قد تم إخضاعه وقمعه .

ثم واصل الحديث :

ـــ « الأطباء النفسانيون يفهمون هذه الأمور بطبيعة الحال ، ولكن الكولونيل قائد المعتقل ليس طبيبًا نفسانيًا .. ألا يخطر ببالك أنني أُعنِّف نفسي بما فيه الكفاية أثناء وحدتي بهذه الزنزانة ؟ كنت أتمنى لو أنني سلكت طريقًا آخر في حياتي ، وعشت بأسلوب مختلف ، وذلك نتيجة للنهاية التي تراني غارقًا فيها الآن » .

وكان ما قاله شبيهًا بما سبق أن كتبه في خطاب لزوجته مؤرخ في ٢٨ أكتوبر ، وكأنها صيحة بعيدة ، وهو يتخبط بين الثقة المختالة بنفسه وبين ولائه الأسطوري

لهتلر الذي عبر عنه في كل المناسبات ، وبين ذعره من قوة الصحافة وما كتبته عنه .

زنزانة « سبير » :

عبَّر « سبير » عن رضائه للتعليمات الجديدة التي تقضي بفصل المتهمين بعضهم عن بعض حتى فترة الطابور وقال :

ــ « لقد جاءت هذه التعليمات في الوقت المناسب تمامًا . وفي الوقت نفسه نستطيع أن نقضي على ديكتاتورية « جورنج » وتسلطه ، لقد بدأ يوضع تحت ضغط حقيقي ، وكان قد عكف على « فونك » في الفناء الخاص بالطابور لمدة يومين يقنعه أن حياته قد انتهت ، وأن المشكلة الوحيدة التي أمامه هي كيف يقف بجانبه الآن وكيف يوطن نفسه على ميتة الشهداء . وأن عليه ألا يقلق ، لأنه في يوم ما ــ ولو استغرق ذلك خمسين عامًا ــ سوف ينهض الشعب الألماني مرة ثانية ، وسوف يذكرهم كأعظم الأبطال . وأنهم سوف ينقلون رفاتهم في توابيت رخامية ، ويجعلون قبورهم مزارًا تقصده الجماهير من كل أرجاء ألمانيا » .

وضحكنا نحن الاثنان وقلت :

ــ لعل تابوتًا من الرخام لن يغري « فونك » المسكين الضئيل .

وقال :

ــ « إنه ليس من النوع الذي يفضل الموت شهيدًا .. وبعد ذلك اقترب « جورنج » من « فون شيراخ » ، وتحدث معه في نفس الشيء وبصوت أكثر ارتفاعًا حتى أستطيع أن أسمعه .. تابوت رخامي هل هذا يتخيل ؟ كلنا الآن نتندر على هذا التابوت الرخامي » .

وكان « فريتشه » قد وصف نفس الشيء بنفس الملحوظات ، وقال إنه أخبر « جورنج » أن سلام أوروبا أهم بكثير من أي تابوت رخامي .

وواصل « سبير » :

ــ « مسكين « فونك » .. الكل منشغل بسببه .. حتى « فون شيراخ » ليس متشوقًا لهذه الشهادة . ولكن « جورنج » يظن أن الأمر قد بلغ معه حد الاستواء ، وأنه يحتاج إلى عشرين بطلاً شهيدًا يكونون حاشيته ويرقدون بجانبه في مدخل المعبد الرخامي الذي سيقام يومًا ما » .

زنزانة « فرانك » :

قال « فرانك » إن النظام الجديد لم يسبب له أي ضيق بالمرة ، وإنه سعيد بأنه استطاع تحقيق شيء من السلام لعقله بعيدًا عن الثرثرة العقيم التي كانت تدور بينهم في قاعة الطعام وأثناء الطابور ، وكان في حالة أكثر انتعاشًا . ويستطيع أي واحد أن يشعر بعودته البطيئة للتقشف والتكفير عن ذنبه بطريقته الخاصة .

وكانت الفقرات الرهيبة التي قرئت من يومياته ما زالت حية في الأذهان .

وكان حريصًا دائمًا على التزامه الفريد بشرحه الدائم لأهمية الأسباب التي دفعته لتسليم يومياته الشائنة . وربما يكون هذا هو السبب الذي جنبه الأسئلة الكثيرة عن دواعي عمله ، فهو يقوم بالشرح الدائم دون أن يسأل .

وعاد إلى سابق حالته من الانطواء مع الصراع المستمر في عقل قد ملأته كافة المتناقضات .

وقال « فرانك » :

ــ « آه .. أنا نموذج فريد .. نوع خاص متفرد .. ها .. » .

وانفجر في ضحكة عالية وأردف :

ــ « هل رأيت في حياتك نموذجًا من الناس مثلي ؟ لست شخصًا عاديًا حتى

أقول هذه الأشياء .. آه .. ولكن نحن جميعًا لصوص ، نحن ألمان ، لا تنس أن الأدب الألماني قد بدأ بالنصوص التي كتبها « شيللر » ، هل هذا يلفت انتباهك ؟ » .

زنزانة « فون شيراخ » :

عبَّر « فون شيراخ » عن دهشته للفقرات التي قرئت من يوميات « فرانك » ، فقد كان يظنه ــ يقصد فرانك ــ متحدثًا ذكيًا لبقًا محاميًا ، وكم ناصر « هتلر » بذكاء على صفحات (الفولكشاير بيوباختر) ولديه حصيلة ثقافية مدهشة عن الموسيقا والفن والأدب . وببساطة هذا أمر يدعو إلى العجب أن نرى رجلاً مثل هذا يكتب تلك الإقرارات على هذا النحو بما فيها من خروج عن القانون ، فمثلاً في عمليات القتل الجماعي التي حدثت . وبالنسبة للقيود الجديدة فقد أعطى تفسيرًا سريعًا مؤداه أنها نتيجة لأخطاء « جورنج » .

وقد أشرت إليه أنه و « دونيتز » قد تصرفا تصرفات غير لائقة أثناء تناول الطعام .

وانبرى « فون شيراخ » يعتذر عن « جورنج » .

ــ « لا يستطيع أحد أن يغيره .. أنت تعلم أنه كان طيارًا معتدًا بنفسه ، متعاليًا متكبرًا بعض الشيء على أي حال .. وهو لم يتغير .. وكما تعلم هو ذائع الصيت عظيم الشهرة .. هو يقول عن نفسه إنه شخصية تاريخية عظيمة .. وإن عظمته تكمن أو تنحصر في قيامه بدوره حتى اللحظة الأخيرة » .

وقلت له :

ــ وماذا عن سرقات « جورنج » ؟ .

ولم يرد ، فقلت :

ــ أظن أن هذا فصل مستقل في ذاته لا يطلع عليه أحد .

جورنج يفقد جماعته

طلب مني قائد المعتقل الكولونيل « آندروز » أن أعد ترتيبًا جديدًا لجلوس المتهمين في قاعة الطعام ، وأن أوزعهم على خمس حجرات في كل واحدة أربعة منهم ، ويكون « جورنج » في حجرة وحده .

وقد أعددت الترتيب آخذًا في اعتباري حالات المتهمين المختلفة من حيث الرغبة في التسلط أو الميل إلى الخضوع والإذعان . وآخذًا في الاعتبار أيضًا القضاء على محاولة جورنج في تضليل العدالة بإرهاب المتهمين من أجل تمجيد هتلر والنظام النازي والموت كشهداء للحيلولة دون اضطهاد الشعب الألماني .

وكان الترتيب كالتالي :

١ ــ قاعة الطعام للشباب :

« سبير » .. « فريتشه » .. « فون شيراخ » .. « فونك » .

وكان الغرض من هذا الترتيب أن يقوم كل من « سبير » و « فريتشه » بإبعاد الآخرين عن نفوذ « جورنج » . وحتى يعطي « فون شيراخ » الفرصة ليعلن أن « هتلر » قد خان الشباب الألماني . وأن السياسة العنصرية قد سببت دمار ألمانيا عن آخرها .

٢ ــ قاعة الطعام للكهول :

« فون بابن » .. « فون نيوراث » .. « شاخت » .. « دونيتز » .

والغرض من جمع هؤلاء معًا أن نعطي فرصة للمحافظين القدامى ليفضحوا

« هتلر » و « رينتروب » بتشجيع من « شاخت » ، وحتى نعطي الفرصة لدونيتز فيحصل على بعض القوة ليحدث صراع بينه وبين العسكريين .

٣ ــ « فرانك » .. « سايس انكوارت » « كايتل » .. « ساوكل » :

وبهذا يتم إبعاد « كايتل » عن « جورنج » ، ومن ثم نساعده على الانفعال بفرانك في فضح « هتلر » وكشفه . فيحس بالذنب ويعترف به . وعلى العموم فهي مجموعة لن تنسجم كثيرًا مع بعضها . ولكن باجتماعها قد تنتج حالة من تأنيب الضمير والشعور بالذنب .

٤ ــ « ريدر » .. « شترايخر » .. « هيس » .. « رينتروب » :

وهؤلاء هم النازيون الشديدو المراس ، الذين لا يمكنهم تبادل الحديث بعضهم مع بعض ، حتى لو سمح لهم بذلك . فشترايخر ساذج .. و « هيس » بالغ الغموض .. وحساسية « ريدر » البالغة للمسائل المتعلقة بالأمن ، بالإضافة إلى خيبة « رينتروب » . كل هذا يبقيهم في حالة تعادل وهدوء .

٥ ــ « يودل » .. « فريك » .. « كالتنبرونر » .. « روزنبرج » .

٦ ــ « جورنج » .

١٨ فبرايـر

السجن في المسـاء

في المساء قمت بزيارة عدد من المتهمين حتى أعرف انطباعاتهم عن نظام تناول

الطعام الجديد ، فهم الآن قد جربوا هذا التغيير الشامل .

زنزانة « سبير » :

ــ « أنا معك ، ولكن هناك « فونك » و « فون شيراخ » وكذلك « فريتشه » .

ثم ضحك وقال :

ــ « من الواضح أننا نحن الاثنين سوف نكسب إلى جانبنا عاجلاً أو آجلاً الاثنين الآخرين من أجل « كشف « هتلر » .

وأجبت :

ــ لطالما عزمت على إنجاز هذا ، نريد أن نخدم الحقيقة ونظهرها وأن نحبط محاولات « جورنج » في تضليل العدالة بتخويف الأشخاص الضعاف .

وقال « سبير » :

ــ « هذا حقيقي بالتأكيد .. كان « جورنج » ينشر إرهابًا أخلاقيًا بين المتهمين ، وكان يساوم على الشهادة أمام المحكمة . هل أخبرك بشيء ؟ . لقد ذهب إلى « شاخت » في بداية المحاكمة ، وأخبره أنه مستعد أن يتقدم بشهادة أمام المحكمة يبين فيها أن « هتلر » لم يكن راضيًا عن عمله في إعادة التسليح . ولكن عندما وقف « شاخت » في المحكمة وقال إن « جورنج » كان أحمق ولا يعرف شيئًا عن الاقتصاد ، ولم تكن لديه أية مشروعات بالنسبة لخطة السنوات الأربع ــ أخبره « جورنج » أنه لن يتقدم بهذه الشهادة . وهكذا كانت طريقته في المساومة في كل وقت » .

وقلت :

ـــ إني أظن أن « فون شيراخ » و « فونك » يستطيعان بالتأكيد أن يعدا دفاعيهما ويبسطاه الآن حيث إنهما يقضيان وقتًا معك ومع « فريتشه » أكثر مما كانا يقضيانه على مائدة « جورنج » ، وسوف أضم إليك « دونيتز » أيضًا .

فقال :

ـــ « لا ضرورة لهذا .. أظن أننا أحسن الآن .. سوف أشعر بقليل من الحرج في وجود « دونيتز » .

١٩ فبرايــر

الروس يعرضون فيلمًا عن الفظائع

جلسة بعد الظهر :

عرض الروس فيلمًا عن الفظائع النازية ، وكان وثيقة مرعبة عن القتل بالجملة ويفوق في هوله وفظاعته الفيلم الآخر الذي عرضه الأمريكان .

وقد وقفت عند نهاية القفص في الناحية التي يجلس فيها « جورنج » ، وصرت أرقب المتهمين في الضوء الخابي أثناء عرض الفيلم .

سخر « جورنج » عند بداية العرض لأن الفيلم عرض مقلوبًا وذلك عن طريق الخطأ وغطى فمه بيده ليكتم ضحكاته ، وصار ينظر يمنة ويسرة ليرى ما إذا كان الموالون له يشاركونه الضحك أم لا .

وبدأ الفيلم من جديد ..

وظهرت الأراضي وهي مغطاة بجثث الروس القتلى أو الذين تركوا حتى ماتوا من الجوع عندما تم أسرهم .

أدوات التعذيب بتنوعها ..

الأجساد المشوهة الممزقة ..

المقاصل والسلاسل المليئة بالرءوس المقطوعة ..

أجساد أخرى معلقة على أعمدة المصابيح ..

كل هذا وجد في المدن التي أعيد تحريرها والتي كانت تئن تحت وطأة الجستابو .

خرائب مدينة (لا يديس) ..

نسوة يبكين بجانب جثث موتاهن ..

عمليات دفن الموتى بالأكوام ..

أطفال برءوس مشدوخة محطمة ..

محرقة أجساد الموتى وغرف الغاز ..

الملابس المكدسة للضحايا ..

فروات الشعر للنسوة اللائي كن في معتقلي أوشفيتز ومودانيك ..

وأثناء هذا العرض كان « جورنج » يتظاهر بالمطالعة في كتاب ، مختفيًا تحت قناع زائف من التظاهر بعدم الاهتمام .

ومن حين لآخر كان يوجه ملاحظة ساخرة لهيس وأخرى لريبنتروب .

السجن في المساء

زنزانة « جورنج » :

نزلت إلى الزنازين مع الميجور « جولدنسون » لأحصل على نماذج من ردود

الأفعال والانطباعات .

وقد أعطى « جورنج » على الفور أسبابًا لكونه لم يأخذ في اعتباره الفيلم الذي عرضه الروس مأخذًا جادًا نظرًا للآتي :

ـــ « أولاً : أن هذا الفيلم الذي صنعوه ليس دليلاً . فبمجرد النظر إلى الأمر من زاوية منطقية نرى أنه من السهولة عليهم أن يقتلوا بضع مئات من الأسرى الألمان ثم يلبسوهم أزياء عسكرية روسية لتصويرهم في الفيلم المزعوم . أنت لا تعرف الروس كما أعرفهم أنا .

ثانيًا : من الممكن أن يكون هذا الفيلم قد التقط أثناء الثورة التي قاموا بها ، والدليل على ذلك تلك السلاسل المليئة بالرءوس المقطوعة .

ثالثًا : تلك الحقول المغطاة بالجثث ماذا عنها ؟ مثل هذه الصور من السهل الحصول عليها في أزمنة الحرب .. أنا رأيت بعيني آلاف الجثث هنا وهناك . ومن أين لهم كل تلك الآلاف من الجثث التي لم يلحقها العفن ليقوموا بعمل فيلم لها ؟ ولا أظن أنهم كانوا على استعداد دائم لالتقاط الصور . والمؤكد أنهم أطلقوا النيران على هؤلاء الناس ثم صوروهم وهذا يتفق تمامًا مع المنهج الروسي » .

وكان مشوقًا في إظهار رضاه التام لطرده فكرة أن الفيلم صحيح من رأسه مستعينًا بذلك الأسلوب الدعائي المغاير للمنطق والصواب ، واضعًا في حسبانه حساسيتنا الأخلاقية وأضاف :

ـــ « بالطبع .. كما كنت أقول لك دائمًا ، إنه يكفي أن يكون خمسة في المائة صحيحًا من هذه القصص الفظيعة ، ولكني لا أعطي أهمية كبيرة لكل ما يأتي به الروس ، إنهم يعكسون الفظائع التي ارتكبوها معنا » .

وقد أبدى اهتمامًا لمنعه من الحديث مع الآخرين أثناء تناول الطعام أو أثناء الطابور ، ولكنه غيَّر الموضوع بسرعة :

ـــ « أيعني كوني النازي رقم واحد في المجموعة أنني أكثرهم خطرًا ؟ .

يجب أن يفهم الكولونيل قائد المعتقل أنه يتعامل مع شخصيات تاريخية .

وسواء أكنا مصيبين أم مخطئين فنحن رجال لهم أهميتهم التاريخية .. في حين أنه ليس شيئًا بالمرة » .

وأشار في حديثه إلى قائد السجن الذي كان فيه « نابليون » ، والذي اضطر فيما بعد أن يكتب مجلدين يبرر فيهما معاملته الخشنة للإمبراطور السجين ، ورغم ذلك فقد لعنه البريطانيون أنفسهم من أجل ما فعل .

زنزانة « فرانك » :

لا يزال « فرانك » يُسقط جريمته على « هتلر » وعلى الجنس البشري كله :

ـــ « هل تستطيع أن تتصور رجلاً بمثل هذه البرودة الطاغية يخطط لكل هذه الأمور ؟ في لحظة من اللحظات بينما كان « هتلر » و « هملر » يجلسان أعطى الأول للثاني أمرًا بالقضاء على شعوب برمتها .. هل هذا يعقل ؟ ولكنه ما حدث .. أحاول أن أرسم الصورة فلا أستطيع .. أتخيل كيف تمت فلا أقدر . ولكنها على أي الأحوال نقطة تحول في تاريخ الإنسانية .

إنها بداية النهاية لطور مرعب من تطور البشرية .. أم هي نهاية لواحد من هذه الأطوار ؟. لست أدري .. ولكنه شيء مرعب .. ولا أدري كيف كانوا يفكرون في هذه الأمور » .

وسألته أنا : كيف كان يفكر هو نفسه في هذه الأمور عندما أعطى الإذن بعمليات النقل الضخمة لمعسكرات الاعتقال حيث عمليات القتل الجماعي ؟ .

فنظر إليَّ مشدوهًا بعض الشيء ثم غمغم :

ــ « أنا لم أكن أفكر في أي شيء وقتها ، ولم أكن أقدر العواقب » .

٢٢ فبرايــر

التصدي لصلابة جورنج

ساعة الغداء :

في قاعة طعام الكهول شرعت في مناقشة خطايا الحرب العدوانية ، وجريمة القادة النازيين ، وذلك حتى نتبين ما إذا كانت عملية فصل بعضهم عن بعض قد أحدثت تأثيرًا في حالات مثل « فون نيوراث » و « فون بابن » و « شاخت » و « دونيتز » تجاه « هتلر » و « جورنج » .

وكانوا في وقت سابق قد رفضوا اعتبار أنفسهم من القادة النازيين .

وبدأ شاخت في الكلام عن القيادة المعتدية كما هو متوقع :

ــ « لقد كانوا فريقًا من قطاع الطرق ! وقد عرفت ذلك تمامًا في سنة ١٩٣٧ م . وكان الشخص الوحيد من رؤساء الدول الذي أدرك هذه الحقيقة وعرف هذا الخطر مبكرًا هو « روزفلت » .

وفي الخارج كان « جورنج » يقطع الصالة مشيًا مستخدمًا حقه في المشي لمدة ثماني دقائق ، وكان يحاول أن يسترق السمع لدى الباب .. ويتمهل باذلاً كل جهد من أجل الاستماع إلى عبارة أو كلمة .

ولاحظ الجميع ذلك ، وانتبه « شاخت » أيضًا ، ولكنه ظل على حالته من الغل والحقد المتسم بالراحة والانبساط وواصل :

ــ « وقلبوا اقتصاديات أوروبا رأسًا على عقب .. دمروا الاقتصاد الذي حاولت

إقامته في خدمة السلم .. وبتعمد وعن قصد وبوعي صاروا يسلكون دروب الحرب المكفهرة .. كانوا ينهبون .. يسرقون .. يعيثون فسادًا .. يخربون في يأس .. كان ذلك للزعامة في بلادنا يا عزيزي الدكتور « جيلبرت » .

وكان هذا الاستعراض المسبق لدفاع « شاخت » يدعو إلى الاهتمام ، فقد كان هجومًا مفتوحًا ضد زعامة « هتلر » و « جورنج » .

وكان « دونيتز » يجلس مستمعًا إلى الكلام كله ولم يعلق بحرف ، ولكنه كان يرقب مماحكة « جورنج » في الطريق أمام الباب محاولاً أن يجعلنا ننتبه له ونشعر بمحاولاته .

وفي رأيي كان هذا نوعًا من الموافقة على ما يقوله « شاخت » .

٢٣ ـــ ٢٤ فبراير

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « سبير » :

كرر « سبير » أن الأوامر الجديدة جعلته يشعر أنه أكثر حرية لوضع خطة دفاعية وفقًا لدوافعه الأصلية . ويبدو أن الشعور بعزل « جورنج » وتحطيم الجبهة المتحدة قد أزال العقبة الوحيدة التي كانت تعترض إرادته في فضح « هتلر » والنظام النازي برمته للخيانة التي ارتكبوها . وقال : « إنه يأمل أن يفهم الشعب الألماني أن السبب في محنته وبؤسه والذي ينبغي أن يوجه له اللوم هو « هتلر » وليس الحلفاء » .

ـــ « كان « جورنج » يريد أن يقول للشعب الألماني إن القادة النازيين قد حاولوا إنقاذ ألمانيا ، ولكن الأعداء أصروا على إبادتها ، وإني أخمِّن أن آخر حركة بطولية

سيحاول أن يفعلها هي نثر البذور لمصيبة أخرى يمكن أن تكون في مستقبل الأيام .

وهذا هو السبب الذي دعاني لأن أقول لفون شيراخ إنه إذا كان « جورنج » يريد تمثيل دور البطولة ، فقد كان ينبغي عليه أن يفعل ذلك من قبل ، بدلاً من إدمان المخدرات ، وجمع الأشياء المنهوبة من هنا وهناك .

وإن كان القادة النازيون مخلصين حقًا لألمانيا فإن عليهم أن يشعروا بالسعادة ، فقد أنقذ الحلفاء ألمانيا من مجاعة محققة ، ولا شك أنهم سيقومون بإصلاح هذا الدمار الذي أحدثه « هتلر » بالبلاد .

هل تعرف الطريقة التي تفضح بها النازية وتكشفها أمام الناس إلى الأبد ؟ مجرد أن تجعل وزارتنا هذه الموجودة في السجن تقوم على الحكم في ألمانيا ، وكل ما تطلبه منهم :

هيا قوموا على حكم أنفسكم . هذا هو الفراش الذي أعددتموه ، وعليكم أن تناموا فيه .. ولسنا مسئولين عن إطعامكم ، لقد بدأتم الأمر وعليكم إنهاؤه .

عند ذلك ستجد ملايين الألمان يموتون جوعًا ببساطة » .

وقلت له :

ــ هل تستطيع ذكر هذا أمام المحكمة ؟ .

وقال :

ــ « سوف أفعل بالتأكيد .. وبخبرتي في الإنتاج سوف أشرح هذه الأشياء للناس ، وأظنهم يقدرون آرائي » .

وقد عقبت بأن الهيئة العامة للدفاع عن العسكريين تركز في إصرار أعمى على المبدأ القائل إن الأوامر هي الأوامر ، وإنه لم تكن لديهم أية اهتمامات أبعد من تنفيذ الأوامر .

وقلت :

ـــ لست أدري ما شعورك حول هذه النقطة ، ولكني متأكد أن عودة السلام إلى أوروبا متوقف على طرد العسكريين الألمان خارجًا .

ووافقني على ذلك تمامًا .

زنزانة « رينتروب » :

دخلت زنزانة « رينتروب » وبدأت حديثي معه بملاحظة أبديتها بيدي عن الجهد الكبير الذي يبذله في إعداد دفاعه .

وأجابني :

ـــ « إنه من الصعوبة بمكان أن تعد دفاعًا تحت هذه الظروف .. شيء بالغ الصعوبة بالفعل .. ولقد رأيت بنفسك كيف أنكروا علينا مهلة الأسابيع الثلاثة التي طلبناها .. إنه شيء صعب جدًا .. بل يكاد يكون مستحيلاً ، فالوثائق أكثر مما تظن » .

وقلت له مغيرًا الحديث :

ـــ وعلى فكرة . كيف تم الوصول إلى الاتفاق على ميثاق عدم الاعتداء مع روسيا ؟ هل كانت فكرة طارئة ؟ أم أنها بحثت في مدة كافية ؟ إني لا أكاد أتخيل أنها سياسة مرسومة على أجل طويل تستهدف التفاهم مع روسيا في الوقت الذي تعقدون فيه ميثاقًا مع آخرين ضد الشيوعية .

وقال :

ـــ « حسن .. لقد تم فجأة رغم أن التفكير فيه قد استغرق وقتًا طويلاً .

حدث هذا كله في شهرين .. قد كانت فكرتي .. كنت دائمًا أدلل على أهمية

التعاون بين روسيا وألمانيا .. هل تعلم ؟ لم أكن في يوم من الأيام متعصبًا مثل « روزنبرج » أو « شترايخر » أو « جوبلز » .. لقد كنت رجل الأعمال الدولي الذي يرغب بإلحاح في حل المشاكل الصناعية . وأن تستخدم الثروة القومية في أحسن الوجوه .. ولكن صدقني كان في مقدور انجلترا منع الحرب بالفعل بمجرد النطق بكلمة واحدة » .

ــ وما هي هذه الكلمة ؟ .

ــ « وافقوا . هذا كل ما في الأمر » .

ــ لست أفهم .

ــ « كان عليهم أن يقولوا للبولنديين وافقوا ، وكان من الممكن تجنب كل ويلات الحرب . كانت مطالبنا معقولة للغاية ، ولم يكن من الضروري أن تشتعل الحرب من أجل هذه المطالب » .

زنزانة « ساوكل » :

ما زال مضطربًا قلقًا ، وخط دفاعه الأساسي لم يتغير ، لقد فعل واجبه تجاه الوطن الأم في زمن الحرب ، وكان واقعًا تحت تأثير فكرة مؤداها أن البلاشفة واليهود والرأسمالية العالمية قد أرغموا ألمانيا على الحرب .

وبالطبع هو يعلم الآن أن ذلك كله لم يكن سوى تأثير الدعاية الضخمة . وقال إنه كان يعشق العمل الشريف ويعبده ، وكيف أن البطالة والتضخم كانا يبعثان الرعب في نفسه . وكيف كان يعامل العمال الأجانب الذين يعملون في ألمانيا برقة . وكيف كان مسيحيًا مخلصًا في ذلك الوقت .. الخ .. الخ ..

وقلت له :

ــ إنني ما زلت لا أستطيع أن أفهم كيف استطعت التوفيق بين انتزاع ملايين

من المواطنين الغرباء من منازلهم وأوطانهم للعمل في ألمانيا وبين مبادئك المسيحية ، وأي مستوى تراه من الأخلاق ومن حقوق الإنسان ؟ .

وغمغم « ساوكل » في عصبية :

ــ « حسن .. إنها الحرب .. لا بد أن تفهم .. عندما بدأنا كان هناك بالفعل عدد كبير منهم وقد أعطيت أوامر لا يمكنني تجاهلها أو عصيانها .. وبجانب هذا كله قد فعلت كل شيء ممكن من أجل معاملتهم معاملة حسنة . وهنا وجدت الكتب التي تبين كيف كانت سياستي » .

وأمسك بكتاب وفتح على صفحة فيه وصار يقرأ :

العامل الكفء هو العامل الذي يلقى تغذية حسنة !! » .

وصار يقرأ بعض الجمل التي لا معنى لها شبيهة بتلك الأخيرة .

ثم أغلق الكتاب وقال لي :

ــ « أما هذه الأشياء المرعبة التي حدثت في معسكرات الاعتقال فلم يكن عندي أو في وسعي ما أفعله حيالها » .

زنزانة « جورنج » :

كان مظهره المتعالي المتعجرف قد خفَّ بعض الشيء ، وكذلك حدث لسيطرته التي كان يحاول فرضها على من حوله . وهو يحاول الآن الظهور بمظهر الودود المحب للبشر غير الفاهم للمعميات التي حوله .

ووضع قطعة من الخبز في فمه ، وقال من بين الطعام الذي حشا به فمه :

ــ « حقيقة أيها البروفسير هناك شيء ينبغي عليك فهمه ، إنني لست وحشًا قاسيًا ليست له فائدة للحياة الإنسانية كما يحاول البعض أن يصورني بهذه الصورة .

ولا تظن أن هذه الفظائع لم تترك أثرًا في نفسي ، ولكني قد رأيت أكثر من هذا بالفعل :

آلافًا من الجثث المشوهة ونصف المحترقة في مبدأ الحرب العالمية الأولى .. المجاعات .. وفي هذه الحرب .. النساء .. جموع الأطفال وهم يموتون محترقين من الهجوم الجوي .

إنه من الطبيعي أن ينهار « فريتشه » ويطلب الخروج من القاعة عند مشاهدة هذه الأفلام .

لقد كان كل ما عليه أن يفعله أثناء الحرب أن يقرأ الإعلانات أو البيانات من راديو برلين أو راديو درسدن ، بأن بعض الناس قد ماتوا ، وأن كثيرًا من الناس يعانون ، وهكذا ..

أما أنا فقد ذهبت ورأيت بنفسي الجثث . وفي بعض الأحيان كانت هذه الجثث لا تزال تحترق .

وكان هذا واجبي فقد كنت وزيرًا للطيران .

وبعد كل هذا لا أظن أن مشاهدة فيلم من هذا النوع يبعث في نفسي شيئًا من الخوف أو الفزع » .

وقلت :

ــ إذن فأنت قد تمرست بالحرب وفظائعها منذ الحرب الأولى ولم تعد تتأثر أدنى تأثر بكل هذه الأشياء المرعبة .

وقال « جورنج » :

ــ « بالطبع .. ولكن لا تنس أن هذه الأشياء لم تكن من صنعي .

لقد فعلت غاية جهدي لوقف هذه الأشياء .. ولقد أخبرتك من قبل .

لقد كنت أتفاوض دون علم « هتلر » . وعلى يقين أيضًا من أن « هتلر » كان

يحاول الحصول على مطالبه دون حرب » .

وقلت له :

ــ ولكن هل فعلت حقًا كل ما كان في وسعك ؟ هل أطلقت عليه النار ؟ هل قمت باغتياله ؟ قدمت استقالتك ؟ أخبرني بشيء يبدو مقنعًا في أنك قد بذلت جهدًا لوقف هذه الكوارث .

وسكت « جورنج » للحظة ثم قال :

ــ « حسن .. افترض أنني قد قدمت استقالتي .. وهو تصرف لا يتفق بطبيعة الحال مع شرف العسكرية والولاء للوطن .. ولكن لنفترض أن ذلك قد حدث .. هل كان ذلك يغير شيئًا من طبيعة الأمر ؟ ولا أقل القليل .. عندها سوف يعين « كيسلرنج » أو « ميليخ » أو « بودنشاتز » أو أي إنسان آخر رئيسًا لسلاح الطيران .. وسوف تسير الأمور طبيعية تمامًا .. ولنقل إن « هتلر » قد أصدر أمرًا وأمرت أنا بإلغائه هل تظن أن أحدًا سوف يلقي بالاً لي ؟ لماذا ؟ لأن « هتلر » لن يحزن لإعدامي رميًا بالرصاص . إنه كان سيقول ببساطة :

ــ ياجورنج المسكين ! لا يلتفت أحد إليه .. هو مصاب بمرض صغير في رأسه . هل تفهمني ؟ مثل هذه الأشياء البسيطة لا يلتفت إليها أحد » .

زنزانة « هيس » :

شكا « هيس » من تقلصات المعدة التي تعاوده باستمرار ، ومن إزعاج الحرس لنومه .

وسألته عن الشهود « أهلندورف » و « باخ زيلفسكي » و « لهاوزن » الذين

يذكرهم جميع المتهمين جيدًا . هؤلاء الذين أدلوا بشهاداتهم عن برنامج القتل بالجملة الذي قام به النازيون . وحاول « هيس » أن يتذكرهم ولكن أسماءهم كانت غامضة رغم أنها مألوفة لديه . وكان يبدو مشوش الذهن حول الموضوع برمته .

وتذكر فيلم الفظائع الذي عرضه الروس . وكان قد عرض منذ ثلاثة أيام . ولكن الفيلم الذي عرضه الأمريكان عن فظائع مشابهة قبل ذلك بفترة كان مبهمًا تمامًا في ذهنه . وتذكر « فون باولوس » الذي أدلى بشهادته منذ أسبوعين . تذكره بوضوح .

واختبرته ثانية بالنسبة لاستمرار المحاكمة ، وكان لا يزال يظن أنها قد بدأت منذ ستة شهور . وقلت له إنها بدأت في ٢٠ نوفمبر . فقدّر المدة بأربعة أشهر ، بينما المدة الحقيقية ثلاثة أشهر .

وباختصار فإن حالة ذاكرته تبدو كالتالي :

يتذكر الأشياء التي مرَّ عليها أسبوع أو أسبوعان تذكرًا جيدًا .

ولكن بالتأكيد لا يتذكر الأحداث الهامة التي حدثت منذ عدة أشهر أو أبعد من ذلك إلا تذكرًا مبهمًا غير واضح .

وقبل أن ينتهي الاختبار أبدى شكواه مرة أخرى من تقلصات المعدة ومن إزعاج الحرس له في النوم ، وأخبرته أنني سوف أنظر في الأمر .

٢٧ فبراير

الذين نجوا من الإبادة يدلون بشهاداتهم

جلسة الصباح :

أخبر مواطنو مدينة (فيلنا) الذين بقوا على قيد الحياة أن عددًا من مواطني

المدينة بلغ ثمانين ألف مواطن قد أبيدوا باستثناء ستمائة فقط لم يسمح الوقت بالقضاء عليهم ، وتم ذلك بواسطة قوات الفرق الخاصة .

كما أخبروا كيف كان الأطفال يقتلون لحظة ميلادهم .

واستمر الكولونيل « سميرنوف » يشرح من الوثائق كيف كانت تجري التجارب على نزلاء معسكرات الاعتقال، وكيف كانت تتم عمليات القتل بالجملة للمرضى من نزلاء المستشفيات .. إلخ .

ثم جاءت امرأة كانت من نزلاء معتقل (أوشفيتز) تدعى « سيفيرينا شما جلنسكايا » وشرحت كيف كانت معاملة النساء والأطفال هناك . وكان الأطفال الذين يولدون في المعسكر يؤخذون في الحال ثم لا يراهم أحد بعد ذلك . ثم قالت في مرارة بالغة :

ــ « باسم كل نساء أوروبا اللاتي أصبحن أمهات في معسكرات الاعتقال أود أن أوجه سؤالاً إلى الأمهات الألمانيات :

أين أطفالنا الآن يا أمهات ألمانيا ؟ » .

وخيم على القاعة صمت بليغ .

ســاعة الغداء :

وفي نهاية الجلسة وقبل الذهاب إلى تناول الطعام سأل الدكتور « كرانتز بوهلر » المحامي عن « دونيتز » :

ــ ألا يعلم أي فرد فيكم أي شيء عن هذه الأشياء التي يقولون عنها ؟ .

وهزَّ « دونيتز » رأسه نفيًا ، ثم أطرق في حزن وأسف .

ولكن « جورنج » التفت قائلاً :

ـــ « كلا بالطبع .. إنك تدرك كيف تسير الأمور عادة في الفيالق .. قائد الفيلق لا يعلم شيئًا عما يدور في الخطوط .. الرتب الصغيرة هي التي تدرك ما يدور بأسفل » .

وبصعوبة استطعنا الحصول على أفكار أكثر حول الترتيب الهرمي للأوامر العسكرية خلال نقاش سخيف لعين .

ولكن « جورنج » في ضلاله الذي يرتدي عباءة عسكرية كاذبة ظن أنه قد قدم التبريرات المعقولة .

وبعد صعودهم لتناول الطعام بدأ « جورنج » في الشكوى من وجوده ثانية في حجرة باردة وحده ، وبذلت جهدًا كبيرًا لضبط نفسي أمام شكواه .

وسألته :

ـــ لماذا لم تنصت إلى الشهود ؟ .

وغمغم في عصبية :

ـــ « لأنه ليس مفروضًا عليَّ أن أستمع إلى نفس الكلام ألف مرة » .

وفي غرفة طعام الكهول كان هؤلاء الرجال المسنون يهزون رءوسهم .ودسَّ « دونيتز » أنفه في جريدة بعمق . وكان « شاخت » هو الذي واتته الشجاعة بعد عدة دقائق من الصمت القلق للعودة إلى الموضوع الخاص بمحاولاته المبكرة لوقف الخطوات الجذرية التي كانت تتخذها النازية في مبدأ وصولها إلى الحكم . وقال : إنه اعترض على الوسائل التي كان يتبعها الجستابو . وعمليات الإبادة .. إلخ .

وكان دائمًا يقدم مبررًا واحدًا للاعتراض ، وهو أن هذه الإجراءات تخل بنظام العمل ، فقد كان « هتلر » يرفض أي مبرر آخر للاعتراض .

وكان السفير الأمريكي قد عرَّفه باقتراح « روزفلت » الخاص بالتسليح وتحديد

ما يمكن للجندي أن يحمله فوق ظهره . وكيف أنه حث « هتلر » على قبول هذا الاقتراح ، ولكن هتلر أخبره أنه غير عملي وأن عليه أن يهتم بعمله فقط .

وفي غرفة طعام الشباب حصلت على ملحوظات أكثر مضمونها أنه ليس هناك أحد يعرف شيئًا عن أي شيء .

جلسة بعد الظهر :

ووصف نزيل سابق من نزلاء معسكر اعتقال تريبلنكا المعد للإبادة كيف كان يصنف الضحايا في عمليات الإعدام .

فبالنسبة للرجال كانت تتم إبادتهم بعد عشر دقائق من وصولهم .

وبالنسبة للنساء كانت إبادتهن تتم بعد خمس عشرة دقيقة من وصولهن لأن حلاقة شعور النساء كانت تستغرق وقتًا ، فقد كانوا يحلقون شعر النساء قبل إعدامهن .

وكانوا قد أقاموا محطة سكة حديد مزيفة حتى يعتقد المنقولون أن المسألة مجرد وقوف اختياري في رحلتهم إلى السكن الجديد .

٢٨ فبراير

ساعة الغداء :

وفي حجرة طعام الكهول حذَّر « دونيتز » من أن الألمان يجب أن يشعروا أنهم يعاملون معاملة حسنة إذا كانوا يريدون تعاونًا مع الشعب الألماني .

« لا تنس أن الألمان أنفسهم هم أول من أحسوا بخيانة قادتهم » .

وكان هذا شيئًا مثيرًا للاهتمام ، فهي المرة الأولى التي يتحدث فيها « دونيتز » عن خيانتهم في مناقشة مفتوحة . ولعل ذلك أحد آثار عزل « جورنج » عنهم واستمر « دونيتز » قائلاً :

ـ « يجب أن أقول إنني كنت غاضبًا أشد الغضب من حشري في هذه المحاكمة في مبدأ الأمر ، لأنني لم أكن أعلم شيئًا ، ولكني الآن وبعد سماع كل هؤلاء الشهود .. التصرفات المزدوجة .. الأعمال القذرة في البلدان الشرقية .. هذا يشعرني ببعض الرضا لوجود أسباب مقنعة تستدعي محاولة معرفة ماذا تم على وجه التحديد » .

وكان هذا الإعلان مختلفًا تمامًا بالتأكيد عن ذلك الدونيتز الذي علّق على وثيقة الاتهام في البداية بأنها (دعاية أمريكية تقليدية) .

٢ ـ ٣ مـارس

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « رينتروب » :

كان عاكفًا على أوراق دفاعه كعادته . وينظر هنا وهناك في ارتباك واضطراب . وعدت إلى مناقشة الميثاق الروسي والهجوم .

وقلت له إن هناك بعض الناس يناقشون نظرية مضمونها أن الروس والألمان كانوا قد أعدوا مسبقًا مشروع تقسيم بولندا في الوقت الذي وقعوا فيه ميثاق عدم الاعتداء .

وقال « رينتروب » بطريقته المعهودة التي يعوزها الصدق والإقناع :

ـ « لا .. ليس الأمر على هذا النحو . لعلك تعرف أن الدبلوماسية ليست بالأمر الذي يبدو سهلاً في بعض الأوقات . بالطبع كان إمكان اندلاع الحرب مع بولندا معروفًا ، وقد ناقشنا هذه المسألة حينذاك ولكن الميثاق الذي وقعناه أنا و « هتلر » كانت النية فيه صادقة تمامًا .

هكذا كان الأمر بالفعل . أما أنا فلا أعرف شيئًا عن بعض الأقاويل التي شاعت بأن روسيا قد دخلت الميثاق لخدمة أغراضها العدوانية ولكن هذا ما قاله بعض الناس بالفعل » .

وقلت له :

ـ ولكني كنت أظن أن مشروع هذا الاتفاق كان من بنات أفكارك .

وقال :

ـ « حسن .. هذا صحيح » .

ونفخ في غليونه باحثًا عن مبرر لهذا التقلب وعدم الثبات وقال :

ـ « ولكن الروس هم الذين تحركوا الحركة الأولى .. هذا حقيقي » .

ونفخ مرة أخرى في غليونه حائرًا وقال :

ـ « نعم إن لديهم طرقهم في إنجاز هذه الأشياء .. هذا حقيقي أيضًا » .

وتستطيع أن تحدد وتحصي عبارات الكذب والمداهنة بمقدار عدد المرات التي يقول فيها هذا حقيقي .

ثم سألني :

ـ « لماذا يظن الناس أنها أشياء قد سبق ترتيبها ؟ » .

وقلت له :

ــ لأنهم يظنون أنه من المشكوك فيه أن يقتسم الألمان والروس بولندا دون ما اختلاف جدي حول الأمر .

وقال :

ــ « ولكن الروس قد احتفظوا بالجزء الذي أخذوه بعد أن انتهت الحرب بفوزهم .. هذا حقيقي » .

وظل ينفخ في غليونه حائرًا لا يستطيع أن يستجمع فكره .

زنزانة « فون بابن » :

كان قد قرأ لتوه مقالة عن العسكرية مترجمة عن جريدة (إيفننج بوست ــ السبت) التي كانت تطبع في الصحف الألمانية ، وكانت تبدو عليه خيبة الرجاء لعدم إحضاري صحفًا معي ، فلو كان مطلق السراح لما فاته الاطلاع على تيار الأحداث .

وأبديت له ملاحظة على هذا :

ــ معك حق وبخاصة إذا كنت تريد تنوير الناس بالجرائم التي ارتكبتها قيادة النازي .

فقال :

ــ « بالضبط .. هذه هي المسألة الأساسية كما تقول المقالة ، لقد دمرت العسكرية الاستقلال الذاتي ، ومزقت تعاليم المسيحية التي تدعو إلى كرامة الإنسان » .

وقلت :

ــ وهي تؤكد ضلال البطولة المزعومة ودستور الشرف الكاذب والمساواة التي

لا وجود لها ، مثل أوامر الاغتيال التي أصدرها كايتل ، والنهب والسرقة على أعلى مستوى مثلما فعل « جورنج » . ذلك الدستور الذي انعدمت فيه الأخلاق تمامًا ، والذي بموجبه ألغى كل قانون ما عدا (الأوامر هي الأوامر) بغض النظر عن بعد هذه الأوامر عن مبادئ الدين والحق والشرف والأخلاق .

وقال :

ــ « أنت مصيب تمامًا يا سيدي الدكتور .. ولكن ألست معي أن ذلك سيكون له تأثير أكبر وفاعلية أكثر لو سمعه الناس من ألمان ؟ » .

وبدأت تنتاب « فون بابن » نوبة من الحنق الشديد على العسكريين ، وبدأ يرتسم على وجهه تعبير ملائكي ، وعادة ما يبدو هذا التعبير عندما يكشف عن أسنانه ويرفع حاجبيه :

ــ « ذلك القمع الشيطاني لحرية التفكير .. الاحتقار لكل شيء لا يتفق مع التصور العسكري المتسم بالانتباه الشديد قبل الضباط المشرفين ! ذلك التحقير للكرامة الإنسانية ! تضليل الشباب وإفسادهم .. كيف تم كل هذا ؟ .

لا بد أن يعاد تعليم الناس من جديد .. أن يعاد تعليمهم كلية .. وإني أعتقد أن هؤلاء الذين قاموا على شئون الدعاية وانتشروا في الأرض ودقوا طبول الحرب هم أكثر ذنبًا من أي إنسان آخر ! وأذكر أن « جوبلز » قد قال مرة :

إن علينا أن نستخدم طرق الكنيسة لغرس تعاليمنا في شباب ألمانيا .

ولكن كيف يتأتى لنا هذا بحق السماء ؟! » .

زنزانة « فون نيوراث » :

كان يدخن السيجار الثاني من سيجارين كنت قد قدمتهما له بمناسبة عيد ميلاده ، ورحب بقدومي إلى زنزانته .

واستعرض خلافه مع « هتلر » ومضى في شرح دوره بالنسبة للأمور الخاصة بمعاهدة ميونخ وتشيكوسلوفاكيا ، وذلك عندما عرض « تشيمبرلين » الحضور إلى ألمانيا ومناقشة مشكلة السوديت من أجل منع الحرب . وكيف أنه حاول حمل « هتلر » على التفاهم على ذلك الوضع . ثم لم يبق وزيرًا للخارجية مدة طويلة بعد ذلك .

وكان ذلك بمثابة دفاع يقوله مقدمًا .

وقال إنه كان عليه أن يدخل لمقابلة هتلر رغم صعوبة ذلك ، وقد نجح في استمالته عندما أخبره أن من مصلحة « موسوليني » إبرام مثل هذه المعاهدة ، وعند ذلك قال « هتلر » .

ــ حسن إن كان موسوليني سوف يستفيد منها فإني مستعد للسماع .

وعند ذلك اتصل « فون نيوراث » بموسوليني تليفونيًا ، وتمت بعض الاستفسارات والتوضيحات .

وعندما حضر « تشمبرلين » و « دالادييه » حياهما ثم سأل الأخير عما إذا كانوا قد استشاروا التشيك حول مشكلة السوديت . وعندما نفى ذلك سأله لماذا لم يفعلوا ؟ .

ــ « هل تدري ماذا قال لي دالادييه ؟ .

لقد قال ما سأقوله لك ولا ينبغي أن يعرفه أحد :

ــ إن التشيك سوف يجبرون على تنفيذ ما نتفق عليه ونقرره .

هكذا كانت تسير الأمور يا سيدي الدكتور .

ولكن بعد أن تم التوقيع على معاهدة ميونخ أحس الرجل ببعض القلق وقال لي :

ــ إنني أعتقد أنهم سوف يرجمونني من أجلها عند العودة إلى الوطن .

وأخبرته أن عليه أن يكون واثقًا من أنه سيقابل بالهتاف والابتهاج لأنه استطاع منع الحرب .

وبالفعل سارت الأمور هكذا .

فقد قوبل هو و « تشمبرلين » بمظاهرات محمومة من الرقص والتهليل والابتهاج ، لأن كل إنسان كان يعتقد أن سلام أوروبا قد أنقذ » .

زنزانة « هيس » :

عاد إلى الشكوى ثانية من آلام المعدة الحادة ، وإقلاق الحرس لنومه ، وأن هذا يحطم قدرته على التركيز وسألني :

ـــ « هل يعاني الآخرون من نفس المتاعب ؟ » .

وقلت له إن « رينتروب » وبعض الآخرين يعانون من أشياء شبيهة ولكن بدرجة أقل .

واختبرت قدرته في استعادة أسماء الشهود ، ووجدت أنه لم ينس فقط شهود الأسبوع الماضي بل نسي « فون باولوس » تمامًا مبينًا بذلك تقدم حالة فقدان الذاكرة الجزئي للأحداث التي مضى عليها أسبوعان .

وعندما ذكرت له « فون باولوس » سأل عما إذا كان لم يظهر في المحكمة كشاهد لأن اسمه يبدو مألوفًا لديه على نحو ما .

وسألته :

ـــ هل يستطيع تذكر أي شيء حول هذا الاسم ؟ .

وشرد قليلاً وقال :

ـــ « لست أدري .. يبدو لي أن ارتباط هذا الاسم بكونه شاهدًا يبدو قريبًا

إلى ذهني على نحو ما » .

وقلت :

ــ ألا يمكنك تذكر ما قاله ؟ .

وقال « هيس » :

ــ « كلا .. لا أظن أنني أستطيع » .

وسألته :

ــ هل تتذكر طيرانك إلى انجلترا والظروف المحيطة بهذا الموضوع ؟ .

وأجاب :

ــ « إني أتذكر لماذا ذهبت .. ولكن ليس بالتفصيل . هل ذكرت لك هذه التفاصيل قبل ذلك ؟ » .

٦ مــارس

خطبة تشرشل

كان موضوع حرق الرايخستاج هو موضوع الاهتمام الأساسي عندما جاء المتهمون ودخلوا القاعة في الصباح .

وكانت قصة جديدة قد ظهرت في عطلة نهاية الأسبوع وعَزَت حريق الرايخستاج عام ١٩٣٣ م لكل من « جورنج » و « جوبلز » .

وسأل « ريبنتروب » بعض الحاضرين عما إذا ما كانوا قد سمعوا شيئًا من هذا القبيل .

وبدأ كل فرد يتحدث عن هذا الموضوع .

وكان « جورنج » لم يأت بعد إلى القفص .

وقال « شاخت » إنه كان يعرف هذه القصة طول الوقت .

وقال « فريتشه » إنه قد سمع في حينه أن الشيوعيين هم الذين أحرقوه وإنه لم يحقق هذا الأمر أبدًا .

وغمغم « يودل » قائلاً إنه يكره أن تنسب إلى رئيس سلاح الطيران فضيحة مكشوفة كهذه .

واكتفى « فون بابن » بهز رأسه حزنًا وأسفًا .

ورفض « فريك » تصديق هذه القصة رفضًا باتًا ، ثم تراجع قليلاً وأبدى شكًا في معقوليتها . وقال إن الحزب لم يكن في حاجة إلى حرق الرايخستاج لأي سبب ، لأن الأغلبية كانت معهم آنذاك ، وعلى هذا فالفكرة تبدو سخيفة .

وتوقفت المناقشة عندما دخل « جورنج » القفص ، ومن الواضح أنه أحس ببرود من الجميع .

ســاعة الغداء :

إذا كان « جورنج » يحتاج إلى تغيير الموضوع وجذب انتباههم إلى شيء آخر فقد وجد بغيته في عناوين صحف هذا اليوم :

الوحدة لمواجهة الروس .. تشرشل يحذر في فولتون .

وقال « جورنج » وهو يصعد لتناول الغداء :

ــ « هذا طبيعي .. لقد قلت لك ذلك .. لقد كنت على صواب .. هذا هو التوازن القديم للقوى مرة ثانية » .

واستمر في الحديث بينما كنت ألحقه في دخول قاعة الطعام .

ــ « هذا ما كانوا يحاولونه دائمًا ، أن يحققوا توازنًا ضد الشرق .. ولم يعملوا عقولهم أبدًا ، ولم يقدروا هل هم يعملون ضد الشرق أم الغرب .

وها هم أولاء على وشك مواجهة روسيا ، بعد أن اختلفت عن ذي قبل ، لقد صارت أقوى مما يظنون ، وعليهم أن يحققوا توازنًا معها الآن ، ولكن هل هذا في وسعهم ؟ » .

وسألته عما إذا كان يظن أن انجلترا قد أبرمت معهم معاهدة ميونيخ كدعوة مفتوحة للتوغل ناحية الشرق عبر الأراضي التشيكوسلوفاكية ؟ .

وأجاب كأن ذلك أكثر الأشياء وضوحًا في هذا العالم :

ــ « بالطبع ، ولكنهم خافوا بعد ذلك من قوة ألمانيا وكيف ستكون بعد ذلك . والآن ها هي ذي روسيا وعليهم أن يقلقوا بخصوصها » .

وفي حجرة الكهول لتناول الطعام قال « فون بابن » بعد قراءة العنوان :

ــ « هذا كلام صريح أليس كذلك ؟ » .

وتجمع الآخرون حوله وبدأ فون بابن بقراءة ما هو مكتوب تحت العنوان بصوت مسموع .

وقال « دونيتز » وقد انتابه شعور بالرضا والراحة :

ــ « هكذا .. ها هو ذا تشرشل يعود إلى أفكاره القديمة » .

وأبدى « فون نيوراث » ملاحظة :

ــ « من الطبيعي أن يرحب بمعونة روسيا إن كان في حاجة إليها ، ولكن هناك الإمبراطورية البريطانية باقية أولاً وأخيرًا . ولا أظن أنه قد تنازل عن الكثير للروس في طهران أو الدار البيضاء » .

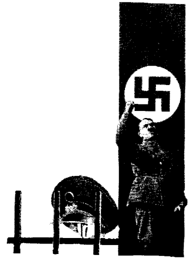
وصاح « دونيتز » مصححًا :

ــ « يالتا .. يالتا .. إنه لم يكن ليعطي الروس الكثير في الوقت الذي تحقق فيه من هزيمة ألمانيا . وهذا هو ما كتبته لإيزنهاور عندما بقيت على قيد الحياة .. إذا كانوا يريدون للروس أن يتقدموا فلا بأس ، أما إذا كانوا لا يريدون مثل هذه السياسة فعليهم أن يحدثوا تغييرات جوهرية مؤكدة » .

وصاروا يغمغمون ويثرثرون كأن عنوان الصحيفة قد ردّ الهزيمة عن ألمانيا النازية ، وكأن كل ما ارتكب من جرائم كان له سبب وجيه قد صار يظهر الآن . وبدا وكأن مسًا من جنون قد أصابهم وكأنهم قد كسبوا الحرب التي خسروها منذ شهور .

٦

دفـــاع جورنـج



٨ مـــارس

شـاهد النفي الأول

أحضروا « جورنج » في هذا الصباح مبكرًاحتى يلتقط له الصحفيون بعض الصور ، وكان يبدو عصبيًا بطريقة لم يستطع إخفاءها فهم لم يخبروه أن صورًا له سوف تلتقط . وكانت القاعة قد بدأت في الامتلاء . وكان « جورنج » يتلفت حوله في عصبية بالغة منعته من الإحساس من أنه قد عاد ثانية كمركز لدائرة الانتباه .

وأبدى « هيس » ملاحظة مؤداها أن سكرتيرة « جورنج » قد رفضت المثول أمام المحكمة للشهادة .

وعند ذاك قال « جورنج » :

ــ « بالطبع ما الذي يدفع امرأة إلى الوجود في هذا الجو العدائي المشحون .. أنا لا يمكنني أن أعرضها لمثل هذا مطلقًا » .

جلسة الصباح :

بينما بدأ الدكتور « شتامر » دفاعه كان « جورنج » يجلس متململاً في عصبية

وكانت يداه ترتعشان بينما يحاول كتابة بعض الملاحظات .

ولكنه في النهاية ترك كتابة الملاحظات واحتفظ بذراعيه مضمومتين على صدره في جلسة متعاظمة ، ثم صار يغير جلسته كل دقيقة تقريبًا .

ويستطيع أي إنسان أن يشعر بالضغط الهائل الذي يقع تحته هذا الرجل عندما يرغم على مواجهة واقع صارم عبر حقائق باردة ، أمام عالم قد أنهكه القتل وأثقلته الحرب من أجل شجاعة كاذبة ووجه جامد سخيف على أمل أن يزوره الزائرون في مقبرة رخامية بعد مائة عام .

كان الشاهد الأول هو « بودنشاتز » مساعد « جورنج » ، وشهد بأن سلاح الطيران لم يكن يعلم بالحرب في عام ١٩٣٩ م . وتكلم عن محاولة « جورنج » في التفاوض مع الإنجليز لمنع الحرب دون علم « هتلر » و « ريبنتروب » في ذلك الوقت . وشهد أيضًا أن « جورنج » قد توسط لخروج كثير من معارفه من معسكرات الاعتقال .

وبطرق عديدة حاول أن يظهر رئيسه بمظهر الرجل المحب للسلام .

ولكن « جاكسون » هلهل شهادته عند الاستجواب . وأماط اللثام عن بواعث « جورنج » وكيف أنها لم تكن نظيفة كما ادعى ، ثم أكد معرفته بالاعتقالات غير المشروعة التي كانت تعج بها معسكرات الاعتقال ، ومعرفته بالخطط التي كانت تعد من أجل الحرب العدوانية .

وبصفة عامة جعل الشاهد يتعثر في كلامه ويتناقض وصار أضحوكة كل من شهد الاستجواب .

ســاعة الغداء :

وبينما كانت القاعة تخلو من الحاضرين في نهاية الجلسة الصباحية قال لي محامي

« سايس إنكوارت » :

ــ « لقد أظهر مواطنوك الأمريكان من المحامين رصيدًا ضخمًا من الخبرة أثناء الاستجواب ، وكان واضحًا أن المستر جاكسون واحد من أحسن من رأيت » .

وأثناء الغداء أظهر بعض المتهمين شيئًا من الرضا المشوب بالخبث للطريقة التي حوَّل بها المستر « جاكسون » شاهد « جورنج » الأول إلى قرد يثير الضحك .

أما « يودل » الذي لم يكن في الحقيقة يضمر إعجابًا كبيرًا لنظام « جورنج » في القيادة فقد عبر عن سروره الصريح لما حدث في الصباح .

وفي غرفة طعام الكهول كان « شاخت » مفعمًا بالفرحة من حظ « جورنج » السيئ هذا النهار وقال :

ــ « لقد أخذ الرجل السمين علقة ساخنة .. لقد كان مدعيكم العام « جاكسون » ألمعيًا نابهًا بالتأكيد .. حتى وهو غير متأكد مما سيعثر عليه في استجوابه إلا أنه كان يحوم في كل ناحية ليرغم الأرنب على الخروج من الجحر .. وأحيانًا كان يحدث » .

ووافق « فريتشه » على ذلك التشبيه .

وعلى أي حال فقد كان التأثير العام على الكهول أنهم صاروا يعملون حسابًا كبيرًا للاستجواب .

ووافق كل من « فون بابن » و « دونيتز » و « شاخت » على أن أحسن طريقة هي الوقوف والكلام دون مذكرات مكتوبة . ثم الإجابة عن الأسئلة بطريقة تلقائية . وألا يقول المرء شيئًا غير الحقيقة المجردة لأن المدعي يستطيع أن يربك من يفكر في الكذب .

ولم يكن « جورنج » سعيدًا :

ــ « حسن .. والآن .. ذلك الصديق المسكين الذي وجد نفسه غارقًا لقمة

رأسه في هذه المسألة .. لم أكن متأكدًا من إمكان الاستعانة به كشاهد ، ولكنه كان مخلصًا للغاية ، أراد أن يقول كلمة طيبة في حق رئيسه .. على أي حال ينبغي أن أفهم أنهم يعملون لي كل حساب فهذا رئيس الادعاء يستجوب شاهدي بنفسه » .

وأخرجت علبة اللفائف وأشعلت واحدة وقدمت أخرى لجورنج الذي كان نادرًا ما يدخن ، ولكنه أخذها بأصابع مرتعشة وقال لا بأس من تدخين لفافة هذا اليوم . ثم مضى يحتج في ضعف عن ضياع العدالة من المحاكمة .

٩ ــ ١٠ مـــارس

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « جورنج » :

كان « جورنج » راقدًا في فراشه بملابسه في انتظار الإذن له بمقابلة محاميه ، وأخبرته أنني قد رتبت عملية ذهابه إلى المحكمة مبكرًا ليتحدث مع محاميه كطلبه من قبل .

ونهض من فراشه معتمدًا على مرفقه وقال في صوت حاد :

ــ « هناك شيء واحد أود أن تعرفه ، وأنت تملك الحرية في تصديقه أو تكذيبه ، ولكن عليَّ أن أخبرك به ، لم أكن عديم الشفقة في يوم من الأيام ، كنت خشنًا ، ولا أخجل من إعدام ألف شخص كمقابلة للشر بالشر أو كرهائن أو كأي شيء يمكن أن تتصوره ، ولكن القسوة وتعذيب النساء والأطفال أشياء بعيدة عن طبيعتي ، ولا أظن أن « هتلر » كان على علم بهذه التفاصيل الكريهة . والآن

وبعد أن عرفت ما عرفت كنت أتمنى أن يكون « هملر » هنا لأناقشه الحساب ، ولو أن واحدًا فقط من جنرالات الفرق الخاصة اعترض على هذه الأوامر » .

وسألته :

ـــ لماذا تنعى إذن على رجل مثل « لهاوزن » الذي كان على علم بما يدور أن يفعل ما في وسعه للقضاء على هذا الطغيان ؟ .

ومرة ثانية تحرك العامل القومي متحدثًا بصوت أعلى من العامل الإنساني المزعوم :

ـــ « هذا شيء مختلف .. تريدني أن أوافق على الخيانة لحساب الأعداء .. كلا ليس هذا ، يستطيع المرء أن يبدأ ثورة ، يقوم بمحاولات اغتيال لو تطلب الأمر أي شيء ، ومن الطبيعي أن يعمل حسابًا للمخاطر التي يقدم عليها ، وهذا حق لأي إنسان ، بل واجبه من أجل صلاح بلده ، وقد تحملت هذه المخاطرة بنفس روح عام ١٩٢٣ م أثناء الانقلاب الذي قمنا به حينذاك ، وكان من الممكن أن أقتل من الجروح التي أصابتني ، ولا تنس أن هناك فرقًا بين التآمر ضد رأس الدولة ، وبين محاولة تغيير النظام ولا يجوز التآمر بالوطن لحساب قوة أجنبية تحت أية ظروف ، وهذا ما فعله « لهاوزن » .

وقلت له :

ـــ ماذا يفعل جنرال في نظام قد كرس نفسه لصنع الجريمة ضد مواطنيه وضد العالم أجمع ، وهو بحكم وظيفته على اطلاع بكل ما يدور ؟ .

وتكلم « جورنج » كلامًا كثيرًا لم أفهمه وهو يحاول أن يلوي عنق الحقيقة وقلت :

ـــ تلك الثورة الصغيرة التي قمتم بها ، انقلاب حانة الجعة كما نسميه ، لقد كان تآمرًا فعليًا ، وإني مدهوش تمامًا أنك و « هتلر » قد أفلتما من هذه الحادثة بتلك

السهولة التي كانت .

وهنا ضحك تلك الضحكة الماكرة الطويلة القديمة التي تعودتها منه وقال :

ــ « لا تنس أن المحكمة كانت بافارية ، وأن البافاريين كانوا متواطئين معنا لأنهم كانوا حريصين على ثورة تحمل طابعهم ، بالطبع فقد كان مطلبهم هو الانفصال عن شمال ألمانيا ، وتحقيق نوع من التحالف الكاثوليكي مع النمسا ، ولكننا كنا نمثل الجانب الكبير من الوطنيين الألمان ، كنا نفكر في شيء آخر ، كنا نريد العكس تمامًا ، كنا نريد تكوين الرايخ الألماني الكبير ، على أي حال فهم لم يكونوا مبالغين في القسوة معنا لأنهم كانوا حريصين على رؤية جمهورية فايمار وهي تسقط » .

زنزانة « فرانك » :

كان « فرانك » قد أصبح غارقًا تمامًا في خيالاته وشروده ، حتى إنه لم يكن ينفعل انفعالاً عاديًا بالمحاكمة ، وعندما سألته عن رأيه في دفاع جورنج ، وجدته يرى أن الأمور تسير سيرًا عاديًا وقال :

ــ « إن المحكمة لم تعد تمثل إرادة الله » .

وأكد لي أن التغير كان موضوعيًا أكثر منه ذاتيًا :

ــ « إذا كان عليَّ أن أعطيك انطباعي مرة أخرى فلن أقول إنها محكمة تمثل إرادة الله ، فلا ينبغي أن يكون هناك مكان للكفرة والملحدين فيها ، فالروس ليس لهم مكان في هذه المحكمة ، لماذا ؟ كيف يجرؤون على الجلوس في منصة القضاء » .

زنزانة « فون بابن » :

كان « فون بابن » يسخر من دفاع « جورنج » .

ــ « آخ .. إنه يستطيع أن يقف مدافعًا عن نفسه من الآن حتى يوم الدينونة ، ولكنه لن يستطيع بالتأكيد أن يعطي تفسيرًا لكل ما فعل ، ومن رأيي أن المحكمة عليها ألا تضيع الوقت ، وتطلب عرض الحالة الأخرى » .

زنزانة « هيس » :

كان ضوء الأصيل يأتي خابيًا من نافذة الزنزانة و « هيس » راقد على فراشه ، كأنه في حلم طويل لا بداية له ولا انتهاء .

لم يفهم عن أي شيء أتكلم عندما أخبرته أنني أتيت لأبحث الأمر الذي كان قد كتبه منذ أسبوع تقريبًا . ولكن بعد بعض الجهد تذكر ما كان قد كتبه عن بعض التفصيلات الخاصة برحلته الجوية إلى انجلترا .

وسألته عما كتبه ، وكان كل ما استطاع تذكره هو قراره بالطيران للوصول إلى تفاهم مع الإنجليز من أجل تجنب حمامات الدم ، وأن رجله قد أصيبت بأذى عند وصوله . وبعد مناقشات أكثر استطاع أن يتذكر أنه قد أجرى حديثًا مع السير « جون سيمون » .

زنزانة « فون شيراخ » :

كان « فون شيراخ » متأثرًا للموقف العصيب الذي واجهه « بودنشاتز » .

وتساءل ماذا كان يريد « بودنشاتز » أن يقوله أو يبرهن عليه ، لم يكن هناك خط محدد يتكلم فيه الرجل ، هكذا كان يظن .

وسألني عما إذا كان « جورنج » قد سئل عن النهب والسرقة والأشياء الأخرى التي يثير الكلام عنها القلق وعدم الارتياح .

وأخبرته أنني لا أعرف .

وفجأة سألني :

ــ « وعلى فكرة .. ما هي حكاية « هيس » ؟ .

وقلت له :

ــ ولماذا تسأل ؟ .

فأجاب :

ــ « حسن .. في الواقع هناك شيء أود أن أخبرك به ، فمنذ أسبوعين تقريبًا ناقشت معه مسألتين طلبت منه تفسيرهما لي ، لأني سوف أطلب منه أن يشهد لصالحي في المحكمة . وفي اليوم التالي أخبرني أن عنده التفسير للمسألتين ، وكان يعرف كل شيء حولهما ، حتى التواريخ ذكرها . وقبل أمس الأول عاودت الحديث معه حول هاتين المسألتين ، ولكنه لم يكن يعرف عن أي شيء أتحدث .

ونظرت إليه وقلت :

ــ هر « هيس » لقد ناقشنا الأمر منذ ثمانية أيام . وأنت كنت تذكر كل التفاصيل .

فقال لي :

ــ « أنا آسف جدًا لأني ببساطة لا أتذكر شيئًا . إني أبذل جهدي لأستطيع أن أحافظ على ذاكرتي في حالة جيدة بلا فائدة .

والآن ما رأيك يا سيدي الدكتور فيما سمعت ؟ » .

وقلت له إنني أعرف أن شيئًا من هذا ممكن الحدوث .

وقال :

ــ « وعلى هذا فقد فضلت ألا أسأله أية أسئلة ، فبالتأكيد سيكون شيئًا مثيرًا للضحك لو طلبت منه الوقوف كشاهد لحسابي أمام المحكمة ، فرده الوحيد سيكون

لا أتذكر شيئًا » .

١٢ مـارس

جلسة الصباح :

شهد في هذه الجلسة مساعد « جورنج » و « فون براوخيتش » الصغير و « بول كوويرنر » وطاقم السكرتارية في بروسيا ، والفيلد مارشال « كيسلرنج » .

والأمر الذي كان يدعو إلى الدهشة البالغة في الصباح وأثناء المناقشات التي تمت بعد ذلك على مائدة الغداء هو عناوين الصحف :

موسكو تنادي تشرشل .

وارمونجر يقول إنه يستهدف تخريب منظمة الأمم المتحدة .

وضحك « جورنج » باستهزاء وقال :

ـــ « الحلفاء الوحيدون الذين ظلوا في حالة تحالف هم ممثلو الادعاء الأربعة ، وتحالفهم ينحصر فقط ضد عشرين متهمًا » .

وفرك يديه مسرورًا وحكَّ ذقنه وهو في حالة من الرضا الكامل .

وقال « دونيتز » :

ـــ « هذا مضبوط .. كان « تشرشل » دائمًا ضد الروس ولا يمكنه أن يكون غير ذلك ، وهذا ما كنت أقوله دائمًا » .

وقال « جورنج » :

ـــ « بالطبع لقد كنت أعرف هذا طوال الوقت » .

وأخرج « رينتروب » نفسه ببطء من استغراقه في الكآبة وعدم الانتباه ، ومضى وقت حتى قال :

ــ « نعم .. هذا ما كنت أقوله بالضبط .. أليس كذلك ؟ » .

وفي غرفة طعام الكهول أخذت قضية « تشرشل » طابعًا آخر في تناولها .

فقد تحدث « فون بابن » عن هذه القضية برمتها في لهجة ودية :

ــ « سوف تنتهي بالتأكيد ، ولكن كان ينبغي على شخص ما أن يعطي تحذيرًا للروس من أنهم لا يستطيعون فعل كل ما يخطر ببالهم » .

١٣ مـــارس

جورنج يقف أمام المحكمة

ذهبت لرؤية « جورنج » في زنزانته قبل ذهابه إلى المحكمة ، فقد كان هذا اليوم هو اليوم الذي يقف فيه بنفسه أمام قضاته ، وكانت تبدو عليه أمارات التوتر العصبي التي ظهرت في ارتعاشات يده الخفيفة ، وفي التعبيرات المتباينة المرتسمة على وجهه ، وكأنه قد بدأ في تكرار دوره سرًا كما يمثل في مخيلته كرجل من النبلاء الشرفاء يموت شهيدًا . وكأنه يستعد للوقوف على المسرح لأداء الفصل الأخير من دراما عميقة المرارة .

وابتسم قليلاً وهو يقول :

ــ « ما زلت لا أعرف كيف خولت كل هذه الصلاحيات للمحكمة ، وكل ما أستطيعه أن أتمثل قول ماري ستيوارت[٢١] ، وهو أنني أحاكم أمام محكمة من الدببة » .

وقلت :

ـــ لعل ما حدث أيام ماري ستيوارت كان حسنًا ومستساغًا أثناء حكم الملوك وعدم وجود الديمقراطية ، ولكن المشكلات التي بين أيدينا الآن حدثت بعد أن قطعت البشرية مرحلة هائلة من التمدن والتحضر .

وقال « جورنج » :

ـــ« ومع ذلك فإن أي شيء يحدث في بلدنا المفروض أنه لا يعنيك ولا يعني قومك . فإذا قتل خمسة ملايين من الألمان فهذه مشكلة ألمانية ، وعلى الألمان أن يعالجوها ، وسياستنا الداخلية أمر خاص بنا » .

وقلت له :

ـــ المسألة ليست على هذه الصورة ، فهناك الحرب العدوانية والقتل بالجملة ولا يمكن الادعاء بأن هذه الأشياء ليست خاصة بأحد . ولا يمكن أن نقول أيضًا إن الجرائم لا تستوجب العقاب ، وإلا فإننا بهذا سوف نعمد بأنفسنا إلى القضاء على الحضارة الإنسانية كنتيجة لا تقبل الشك .

وهزَّ « جورنج » كتفيه معترضًا :

ـــ « على أي حال فإن وضع الممثلين لحكومة بلد ما أمام محكمة أجنبية وقاحة فريدة من نوعها في تاريخ البشرية » .

جلسة بعد الظهر :

مثل « جورنج » في منصة الشهود ليدلي بدفاعه عن نفسه .

وقد بدأ بوصف تفصيلي عن ماضيه وأعماله السياسية .

لقاؤه بهتلر للمرة الأولى .

دوره وفاعليته في المساعدة على إنشاء الحزب النازي .

كيف أخذ على عاتقه مهمة وضع قوات العاصفة في شكل محدد .
كيف شارك في انقلاب حانة الجعة .
كيف أصبح عضوًا نازيًا في الرايخستاج عام ١٩٢٨ م .
ثم رئيسًا للرايخستاج عام ١٩٣٣ م .
ثم كيف ساعد « هتلر » ليصبح مستشارًا للرايخ في نفس العام ١٩٣٣ م .
وكيف أنشأ أيضًا معسكرات الاعتقال في بروسيا من أجل الشيوعيين .

السجن في المســاء

زنزانة « جورنج » :

أعاد عشاءه دون أن يُمَس . وكان يجلس على فراشه ساهمًا وهو يدخن غليونه البافاري الضخم . وأظن أنه كان في حالة من الانفعال تحول بينه وبين القدرة على تذوق الطعام هذه الليلة وقال ببطء :

ــ « يجب أن تتوقع أنه بعد اعتقال دام عامًا تقريبًا ، وبعد الجلوس في هذه المحكمة لمدة خمسة أشهر دون أن أنطق بكلمة واحدة ، ثم فجأة يطلبون مني الكلام ــ إن هذا شيئًا يمثل ضغطًا هائلاً عليَّ ، وخصوصًا في العشر دقائق الأولى . الشيء الوحيد الذي غاظني أنني لم أستطع أن أمنع يدي من التلويح » .

وأمسك بيديه وأراهما لي وقال :

ــ « انظر .. ها هما الآن أكثر رسوخًا » .

كان في حالة جادة كئيبة ، باحثًا عن شيء من العزاء في مظهره العالي المتعجرف ووصف الإنسان بأنه أكبر حيوان مفترس في الوجود ، لأن عنده العقل الذي يستطيع

أن يحقق به خرابًا على أوسع نطاق ، أما الحيوانات المفترسة الأخرى فهي لا تقتل إلا عندما يقرصها الجوع . وتنبأ أن الحروب سوف تكون أكثر تدميرًا وتخريبًا في مستقبل الأيام . وكلها ستسير تحت رحمة القدر ولن يتحكم فيها الإنسان كثيرًا .

وكان الهواء خانقًا في الفضاء المحدود المحيط بالزنزانة التي تسلل إليها الظلام .

واستغرق « جورنج » في أفكاره شاردًا .

ويستطيع الإنسان لو نظر إلى عينيه وأرهف أذنيه قليلاً أن يسمع أصداء موسيقى « فاجنر » وهي تأتي من بعيد .

زنزانة « سبير » :

ذهبت إلى « سبير » على غير توقع منه ، وقد أثار اهتمامي عندما وجدته يقول إن خطبة « جورنج » قد أثرت فيه رغمًا عنه ، ثم أشار إلى مأساة الشعب الألماني ممثلة في « جورنج » وقد تخلى عن سلطانه :

ــ « انظر إليه وقد بلغ به الجد منتهاه . انظر إليه وقد نزعت عنه ماساته ، وفارقته زينته وهيبته ، وصارت قوته وغروره وخيلاؤه ذكرى بعيدة يتذكرها الإنسان بصعوبة ، في الحقيقة لقد كان شيئًا مريعًا مثيرًا للحزن والشفقة » .

١٤ مـارس

جورنج يتألق بينما رينتروب وهيس ينطفئان

قبل أن تبدأ جلسة الصباح أخبرتهم أن « فون بلومبرج » قد مات في الليلة الماضية وهزَّ « كايتل » رأسه في حزن ، وكان « جورنج » يتحدث إلى محاميه فاستدار

فجأة بعد أن قطع جملته التي كان يقولها ثم قال « لكايتل » :

ــ « يجب أن نعترف جميعًا أن رجل الشرف والواجب قد مات » .

ثم التفت إلى محاميه وأكمل معه الحديث .

كانت هناك خمس ثوان حدادًا بصفة رسمية لوفاة الفيلد مارشال « فون بلومبرج » رئيس أركان حرب القوات المسلحة الألمانية الأسبق .

وأخبرت « هيس » أن « فون بلومبرج » قد مات .

ويبدو أنها لم تصل إلى إدراكه فقد قال كلمة واحدة :

ــ « أهكذا ؟ » .

فسألته عما إذا كان يعرف من هو الفيلد مارشال « فون بلومبرج » .

ــ « هو واحد من جنرالاتنا » .

وبعد ذلك قلت له إن « هاوشهوفر » قد انتحر هو وزوجته .

فقال إنه يتذكر رجلاً يحمل اسم هاوشهوفر كان من المفروض أن يقدم شهادته لصالحي . ولكنه لا يعرف شيئًا آخر عنه .

ولم يقدم أية إشارة بالكلمة أو بتعبير الوجه تفيد أنه قد استعاد تذكره لعالم (الجيوبوليتك) المشهور الذي ربما يكون قد أوحى له بفكرة الطيران إلى انجلترا .

وكان « فون شيراخ » يجلس خلفه مائلاً إلى الأمام عن قصد أثناء حديثي مع « هيس » . وقد نظر إليَّ نظرات مرتبكة حائرة عندما أصبح واضحًا أن ذاكرة « هيس » بالنسبة للحوادث القديمة قد ذهبت تمامًا .

وبعد فترة أبدى « هيس » ملحوظة من ملحوظاته العفوية :

ـ « أرجو ألا يتركني أحد من شهودي وحيدًا في هذا الموقف الحرج مفضلاً الموت كما فعل ذلك الرجل » .

وجاء « ريبنتروب » إلى المحكمة اليوم دون ربطة عنق وبياقة مفتوحة ، وكان جفناه يرتعشان وخده الأيسر يختلج اختلاجة عصبية ، وهناك تعبير حائر على وجهه ، ولم يكن كعادته على أي حال ، بل كان صورة حية للكآبة والاضطراب .

ارتفعت الحواجب دهشة واهتمامًا من الجالسين عندما أفهمت وزير خارجية ألمانيا الأسبق أنه قد جاء إلى المحكمة دون ربطة العنق .

وأجاب « ريبنتروب » بضجر أن ياقة قميصه ضيقة جدًا .

وأرسلت من يأتي له بربطة عنق وأخبرته أنه يستطيع أن يرتديها دون الحاجة إلى استعمال أزرار الياقة .

وبالتأكيد فإن هذه التصرفات المتسمة بعدم اللياقة لم تكن ترجع لجهل السفير المتأنق في بلاط سان جيمس بالأصول الواجب مراعاتها ، ولكن ربما جاء هذا نتيجة شعور خفي بالمشنقة التي تلتف بإحكام حول عنقه .

الجلســة الصباحية :

عاد « جورنج » للوقوف أمام المحكمة . وواصل حديثه مبينًا كيف ساعد الحزب النازي في بناء قوته العسكرية والسياسية ، بما في ذلك دوره في حمامات الدم التي أودت بروهم وقوته ، والتحركات التي كان الغرض منها عزل الكنيسة عن الحياة السياسية والعسكرية ، وبعض رجال الدين المنكودين الذين أرسلوا إلى معسكر الاعتقال أثناء إحدى العمليات التي تمت .

ثم واصل بيانه ، وكيف أن الحزب قد حل مشكلة البطالة وعمل على إعادة تسليح ألمانيا ، وعمل على الوحدة مع النمسا ، وعمومًا هو يتحمل الجانب الأعظم

من مسئولية هذه الأشياء على حد تعبيره .

ســاعة الغداء :

وفي أثناء الغداء سألني « جورنج » في رجاء :

ــ « حسن .. كيف كان الأمر ؟ لا تستطيع أن تقول إنني كنت جبانًا . هل تستطيع ؟ » .

وقال عبارته الأخيرة في فخر وكبرياء .

وأجبته :

ــ كلا لا أستطيع أن أقول ذلك . لقد تحملت مسئولية أشياء كان يجب أن تتحمل مسئوليتها . ولكن هذه هي البداية فقط . ماذا سوف تقول عن الحرب العدوانية ؟ .

وقال في ابتهاج :

ــ « عندي الكثير الذي سوف أقوله حول هذه النقطة » .

وسألته :

ــ والفظائع والجرائم التي ارتكبت ؟ .

وخفض عينيه إلى الأرض وهو يقول :

ــ « منذ زمن بعيد وأنا لا آخذ الشائعات مأخذًا جادًا يحملني على التحقيق فيها » .

وكان كأنه يزدرد الكلمات الأخيرة من عبارته .

وقرأت له بعض عناوين الصحف لهذا اليوم . وأنصت إليَّ غير منتبه فقد كان

غارقًا في أفكاره . ثم أرسلته إلى الدور الأول حتى يلتقي بمحاميه حسب البرنامج المعد قبل ذلك .

وفي حجرات الطعام الأخرى كانت الحالة بوجه عام تميل إلى التعاطف معه وتصديقه . حتى « شاخت » نفسه قال إن كل ماقاله « جورنج » كان صوابًا تقريبًا ، وقد عبر « دونيتز » عن دهشته لما أظهره « جورنج » من انضباط كامل في نفسه أثناء حديثه .

وقال « روزنبرج » و « يودل » إنهما موافقان بصفة عامة على ما قال : ولكن هناك بعض الاختلافات تحتاج إلى توضيح .

وبدأ « روزنبرج » في إلقاء خطاب عن الأجناس والثقافة والمجال الحيوي .

واستشهد هذه المرة بمطامع الصينيين في الاستقرار باستراليا ..

وبعد الغداء وأثناء وجودهم في القفص قال « دونيتز » :

ــ « إنه حقيقة يجذب الانتباه .. تستطيع أن ترى ذلك بنفسك .. إنه يريد أن يظهر الجانب الآخر من القصة .. الجانب الذي لا يريد أحد أن يذكره .. كم أرغب في لقائه بعد المحاكمة » .

جلسة بعد الظهر :

تكلم « جورنج » عن دوره في الشئون الخاصة بتشيكوسلوفاكيا .

وعن دوره في الحملة ضد بولندا والنرويج .

وفي أثناء إدلائه بشهادته بيَّن استحالة استقلال الرأي بين أي من العسكريين وأنه شيء غير معقول بالمرة .

ــ « ربما تكون هذه هي الطريقة لتجنب الحرب في المستقبل ، وذلك عندما

نسأل كل جنرال أو كل جندي عما إذا كان يود الذهاب إلى بيته أم لا ، ولكن هناك قاعدة في قيادة هذه الدولة ، وهي قاعدة لا تختلف في كل دول العالم ، يجب أن يُحدَّد القانون العسكري الذي يحكم الجيش والقوات المسلحة بوجه عام » .

وأثناء استراحة فترة بعد الظهر شجعه « دونيتز » على « إخجال الادعاء بإعطائه أمثلة للياقة والشرف في طريقته في الإدلاء بشهادته » .

والتفت « جورنج » :

ـــ « نعم .. لقد كنت سعيدًا حقيقة لإعطائي كلمة الشرف لتشيكوسلوفاكيا (*) » .

وكرر « دونيتز » ماقاله ليؤكد المعنى وهو إخجال الادعاء باللياقة والشرف .

وأضاف « جورنج » وهو يرمي « هيس » بنظرة احتقار بينما يخرج من القفص ليأخذ مكانه ثانية على منصة الشهود :

ـــ « وذاكرة حديدية أيضًا » .

وعندها سأل بعضهم « هيس » عما إذا كان يجد صعوبة في تذكر الأشياء فقال لهم إنه كذلك . فأخبروه أنه من الضروري أن يتذكر . فأجاب « هيس » في صوت ضعيف :

ـــ « إنه يبذل جهده ويتمنى لو يعرف الطريقة إلى ذلك » .

السجن في المســاء

زنزانة « جورنج » :

كان « جورنج » ينفخ ثانية في غليونه البافاري وكان جالسًا في استرخاء وهو يقول :

(*) تأكيده لتشيكوسلوفاكيا أنها لن تهاجم في الوقت الذي تتم فيه عملية الأنشلوس .

ــ نعم .. لقد كان شيئًا يضغط على عقلي وفكري . وكل ذلك من الذاكرة لعلك تدهش لو علمت كيف أن كلمات ضئيلة قليلة كنت قد دونتها هي التي كانت بمثابة دليلي ومرشدي » .

١٥ مــارس

ســاعة الغداء :

نزل « جورنج » إلى أسفل مبكرًا ليتسنى له الحديث مع محاميه الدكتور « شتامر » وسمع الحراس(*) محادثتهما . وكان الدكتور « شتامر » يريد أن يعرف ما إذا كان ينبغي عليه أن يحسِّن من مسألة الاتصال بهملر أو لقائه . واعترض « جورنج » بسرعة على هذه المسألة :

ــ « لا .. لا .. شكرًا لله أن هذه النقطة لم تخرج إلى دائرة الضوء بعد .. . لا أريد أن أسمع شيئًا عن هذا الموضوع » .

وتناولاً لسياسة « هتلر » أعاد « جورنج » أنه كان يحاول أن ينجز كثيرًا من الأعمال في أسرع وقت . وكان ما حاول عمله بالقوة في عشر سنين هو ما يستدعي مائة سنة في تحقيقه ، لأنه كان يخشى من حاكم يأتي بعده لا يتحلى بالطاقة والمثابرة والإدراك . ويظن « جورنج » مثلاً أن مشكلة ممر دانزنج كان من الممكن أن تحل بطريقة سلمية ولكن بشيء من الصبر والحكمة أكثر مما كان .

(*) كان لدي في طاقم الحراسة الموجود بالمحكمة اثنان أو ثلاثة يجيدون اللغة الألمانية حيث كانوا يستمعون وينقلون إليَّ ما يسمعونه من المحادثات التي كانت تدور وإني أدين بالاعتراف لكل من المساعد بيير والمساعد كونراد والعريف ألبرت والرقيب أوهلر وجروينز .

جلسة بعد الظهر :

حاول « جورنج » أن يبرر الهجوم على يوغوسلافيا ، وقصف وارسو وروتردام وكوفنتري بالقنابل . ثم ناقش خطة الهجوم على روسيا في وقت مبكر مثلما حدث عام ١٩٤٠ م ، وقال إنه قد نصح « هتلر » بوضع هذه المسألة جانبًاحتى يفرغوا من الهجوم على جبل طارق، وحتى يحاولوا حمل روسيا على الوقوف في وجه إنجلترا .

١٦ ــ ١٧ مارس

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « فرانك » :

كان الصراع النفسي داخل فرانك من ناحية « جورنج » قد أخذ شكلاً إيجابيًا وقال :

ــ « الشيء الوحيد الذي أعجبني من « جورنج » أنه قد أخذ على عاتقه مسئولية ما فعله .. بالطبع قد تملص من الجريمة التي رسموها .. ها .. ها !! إنه يحاول أن يبعد نفسه عن الموضوع .. أنا لم أرسل له شخصًا واحدًا من بولندا .. سيبدو الأمر مثيرًا للاهتمام عندما يبدأ « جاكسون » في استجوابه .. ها .. ها !! تمثل الديمقراطية الغربية و « جورنج » !! صورة من عصر النهضة .. ولكن ينبغي أن أقول إنني معجب بالطريقة التي يضبط بها « جورنج » نفسه ، هذا إذا كانت تلك طريقته دائمًا .. لقد قلت له اليوم ضاحكًا .

إنه شيء سيىء للغاية أنك لم توضع في السجن عامًا منذ عدة سنوات . ها .. ها ! ها .. ها ! » .

وتداخلت جمله مع ضحكاته الهستيرية الحادة العالية ، والتي أخذت تعلو على كلماته شيئًا فشيئًا حتى كف عن الكلام وظلت ضحكاته تتردد ، ومن بينها فهمت بعض الجمل :

ــ « وأخيرًا نال « جورنج » أمنيته ، يقف أخيرًا كالمتحدث الأول المدافع عن نظام الاشتراكية الوطنية .. ماذا تبقى من هذا النظام ؟ ها .. ها ! » .

زنزانة « فون شيراخ » :

كان « فون شيراخ » معجبًا ببطله إلى أقصى درجة ، ويظن أنه من الجنون السياسي أن يمثل مثل هذا الرجل أمام المحكمة ، لأن شعبيته كبيرة جدًا حتى في داخل أمريكا نفسها :

ــ « والآن تستطيع أن تفهم السبب لشعبيته الفائقة » .

وكان يظن أن « جورنج » بعيد تمامًا عن جريمةنشوب الحرب . وقد أشار إلى أن « جورنج » قد شهد في المحاكمة أنه لم يكن موجودًا في برلين وقت الإخلال بمعاهدة ميونخ . وقد تبين بوضوح أن « ريبنتروب » كان صاحب التأثير الأول على « هتلر » في ذلك الوقت .

زنزانة « فون نيوراث » :

كان « فون نيوراث » في سعادة ممتزجة بالدهشة لخط الدفاع الذي اتخذه « جورنج » وخاصة تحمله للمسئولية عن كثير من الأعمال ، إن هذا يبدو أكثر ملاءمة لجورنج من الأيام الأولى قبل أن يرتفع إلى أعلى ، وقبل أباطيله وطموحه وحياته الفاسدة الشريرة الأولى .. إلخ ..

زنزانة « سبير » :

وأضاف سبير أن « جورنج » قد أثر تأثيرًا حسنًا في معظم المتهمين والمحامين ولكنه قرر أن « جاكسون » سوف يظهره على حقيقته عندما يبدأ الاستجواب .

وكان قلقًا من ظهور « جورنج » بمظهر الرجل المحافظ على الولاء والكرامة منسلخًا عن حقيقته الفاسدة . على أي حال فقد كان مرتاحًا للحرية التي أتيحت له في الدفاع عن نفسه . ولذلك فإن الألمان لن يقولوا إنه كان موجهًا أو مضغوطًا عليه ، وسوف يتأكدون أن ما ظهر في المحكمة ليس جانبًا واحدًا من القصة .

زنزانة « فونك » :

كان « فونك » يرى أن كلاً من « جورنج » و « شاخت » شخصية قوية .

ــ « ولكن الباقي مني .. ماذا أقول لك ؟ أنا أؤكد لك .. وليس عندي البطولة المناسبة لهذه المواقف .. لست كذلك الآن ولن أكون كذلك في المستقبل .. ربما تكون هذه هي المشكلة.. ولكني عادة ما أتساءل ماذا كان يجب أن أفعل إذا كنت قد عرفت هذه الأشياء قبل ذلك . لا أظن أنه كان يمكنني الحياة وسط هذه الجرائم » .

ثم انفجر ينشج في بكاء شديد ، ثم واصل :

ــ « ولكن هذه الفظائع التي خلفت هذا الخزي الدائم ، ليس يهم ما يقوله « جورنج » أو أي إنسان آخر ، لا يهم ما تكشف عنه الكلمات والجمل ولكن ذلك القتل بالجملة الذي صنعته هذه الأجهزة التي تركت خزيًا للشعب الألماني على مدى الأجيال » .

زنزانة « روزنبرج » :

كان « روزنبرج » متأثرًا لدفاع « جورنج » ولكنه قال : إن هناك كثيرًا ينبغي توضيحه عن سرقة الكنوز .. إلخ . وكان « روزنبرج » يظن في هذا اليوم أن الروس يؤلبون الأجناس الملونة ضد الجنس الأبيض . وهذا هو ما يقلق « تشرشل » على الإمبراطورية البريطانية .

١٩ مــارس

جورنج .. نجم الشـهود

الجلسة الصباحية :

كان الشاهد الرئيسي لجورنج هو المهندس السويدي « داهليروس » وقد بدأ شهادته بكيف نقل جهود « جورنج » في محاولاته من أجل الوصول إلى تفاهم مع إنجلترا لمنع الحرب ضد بولندا . وقد حاول الدكتور « شتامر » أن يبين أن المسألة لم تكن تعدو ببساطة الوصول إلى معاهدة حول دانزنج والممر .

وسرعان ما بينت الشهادة كيف أن « هتلر » كان شغوفًا بالحرب .

وكان السؤال الكبير الذي يخيم على المحكمة :

ــ إذا كانت ألمانيا لا تريد الحرب وتبذل محاولة جادةحقيقية من أجل منعها فلماذا لم تبدأ وزارة الخارجية في التفاوض ؟ .

ساعة الغداء :

وعند الغداء كان الشيوخ يبدون احتقارًا لكل هذه المسائل برمتها .

وأبدى « شاخت » تجهمًا تجاه « جورنج » ، ووصفه « فون نيوراث » بأنه دبلوماسي هاو ، والهواية دون الخبرة تحدث مشاكل كثيرة على حد تعبيره .

ووافق « فون بابن » مؤكدًا :

ــ « الهواية في هذه الحالات ليست صوابًا على الإطلاق .. ولكن كم هي عجيبة تلك الطريقة التي تسير بها الدبلوماسية الألمانية في عهد هتلر .. رجل أعمال سويدي ! .

ومن هنا تستطيع أن تحكم على مدى تأثيرنا ــ نحن السياسيين القدامى ــ في مثل ذلك النظام » .

وبينما كانوا ينزلون إلى قاعة المحكمة بعد الغداء همس لي « فريتشه » :

ــ « سوف ترى .. سوف يتحول شاهد النفي هذا إلى شاهد إثبات » .

جلســة بعد الظهر :

بالفعل كان « فريتشه » على صواب .

فتحت مهارة الاستجواب الذي قام به السير « دافيد ماكسويل فايف » انهارت شهادة « داهليروس » دفاعًا عن « جورنج » تمامًا .

وأثناء سير الاستجواب شهد « داهليروس » أن « جورنج » قد حذره من أن « رينتروب » سوف يحاول القضاء على المفاوضات ، حتى إنه من الممكن أن يحدث تخريبًا في طائرته .

وعند هذه النقطة انفجر « رينتروب » في القفص . وكان « جورنج » يتوقع أن يمتلئ « رينتروب » غيظًا بعد هذه الشهادة ، ولكنه لم يتوقع ثورته هذه أبدًا .

واستخرج الادعاء فقرة من كتاب « داهليروس » واستخدمها كشهادة .

ذلك الكتاب الذي كان « جورنج » يقرؤه في الزنزانة سعيدًا به .

وبيَّن الادعاء من هذه الفقرة كيف كان هتلر مجنونًا ببناء القوارب ! « وسوف أنشيء الطائرات ! .. الطائرات !.. الطائرات !.. وسوف أبيد أعدائي » .

وكان هذا أثناء فترة السلام المزعومة . في ذلك الوقت لم تتحرك شعرة واحدة لرسول السلام « جورنج » .

وهنا اشتعل « جورنج » من الغضب في القفص وصار يشد حبل التليفون حتى خيل لمن يراه أنه سوف يختلعه ، وأخذه ضابط الحراسة من يده وطلب منه أن يضبط نفسه .

وأصبح من الواضح أن « داهليروس » قد أعطى التأثير في أن « هتلر » شخص شاذ .

وكان « جورنج » في حالة من الهياج المجنون ويبدو كالمخمور . بينما كان « رينتروب » يتمنى لو لم يكن حيًا ، لأن الحكومة الألمانية كلها بما فيها « جورنج » لم تبذل أدنى جهد في تجنب الحرب ، كل ما فعلوه هو خداع بريطانيا لاغتصاب بولندا .

ومع انتهاء الجلسة كان هناك شعور عام بين المتهمين أن « جورنج » قد انتهى ، وهذه بعض الملحوظات حول هذا :

« **فريك** » : « كان غباء منه أن يأتي بمثل هذا الشاهد ، وكان يجب أن يعرف أن الادعاء سوف يحصل على هذا الكتاب » .

« **سبير** » : باسمًا « ذهب حظ « جورنج » كله .. ذهب كله .. ذهب كله » .

« **فونك** » : « يا للعار . يا للعار » .

وقال « رينتروب » محدثًا « كالتنبرونر » :

ــ « لست أدري من أثق فيه بعد الآن » .

وعندما ذهبت لأخبر « فريتشه » أنه كان على صواب ، قال « سبير » إن هذه المحاكمة يجب أن تكون الكتاب الأبيض لكل الحكومات الألمانية التي ستأتي في المستقبل حتى يعرفوا كيف كانت الحكومة النازية مجرمة . وكان « فون نيوراث » ممتلئًا احتقارًا لذلك الرجل السمين الذي مرَّ على صدره بحذائه ليكون قائدًا ويقبل الأرض بين يدي الفوهرر . وأعلن « شاخت » : النتيجة اثنان ضد واحد لصالح الادعاء .

٢٠ مــارس

جورنج تحت وطأة الاستجواب

الجلسة الصباحية :

استعرت حرب الكلمات بين « جورنج » و « جاكسون » المدعى العام ، وبالرغم من أسلوب « جورنج » المراوغ فإنه كان من الواضح أنه ضليع في المسئولية عن كل الإجراءات التي اتخذت ضد غير الآريين من المواطنين ، رغم دعواه بأنه كان من العوامل الملطفة بالنسبة لهذه المسألة ، وكان عليه أثناء الاستجواب أن يعترف بأنه قد استولى على ممتلكات المعتقلين والمستبعدين ، وذلك أثناء إدارته لخطة السنوات الأربع ، وأنه الذي أعلن قوانين « نورمبرج » عندما كان رئيسًا للرايخستاج وأنه الذي وقَّع غرامات مالية تقدر بمليار مارك على السكان غير الآريين ، وأنه أصدر أوامر « لهملر » و « هايدريش » بعزلهم عن الحياة الاقتصادية الألمانية .

ساعة الغداء :

قال « فريتشه » أثناء الغداء : إنه يشعر بالدهشة الآن من توسط « جورنج »

لمصلحة « جوبلز » لدى الفوهرر من أجل علاقاته النسائية ، وكان قد أوشك أن يُطرد .

واتفق أن كانت المدة بين مشاجرة « جورنج » والظهور بمظهر العداء لجوبلز ثمانية أسابيع فقط قبل تدخله لصالحه .

وفي سذاجة تامة وصل « فريتشه » إلى استنتاج مؤداه أن « جورنج » قد تصرف على هذا النحو حسبما ترغمه عليه قواعد الفروسية تجاه خصم من الخصوم .

أما التفسير الأكثر معقولية فهو أن « جورنج » لم يكن يرغب حقيقة في طرد واحد من أقوى المناهضين لغير الآريين ، والذي جعل برامج الحزب تتلاءم مع مصادرة أملاكهم ، ومن الواضح أنه كان لا يشكل خطرًا عليه .

وقلت :

ـــ أكثر الأشياء شناعة وعارًا أن تلبس السرقة ثوبًا شرعيًا وأن تعطى قبولاً رسميًا .

وقال « فونك » :

ـــ « أنا لا أبرر شيئًا من هذا ، ولا أقل القليل منه ، لقد كانت السياسة برمتها خاطئة ، لم أقصد هذا ، هو بالكلية أمر لا يمكن تبريره » .

جلسة بعد الظهر :

صارت دعوى فونك الخاصة بشرعية تنظيم ممتلكات غير الآريين سهلة الفهم عندما واصل المدعي العام « جاكسون » تقديم الدليل من المستندات بأن « فونك » وكذلك « هايدريش » كانا غارقين في خطة « جورنج » التي تستهدف إقصاء غير الآريين من الحياة الاقتصادية وإبعادهم عن الشعب ، وعزلهم في أماكن خاصة بهم ،

ثم جاء بعد ذلك نهب « جورنج » لكنوز الفن من البلاد المحتلة ونقلها في القطارات ، وأصر « جورنج » على أنه كان يجمع هذه التحف من أجل اهتمامات الدولة الثقافية في المستقبل . وكانت له تبريرات مماثلة لمعاملته لأسرى الحرب واستخدام العمال كعبيد ، واستباحته للأطعمة والممتلكات الخاصة في البلدان المحتلة .

وعلى أي حال ففي نهاية اليوم كان « جورنج » يبدو فخورًا للغاية لتمثيله الذي أتقنه وقال للآخرين :

ــ « إذا عالجتم الأمر بأنفسكم بنصف الجودة التي أبديتها فإنكم سوف تكونون على ما يرام .. وعليكم أن تأخذوا حذركم .. أي كلمة أخرى قد تؤدي إلى خطر عظيم » .

وبينما كان ينزل إلى أسفل أبدى ملاحظة يشوبها الاحتقار لسايس انكوارت :

ــ « حسن .. حتى « هيرمان » لم يكن راضيًا عن نفسه لقد وقع في هفوات » .

وأجاب « سايس انكوارت » في برود :

ــ « كل هذا الذي تقوله لن يفيد في قليل أو كثير ، إنهم يعرفون كل شيء » .

٢١ مــارس

جلســة الصباح

صار « جورنج » يتلوى عندما ذكر السير « دافيد ماكسويل فايف » عملية قتل الضباط البريطانيين الذين هربوا من معسكر ساجون لأسرى الحرب ، وتسليم الضباط الأسرى الروس للجستابو . وراوغ « جورنج » وأعلن عدم مسئوليته عن هذه الأعمال .

وقد بين « فريتشه » خلال الاستراحة أن أكثر الأجزاء ضررًا في شهادة « جورنج » هو تغييره لإدارة معسكر اعتقال أسرى الحرب بعد حادثة ساجون بدلاً من إصراره على تغيير النظام برمته .

وقد طلبت المحكمة من « جورنج » عدة مرات ألا يحاول التملص والمراوغة من الأسئلة المباشرة .

واستمر السير « دافيد » في تضييق الخناق على « جورنج » في دعواه الكاذبة المزعومة عن محاولته لمنع الحرب بالتفاوض دون علم « هتلر » في الوقت الذي كان غارقًا فيه لأذنيه في خطط « هتلر » العدوانية .

جلسة بعد الظهر :

وعند بداية جلسة بعد الظهر سأل السير « دافيد » « جورنج » عما إذا كان لا يزال يدين بالولاء للفوهرر بعد ظهور كل تلك الجرائم . وأجاب « جورنج » أن هذه الجرائم ليست شيئًا مؤكدًا في نظره ، وأنه يؤكد ولاءه للفوهرر في وقت الشدة كما كان ذلك الولاء في أيام الرخاء . وعندما ضيق عليه الخناق بخصوص الفظائع ، ذكر في فتور أنه لا يظن أن الفوهرر كان على علم بوجود مثل هذه الأمور . وكذلك الحال بالنسبة له بالتأكيد ولو أنه قد أخطر ببعض حالات الإبادة والترتيبات الخاصة بها .

٢٢ مـــارس

الأنانية والولاء والتعصب

جلســة الصباح :

انتهى دفاع « جورنج » دون الوصول إلى نتيجة مرضية وذلك عندما أنهى

الجنرال « رودينكو » استجوابه المختصر . وقال المدعي الفرنسي إنه ليس لديه ما يضيفه أكثر من ذلك . وقد أفادت المحكمة عند إعادة الاستجواب أنها ليست لديها اهتمامات بكلمات أخرى تلقى . وهكذا أنهى الدفاع استجوابه بطريقة مبتورة .

السجن في المســاء

زنزانة « جورنج » :

عندما زرت « جورنج » في زنزانته لأرى ماذا يريد أن يقول بعد إنهاء دفاعه وجدته متهللاً وسعيدًا للدور الذي لعبه .

وسألني للمرة الثانية :

ــ « حسن .. لم تكن وقفتي هذه حقيرة ؟ أليس كذلك ؟ » .

وقلت :

ــ كلا .. لا أستطيع أن أقول ذلك .

وقال :

ــ « لا تنس أن تعاون أكبر العقول القانونية في إنجلترا وأمريكا وروسيا وفرنسا يمثل آلة قانونية جبارة ، وقد اصطفوا لمواجهتي بينما كنت أقف وحيدًا في الميدان » .

لم يكف لحظة عن إبداء الإعجاب بنفسه بين لحظة وأخرى ، ثم عبر عن رضاه بنظام المحكمة وأن الآخرين لن يقدروا على إدراك عبر التاريخ لفهم النظام النازي ، قبل أن يأتي عهد من الحرية يسمح بتفهم كل هذا . وكان راضيًا تمامًا عن دوره في التاريخ :

ــ « حتى الادعاء نفسه يعترف بذلك .. هل سمعت شيئًا ؟ » .

كان يظن أنه قد نال إعجاب أعدائه ببطولته المنتمية إلى العصور الوسطى .

وهززت كتفي بطريقة لا معنى لها .

ثم مضى يستعرض تفاصيل الدفاع في اليومين الماضيين ، ولم يؤثر منعه من التوسع في الشهادة إلا بإحساس ضئيل من الإحباط . وقال إنه يود أن يخبر المحكمة بأنه يتحمل كل المسئولية عن كل ما حدث دون استثناء . وأنه لم يكن يعرف أن هذه السياسة يمكن أن تؤدي إلى كل هذه النتائج المرعبة .

وأخبرته أنه يمكنه ذكر ذلك في كلمته النهائية على أي حال .

ولكن الشيء الأكثر أهمية هو اعتقاده في صواب تلك السياسة .

وقال :

ــ « بعد ماذا يمكن أن أعرف الآن ؟ ياللسماء ! هل تظن أنني كنت أستمر في تدعيم هذه السياسة لو كانت لدي أدنى فكرة من أنها سوف تؤدي إلى عمليات القتل الجماعي التي تمت ؟ أنا أؤكد لك أنه لم يكن في أذهاننا شيء من هذا على الإطلاق . ولا لمجرد لحظة . كل ما فكرت فيه هو إقصاء غير النازيين عن المراكز القيادية في الحكومة والمؤسسات ..

وكان ذلك كل ما في الأمر ، ولكن لا تنس أنهم قادوا ضدنا حملة محمومة في كل أنحاء العالم » .

وقلت :

ــ هل تلومهم ؟ الواضح أن أي مضطهد لن يُسلِّم باضطهاده ويسكت .

واعترف قائلاً :

ــ « هذه هي المشكلة ! وهذه هي الغفلة التي ارتكبناها » .

ووافق أنه كان من الأفضل ألا يكون هذا الاضطهاد على الإطلاق فهو لم يقدم

أي فائدة بل حقق ضررًا بالتأكيد .

ثم عدت إلى موضوع الولاء ثانية ، حتى أستطيع أن أكشف القيم التي يدين بها « جورنج » ، أو على وجه التحديد أكشف المزيد حول هذه النقطة فقلت :

ــ على فكرة .. لقد لاحظت أنك قد أجبت السير « دافيد » بنفس الإجابة التي أجبتني بها بخصوص ولائك للفوهرر . بالطبع أنت لم تجب السير « دافيد » بطريقة مباشرة .

وقال « جورنج » :

ــ « أنا أعرف أنه سؤال خطير . ربما يوقع هذا السؤال شخصًا آخر في شرك .. لقد سألني :

هل ما زلت تعذر « هتلر » وتعظمه بعد أن عرفت أنه كان سفاحًا ؟ .

كان سؤالاً قاسيًا .. سؤالاً خطيرًا .. وأخبرته أنني لا أبرر تصرفات « هتلر » .. ولكني باق على ولائي في وقت الشدة كما كان الحال أيام الرخاء » .

زنزانة « سبير » :

وذهبت لأختبر التأثير في الجهة المعاكسة .

كان « سبير » يشعر أن جميع ممثلي الادعاء قد نجحوا في اختراق درع « جورنج » البطولي وقال :

ــ « جميل أن يؤكد ولاءه للفوهرر بمثل هذه العبارات المتأنقة المتحذلقة . ولكن عندما يطلب منه أن يبين عذره حيال تلك الجرائم الهائلة فماذا يمكنه أن يقول ؟ .. لقد قال إنه قد صنع مكايد للتفاوض دون علم « هتلر » .. وأنه لم يكن يعلم بها . ولم يكن يوافق عليها .. في الحقيقة الأمر يدعو إلى الضحك الشديد .

عندما كان « جاكسون » يستجوب « جورنج » كان كل منهما يمثل عالمًا مختلفًا بكليته عن عالم الآخر ، وفي ظني أنهما لم يكونا يفهمان بعضهما بعضًا كان « جاكسون » يسأله عما إذا كان قد شارك في خطط غزو هولندا وبلجيكا والنرويج ، والمتوقع أن يدفع « جورنج » عن نفسه هذا الاتهام الإجرامي .. ولكنك تجده يقول ببساطة .. نعم وماذا في ذلك ؟ وكأنه أمر طبيعي وسهل أن تحتل الدول المحايدة إذا كان ذلك يناسب استراتيجيتك وهو ما ترفضه الأعراف الدولية وقواعد الأخلاق » .

٢٣ مــارس

السـيدة جورنـج

زرت السيدة « إيمي جورنج » في منزلها عند غابات ساكديلنج قرب نيهاوس ، حيث كانت تقيم هي وابنتها وابنة أختها بعد خروجها من المعتقل .

وكن يعشن معيشة بدائية إلى أبعد حد . فمثلاً لا توجد تدفئة أو ماء ساخن أو شيء من هذا القبيل .

وهي سيدة وسيمة في الخامسة والأربعين من عمرها ، يبدو عليها الاتزان رغم التوتر العصبي الضئيل الذي يعتريها ، وعلى الأخص في مثل هذه الظروف .

وأعطيت « إدًا » الصغيرة بعض الشيكولاتة ، وأرسلتها السيدة « جورنج » لتلعب في الخارج حيث يمكننا الحديث . وبعد أن تركتنا الطفلة قالت :

ـــ هل تتصور أن ذلك الرجل المجنون « هتلر » قد أمر بإعدام هذه الطفلة رميًا بالرصاص ؟ .

ثم قصت عليَّ والمرارة تشوب صوتها كيف كانوا أسرى لأوامر هتلر ، وكيف

أنه كان من السهل أن يُعْدَمُوا رميًا بالرصاص لمجرد أن يشك الفوهرر في عدم ولاء « جورنج » .

وكانت غاضبة لذلك الظلم الهائل الذي وقع عليها وعلى أسرتها :

ـــ « كانت الأسابيع السبعة التي قضيتها في الاعتقال غير مريحة على الإطلاق بالطبع . ولكني أؤكد أنه لا يمكن مقارنتها بالشهور الأخيرة التي سبقت ذلك . وماذا كان يمكن أن يئول إليه أمرنا عندما أمر « هتلر » بالقبض على « هيرمان » وعائلته وإعدامهم .

كان الغضب والهياج يلفان زوجي لمجرد التفكير في أن « هتلر » يشك في ولائه له . لقد أرغى وأزبد كثيرًا . وصار يصف « هتلر » بنكران الجميل في لهجة بذيئة ، حتى إنني كنت خائفة أن يطلق الحارس النيران عليه في التو ، وتوسلت للحارس أن ينسى ما سمعه . وقال الحارس إنه سوف يفعل ولن يذكر ما قاله زوجي . وأضاف أنه يعتقد أن زوجي على حق . عدم الولاء .. الله يعلم كيف ضحى زوجي من أجل الفوهرر . لقد فقد صحته وساء حظه ، وفقد زوجته الأولى في تلك الثورة التي كانت عام ١٩٢٣ م . لقد دعم « هتلر » وأيده في كل شيء .. لقد ساعده في الوصول إلى السلطة . وكان جزاؤه على كل هذا أمرًا بالاعتقال والاغتيال . وكذلك طفلتي الوحيدة أيضًا . وأخبرني أنت بربك ما ذنب هذه الطفلة ؟ .

وعندما سمعنا أن « هتلر » قد انتحر قال « هيرمان » في مرارة إن ما لا يستطيع تحمله أنه لن يقدر على مواجهته ويقول له إنه قد أساء إليه » .

وقلت لها :

ـــ إن ذلك يثير دهشتي لأنه ما زال يؤكد ولاءه للفوهرر حتى هذه اللحظة .. على ضوء كل ما حدث ، وعلى ضوء الحقيقة التي يعرفها كل العالم الآن من أن « هتلر » كان سفاحًا .. ألا يعفيه كل ذلك من يمين الولاء الذي أقسمه له ؟ .

وصارت تعصر يديها في عصبية وهي تقول :

ـــ « بالطبع .. بالطبع .. آه .. لو أستطيع التحدث إليه لمدة خمس دقائق فقط .. خمس دقائق فقط ليس أكثر » .

وقلت :

ـــ الشيء الذي أتخيله أنه لا يريد أن يقول ما يوحي بالتخلي عن « هتلر » لوقوفه أمام محكمة أجنبية .

وقالت :

ـــ « هذا صحيح .. هذا صحيح تمامًا .. أنا أعرف شعوره بالفعل حول هذا الموضوع .. ماذا أقول ؟ فليرحمنا الله .. هناك على الأقل رجل واحد سوف يقف ويقول :

نعم .. لقد ساعدت الفوهرر ! وهأنذا وافعلوا معي ما في وسعكم أن تفعلوه ! .

إنه لمما يملؤنا بالخزي والعار أن نرى كثيرًا من الألمان ينكرون تأييدهم لهتلر في الماضي القريب ويتنصلون منه . هؤلاء الذين كانت لهم الكلمة في الحزب النازي .. هذا نفاق كثير يا سيدي الدكتور .. وهو يثير الغثيان أيضًا ..

إن زوجي يريد أن يبين على الأقل أنه لا يدير ظهره كما يفعل أي جبان » .

وهنا جاءت ابنة أختها لتقديم الشاي .

وعدنا إلى موضوع الفظائع والجرائم بعد تناول الشاي بينما كانت « إدًّا » لا تزال في الخارج .

وقالت : كيف أنها طلبت من « هملر » أن يجعلها تزور معسكر اعتقال أوشفيتز ، فقد وصلتها رسائل كثيرة تقول إن الأمور هناك ليست على ما يرام .

وبحكم وضعها كسيدة البلاد الأولى فقد كان عليها أن تتأكد من أن الأمور

منضبطة ، وكتب إليها « هملر » رسالة مهذبة مؤداها أنه ليس عليها أن تهتم بأمور لا تخصها .

وأخبرتني أن آلاف الرسائل قد وصلت إليها ، وكان أصحابها يطلبون منها أن تصنع لهم معروفًا ، ولكن لم يكن في واحدة منها شيء عن عمليات القتل الجماعي أو القتل بالجملة .

وأكدت السيدة « جورنج » أن الجستابو كان يراقب بريدها على نحو ما .

ثم عادت للحديث عن « جورنج » ثانية :

ــ « إنه لمما يثير حزني أنني لا يمكنني مساعدته في شيء . لقد كان طيبًا معي للغاية .. ولكني لا أستطيع نفعه الآن .. لا أعرف الأمور التي تساعده .. لقد كان يحميني دائمًا من مثل هذه الأشياء » .

وطلبت مني أن أتصل بالمسئولين لتستعيد ملابسها التي حجزت أثناء وجودها بالمعتقل ، وقد فعلت .

ومضيت أفكر في حديثي معها ، وفهمت أن حماية « جورنج » لزوجته الجميلة جعلتها مفتونة بفارسها المنهزم ، وظلت في برجها العاجي حيث من الخير لها أن تظل معجبة ببطلها وبأخلاقه النقية .

ولكن كانت عنيفة وشرسة فقد كان فارسها في خدمة قاطع طريق سفاح لا تعرف الرحمة طريقها لقلبه أبدًا .

ولم تنجح هذه اليقظة في تبديد أوهامها عن زوجها .

وفي رحلة العودة إلى نورمبرج فكرت في إمكانية وضعه في مواجهة مع انفعالاته المنجذبة إلى زوجته ، للتخلي عن تلك الكلمة الضالة المضلة (الولاء) ، وحتى نختبر تأثير الوالدية التي يمكن أن تثور والفطرة الإنسانية في إحساسه البطولي المنتمي إلى العصور الوسطى عن القيم والضمير .

٢٤ مــارس

الفروســية

زنزانة « جورنج » :

أحضرت لجورنج رسالة من زوجته وبطاقة بريد من طفلته ، ولم يكن يريد قراءتهما في حضوري ، ولكنه سألني عنهما ، ووصفت له الظروف وقصصت عليه الحديث الذي دار .

وقلت :

ــ تكلمنا كثيرًا عن ولائك لهتلر وكيف أنه أمر في النهاية باعتقالك وإعدامك ، وكذلك « إدًّا » الصغيرة أيضًا .

وقال :

ــ « أنا لا أصدق أبدًا أن « هتلر » قد أصدر مثل هذا الأمر .. لقد كان ذلك من صنع الخنزير القذر « بورمان » .

وفجأة اسود وجهه وعلاه التجهم والعبوس وقال :

ــ « أنا أخبرك يا دكتور .. إنني إذا استطعت الانفراد مع هذا الخنزير في هذه الزنزانة ويغلق الباب لمدة خمس دقائق فلن تكون هناك ضرورة لمحاكمته ، لأني سوف أخنقه بيدي هاتين » .

وكزَّ على أسنانه وأطبق قبضته وصار يكرر :

ــ « نعم .. سوف أخنقه بيدي هاتين .. ليس من أجل ما فعله معي ولكن من أجل كل أعماله القذرة المزدوجة مع الفوهرر » .

وضحك من أجل هياجه الوقتي ، ولكني لاحظت أن يده اليمنى ظلت مطبقة من الغضب لمدة تزيد على خمس دقائق أثناء استمراره في الحديث ، دون أن يلحظ هو ذلك .

واستمر :

ـــ « نعم .. ذلك السؤال الذي وجهه لي السير « دافيد » .. كان سؤالاً خطيرًا بالتأكيد .. إنه أكثر الأسئلة خطرًا في المحاكمة كلها .» .

وكرر سؤال السير « دافيد » حول تأكيد الولاء لزعيم ثبت أنه سفاح .

« وقد رأيت بنفسك أنني لم أعظمه وفي نفس الوقت لم ألعنه .

لقد كنت متحفظًا فقط حيال قضاتي .. لعلك تفهمني » .

وقلت :

ـــ هذا ما فكرت فيه .. أنت لم ترد أن تقول ما تعتقده أمام قضاء أجنبي .

وقال :

ـــ « هذا صحيح .. وفي الوقت نفسه أردت أن أعطي مثالاً لشعبي أن الولاء لا يموت » .

وعند تلك النقطة من الحديث قلت له :

ـــ إن زوجتك حانقة جدًا من ذلك الولاء الأعمى للفوهرر ..

وقالت لو أستطيع أن أراه لمدة خمس دقائق فقط ! .

وكان يراقبني وأنا أقلدها وأدرك المغزى .

وكان رد فعله عبارة عن ابتسامة لطيفة وقال :

ـــ « ها .. نعم .. أنا أعرف .. هي تستطيع التأثير عليَّ في كثير من الأشياء ..

ولكن ليس على القوانين الأساسية المتأصلة في ذاتي .. إنها تعرف طريقها جيدًا في كل شئون المنزل .. أو في حملي على صنع أشياء من أجلها .. ولكن عندما تقترب من القيم الأساسية في حياة الرجل فالأمر صعب ، وهذه ليست من شئون المرأة في شيء » .

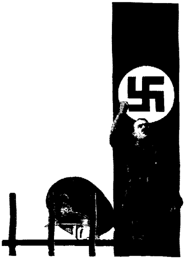
وكانت هذه هي الإجابة عن سؤالي .

« جورنج » هو صاحب الشعور المنتمي إلى العصور الوسطى ، المتسم بالأنانية والفروسية تجاه المرأة ، وهو يخفي في نفس الوقت إحساسًا نرجسيًا لا يسمح للقيم النسائية بالتدخل في سلوكياته العليا .

واتكأ « جورنج » على وسادته في الطرف الآخر من الفراش ، واستغرق في الشرود والتفكير وصار يغمغم كأنه يحدث نفسه :

ـــ « لا .. لا .. لقد قهر شعبي قبل ذلك . ولكن الإخلاص والغضب سوف يوحدانه من جديد .. ومن يدري .. لعل الرجل الذي سيعيد جمع صفوف الألمان قد ولد في هذه الساعة بالذات .. نعم وُلد ألماني من بيننا ومن دمنا ولحمنا لينتقم من هذا الإذلال الذي نعاني مرارته الآن » .

٧
دفــــاع هيــس



٢٤ مــارس

هيس يقرر عدم الوقوف للدفاع عن نفسه

زنزانة « هيس » :

قال « هيس » إنه قد قرر عدم الوقوف للدفاع عن نفسه ، لأنه لا يريد أن يكون عرضة للحيرة والارتباك لعدم قدرته على الإجابة عن الأسئلة التي سوف توجه إليه من الادعاء . وأصر على أن هذا هو قراره الخاص . ولكني عرفت أن « جورنج » والدكتور « سايدل » قد توجها إليه بالرجاء حتى لا يقف أمام المحكمة للدفاع .

٢٥ مــارس

شــاهد هيس

قبل أن تبدأ المحكمة في الجلسة الصباحية ، وحيث إن « جورنج » يعلم أن

« هيس » لن يقف أمامها للدفاع عن نفسه ، وأن « رينتروب » قد أصابه مرض اليوم فقد أعلن في غرور :

ـــ « حسن .. إنني لا أستطيع توجيه دفاع كل فرد هنا .. يكفي أن أوجه نفسي فقط .. وليس في استطاعتي أن أمنح أعصابي أو أعماقي لكل فرد هنا .. ها .. ها ! » .

وقال الدكتور « ساوتر » الموكل بالدفاع عن رينتروب لفون شيراخ في لهجة ساخرة :

ـــ « والآن .. أليس هذا غريبًا ! « رينتروب » مريض في اليوم الذي من المفروض فيه أن يبدأ دفاعه(*) .. يالسوء الحظ الذي جاء عرضًا ! والآن أليس ذلك أمرًا سيئًا للغاية ! خذ مثلاً « رينتروب » ! لقد ساقني بجنون عبر كلام مزدوج ! ففي مبدأ الأمر يقول إن ذلك الرجل (الغالي) شاهد لا يمكن الاستغناء عنه ، وبعد كل المتاعب التي واجهناها في الحصول عليه يقرر أنه لا أهمية لشهادته . ومرة يقول : إنه قد قال كذا وكذا في مقابلة ما ، ثم يقول بعد ذلك : إنه لم يكن هناك على الإطلاق ـــ أنا سعيد لكوني قد نفضت يدي من هذا الأمر برمته » .

جلسة الصباح :

كان « ارنست بوهله » هو شاهد « هيس » الأول الذي حاول أن يبين أن منظمة (الألمان المغتربين) لم تكن فعلاً طابورًا خامسًا . ولكن المستر « جريفث

(*) كان من المتوقع أن « هيس » لن يقف للدفاع عن نفسه ، وأن الدفاع عنه لن يستغرق ساعات وأن « رينتروب » سوف يأخذ دوره في الدفاع في جلسة بعد الظهر . وكان الدكتور « ساوتر » قد تولى الدفاع عن « رينتروب » بصفة مبدئية ولكنه طلب إعفاءه من هذا التفويض في وقت مبكر من المحكمة .

جونز » ممثل الادعاء البريطاني قد حطم هذه الدعوى بأن حمله على الاعتراف بأن الألمان المغتربين في البلدان الأجنبية كانوا يسلمون إليه تقارير خاصة بأعمال المخابرات حول نشاط الأجانب في فترة السلم ، وأنهم ساعدوا الغزاة عندما دخلوا المناطق التي هزمت .

ساعة الغداء :

أدلى « شاخت » برأيه في ذلك الرجل المدعو « بوهله » :

ـــ « هؤلاء كانوا الساسة ذوي الحكمة والدهاء .. بقالين .. كتبة عموميين .. مساحي أحذية .. ثم صاروا زعماء للجاليات الألمانية في البلدان الأجنبية وبالتالي خبراء في الشئون الخارجية ! .

لقد كانت لدي دراسات حول هذه الموضوعات ، ولكن لا يسير الأمر على هذا النحو فممكن أن يكون صبي جزار ما تحت إمرة « بوهله » خبيرًا في شئون الهند مثلاً ، ويجوز له أن يقدم تقارير حول هذا الموضوع . في الحقيقة إن منظمة « بوهله » هذه قد قامت بتقديم تقارير كثيرة زائفة لا تمثل الحقيقة عن حالة البلدان الأجنبية ! » .

وكانت في نفس « فون بابن » ضغينة قديمة ضد بوهله فقال :

ـــ « ذلك الرجل الذي ملأ حياتي بالتعاسة ، لقد بذل غاية وسعه من أجل طردي واستبعادي » .

وقال « جورنج » متباهيًا :

ـــ « كان ينبغي أن أعالج الأمر مع ذلك الإنجليزي على نحو آخر . كان يجب أن أقول له :

ــ بالطبع لدينا جواسيس في البلاد الأجنبية . ماذا في ذلك ؟ .

على أيٍّ .. لقد قلت لهيس إنهم لن يظهروا لشاهده نفس البشاشة والتلطف اللذين كانا مع شاهدي . فقد استخدموا في استجواب شهوده ممثلي الادعاء القانونيين وليس رؤساءهم الكبار » .

وفي حجرة طعام الشباب كانت هناك موافقة إجماعية على أن شاهد « هيس » لم يقدم له أية فائدة على أي نحو كان .

جلسة بعد الظهر :

انتهى استجواب « بوهله » ، وكذلك تم استجواب الشاهد الآخر « سترولين » ، وكانت هناك بعض النتائج الطفيفة في الشهادات التي أُدلي بها في الجلسة .

٢٦ مــــارس

جلســة الصباح :

استمرت المحكمة في نظر الدفاع عن « هيس » ، وقَرأت الوثائق والمستندات وأجلت الجلسة بعد مطابقة الآراء حول معاهدة فرساي .

ســاعة الغداء :

وجدت مناقشة عامة حامية حول معاهدة فرساي في جميع غرف الطعام .

وأشار كل من « شاخت » و « فون بابن » إلى أن أمريكا لا يمكن أن تقبل

معاهدة فرساي لأن في ذلك خيانة لمبادئ ويلسون الأربعة عشر ، وقال « دونيتز » يتملق « يودل » :

ــ « لقد فهم ذلك جيدًا .. إنه حاد الفهم ، سريع البديهة والإدراك » .

وكرر « شاخت » :

ــ « لولا معاهدة فرساي لما كان هناك « هتلر » .

وعبَّر « يودل » عن نفس الإحساس عندما بدأت في الحديث معه :

ــ « كان هذا هو السبب الوحيد لظهور الفيرماخت والحزب النازي ، وإلا لظلوا في حناجر الآخرين ومخيلتهم إلى الأبد » .

وهنا اشرأب « روزنبرج » مستهجنًا من الركن الذي كان يتنحيه وكذلك فعل « كالتنبرونر » .

وقال « روزنبرج » :

ــ « إنهم لم يريدوا مناقشة معاهدة فرساي . حتى الأمريكان رفضوا الإشارة إليها لأنها كانت منتنة . لقد دبَّج « ويلسون » مبادئه الأربعة عشر بعناية . وعندما جاء الوقت لإبرام معاهدة السلام قذف الفرنسيون بمعاهداتهم السرية مع بولندا وبقية الأشياء الأخرى على المائدة ، وقالوا هذا هو السبب الذي من أجله كانوا يقاتلون ، وألقيت مبادئ « ويلسون » في سلة المهملات » .

وسألت :

ــ وهل كل هذا يبرر الحرب العدوانية والجرائم التي ارتكبت ضد البشر ؟ .

وقال « كالتنبرونر » :

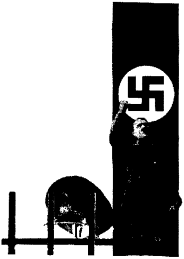
ــ « لا .. لم نقل ذلك .. ولكنها مجرد شروح للموقف وكيف تكون على هذا النحو » .

وكرر « روزنبرج » عبارة « شاخت » الشهيرة :

ــ « لم يكن هناك « هتلر » لولا معاهدة فرساي » .

٨

دفاع ريبنتروب



٢٦ مــارس

وزارة الخارجيــة

جلسة بعد الظهر :

كان الدكتور « ستينجراخت » سكرتير « ريبنتروب » لشئون الدولة هو شاهده الأول . ودفاعًا عنه شهد بأنه كان هناك حوالي ثلاثين منظمة ومكتبًا وسيطة مع وزارة الخارجية ومتداخلة في عملها . حتى إن بعض الألمان الذين يعيش أحدهم في دول مجاورة ، وربما يجد جهدًا في الحصول على مطعم مناسب ليتناول إفطاره قد يعتبر حجة في شئون هذا البلد ، ويلقى رضًا واستحسانًا من « هتلر » ، وهو أمر أدى إلى نزاع دائم حول السلطة . وكان « ريبنتروب » يقضي أكثر من ستين في المائة من وقته في مشاحنات بين الموظفين وتعقيداتهم المكتبية . ولم يكن « هتلر » يذعن للخبراء الحقيقيين والرجال المتعقلين أصحاب الفهم الصحيح ، وبوجه عام كانت الخصومة هي طابع العلاقة بين كبار رجال الدولة المسئولين ، وكانت الحكومة في فوضى مفزعة .

وعند نهاية اليوم كان القفص بكل من فيه من المتهمين ينضح احتقارًا وازدراء لريبنتروب ودفاعه . وسأل « جورنج » الدكتور « هورن » عما إذا كانت لديه أسئلة أخرى لهذا الشاهد الغبي ، وقال الدكتور « هورن » آسفًا إن الشاهد لم يكن يجيب عن الأسئلة بالطريقة التي كان ينتظرها ، وقال « ريبنتروب » وهو مطرق في أسى إنه لم يطلب من الشاهد ذكر كل هذه الحقائق المخجلة عن «هتلر » والحكومة الألمانية .

وكانت في الناحية الأخرى من القفص موجة من الازدراء العارم .

وصار كل من « فون بابن » و « شاخت » يلوحان بذراعيهما ساخطين وقال أحدهما :

ــ « والآن هل ترون ماذا يقال ؟ كانت هذه هي وزارة الخارجية الألمانية » .

وقال « فريتشه » حزينًا :

ــ وتخيلوا الجند الألمان المساكين وهم يذهبون إلى القتال ، واثقين تمامًا من أن هناك وزارة للخارجية واعية وحكومة مسئولة ، وأنهم لا يرسلونهم إلى القتال إلا إذا لم يكن هناك مفر من ذلك » .

وغمغم « فونك » :

ــ « ياللخزي .. ياللعار .. إن الأمر مخجل برمته » .

٢٧ مــارس

جلســة الصباح :

ضيّق الكولونيل إيمن الخناق على الدكتور « ستينجراخت » أثناء الاستجواب .

وأنهى الشاهد كلامه بالتعبير عن أسفه العميق لنفسه ولرئيسه وللحكومة النازية .

السجن في المســاء

زنزانة « شــاخت » :

تسللت في المساء إلى زنزانة « شاخت » لأرى رد فعله حيال ما جرى .

وقد عبَّر عنه في قسوة تامة :

ـــ « آخ .. غاسل صحون يعمل وزيرًا للخارجية ! ، وانظر إلى هؤلاء الناس الذين كانوا يعملون تحت إمرته ، أغبياء ، كسالى ، لا يصلحون لشيء ! .

لقد كان كل من « هتلر » و « جورنج » مجرمين عريقين في الإجرام ، حسن فليكن الأمر على هذا النحو ، ولكن هذا الريبنتروب لم يكن يصلح أن يكون ماسح أحذية .

وها قد رأيت لقد كان وزيرًا للخارجية . ماذا أقول ؟ إن الذي يقع عليه أكبر قدر من اللوم هم الجنرالات . أنا في الواقع لا أستطيع فهم هذه العقلية العسكرية ، فعندما يقول « هتلر » : فلنذهب إلى الحرب تراهم يضربون كعوبهم بعضها في بعض ويقولون : الحرب ؟ لماذا ؟ نعم . بالفعل . فلنذهب إلى الحرب . خذ الجنرال « هولدر » مثلاً ، لم تكن لديه أية فائدة لهتلر ، وكان بصدد مساعدتي عندما طرده هتلر عام ١٩٣٨ م . وعندما قال له « هتلر » إنه ستكون هناك حرب ، قفز « هولدر » فجأة وقال :

ـــ الحرب .. آه .. نعم .. هذا حسن جدًا .. فلتكن مشيئتك .

لم يفكر مطلقًا في أسبابها أو هل يمكن أن نتجنبها أم لا .. باختصار لم يفكر في أي شيء ..

زنزانة « رينتروب » :

لم يكن « رينتروب » سوى رجل متعب عجوز ينتظر الموت . وتكلم في لهجة مقهورة لم تتغير :

ــ « آه .. إن ما حدث لن يغير من الأمر شيئًا . نحن في الواقع نعيش هنا كأشباح .. بقايا تاريخ ميت .. قد مات تاريخنا عندما مات « هتلر » ويستوي أن يعيش بعضنا عشر سنوات أو عشرين ، واحد مثلي ماذا يمكن أن يفعل لو أطلقوا سراحه ؟ أنا أعرف أن هذا لن يحدث بطبيعة الحال . كما قلت لك لقد مات ذلك العهد الذي كنا ننتمي إليه بموت « هتلر » ، ولا يمكننا العيش في ذلك العصر الجديد الذي بدأ » .

٢٨ مـــارس

الاتفاق الســـري

الجلسة الصباحيـــة :

شهدت الآنسة « بلانش » سكرتيرة « رينتروب » لمصلحته ، وانعقدت المحكمة للمداولة حول سؤال يدور عن المعاهدة السرية مع روسيا .

وأثناء تداول المحكمة قال « جورنج » لرينتروب :

ــ « هذا حسن .. تستطيع الاعتماد على هذا الشاهد . المرأة أكثر شجاعة من الرجل دائمًا » .

وسأله « رينتروب » وهو يبتسم :

ـــ « هل تُعرِّض بي ؟ » .

وردَّ « جورنج » :

ـــ « أوه .. كلا .. أنا أقصد هذا بوجه عام » .

وعلق كل واحد على البند السري الذي افترض وجوده مع الاتفاقية الألمانية الروسية .

وبوجه عام سلَّم الجميع بأن هذه الاتفاقية السرية تضمنت تقسيم بولندا قبل الهجوم الألماني .

أما « سبير » الذي كانت الشبهات تحوم حول علاقته بهذا الأمر طوال الوقت فقد قال :

ـــ « التاريخ هو التاريخ ولا فائدة من محاولة التهرب منه » .

ووافقه على ذلك كل الذين حوله .

وغمغم « يودل » كالثعلب :

ـــ « والآن هم يحاولون إخفاء حقيقة هذه المعاهدة السرية .. ولكنهم لن يستطيعوا ، كان ذلك الخط الذي يحدد النفوذ بيننا وبين الروس عندي في خرائطي وعلى ضوئه قمت بإعداد الخطط للحملة ، وكان من الممكن أن يتجنب « هتلر » الحرب لولا هذا الاتفاق .

ولكننا فجأة وجدناه قد حصل على معاهدة مثل هذه مع الروس ، ثم قال لنا :

الآن نستطيع أن نغامر بالحرب فجبهتنا الشرقية في أمان » .

وكان كل من « فرانك » و « روزنبرج » يبديان سرورهما من ذلك الارتباك غير المتوقع الذي أصاب الروس الموجودين بالقاعة من جراء ما أثير حول الاتفاق السري .

وجلجلت ضحكة « فرانك » المجنونة في القاعة وهو يقول :

ـــ « هأنتم أولاء ترون المؤامرة الحقيقية ، تلك التي كانت بين « هتلر » والزعماء السوفييت كان عليهم أن يكونوا الآن معنا في قفص الاتهام .

وقال « سايس إنكوارت » معلقًا :

ـــ « وأخيرًا عرفت الشخص الذي كان يدير وزارة الخارجية ، لقد كان الآنسة بلانش » .

وانفجر الآخرون في الضحك ، وبدا أنهم راضون تمامًا عن سير الاستجواب .

ساعة الغداء :

وفي أثناء تناول الغداء كان « فريتشه » في حالة معنوية مرتفعة وصار يقلد قارئ نشرة الأخبار حول شهادة الآنسة بلانش :

ـــ « وقد سألها الدفاع عما إذا كانت تعرف شيئًا عن أية معاهدات سرية ، فأجابت بأنها تعرف واحدة من هذا الصنف مع روسيا . وخيم الصمت على قاعة المحكمة وحبس كل من فيها أنفاسهم . واعترض المدعي السوفييتي على سؤال الدفاع .

وتأجلت المحكمة ثم أقرت السؤال . وكان المتوقع مخيفًا عندما وافقت المحكمة على أن تقوم الشاهدة بالإجابة . وقد آن للعالم أن يعرف شيئًا عن الاتفاق السري مع روسيا . نعم كانت الآنسة « بلانش » تعرف حيث كان مكتوبًا في ظرف قد كتب عليه (سري للغاية) . ولا يستطيع أحد أن ينسى وجه « بيدل » وقد

امتقع ، وشعر كل من في القاعة أنه قد غدر به ، وبوجه عام كان موقفًا لا يقدر بثمن » .

أما « دونيتز » الذي كان يرقب كل كلمة وكل إيماءة أو حركة من « فريتشه » فقد قال :

ــ « تستطيع أن تبصر كيف أخذ « بيدل » عندما عرف هذا الشيء . ثم خيبة أمله حين لم يذع أو ينشر ، ولكن كانت عنده روح فكاهية ، هل لاحظت عندما قالت الآنسة «بلانش » إن رئيسها لم يقربها طيلة عشر سنوات ؟ لقد وكز « باركر » بكوعه عندها » .

٢٩ مـارس

رينتروب يدلي بشهادته

جلسـة الصباح :

ألقى « رينتروب » بيانًا مضجرًا عن ظروف ما قبل الحرب .. الحزب النازي وهو يقفز إلى السلطة .. المشاكل التي خلقتها معاهدة فرساي .. مشكلة إعادة التسليح .. حلف لمكافحة الشيوعية .. اتفاق ميونخ .. إلخ .. إلخ .. ولم يقدم أية معلومات جديدة ، فقد كان كل ما قاله معروفًا بوجه عام .

وقد طُلب منه عدة مرات أن يفرغ من هذه القصة التي يحكيها والتي رويت أمام المحكمة عشرات المرات .

سـاعة الغداء :

وفي أثناء الغداء كان « شاخت » يقلده ساخرًا ، محنيًا كتفاه متكلمًا في لهجة

توحي بالغباء وفي صوت نائم :

ــ « وهكذا ذهبت إلى لندن وقابلت المستر س .. نعم قابلته في القطار .. وبعد ذلك ذهبت واستبدلت ملابسي » .

ثم اعتدل « شاخت » في جلسته وتكلم بجدية وبلهجة مليئة بالازدراء :

ــ « هذا هو وزير خارجية ألمانيا يتكلم ! » .

كان « فون نيوراث » على نفس الدرجة من الاحتقار وهو يقول :

ــ « ونستطيع أن نحكم من طريقته في الكلام أنه لم تكن عنده أقل دراية بالشئون الخارجية عندما أصبح مسئولاً عن وزارة الخارجية ، رغم أنه أعلن للجميع كذبًا درايته بالسياسة وفرض نفسه كأعظم خبير في هذه الشئون » .

والتفت « فون بابن » متشفيًا حاقدًا :

ــ « هذا صحيح .. من كلامه حول معاهدة ميونخ وحلف مواجهة الشيوعية نفهم ببساطة أن الرجل لم يكن يدري ماذا يفعل » .

وانتبه « فون نيوراث » إلى جملة حلف مواجهة الشيوعية ، وكأنها مست شيئًا في داخله وقال :

ــ « إنه لم يقل لماذا قبل أن يوقع حلف مواجهة الشيوعية بينما رفضت أنا ذلك ، لأنني كنت أعرف أن هذا شيء خطير في السياسة الخارجية ، ولكنه كان يتصرف كعبد رقيق مملوك لهتلر وليس كوزير خارجية ، ومن ثم ينفذ جميع ما يأمره به ، وكان يدس أنفه في أمور كثيرة لا علاقة لها بعمله ، وكسفير في بريطانيا كان عليه أن يهتم تمامًا بوظيفته ومهامه وأن ينشئ جسرًا من الثقة معهم ، ولكن هذا كله قد ضاع عندما وقع هذا الحلف ، وفشل في الظهور أمامهم بمظهر المستقيم النبيل ، ومن الطبيعي ألا يكون للبريطانيين فائدة منه بعد ذلك » .

جلسة بعد الظهر :

بمجرد أن وقف « ريبنتروب » ثانية للكلام قال « جورنج » لجيرانه إن دفاع « ريبنتروب » فاشل . وعندما عاد « ريبنتروب » إلى القفص لفترة قصيرة همس له « جورنج » أنه قد أحسن الأداء وتكلم بطلاقة .

وعندما قام للشهادة ثانية قال « جورنج » لمن حوله :

ــ « لا أستطيع أن أفهم كيف وضع هتلر هذا الخائر القوى في ذلك المنصب الخطير » .

وأخيرًا فتح موضوع الترتيبات السابقة على تقسيم بولندا مع اتفاق عدم الاعتداء مع روسيا . ولم يكن هذا هو غاية ما توقعه وسمعه الحاضرون .

فسرعان ما شرح « ريبنتروب » كيف هاجموا بولندا رغم الضمانة الإنجليزية ، وكانت طلبات الفوهرر كما قرأها من ورقة مكتوبة رفض أن يسلمها للسير « نيفيل هندرسون » تقضي بالهجوم على بولندا لصلفها وعجرفة حكومتها ، ثم يبدأ التفاوض بعد أن يتم قهرها وإخضاعها .

٣٠ مـــارس

جلسة الصباح :

بين « ريبنتروب » كيف أنه و « هتلر » لم يكونا يريدان الحرب ، وكيف أنهما اضطرا إلى التخلي عن اتفاقاتهما مع كبار أعدائهما ، وكيف أنه حاول أن يؤخر غزو الأراضي الواطئة ليلتين بلا فائدة .

٣٠ ـ ٣١ مـارس

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « رينتروب » :

شكا إليَّ « رينتروب » عندما زرته في زنزانته أنه متعب جسديًا وذهنيًا وقال :

ـ « هناك حدود لطاقة كل إنسان منا . وأؤكد لك أنني قد وصلت إلى غاية حدودي وقدرتي واحتمالي في عام ١٩٤٣ م ، وكان ينبغي عليَّ أن أقدم استقالتي حينذاك ، وتكلم أطبائي مع « هتلر » ولكنه لم يلق بالاً لشيء من هذا ، أستطيع الآن أن أفكر بطريقة مستقيمة ولكن بصعوبة ، لقد انتهيت مع هزيمة ألمانيا . كانت الأمور مفزعة . كنت في طريقي إلى بيتي خارج برلين ، ورأيت بعيني آلاف الجرحى ، والهاربين اللاجئين بالآلاف وهم يتجهون غربًا قبل أن تصل القوات الروسية .

وتحطمت أعصابي للانهيار الألماني العظيم ، واستطعت أن أصل إلى « موندورف » في مايو ، وأصبحت ، بعدما رأيت ، أتذكر الأشياء بصعوبة ، وصار التركيز صعبًا ولم تعد الأشياء واضحة في مخيلتي كما كانت .

لماذا لم يتركوه يتكلم ؟ هكذا قال .

لماذا كانوا يقاطعونه دائمًا ؟ .

كان يريد أن يشرح كل شيء بوضوح ولكنهم منعوه ! .

وحتى يستطيع ذلك كان عليه أن يذكر كل شيء عن الخلفية التاريخية للأحداث .

إنهم لم يمكنوه من ذكر أكثر من ثلاثين في المائة مما كان يريده ، هكذا تصور ! .

وهو أمر أحزنه وآذاه ، هكذا ظن ! وعلى أي حال فقد قال ما يكفي ! .

وهو لا يدري لماذا لجأ الادعاء إلى هذه الطريقة في السخرية منه والنيل من شخصه .

ــ « لماذا يجعلون اضطهاد غير الآريين فكرة أنا مصدرها رغم أني لم أقل حرفًا واحدًا في هذا ؟ » .

زنزانة « فون نيوراث » :

كانت لفون نيوراث أفكار عديدة حول سمعة « رينتروب » بين الشعب الألماني :

ــ « لن يمكنك أن تجد رجلاً في منصب رسمي مثل « رينتروب » في أي مكان آخر وهو غير مؤهل لمنصبه هذا . وكثير من الناس قد فوجئوا لغبائه وعدم قدرته على الشرح والكلام أثناء وقوفه أمام المحكمة ، ولكنني لم أدهش فإني أعرفه منذ زمن ، وكان عليَّ أن أتعامل مع هذا المخلوق المجرد من الموهبة لسنوات ، ولكنه لا يزال يكذب . وقال إنه قد تعاون معي كوزير للدولة قبل أن يكون وزيرًا للخارجية ، ولم يحدث هذا لمدة دقيقة واحدة . كان هذا ما يريده « هتلر » ولكني رفضت . لقد أساء بالفعل أمام المحكمة إساءة تفوق ما تحتويه الأدلة والشهادات المقدمة ضده » .

زنزانة « فرانك » :

كان « فرانك » متعطفًا وهادئًا في حديثه عن « رينتروب » :

ـــ « هذا المسكين ! ما الذي كان يمكنك توقعه ؟ رجل جاهل إلى أبعد مدى ، كان يتكلم لغته بصعوبة بالغة ويخطئ في قواعدها ، دعنا جانبًا من فهمه لأي شيء عن الشئون الخارجية ، فهي آخر ما يجيده . صدقني لقد تابعته بصعوبة بالغة ، وتمنيت لو كان أولئك القائمون على الترجمة الفورية قد حسنوا الصورة قليلاً أثناء عملهم . ولا أدري هل كان عمله هكذا في تجارة الخمور على نفس هذه الدرجة من الركاكة أم كان الأمر يختلف ؟ ولا داعي بطبيعة الحال للكلام عن الاشتراكية الوطنية فقد صارت الآن شيئًا مضحكًا بعد كل ما شاهدناه وسمعناه . في الواقع ليس عندي له سوى الشفقة الشديدة . القضية لم تكن عدم درايته بالشئون الخارجية ولكنها جريمة « هتلر » الكبيرة أن يجعل من هذا الرجل غير المؤهل وزيرًا لخارجية أمة كبيرة مثل ألمانيا يتجاوز عدد سكانها سبعين مليونًا . وهذا يريك الضعف الحقيقي الكامن في الديكتاتورية ، لا يمكنها الصمود أمام أي نقد . وقد أحاط « هتلر » نفسه بمجموعة من الأدعياء الجهلة الذين لا يمكنهم فعل شيء غير قول آمين .. آمين . ويمنحهم عشرات الألقاب والمناصب ليعطي نفسه واجهة براقة زائفة لقوة لا وجود لها ، عبر حكومة قد نخرها السوس والفساد ووزراء جهلة لا يصلحون لغير التصفيق والموافقة والحماسة لآراء الزعيم صوابًا كانت أم خطأ ثم النهب والسرقة حسب طاقة كل واحد منهم وموقعه » .

زنزانة « جورنج » :

لم يكن « جورنج » راضيًا بالمرة عن شكل « ريبنتروب » أمام المحكمة :

ـــ « كم هو حزين ومؤلم ما رأيت ، ولو كان لي علم بهذا كله لتدخلت أكثر في الشئون الخارجية ، ولأعطيتها جزءًا من اهتمامي أكثر مما فعلت . ولكني على أي حال قد فعلت جهدي لمنعه من أن يكون وزيرًا لخارجية ألمانيا ولكني فشلت . ولكن صدقني لا يسعدني الآن أنني كنت على حق بشأنه في الماضي ، وكنت أتمنى أن

تكون وجهة نظري خاطئة .

كل الناس تقول الآن :

من هذا الذي كان وزيرًا لخارجيتكم أيها النازيون ؟ .

لقد جعل سياستنا الخارجية محل سخرية واستهزاء من العالم كله ، ناهيك عن الأخطاء التاريخية التي لا يمكن أن « تنسى » .

وسألته :

ــ هل تستطيع أن تضرب لي مثلاً لخطأ تاريخي مما ذكرت ؟ .

وأجابني « جورنج » :

ــ « كان من المفروض أن يلتقي بتشرشل قبل إعلان الحرب بأيام ولكنه لم يفعل دون سبب معقول أو غير معقول . وربما أثر هذا اللقاء على سير الأحداث بعد ذلك ، ولكنه لم يتم » .

زنزانة « فون بابن » :

كان « فون بابن » ممتلئًا بالازدراء لريبنتروب كالعادة .

ــ « لا فائدة من حديث هذا الأحمق أكثر من ذلك أمام المحكمة ، لقد أدان نفسه وانتهى الأمر ، وربما من الخير للمحكمة أن تنتقل إلى حالة جديدة .

تخيل معي طريقته العادية في تفسيره لإعلان الحرب مع الولايات المتحدة الأمريكية ، لقد قال بالنص :

ــ حسن .. لقد أطلقوا النيران على بعض قواربنا فكان لزامًا علينا أن نعلن الحرب ضدهم .

هذا هو وزير خارجية هتلر ! .

ياإله السماوات ! هذه الغواية الإجرامية التي تدعوه إلى المقامرة بالرايخ الألماني وهو يعلم أنها مقامرة خاسرة ، ضاعت فيها أمة بأسرها » .

وكان « فون بابن » حزينًا للغاية لسماع « هتلر » لآراء مثل هؤلاء تاركًا رجلاً له خبرة عظيمة مثل « فون بابن » لا يستمع إليه ولا يسأله الرأي .

١ أبريـــل

ريبنتروب في الاستجواب

جلســة الصباح :

استجوب « ريبنتروب » بمعرفة السير « دافيد ماكسويل فايف » ، ورغم مراوغة وزير الخارجية الأسبق ، وإصراره على قلب الحقائق ، وشرحه الطويل الممل الممجوج ، والكلام الكثير الذي لا صلة له بالموضوع ، والجدل والقياس غير المنطبق على المثل المطروح ، فإنه بدا واضحًا للجميع من خلال الوثائق والملفات أنه كان له دور كبير في الجرائم النازية المشتهرة مثل الأنشلوس مع النمسا والهجوم على تشيكوسلوفاكيا ، وهو الذي تولى كل الترتيبات الدبلوماسية التي مهدت للهجوم على بولندا واقتسامها ، الأمر الذي كان يعني الحرب المؤكدة مع إنجلترا . وكان « ريبنتروب » يعلم ذلك جيدًا ، حتى إن « يودل » قد كتب في يومياته أن وزير الخارجية يلعب لعبة خطيرة جدًا .

ســاعة الغداء :

وفي غرفة طعام الكهول كانوا يناقشون استجواب « ريبنتروب » .

وكان « شاخت » منفعلاً ثائرًا يلوح بيديه في الفضاء مفسرًا لغز كل شيء على حد تعبيره :

ـــ « هو الذي أعدَّ كل شيء للانهيار الذي نحن فيه . كان يعلم أن الهجوم على بولندا وشيك ولم يفعل شيئًا لمنعه . هذا هو التفسير البسيط للغز ولكل شيء ترتب عليه بعد ذلك » .

واسترجع « فون بابن » كيف ضغط « هتلر » بقواته المسلحة على المستشار النمساوي « شوشنج » في تلك اللحظات الحرجة من اجتماعهما في برختسجادن بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩٣٨ م ، عندما صرخ بأعلى صوته .

ـــ كايتل .

وسمعت هذه الصيحة في كل أرجاء المبنى ! .

وجاء « كايتل » يعدو وهو يلهث استجابة للنداء . ولم يطلب منه غير أن يجلس في زاوية ينتظر الأوامر .

وكانت هذه الإيماءة سببًا في إرهاب « شوشنج » مستشار النمسا .

وأكَّد « فون بابن » و « شاخت » أن كل هذه التهديدات لم يكن لها معنى أو ضرورة ، لأن « شوشنج » كان يعلم جيدًا أن أكثر من ثمانين في المائة من مواطني النمسا سوف يصوتون في صالح الوحدة مع ألمانيا ، ولم يعترض شوشنج على هذه السيطرة والهيمنة النازية في تحديد هذه الأمور .

وتذكر « شاخت » ذلك المستشار النمساوي عندما التقى به في المعتقل بعد ذلك وكيف أنه كان رجلاً خجولاً ضعيفًا ، وكان من الصعب عليه أن يواجه تلك الحوادث التي كانت في الماضي القريب بمقر « هتلر » .

جلسة بعد الظهر :

استمر « رينتروب » في إنكاره لأية تصرفات عدوانية ، وأكد أن كل ما تم

مع تشيكوسلوفاكيا كان وفقًا لمعاهدة ميونخ ، وأنه لم يكن هناك ضغط من أي نوع وفي أية صورة لدفع الرئيس « هاشا » لتسليم تشيكوسلوفاكيا .

وهنا سأله السير « دافيد » :

ـــ هل هناك تهديد أو ضغط يمكن أن تتخيله أكثر من أنك تخبر رئيس دولة ما أن جيوشك سوف تجتاح أرضه ، وأن سلاحك الجوي سوف يحول عاصمته إلى رماد ؟ .

وهنا قال « ريبنتروب » :

ـــ « لا لم أقل شيئًا من هذا ، كل ما قلته أن الحرب وشيكة » .

وهنا زادت الهمهمة في القاعة حتى صارت كالزئير من الغضب والاستياء وأثناء استراحة بعد الظهر ناقش كل من « كايتل » و « جورنج » و « يودل » عملية اجتياح بولندا وكيف أن هذا الأمر قد أجل عدة مرات رغبة في الاستجابة إلى مطالبهم ، ولما فشلت المحاولات تم الهجوم .

ولقد قال لي « كايتل » فيما بعد :

ـــ « هل رأيت ؟ لم يصدق « ريبنتروب » أحد ممن سمعوه من أنه لم يعرف شيئًا عن تقدم الاستعدادات العسكرية . ويبدو أن الأمور كانت تسير بطريقة لم نتفهمها إلا الآن ، فقد كان « هتلر » يقول لوزير خارجيته كلامًا يختلف عما يقوله لنا نحن العسكريين ، نعم لقد كان يكذب على كل منا » .

وكان « يودل » يستمع إلى كلام « كايتل » ، ويستطيع أي إنسان آخر أن يسترق السمع . وكانت هذه الأفكار التي يتحدث عنها الآن لا يمكنه مناقشتها خارج زنزانته عندما كان واقعًا تحت تأثير « جورنج » ونفوذه .

٢ أبريـــل

جلســة الصباح :

واستجوب المدعي الفرنسي المسيو « فايوري » وزير الخارجية الأسبق « ريبنتروب » وكان الموضوع حول دوره في اضطهاد غير النازيين وإرسال المعتقلين إلى معسكرات الاعتقال ، وقد أوضح « ريبنتروب » أنه لم يكن ضليعًا في هذه الأمور ، وأنها كانت بعيدة تمامًا عن طبيعة عمله كوزير للخارجية .

جلسة بعد الظهر :

ووقف « ريبنتروب » للاستجواب أمام الكولونيل « إيمن » الذي ناقشه باختصار ، مستخدمًا براعته في إحكام الأنشوطة حول عنق « ريبنتروب » عبر ردوده التي لا معنى لها وغير المقنعة لأحد من السامعين .

وأثناء استجواب الجنرال « رودينكو » له هناك أفاد « ريبنتروب » أن الهجوم على بولندا ويوغوسلافيا واليونان وروسيا لم يكن هجومًا عدوانيًا .

وكان هناك في ذلك الوقت شعور عام يجتاح المتهمين أن « ريبنتروب » قد انتهى .

وسُمع « جورنج » وهو يتحدث إلى « ريدر » منتحيًا ناحيته ويقول :

ــ « لقد سووا بريبنتروب الأرض » .

وبطبيعته التي تميل إلى النفاق والمداهنة كان قد قال لريبنتروب في نهاية جلسة الصباح إنه كان مبدعًا أثناء الاستجواب .

السجن في المســاء

زنزانة « رينتروب » :

رأيته رث الهيئة أكثر مما كان . ولم يكن قميصه محكم الأزرار أو موضوعًا بعناية داخل بنطلونه . وكانت زنزانته غير مرتبة مثله تمامًا ، وكان يقضم قطعة من الخبز الجاف .

وصار يشكو بطريقة بلاغية منمقة الألفاظ حول كل شيء ثم قال :

ــ « لماذا يحاول المدعي الفرنسي أن يلقي عليَّ مسئولية اضطهاد غير الآريين ؟ وهذا أمر يتناقض مع مبادئي وتصوراتي ، وهم يعلمون ذلك ، ولو كنت ممن يرى اضطهاد غير الآريين لما أنكرت ذلك ولأعلنته بصراحة ، وإني لا أخاف من هذه التهمة لو كانت صحيحة .

لقد سألت « هيس » : لماذا اتبع « هتلر » هذه السياسة ؟ فأجابني أنه لا يعرف .

هل تستطيع أن تفهم ولائي لهتلر ؟ أظن أن هناك كثيرًا من الناس لا يفهمون ذلك .

أخبرني بصراحة ، ما هو رأيك في حالتي ؟ » .

وقلت له :

ــ أظن أن حالتك التي أنت فيها الآن نتيجة للولاء الأعمى للفوهرر ، ومن ثم صرت في موقف لا أظنك تستطيع إنقاذ نفسك منه ، ولكني لا أفهم لماذا تصر عليه حتى الآن ، رغم معرفة العالم كله أن زعيمك كان مجرد قاتل وقاطع طريق .

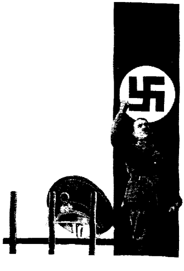
وقال « رينتروب » :

ـــ « ألا يمكنك أن تفهم ؟ أظن أن الأمريكان جميعًا لا يفهمون هذه الأشياء . نحن الألمان شعب له طبيعة خاصة . لقد تربينا على الولاء والإخلاص ، وهذا أمر يبدو أن أحدًا من الناس لا يمكنه تفهمه » .

ـــ هذا صحيح . لا يوجد أحد يستطيع فهم هذا الذي تقوله .

٩

دفـــاع كـايتـــل



٣ أبريـــل

كايتل يمثل أمام المحكمة

جلســة الصباح :

بينما كان « كايتل » يأخذ مكانه أمام المحكمة كان « يودل » يجلس معتدلاً منتبهًا وأمامه أوراق يقلب فيها بعصبية . وكان « دونيتز » ينقر بعصبية على الحاجز .

كان « كايتل » منفعلاً وعيناه ترتعدان وهو يتحدث عن نفسه وكيف قام بواجبه على مدار أربعة وأربعين عامًا شأنه شأن أي ضابط ألماني يلتزم بقواعد الشرف وقانون العسكرية المقدس في إيمان وإخلاص . وكانت لهجته يشوبها شيء من التوسل والرجاء أخفق في إخفائهما ، وقال إنه لم يكن في وضع يسمح له بإصدار الأوامر بل كان ينقلها من « هتلر » إلى الآخرين وهذا غاية دوره .

ســاعة الغداء :

وأثناء الغداء همَّ « يودل » أن يقول شيئًا ولكنه تردد وسكت وعندها سألته :

ـــ هل كنت تريد أن تقول إنه لا ينبغي رؤية رئيس الأركان الألماني أمام محكمة مدنية ، بل إن كان ولا بد فلتكن محكمة عسكرية ؟ .

قال « يودل » :

ـــ « هذا صحيح .. عندما أفكر أن الأمور قد وصلت إلى هذه الدرجة أرى أنه شيء لا نستحقه بالتأكيد » .

وقلت :

ـــ حسن . ولكن لديك الفرصة على الأقل لتخبر العالم عن هذه الأخطاء ، ومن الذي تسبب فيها .

ووافقني وقال إنه هو العزاء الوحيد في هذه المأساة .

وكان قد أخبرني من قبل أنه لم يتمن فرصة في حياته بفارغ الصبر مثل هذه حتى يخبر العالم أجمع الحقيقة حول القيادة الألمانية .

وأبدى « دونيتز » ملحوظة :

ـــ « إنه رجل شريف » .

وقال « فون بابن » :

ـــ « نعم هو رجل شريف ولكن ليس بتفكيره الخاص ، وعلى أي حال هو رجل شريف » .

وقال « شاخت » ساخرًا :

ـــ « بالتأكيد هو شريف ولكنه ليس برجل على الإطلاق » .

وكان « جورنج » غارقًا في تفكيره وشعوره بأنه أهم رجل يجلس على المنضدة ، وقال :

ـــ « لقد أخبرت المحكمة أنه لم يكن يتقلد وظيفة قيادية ، ولكن لا بد أن يقول هذا بنفسه ، ذلك الشرير المسكين لم يكن لديه ما يقوله بالفعل ! وقد فهمت هذا عندما قال :

لماذا « هتلر » ليس موجودًا ليجيب عن كل هذه الأشياء ؟ .

كثير من الناس قد وضعوا في هذه القاعة دون داع ، وحتى « فريتشه » لم أسمع به من قبل . و « فونك » المسكين لماذا يحشرونه في هذه المحكمة ؟ لقد كان ينفذ أوامري فقط . حتى « كالتنبرونر » لم يكن ينبغي وجوده لو كان « هملر » هنا » .

وقلت له :

ــ ولكنك ينبغي أن تكون في هذه المحاكمة .

وقال « جورنج » :

ــ بالطبع ، أظن أنني كنت أعتبرها إهانة لو تجاهلوني في هذا المكان .

٤ أبريـــل

جلســة الصباح :

واصل « كايتل » شهادته بتأكيد عدم موافقته وتشجيعه الهجوم على بولندا بسبب عدم كفاية الاستعدادات ، مع دهشته الشديدة لإخفاق وساطة الغرب ، ومع مخاوفه البالغة من الهجوم على فرنسا .

وسُمع « جورنج » أثناء الاستراحة يتحدث إلى الآخرين كيف أنهم كان يمكنهم اجتياح فرنسا في أربعة عشر يومًا ، لو كانت خطته و« هتلر » للهجوم

جاهزة بعد هزيمة بولندا .

وسأله الدكتور « هورن » : ولماذا لم يستمروا في التقدم ؟ .

وأجاب « جورنج » : إن الطقس كان يقيد سلاح الجو من الحركة التي تحقق الأهداف .

وأضاف « ريدر » لو أن هجوم الشتاء قد حقق نجاحًا لكنا استطعنا أن ننتهي من إنجلترا في ربيع عام ١٩٤٠ م .

وقال « جورنج » : كل ما كانت تحتاجه هذه العملية خمس فرق محمولة جوًا ، وكانت كافية لكسر عنق إنجلترا وإخضاعها ، لو كنا قد انتهينا تمامًا من فرنسا أثناء الربيع . وأثناء الشتاء أخبرني « هتلر » أن الخيارات التي أمامهم ، إما أن نضرب إنجلترا بالقضاء على روحها المعنوية ، أو الانتظار حتى يقدم الإنجليز إلى فرنسا .

ســاعة الغداء :

وأثناء عودة « كايتل » إلى القفص قبل الغداء قال له « جورنج » :

ــ « ينبغي أن أؤكد لك سعادتي لإظهارك حالة الضعف التي كنا عليها أثناء الهجوم على فرنسا . لماذا لم تخبرني أنك تنوي قول هذا ؟ ينبغي عليَّ أن أعبر لك عن سروري العميق » .

وقال « كايتل » :

ــ « أنا أعرف .. نعم أعرف .. كل ما فعلته أنني قد ذكرت الحقائق ببساطة » .

وربت « جورنج » على كتفه بقوة مهنئًا بمظهره أمام المحكمة ، ولم ينتبه « كايتل » إلى سخرية « جورنج » الخفية .

وفي غرفة طعام الكهول كان « شاخت » هو أكثر المتحدثين حول دفاع « كايتل » ، بأنه لم يكن سوى منفذ لأوامر « هتلر » ، وأنه يحاول أن يبدو كضابط شريف يحترم النظام العسكري ، ويتصرف باستقامة :

ــ « كان صوته واضحًا مستقيمًا يوحي بكل الصفات الطيبة ، ولكن هل هذا يغير شيئًا أو يرفع من جرمه قيد أنملة ؟ ، حتى لو كان ينفذ أوامر « هتلر » ولا شيء آخر ، وليس هناك قانون في هذا الكون يجبرني على طاعة قاتل واتباعه ، أو تنفيذ أية أوامر إجرامية ، فالإنسان مسئول عن أفعاله في المقام الأول سواء كانت صادرة منه أو تنفيذًا لأوامر نزلت إليه من أعلى » .

وأعاد علينا قصة كان قد سمعها في معسكر الاعتقال ، وصاحبها كان نقيبًا في الجيش الألماني ، وكان عليه أن يقوم بترحيل مجموعة من الأسرى إلى منطقة اسمها (كوربس) وأخبره ضابطه الأعلى أن الأوامر تقضي بألا يكون هناكَ أسرى ، وعليه أن يقوم في الطريق بتصفيتهم .

ورفض هذا الضابط قتلهم وقال إنه سيقوم بنقلهم وفقًا للإجراءات العادية .

وهنا جاء جنرال الموقع وطلب من هذا الضابط قتل الأسرى ، وكرَّر الضابط رفضه على الجنرال الذي قال له :

ــ هل تتخيل نتيجة عدم طاعتك لأوامر قائد الموقع ، وهل تقدر العواقب ؟ .

وأجابه النقيب :

ــ أعرف أنها حماقة مني وقد أدفع ثمنها غاليًا ، ولكني لن أقتل الأسرى تحت أية ظروف وأتحمل كل النتائج المترتبة على ذلك .

ثم التفت إلى الملازم الذي يليه في الرتبة وقال له :

ــ أنا آمرك بالقيام بنقل الأسرى بسلام ، وأحملك مسئولية الحفاظ على حياتهم ، وأعطيك الصلاحية الكاملة في استخدام أسلحتك ضد من يحول بينك وبين

تنفيذ هذا الأمر .

وتم نقل الأسرى بسلام ، ولم يسمع بعد ذلك عن هذا الحادث .

وقال « شاخت » :

ــ « هذه هي النقطة ! ليس هناك قانون في العالم يبيح لأحد مهما كانت مكانته أن يجبر إنسانًا على ارتكاب جريمة القتل . ولكن مع الأسف لم يكن معظم العسكريين لديهم القدرة على رفض تنفيذ مثل هذه الجرائم ، ومن ثمّ فلا أستطيع أن أعفي « كايتل » من المسئولية ، نعم لم يكن أحد مضطرًا لطاعة مجنون مثل « هتلر » .

٥ أبريـــل

مســألة شــرف

زنزانة « كايتل » :

قابلت « كايتل » في زنزانته قبل الذهاب إلى المحكمة في الصباح ، وقال إنه كان ينوي تناول موضوع معاملة الأسرى وقصة اغتيال جيرود[٢٢]حتى ولو كان ذلك قد أصبح شيئًا لا يمكن مقارنته بما حدث بعد ذلك للموضوع البالغ التعقيد وما جرى التعارف عليه باسم الحرب العدوانية والقتل بالجملة .

ولكنها مسألة شرف ! .

هكذا قال ! .

وكان عليه أن يتقدم ببعض الشروح ، فقال إن « كاناريس »[٢٣]قد غابت عنه بعض الأشياء ، وكذلك الأمر بالنسبة للجنرال « لهاوزن » في شهادته . على أي حال فإن « كاناريس » يظن أن « لهاوزن » شخص مشكوك في نزاهته . وهو الآن يعترف

أنه ــ كاناريس ــ قد سرَّب أخبارًا إلى الهولنديين فخطفوا الرسول الألماني الذي قدم لينبه السفير الألماني إلى أن غزو هولندا وشيك . وانتظر البوليس الهولندي ذلك الرسول الألماني عند الحدود وحرموا ملكة هولندا من أن تسمع إعلان الحرب بشكل رسمي من السفير الألماني . والنقطة الأخرى من شرف الضابط الألماني أنه يظن أنه قد قام بتوضيح مسألة ولائه لرجل مثل « هتلر » :

ــ « لقد أخبرت المحكمة أنني كنت على ولاء لهتلر ورغم هذا لم يكن يثق بي ولم يخبرني الحقيقة أبدًا » .

جلســة الصباح :

قام « كايتل » بتوضيح يفيد أن معسكرات الأسرى كانت تحت إشرافه وإدارته بشكل عام بحكم صلاحياته ، وأنه قد تشاجر بشكل جدي مع « هتلر » عندما أذن بتسليم الطيارين البريطانيين الذين حاولوا الهرب إلى « هملر » ، وكان هذا معناه قتلهم بالتأكيد ، وهو الأمر الذي حدث بالفعل . ثم قدم بعض الإيضاحات حول موضوع « ويجاند » و « جيرود » .

وكان قد ذكر باختصار أنه لم يكن يملك شيئًا حيال حملات « روزنبرج » للسلب والنهب ، والتي لم يستفد هو شخصيًا منها بمليم واحد ــ وكانت طعنة نافذة لجورنج .

وكان العسكريون يميلون باهتمام إلى الأمام وهم يستمعون إلى « كايتل » حول هذه النقاط ، وكانت هي أهم نقطة في دفاعه على الإطلاق .

وشرح « كايتل » أنه قد نقل فقط الأوامر الخاصة بمراقبة « ويجاند » ، وكذلك إعادة القبض على « جيرود » الذي عاد مختارًا .

وتجاهل عن عمد حقيقة أن « كاناريس » قد أخبره أن الاغتيال ليس خطهم

وأن عليه أن يترك هذا العمل لهايدريش .

ســاعة الغداء :

أرضت هذه الإيضاحات حلقة العسكريين الذين رحبوا ترحيبًا حقيقيًا بكايتل عند عودته إلى القفص ، وفتحوا له أذرعتهم في سعادة وإعجاب .

فقد أنقذ « كايتل » شرف القوات المسلحة الألمانية في زعمهم .

واختفى في ضجة الترحيب قتل الطيارين الإنجليز ، وما كانوا يسمونه بالمعاملة الخاصة للأسرى الروس ، ولم ينتهك « كايتل » القانون بمحاولته اغتيال زميل له في نفس الرتبة .

وربت « دونيتز » على ظهره وقال :

ــ « عمل عظيم » .

وقال « كايتل » : إنه سعيد لأنه تمكن أخيرًا من توضيح حكاية جيرود .

وأكد له « دونيتز » أنه قد قام بتوضيح هذه النقطة جيدًا .

وتجاهل « جورنج » حديث « كايتل » عن حملات السلب والنهب وأقبل عليه مهنئًا .

وفي غرفة الطعام بأعلى ، قال « دونيتز » :

ــ « أنت ترى بنفسك كيف يمكن أن يوضع إنسان تحت هذه الظروف الصعبة ، محاكمة مشتبه في أمرها ، غير عادلة مثل هذه التي تشهدها . ورجل مثل « لهاوزن » ليس غير حشرة حقيرة ، وكل الذين يعملون في التجسس على شاكلة هذا المخلوق .

وكان على « كايتل » أن ينتظر أربعة أشهر حتى يستطيع أن ينقي ما علق باسمه وسمعته ، وهو الأمر الذي أشعل صدري بالغضب من هذه المحاكمة » .

وعلَّق « جورنج » على طريقة « كايتل » في الدفاع عن نفسه فقال :

ــ استخدم « كايتل » أسلوبًا مختلفًا ، فقد كان يجيب على كل تهمة بسرعة يكاد أن يسبق المدعي العام في أسئلته . لقد وضعت له الخط العام للدفاع عن نفسه ، ليس أكثر ، ثم تركت له تفاصيل الدفاع . وكنت أتابع باهتمام وجهة نظره حيال تدهور وانهيار « النازية » . وقد أعاد ذكر أفضلية الاستسلام للأمريكان بدلاً من الروس أو الإنجليز .

وكانوا جميعًا على مسافات متساوية من قلعته في « برختسجادن » ، بعد أن أنقذته كتيبة من جند المظلات .

وأضاف أنه كان يشعر بمرارة شديدة تجاه « هتلر » في ذلك الوقت . وكان على أتم استعداد للتعاون مع الأمريكان .

وقال :

ــ « كنت تستطيع الحصول على ألمانيا آنذاك بثمن بخس . أغلب القادة على استعداد تام للتعاون بسعادة وارتياح ، حتى محاكمات جرائم الحرب كان يمكن التعاون في معالجتها بطريقة مختلفة ، ولكن أن تحتفظ بي كسجين وتقدمني إلى المحكمة كمجرم حرب !! حسن .. » .

وسكت ولم يكمل كلامه ..

وبوضوح وصراحة كان يفترض أن يعامل سيد الحرب المنهزم بطريقة نبيلة . وأن يقدم إلى المحاكمة كبطل وليس كصرصار .

كان يسعده أن يتعاون في تصفية الحسابات مع أولئك القتلة الذين أبادوا النساء والأطفال ، ولكن تحت ظل هذه الظروف ليس أمامه غير أن يؤكد ولاءه للفوهرر .

٦ أبريـــل

كايتل في الاســتجواب

جلســة الصباح :

وقف السير « دافيد ماكسويل فايف » ليستجوب « كايتل » .

وقدم للمحكمة خطابًا كان قد كتبه « كايتل » للكولونيل « إيمن » قبل المحاكمة . وقال فيه إنه لم يكن غير جندي ينفذ الأوامر ، وإن « هتلر » هو المسئول عن التعذيب وعن كل التجاوزات غير القانونية . وإنه لم يكن عنده ما يفعله مع الحزب .

وبينما كان السير « دافيد » يقرأ الخطاب للمحكمة كان « جورنج » يلتفت ناحية « دونيتز » وصار يتكلم في ازدراء شديد :

ــ الحشرة الحقيرة !! .

وسكت لحظة ثم قال :

ــ الخروف الأبيض الصغير الحقير ! . ليس عنده ما يفعله مع الحزب ! لماذا ؟ لو لم يكن متعاطفًا مع الاشتراكية الوطنية لما بقي في منصبه لحظة واحدة ..

وجرى الاستجواب بطريقة مستفزة وساخنة حول القتل والسلب والتخريب ، والانتقام من عائلات متطوعي الحلفاء ، وإعدام الأسرى الذين حاولوا الهرب ، وسائر انتهاكات القانون الدولي .

ولم يستطع « كايتل » أن يقول غير أن هذه الأشياء كانت موجودة وأنه كان يصدر أوامره لمنع هذه التجاوزات عندما كان يتخوف من حدوثها .

٦ ـــ ٧ أبريـــل

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « كايتل » :

زرت « كايتل » في زنزانته أنا والميجور « جولدنسون » وذلك بعد جلسة الصباح . وكان « كايتل » يسترجع الاستجواب الذي تم ، وهو ينطق بالأسئلة التي ألقيت عليه ، ويستعيد الإجابة عليها في شرود . وفي النهاية أبدى ملاحظة .

ـــ أنا أخبرتهم فقط كيف كانت تسير الأمور .

وهزّ قبضته وهو يلتفت في عظمة ، ويبدو كرد فعل لتذكر « جورنج » وكيف نبَّه لفشله الذريع في تجنب مسئولية ما حدث ، أو التقليل من شأن الجرائم والتملص منها وكان يقول :

ـــ « وكما قلت في البداية سواء كان هذا جريمة أو هو عمل القدر ، فهو شيء لا يمكن للمرء أن يقول فيه بشيء قاطع ، ولكن على أي الأحوال لا يمكننا أن ندع المرءوسين يتحملون مسئولية رؤسائهم ويلامون على ما فعل الرؤساء » .

زنزانة « دونيتز » :

كان « دونيتز » غاضبًا من استجواب « كايتل » ، واعتبر أن شرف « الفيرماخت » ـــ القوات المسلحة الألمانية ـــ قد أهين في النهاية وقال :

ـــ « لقد أجبت عن هذه الأسئلة كلها بشكل مختلف ، لقد كان ضعيفًا للغاية ، وعلى الرغم من مضيه قدمًا في توقيع تلك الأوامر ، كان عليه أن يقول على الأقل

إن الروس قد فعلوا الكثير وكانوا أسوأ مما يظن . لقد أشرت إلى هذا . ولكن « هتلر » هو الذي هاجم روسيا وبدأ الحرب في لحظة ما ، وعلى هذا فمن الصعب على المرء أن يلوم الروس في ضربهم لألمانيا ، واتخاذهم لإجراءات عنيفة من أجل طرد أعدائهم من فوق أراضيهم التي احتلت » .

ثم عاد « دونيتز » مرة أخرى إلى ذلك الدليل الضعيف الذي يسوقه دائمًا :

ــ « حسن .. أنا أفترض أن « هتلر » كان يشعر أن الروس سوف يهاجمونه إن آجلاً أو عاجلاً على أي وضع » .

زنزانة « ريبنتروب » :

لم يلق « ريبنتروب » اعتبارًا لشهادة « كايتل » أمام المحكمة ، ولكنه لا يزال مهتمًا بالانطباع الذي تركه في نفس القضاة .

وكان أيضًا يظن أنه ليس من العدل أن يلام لاستخدامه لغة الدبلوماسية .

وقال :

ــ « هل لعبت « البوكر » من قبل ؟ أنت تعرف اللعبة بالتأكيد .. لا يمكنك أن تربح كيسًا به مائة دولار مقابل مليمين .. بل عليك أن تقامر بكل الطرق . وإن كنت قد عرفت أن « هتلر » ينوي شن الحرب ، وأن واجبي يحتم عليَّ محاولة الحل بالطرق الدبلوماسية ، فمن ثم لا يمكنني أن أخبر « شيانو »[٢٤] أن هتلر يتصرف كمهرج وإلا فإن التقارير سوف تذهب إلى كل العواصم الأوروبية . ولن يوافق أحد على التفاوض في أي شأن ، وعلى هذا فالحرب قائمة لا محالة ..

وكما قلت كان من الأحسن أن أخبر « هاشا » أن هتلر يريد أن يعقد صفقة ولا يفكر في الحرب » .

ولا تزال أصوات الضاحكين في قاعة المحكمة عند هذه النقطة من شهادته تطن في أذنه وتؤذيه .

وقلت له :

ــ أنت تقصد أنه من الأفضل أن نهدد بالحرب بدلاً من أن نشعلها ؟ .

ووافقني على ذلك تمامًا .

وأردفت قائلاً :

ــ لكنهم عندما يستجيبون لخدعتك فكأنك قد حققت الحرب على نحو ما .. أليس كذلك ؟ .

وحملق تجاهي ولم يرد بينما واصلت :

ــ والتهديد بالحرب إن لم تستجب بعض المطالب أليست هذه أعمال قطاع الطرق على أي حال ؟ ألست معي في هذا ؟ .

وغمغم بكلمات ليست واضحة أو مفهومة مؤداها أن هناك أشياء حول الطرق الدبلوماسية من الصعب وربما من المستحيل فهمها على مثلي . ولكن الدبلوماسيين يفهمون هذه الأشياء ببساطة .

زنزانة « يودل » :

أعاد عليَّ « يودل » أنه لا يزال غاضبًا ومشمئزًا من قتل الطيارين البريطانيين .

وقال :

ــ « انحراف .. قتل عمد .. جريمة بشعة غير مبررة كلية .. أنا أعرف أن أي شيء كان يحدث لا يمكن أن نقره أبدًا ويصعب تبريره .. ومنذ هذا الحادث عرفت أي نوع من الناس كان « هتلر » .

وعلقت على هذا قائلاً :

ـــ في رأيي أن قتل خمسين من الأسرى الذين حاولوا الهرب ومؤامرة اغتيال جيرود شيء يلوث سمعة العسكريين ويدينهم ، وهذا في ظني أسوأ من برامج القتل الجماعية لكل المخالفين للفكر النازي والذين يصل عددهم إلى عدة ملايين .

ـــ « نعم بالطبع هذا له صلة بشرفنا العسكري بشكل حيوي جدًا . ولكن لم يكن أمامنا ما نفعله حيال هذا على الإطلاق » .

وذهب « يودل » يبين كيف عبث « هتلر » بقانون الشرف الداخلي الذي يلتزم به الضباط الألمان ، والذي تكون بينهم عبر القرون ، وكيف أن « هتلر » قد صعَّد معه إلى السلطة طبقة جديدة من التقدميين أصحاب الأمزجة الشاذة ، والذين لم يستطيعوا التكيف مع العالم الموجود ، عالم « فون هندنبرج » و « فون نيوراث » والآخرين .

حتى « جورنج » كان يعي هذا القانون الذي ينتمي إليه الضباط القدامى ، وبصراحة كانت له طريقته الخاصة مع الفوهرر في كثير من الأمور .

وقلت له :

ـــ فكيف تفسر إذن موقف « جورنج » الذي لا يزال على ولائه للفوهرر ؟ .

وابتسم « يودل » وقال :

ـــ « حسن .. في حالة « جورنج » المسألة بالغة العمق والتعقيد فهو أحد القادة الذين جاءوا بالحزب إلى موضع السلطة ، وكان يصرح بولائه للفوهرر في مدة مضت تتجاوز عشرين عامًا .. ومن خلال هذا يمكن أن نتفهم حالته .

ولكن كانت هناك بقية من الضباط القدامي وقفوا موقف المعارضة من النازية منذ اللحظة الأولى . لقد كنا ضمن فريق كرة القدم ليس أكثر لأنه اختير مستشارًا للرايخ بشكل شرعي . ولكن المثير للسخرية والطرافة أن « جورنج » في السنتين

أو الثلاث الأخيرة كان يختفي ببساطة كل فترة من الوقت ، حيث يذهب إلى الصيد ، أو حيث يعيش حياته الناعمة في قلاعه المختلفة ، أو يعكف على جمع كنوزه الفنية من هنا وهناك . ولم يكن من الممكن الاعتماد عليه في أي شيء .

زنزانة « سبير » :

كان من رأي « سبير » أن « كايتل » كان أكثر أمانة من « جورنج » . فهو لم يقل إنه من المفترض أنه مسئول عن كل الأوامر التي ألقاها أو وقعها ، ولكنه أضاف أن كل الجرائم التي ارتكبت وعرفها عليه أن يحاسب عليها ، في الوقت الذي كان « جورنج » يعلن فيه ولاءه للفوهرر دون مواربة أو مداراة . وهو يعلم جيدًا أن المحكمة لن تأمر بشنقه لهذا السبب . ولكنه يدافع عن نفسه بكل الوسائل عن الاتهامات الإجرامية الموجهة ضده . وحاول الاستعانة بمعان مختلفة ومقولات متعددة للتقليل من شأن الادعاءات التي رمي بها ، معتمدًا على براعته البلاغية في استخدام الألفاظ وتوظيف الأدلة .

ومما قاله بالنسبة للاتهام أنه كان من الأفضل أن نقتل مائتين آخرين من اليهود بدلاً من تحطيم وتدمير العقارات والممتلكات عام ١٩٣٨ .

وبالنسبة لقتل الطيارين البريطانيين الخمسين نحى « جورنج » هذا الموضوع جانبًا ، بقدرته الفائقة على الكلام ، حيث صار يؤكد على غيابه أثناء هذه الحادثة في إسهاب بليغ ، وكيف أنه استهجنها في ثورة عارمة عندما علم بها .

أما التخطيط للحرب العدوانية فقد حاول « جورنج » أن يبين أنه قد بذل جهدًا حتى يمنعها في المفاوضات مع الحلفاء عبر « داهليروس » بالرغم من أن الادعاء قد وصف هذا التصرف بعدم الإخلاص وبأنه لم يكن نزيهًا .

وكان يعتز ببعض الأشياء الحقيرة مثل رفضه أن يكتب أسماء ضباط « سلاح

الطيران » الذين عاقبوا ضباط الحلفاء وقضوا عليهم بغير محاكمة أو قانون .

وكانت تنتاب « سبير » بعض الهواجس حول ظهور « جورنج » أمام المحكمة بمظهر الشديد الولاء لوطنه . ولكنه يشعر أن هذه المحاكمة في أي الأحوال قد نجحت في إعطاء الدليل على أن القادة النازيين كانوا مذنبين .

٨ أبريل

الأوامر الإجرامية

جلسة الصباح :

استمر السير « دافيد ماكسويل فايف » في استجواب « كايتل » ، وكان يدينه من خلال الاستجواب في عملية إعدام الطيارين البريطانيين الخمسين . وكذلك في التخطيط للعدوان على تشيكوسلوفاكيا وبولندا .

ساعة الغداء :

عندما عاد « كايتل » إلى القفص صار « جورنج » يلومه في صوت مرتفع لإجابته الصريحة عن تلك الأسئلة الخطيرة وقال له :

ــ « لم يكن مطلوبًا منك أن تجيب بهذه الطريقة المباشرة اللعينة ! .

كان عليك أن تقول إنك جندي تفهم معنى الجندية ، وكنت أطيع الأوامر في ولاء وإخلاص ! .

لم يكن مفروضًا عليك أن تجيب فتتحدث عن هذه المسائل الإجرامية .

السؤال في حد ذاته ــ أي سؤال ــ لا يعني شيئًا والذي يحدد أهميته أو خطورته هو طريقة الإجابة عليه .

كنت تستطيع الاحتيال بالنسبة لهذه الأسئلة الخطيرة وتدور حولها وتنتظر حتى تجد بين يديك سؤالاً جيدًا وهنا تقتحم وتتكلم » .

وغمغم « كايتل » رافعًا صوته هو الآخر :

ــ « ولكني لا أستطيع أن أخرج البياض من السواد » .

وأصر « جورنج » قائلاً :

ــ « ولكنك دائمًا تستطيع الدوران حول الأسئلة حتى تحصل منهم على السؤال الذي يناسبك ، وفي العادة تجد هذا السؤال يأتي إليك عاجلاً أوآجلاً » .

ولم يرد عليه « كايتل » ولزم الصمت .

٩ أبريـــل

الكولونيل هويس قائد معتقل أوشفيتز

زنزانة « هويس » :

فحصت « رودلف هويس » وعمره ستة وأربعون عامًا ويعمل قائدًا لمعسكر اعتقال أوشفيتز والذي كان قد قبض عليه حديثًا في انتظار دفاع « كالتنبرونر » وبعد أن انتهينا من إجراء الاختبار النفسي ناقشت معه باختصار نشاطه في قيادة معسكر اعتقال أوشفيتز في الفترة من مايو ١٩٤٠ إلى ديسمبر ١٩٤٣ ، وكان هذا المعتقل بمثابة معتقل الإبادة المركزي لليهود والمناوئين للنازية .

وأكد دون تلعثم أن حوالي مليونين ونصف من البشر قد تمت إبادتهم تحت

إشرافه . وقد بدأت الإبادة في صيف عام ١٩٤١ م .

وسألت « هويس » :

ــ كيف يمكن من الناحية الفنية إبادة مليونين ونصف من البشر ؟ .

وقال متسائلاً :

ــ « من الناحية الفنية ؟ » .

ولكنه واصل الإجابة :

ــ « لم يكن بالأمر الصعب أن نقوم على إبادة أكثر من هذا العدد » .

وقلت له :

ــ كم من الناس يمكن إبادتهم في الساعة مثلاً ؟ .

وأجاب :

ــ « يجب أن نتخيل أن اليوم به أربع وعشرون ساعة ، ويمكن إبادة عشرة آلاف شخص في اليوم الواحد » .

وشرح كيف أنه كان هناك ست غرف ضخمة للإبادة ، وأكبر غرفتين يمكن استيعاب ألفين في كل واحدة منها ، والأربع الأخرى طاقة كل واحدة حتى ألف وخمسمائة شخص ، وهكذا تكون كفاءة الغرف عشرة آلاف في اليوم .

وحاولت أن أفهم منه كيف حدث هذا .

وقد صحح لي الأمر :

ــ « القتل يأخذ أقل وقت ممكن ، فيمكنك التخلص من ألفي شخص في أقل من نصف ساعة ، ولكن الحرق والإبادة يستغرقان الوقت الأكبر . القتل سهل جدًا ، فأنت لست في حاجة إلى الحرس ليقودوا الناس إلى غرف الإعدام ، فهم يسرعون

إليها على أمل أن يجدوا فيها الماء للاستحمام ، ونحن نفتح لهم صنابير الغاز السام بدلاً من الماء ، وينتهي كل شيء في لحظات » .

كان يقول هذه الحقائق في بلادة وهدوء دون أي إحساس أو شعور .

وكنت مهتمًا بمعرفة كيف أتته الأوامر بهذا ، وكيف كان رد فعله حيالها آنذاك .

وقد بين هذا كالتالي :

ــ « في صيف عام ١٩٤١ استدعاني « هملر » وأخبرني أن الفوهرر قد أعطى أوامره بتنفيذ الحل النهائي للمسألة اليهودية ، وأنه علينا واجب تنفيذ هذه المهمة ولأسباب النقل والعزل عُهد إليَّ بمعتقل أوشفيتز ، وكان الواجب شاقًا للتنفيذ بسرعة ومهارة في نفس الوقت ، وكان لا بد لنا من عمل هذا آنذاك ولو لم نفعله لجاء الوقت الذي يُبيد فيه اليهود الشعب الألماني . ولهذا السبب كان علينا أن نتجاهل كل اعتبار إنساني ، وأن نضع أمام أعيننا المهمة الموكولة إلينا فقط » .

وسألته :

ــ ألم تبد أي اعتراض أو يكن لك رأي حول هذه الأوامر ؟ ألم تقل شيئًا ؟ .

وقال :

ــ « لم يكن لدي ما أقوله غير .. تمام يا افندم » .

وأضاف :

ــ « في الحقيقة لم يكن من المتوقع أن يستدعيني « هملر » ليشرح لي هذه المهمة ، بل كان يكفي أن يرسل إليَّ بالأوامر فقط وكنت سأنفذها ببساطة ، وهذا هو شأننا دائمًا أن ننفذ الأوامر دون الأخذ بأي اعتبار ، وكان « هملر » يطلب منا أشياء صعبة معظم الوقت ، والتي لا يمكن أن يتم تنفيذها وفقًا للظروف العادية .

ولكننا نقوم بالتنفيذ بطاقتنا الداخلية ونفعل الأشياء التي تبدو للوهلة الأولى مستحيلة ، وعلى سبيل المثال ذلك الخزان الذي أقيم بأوشفيتز على نهر فيشيل كان يستلزم ثلاث سنوات من العمل ، ولكنه أعطانا عامًا واحدًا للانتهاء منه ، وقد فعلنا .

وسألته عما إذا كان قد فكر عندما بدأ بعمليات الإبادة أنه سوف يشنق جزاء وفاقًا لما فعل . ولكنه أجاب :

ــ « كلا مطلقًا » .

وسألته :

ــ متى جاءك الخاطر أنه يمكن أن يقبض عليك وتحاكم وتشنق ؟ .

وأجاب هادئًا :

ــ « عندما حدث الانهيار .. بعد موت الفوهرر » .

ســاعة الغداء :

قال « جورنج » : كيف يمكن فنيًا إبادة مليونين ونصف من البشر ؟ .

وشرحت له ذلك أثناء ساعة الغداء كما أخبرني « هويس » بذلك في الصباح . وقلت له إن غرف الغاز تستوعب إعدام من ألف وخمسمائة إلى ألفين وأن القتل سهل ، ولكن المشكلة في الإبادة والحرق حيث يأخذ هذا معظم الوقت وجهد الرجال في التنفيذ .

وشعر « جورنج » بعدم ارتياح لا حد له ، فلم يعد في الإمكان إنكار عمليات الإبادة إلى أبعد من هذا من خلال تلك الطرق الفنية التي لا يمكن تخيلها . وكان يريد أن يعرف كيف كانت تنزل الأوامر بهذا . وقد أخبرته أن « هملر » قد أعطى قائد المعتقل الأوامر وأخبره أنها مباشرة من الفوهرر وأنها رغبته الشخصية .

وعلقت على هذا قائلاً :

ــ هو مجرد ألماني آخر يدين بالولاء للفوهرر . ولكن أحدًا لم يطلب منه التخلي عن ولائه ، كان يمكن أن يظل عليه ويتمسك به ويقوم بعمل آخر غير هذا العمل الفظيع الشنيع ، ولن يعدم القيام بعمل آخر .

وغمغم « جورنج » :

ــ « بطبيعة الحال سوف يقوم شخص ما بهذه الأعمال بدلاً منه » .

وسألت « جورنج » :

ــ ما هو رأيك في قتل ذلك الذي أعطى تلك الأوامر البشعة للقتل الجماعي ؟ .

وأجاب « جورنج » :

ــ « يمكن أن يقال لك ببساطة إنه لا يمكنك أداء هذا النوع من الأعمال . ماذا يمكن أن يكون عليه هذا النظام إن أخذ أحد الحق في قتل من يقدم له أوامر لا تعجبه أو يرضى عنها ؟ عليك أن تلتزم بقانون السمع والطاعة في النظام العسكري » .

وقلت له :

ــ إن لم أكن مخطئًا فإن ملايين الألمان يشعرون بالغثيان من هذه الطاعة ومن ذلك الولاء الأعمى لقادتهم . وأظنهم كانوا يفضلون درجة أقل من هذا الولاء بدلاً من ذلك العار الدائم الذي لحق بهم بسبب ما أسموه بالولاء للفوهرر ، وهو شيء لا معنى له في نظري فالولاء للمبادئ والقيم وليس للأشخاص .

لقد كان مما قدم في المحاكمة من ادعاءات حيال من مثل أمامها :

الطاعة العمياء التي ليس فيها شعور أو ضمير .

أرجو أن تقرأها وأن تنظر رأي الناس في هذه الطاعة العمياء ، وانظر حالة

« رينتروب » وكذلك حالة « كايتل » .

وقال وهو يعض إصبعه غيظًا :

ــ « الذي يقوم المركز الصحفي الأمريكي بطبعه ضدنا لا يعني اللعنة لنا » .

ولم يبد عليه الاهتمام أو العناية من فكرة أن الشعب الألماني صار يقرأ الآن ولأول مرة الحقائق المرة حول طبيعة النظام الذي صنعوه . وأن الغشاوة ترتفع عن أعينهم مع كل صباح عندما يمسكون بالصحف .

١٠ أبريـــل

الأســـرى الروس

جلســة الصباح :

استجوب الجنرال « ويستهوف » حول معاملة أسرى الحلفاء .

وقد انتهت الجلسة ببعض الأسئلة حول مدى حجية المستندات المقدمة .

وما إن أجلت المحكمة وقام القضاة حتى انتفض « يودل » واقفًا وهو يصرخ في محاميه وقد احمر وجهه من الغضب :

ــ لعنة الله عليهم . لماذا لم تطلب منهم أن يسألوا شخصًا يعرف الحقائق ؟ لماذا كل هذه الأسئلة الساذجة التي لا يسألها المحترفون ؟ نعم . قد مات آلاف من الأسرى الروس متجمدين من البرد الشديد أثناء نقلهم . وكذلك كان الحال بالنسبة لجنودنا . لقد كانت القطارات محملة بجنودنا وهم أموات . وقد انتشرت جثث الجنود الألمان في الحقول وقد ماتوا من البرد والجوع . إنها الحرب . لماذا لم يوجهوا إليَّ أسئلة حول هذا ؟ كان يمكنني أن أخبرهم .

ساعة الغداء :

وأثناء الغداء واصل شرح الأسباب التي جعلته ثائرًا ومنفعلاً :

ـــ إنه شيء يصيبني بالجنون كجندي أن أرى هؤلاء المحامين الملعونين وهم يهتمون ويدورون حول المستند ومدى اكتماله من ناحية الشكل ، بينما الجنود الذين أدوا واجبهم في الجبهة الشرقية يتذكرون الرعب الهائل ، وكيف أن شتاء عام ١٩٤١ م قد تحول إلى ضباب كثيف من أحلام الليل المفزعة .

نعم قد مات الجنود من الجوع والبرد ، وهذا ما فعله الروس بالنسبة لقوات مقاومتهم الباقية فقد سحقوهم بهذه الرحى ، وجعلوهم يلتقطون فتات الحياة من أعشاب الأرض القليلة وما استساغوه من لحم زملائهم الموتى . وأستطيع أن أريك صورًا لهذا اللحم البشري الممضوغ . لقد كانوا يموتون كالذباب ! لماذا فعلوا معهم ذلك ؟ لقد كانوا موتى بالفعل عندما أسرناهم .

وأين كان جنودنا آنذاك ؟ لقد كانوا يقاتلون في طقس درجة حرارته ٤٥ م تحت الصفر ، في الوقت الذي توقفت محركات الآليات رغم المواد الموضوعة لمنع التجمد . وقد وصلت قطارات الإسعاف محملة بالموتى من الجانبين الروس والألمان على حد سواء . لقد كان شيئًا مرعبًا بالغ الخوف ، وكانت أشباحًا مفزعة لا يمكن أن تنسى ، قتال في أرض محفوفة مليئة بالجليد . أما أراضي روسيا الشاسعة فهي تقع خلف الخيال ، ولا يمكن تصورها .

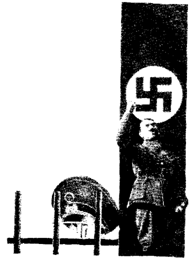
الآن يأتي هؤلاء المحامون الملاعين ويسألون عن توقيع لا معنى له على وثيقة لا قيمة لها بجانب هذا الكم الهائل من القتلى والموتى .

كان هذا كافيًا ليجعلني أنفجر . كأنهم لم يقرءوا عن انسحاب نابليون من موسكو ؟ .

لقد كان حالنا أسوأ بالتأكيد مما حدث لنابليون .

١٠

دفاع كالتنبرونر



١١ أبريـــل

كالتنبرونر يقف أمام المحكمة

زنزانة « كالتنبرونر » :

زرت زنزانة « كالتنبرونر » قبل أن نذهب لحضور بداية الدفاع عنه . وكان يبدو في حالة حسنة لولا قليل من التلعثم قد بدا في حديثه . وكما توقعت فقد تناول الكلام عن دفاعه عبر خطوط طويلة من الكلام الخادع المليء بالبلاغة اللفظية حول شكل المسئولية عن معسكرات الاعتقال .

ـــ إن الميثاق التنظيمي لمنظمة RSHA(*) يهدم أي اتهام يوجه إليَّ في دقائق معدودة .

ـــ ولكن ما رأيك في عمليات القتل بالجملة ؟ .

ـــ هذه هي النقطة . إني أستطيع أن أثبت وأبرهن أنه لم يكن لي أية صلة به . سواء عن طريق إصدار الأوامر أو القيام بعمليات الإعدام . أنت لا تدري كم كانت هذه الأمور بالغة السرية ولا يعرفها أحد حتى أنا .

(*) هي إدارة الأمن المركزي التي كان يرأسها كالتنبرونر . (المترجم) .

ـــ بصراحة أنا لا أستطيع تصديق ذلك . ولا أتصور أن هناك أحدًا يعتقد أنك وأنت الرئيس الفعلي لمنظمة RSHA ليس لك تدخل أو صلاحية فيما يدور بمعسكرات الاعتقال . وأنك لا تعرف شيئًا عن عمليات القتل الجماعية الهائلة .

ـــ هذا ما صنعه الإعلام وأكدته الدعاية الصحفية . وقد أخبرتك كيف كان حالي عندما اطلعت على رءوس عناوين الصحف (خبراء لغرف الغاز لإعدام المقبوض عليهم) ثم شرح ملازم أمريكي الأمر لي . لقد تجمد الدم في عروقي من الدهشة . كيف يمكنهم الادعاء بمعرفتي لهذه الأمور ؟ لقد أخبرتك أيضًا أنني كنت أخدم في المخابرات منذ عام ١٩٤٣ . وقد اعترف البريطانيون أنهم حاولوا اغتيالي لهذا السبب وليس لشيء آخر . ويمكنك التحقق من ذلك .

وسألته عما إذا كان ينوي إحضار « هويس » كشاهد . وقال إنه غير متأكد حتى الآن من هذا . وأنه يعتمد على شعور المحامين عما إذا كان حضوره سوف يضيء جوانب الموضوع .

وقال إن محاميه الدكتور « كوفمان » رجل مستيقظ الضمير وأنه قد أمسك بتلابيبه بطريقة أكثر قسوة مما كان يمكن أن يتوقع من ممثل الادعاء .

وكان يبدو خائفًا من استجواب محاميه له أمام المحكمة . وقال إن محاميه الدكتور « كوفمان » لا يفهم قضيته جيدًا .

وفيما يبدو فهو يحاول تغطية اعتماد محاميه على البراعة اللفظية والبلاغة في الدفاع بعيدًا عن الموضوعية . والذي لا شك فيه أن المحامي غير سعيد لاعتماده هذا الأسلوب . ولكن هذا غاية ما يقدر عليه .

جلسة الصباح :

بدأ الدكتور « كوفمان » الدفاع عن « كالتنبرونر » بشهادة كل من « هويتل »

و « ملدنر » بعد أدائهما اليمين وهما من ضباط الجستابو . وقد شهد اثنان آخران من الجستابو الرسميين بأن « كالتنبرونر » رجل طيب ولم يكن ذراع « هملر » اليمنى كما ظن البعض ، ولكنه ببساطة ليس غير مهرج ضعيف ، فلم يكن « هملر » ليدع بجانبه رجلاً قويًا مثل « هايدريش » .

ووقف كالتنبرونر للدفاع عن نفسه وبدأ يشرح نشاطه الأول في النمسا لخدمة الاشتراكية الوطنية ، وتناوله مثله الأخلاقية في الحديث وولاءه لمبادئه ، وجهله الكامل بكل ما له علاقة بمعسكرات الاعتقال .

وأكد أنه الرجل الثاني بعد « هملر » من الناحية الشكلية ، ولكنه في الواقع كان يعمل في المخابرات الألمانية ولهذا لا يعرف شيئًا عن تلك الجرائم ، وقد حدثت بعيدًا عنه .

وقال « جورنج » لدونيتز أثناء كلام « كالتنبرونر » :

ـــ هل تسمع هذا الكلب ؟ .

وغمغم « دونيتز » :

ـــ كان يجب أن يخجل من نفسه .

وكان كل ما فعله « كالتنبرونر » أنه كان يرسل العمال المتمردين الذين كانوا في حكم العبيد إلى معسكرات تعليم العمال حسبما شرح .

ســاعة الغداء :

وعلق « فريتشه » على أقوال « كالتنبرونر » :

ـــ هو يحاول أن يخرج نفسه من الموضوع مظهرًا نفسه بمظهر الذي لا يستطيع أن يؤذي ذبابة . وإني في دهشة من أن محاميه قد وافقه على هذا الكلام . والذي

لا شك فيه أن الدكتور « كوفمان » المحامي كان يفضل الجحيم بدلاً من الدفاع في هذه القضية .

وكان « شاخت » نافد الصبر كعادته :

ـــ كان عليهم أن يسألوه سؤالاً واحدًا : أين كنت كأكبر ضابط ؟ أو ألم تكن كذلك ؟ وما معنى أنه وقَّع هذا الأمر أم لم يوقِّعه ؟ أو أن خطابًا قد خرج من مكتبه أو لم يخرج ؟ لقد كانت مسئوليته كاملة في معرفة كل ما يحدث حوله .

وفيما بعد قال « فريتشه » في احتقار :

ـــ هو يكذب .

وقد أبديت ملاحظة لشاخت من أن « كالتنبرونر » يبدي صورة أخرى من الولاء الألماني .

وقال شاخت وهو يزأر في تأكيد :

ـــ لا بأس . إن عندي الكثير لأقوله حول أمور الولاء هذه عندما أقف للكلام .

وأومأ « سبير » :

ـــ يمكنك أن تتأكد من سماع هذه النغمة كثيرًا قبل أن تنتهي هذه المحكمة .

وقال لي فرانك قبل بداية الجلسة المسائية ضاحكًا :

ـــ يبدو أنني المذنب الوحيد في هذه المحاكمة . كل واحد يبدو بريئًا للغاية .

الجلســة المسائية :

قدم الكولونيل إيمن في بدء الجلسة شهادات بتقارير مكتوبة عكس ما أدلى به

كل من « ملدنر » و « هويتل » من ضباط الجستابو الذين شهدوا أن « كالتنبرونر » رجل طيب . مقررًا أن « كالتنبرونر » مسئول في واقع الحال بالنسبة لإرسال الأوامر الخاصة بالإعدامات ورمي الفدائيين الإنجليز والأمريكان بالرصاص . وتلاعب « كالتنبرونر » بالألفاظ حول تسلل الأوامر وكيف تصل للتنفيد محاولاً تجنب هذا الاتهام . ولكنه في النهاية أعلن أنه قد اعترض على « هتلر » و « هملر » بالنسبة لهذه الأشياء . وأنكر مسئوليته تمامًا عن معسكرات الاعتقال ، وعن أي شيء اتهم به . ملقيًا بالتبعة على « هملر » و « هايدريش » و « ميولر » ، ثم « بوهله » الذي كان رئيسه وسلفه عند نشأة الجستابو .

١٢ أبريـــل

جلســة الصباح :

قام الكولونيل إيمن بتقديم « كالتنبرونر » للاستجواب ، وكان يناقشه وفي يده المستندات اللازمة وهي تقدم بيانات قاطعة وواضحة ، ووجه إليه اتهامات مباشرة . وحصره بجميع الأدلة حتى توقيعاته على الأوامر القذرة المبينة في المستندات . وكانت ردود « كالتنبرونر » تنحصر في أنه يعمل في المخابرات تحت إمرة « هملر » ، وأنه لا يدري شيئًا عما يدور من تجاوزات وفظائع في المنظمة التي يرأسها وغمغم « ساوكل » موجهًا الكلام له صراحة :

ــ أنت شيطان . أنت مجرد بجعة .

ســاعة الغداء :

وقد عبر بقية المتهمين عن ازدرائهم واحتقارهم لطريقة « كالتنبرونر » في الاستجواب .

وأثناء الغداء أبدى « ريدر » و « دونيتز » و « سايس انكوارت » بعض الملاحظات وصفوا فيها « كالتنبرونر » بالغباء والضحالة لإنكاره كل شيء لأنه بالتأكيد لا بد أن يعرف شيئًا ما عما يدور داخل المنظمة أثناء رئاسته لها .

السـجن في المسـاء

زنزانة الكولونيل « هويس » :

بعد أن انتهيت من الاختبارات النفسية هذا اليوم معه قال لي :

ــ أظن أنك تريد أن تعرف بهذه الطريقة عما إذا كانت أفكاري وعاداتي طبيعية وليست شاذة .

وسألته :

ــ حسن . ما هو رأيك أنت ؟ .

ــ أنا شخص طبيعي بالتأكيد ، وقد كنت كذلك حتى أثناء أدائي لتلك الأعمال الفظيعة ، عشت في أسرة عادية بطريقة طبيعية مثل غيري من الناس .

وسألته :

ــ هل كانت حياتك الاجتماعية تسير بشكل عادي ؟ .

وفكر قليلاً وأجاب :

ــ حسن .. تستطيع أن تقول إن لي إحساسًا خاصًا . وأشعر بارتياح مادمت كنت وحدي . وإذا كان هناك ما يشغلني فإني أحاول القيام به والانتهاء منه بسرعة . وهذا أكثر ما كان يضايق زوجتي . إني راض بحياتي مع نفسي دون مشاركة أحد . لم يكن لي أي أصدقاء حميمين ، أو أقارب أحب أن ألتقي بهم على أي نحو . حتى

أثناء شبابي كان هذا هو حالي . لم يكن لي أصدقاء بالمرة . كنت أجد نفسي أحيانًا في صحبة مع البعض ولكني كنت أشعر بوحدة وانفصال عنهم . ولم أشترك معهم مرة في شيء عام .

ــ ألم تشعر بالضيق مرة لهذا الشعور ؟ .

ــ لم يحدث هذا أبدًا حتى الآن . عندماكنت مختفيًا في المزرعة كان شعوري بالارتياح عظيمًا وأنا وحدي في الحقول ولا أرى سوى الخيل .

ــ لعل هذا معقول أثناء الاختفاء . ولكن قبل ذلك ؟ .

ــ نعم وقبل ذلك . لقد عشت دائمًا وحدي . أنا أحب زوجتي ولكنني وحيد طوال الوقت .

وسألته عن هؤلاء الذين قتلهم هل كانوا مذنبين ، أو كانوا يستحقون هذا المصير على أي وجه من الوجوه .

وعاد بهدوء وصبر يبين لي أن هناك شيئًا ما غير واقعي حول هذه الأسئلة لأنه كان يعيش في عالم مختلف بالمرة .

وقال :

ــ ألا تعلم أننا نحن أعضاء الحرس النازي لم يكن من المفروض أن نفكر في هذه الأشياء . ولم تكن تعنينا بالمرة . وبجانب هذا يجب أن تعلم أن اليهود مسئولون عن كل شيء وهذا أمر كنا على يقين منه .

وضغطت عليه لأعلم لماذا كانت هذه الأشياء من المسلمات من وجهة نظره .

وقال :

ــ في الحقيقة نحن لم نسمع شيئًا غير ما قلت لك . لم تكن المسألة مجرد تلك المقالات التي كانت تكتب في الصحف مثل جريدة « العاصفة » . ولكن كانت

المعلومات تأتينا من كل مكان . والجيش نفسه ورجال الفكر كانوا يؤكدون ضرورة حماية ألمانيا من اليهود .

وكان « هويس » يبدو هادئًا بليدًا في كل هذه المناقشات ، مبديًا شيئًا من عدم الاهتمام واللامبالاة للجرائم التي ارتكبها . وهو يعطي انطباعًا أنه لا يهتم بشيء ما لم يسأله أحد .

١٣ ــ ١٤ أبريــل

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « كالتنبرونر » :

كان « كالتنبرونر » قد أنكر توقيعه على مستندين أثناء الاستجواب ، ولكنه قال لي إنه ربما وقع عليهما ولكنه لم يتعرف على التوقيع ، وذكرني أنه قد وقع على مستندات لا حصر لها . وقال إن ممثل الاتهام لم يمنحه الفرصة لدراسة هذين المستندين .

وسألته عن الوقت الذي عرف فيه مسألة القتل بالجملة على وجه التحديد بعد أن تجاهله فترة في البداية .

وأعطاني إجابة مليئة بالمراوغة واللعب بالألفاظ :

ــ هذا هو السؤال الأمريكي التقليدي . أنت تريد أن تحدد الأشياء بوضوح . وهي ليست بهذه البساطة والسطحية في التناول . لا يمكنني أن أقول إن هذا اكتشفته يوم كذا . وكل ما يمكنني قوله أنني فور معرفتي بهذه الأشياء ، وأنها تخالف القانون ــ ولا تنس أنني محام قبل أي شيء ــ ذهبت إلى « هملر » وأبديت له استيائي واعتراضي .

وتأملته قليلاً ثم قلت له :

ـــ هذا اعتراض لا قيمة له وليس وراءه أي تأثير .

وقال معلقًا :

ـــ أنتم أيها الأمريكيون مثل الكولونيل إيمن تظنون أن منظماتنا ليست سوى عصابة كبيرة من المجرمين .

ـــ هذا في الواقع انطباع ينبغي أن يكون .

وتساءل « كالتنبرونر » :

ـــ أخبرني إذن كيف أستطيع الدفاع عن نفسي إزاء هذا الجبروت ؟ .

زنزانة « سبير » :

قرَّر « سبير » لي أن « كالتنبرونر » لا يعاني من إحساس السجين ، كل ما هناك أنه يرقد في زنزانته بلا شعور . ويبدو أن رأيه قد استقر على إنكار كل شيء . وأن يحاول تفسير ما يلقى إليه من اتهام على قدر الإمكان .

ولم يكن « سبير » يظن أن قادة النازي الآخرين سوف يعطون انطباعًا حسنًا أكثر مما حدث مع « كالتنبرونر » .

وفي الحقيقة أن « رينتروب » و « كايتل » و « كالتنبرونر » قد تركوا أسوأ انطباع كقادة للنازي . وقد ظهر « جورنج » بوضوح كرئيس لمجموعة من القتلة والسفاكين الذين لا يشعرون بأدنى مسئولية تجاه الإنسانية ، وقد استطاعوا أن يصنعوا نظامًا كانت هذه هي سمته .

وكان « سبير » يرى أن « كالتنبرونر » يصنع أسوأ تأثير بين الشعب الألماني بقوله : إنه لم يكن يعرف شيئًا عما يدور من جرائم ، وهو بهذا يدين مرءوسيه إدانة

كاملة على الأقل .

ولا شك أن رجال الحرس النازي سوف يكون موقفهم صعبًا وسوف يثبت ضدهم كل ما حدث من جرائم وفظائع ، فالمفروض أنهم يدينون بالولاء لقادتهم ، والمفروض أن هؤلاء القادة يحمونهم ويتحملون مسئولية أية أوامر ألقوها إليهم .

زنزانة « روزنبرج » :

كان « روزنبرج » يعتقد حقيقة أن « كالتنبرونر » ليس بالسوء الذي عليه « هايدريش » وقال إنها قضية معقدة حقًا ، وقال أيضًا إنني بطبيعة الحال لا ألوم المحكمة إذا لم تصدق حرفًا مما يقوله « كالتنبرونر » .

زنزانة « شـاخت » :

قال شاخت :

ـــ في الحقيقة لو كنت أجلس على منصة القضاء لامتلأت غضبًا وسخطًا . كيف يقول هذا الرجل ما قال بعد أن أقسم اليمين أن يقول الحقيقة ؟ ليس عندي أدنى شك أن القضاة لا يصدقونه ، فهم مثلي بالضبط فأنا لا أصدق حرفًا مما قال . وأظن أن أحدًا ممن سمعه لم يصدقه .

ربما كان من الأكرم له أن يقول : انظروا أيها السادة . لقد وقعت هذه الوثائق والمستندات دون أن أنتبه إلى ما بها . ومن الطبيعي أن أكون مسئولاً عما تم من أوامر قمت بتوقيعها ولو لم ألتفت إليها ولم أتبين حقيقة ما بها . وأنا مسئول عن كل ما حدث بغض النظر عن معرفتي له أم لا . وكان من الواجب أيضًا أن أكون على علم بما كان . أما عن مدى علمي على وجه التحقيق بما كان يحدث ، فقد أصبح سؤالاً أكاديميًا ربما لم يكن هو الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه أية مناقشة .

لو كان « كالتنبرونر » قد قال شيئًا مثل هذا لكان كلامه معقولاً وأدعى إلى الاحترام والتصديق . أما ذلك الإنكار الساذج والأكاذيب التي لا معنى لها فهي تجعلنا جميعًا في قلق شديد لأنها تلقي ظلالاً سوداء علينا جميعًا . أنت ترى الفرق بينه وبين « كايتل » بالتأكيد . لقد قال « كايتل » الحقيقة على الأقل .

أما عن قضيته فقد كان « شاخت » يشعر أنه من الأنسب أن يسحب ممثل الادعاء التهم الموجهة إليه بعد أن يقف هو وشهوده للاستجواب أمام المحكمة .

زنزانة « فون بابن » :

نظر إليَّ « فون بابن » قليلاً عندما دخلت زنزانته ثم هز رأسه وانفجر ضاحكًا . وقال بعد فترة :

ــ حسن . ليس عندي شك أن « كالتنبرونر » كان أسوأ كثيرًا من سلفه « هايدريش » . وفوق هذا كله من يمكنه التصديق أنه لم يعرف شيئًا مما حدث من تلك الجرائم ؟ ينكر معرفته بكل شيء ؟ حتى توقيعه على الأوامر ؟ .

وفجأة استغرق « فون بابن » في الضحك مرة أخرى وقال :

ــ أنا أتصور أن رئيس البوليس السري سيحاول أن يبدو أنه كان يقوم مقام وزير الخارجية في النهاية ، وأنه كان يحاول التفاوض مع القوى المختلفة . إنها في الحقيقة ملهاة مضحكة على ما فيها من مأساوية بالغة .

زنزانة « فرانك » :

كان « كالتنبرونر » بكذبه ، وحنثه لليمين أمام المحكمة قد ترك « فرانك » وحده أسيرًا لإحساسه العميق بالذنب واعترافه بذلك وإنكاره لهتلر ونظامه .

وفور دخولي زنزانته قام محركًا يديه في ألم وصاح فيَّ :

ــ هل سمعت ورأيت كيف جلس وأعلن أنه لم يكن يعرف شيئًا ؟ هل سمعت يا سيدي الدكتور ؟ لقد جلس هادئًا وأقسم في برود أنه لم يكن يعرف أي شيء عن أي شيء .

لا يا سيدي . الله نفسه لا يرضى بهذا . هل أقف أنا مثلاً وأعطي صورة كاذبة عن نفسي ؟ لا . أنا الآن أكثر سعادة عن ذي قبل لتقديمي اليوميات التي كتبتها بنفسي والتي تدينني ، والتي أنكرها عليَّ الجميع . ولكني سعيد .

ملايين المواطنين الألمان قد ماتوا بسبب هذا النظام وقادته الذين يحاولون التبرؤ اليوم من جرمهم عندما وجدوا أعناقهم تقترب من المشنقة . ومن ثم يجلسون ويقسمون وينكرون الحقائق .

أنا لا أظن أن « جورنج » نفسه سوف يكون صادقًا . وكذلك « رينتروب » . وذلك المسكين « كايتل » ! ولكنه قد قال الحقيقة على الأقل .

ولكن ذلك الكالتنبرونر . هل تظن أن أحدًا قد صدقه ؟ ما رأيك يا دكتور ؟ .

وأجبته :

ــ في الحقيقة أن كل شخص قد أبدى أنه لا يصدقه . وأنه كان كاذبًا .

ــ هذا صحيح بطبيعة الحال . لقد كان شيئًا مقززًا . لقد صدمني صدمة عنيفة . سوف أخبرك . لقد صرت الآن أكثر يقينًا من ذي قبل بإتمام ما بدأته في حزم وإصرار . اليوم هو أحد الزعف وأقسم بالصليب أنني سوف أذكر الحقيقة كاملة ، وسوف أعترف بذنبي حتى آخر لحظة من حياتي . دع الفأس تسقط أينما ينبغي أن تسقط . ولكني أسألك معروفًا أن تدافع عني إذا هاجمني الآخرون . يجب أن تساعدني يا سيدي الدكتور . سوف أفعل ما ينبغي عليّ فعله . وكل ما أطلبه هو قليل من التأييد المعنوي قبل أن ينتهي كل شيء . وإن فكرت يومًا في زيارة

أسرتي لتطمئن أنهم لم يحاسبوا على ما فعلت فسوف يكون هذا جميلاً منك .

١٥ أبريـــل

شهادة الكولونيل « هويس »

جلســة الصباح :

في هذه الجلسة شهد الكولونيل « هويس » بأنه قام بالإشراف على قتل مليونين ونصف من البشر بمعتقل « أوشفيتز » . وقد تم هذا بأوامر من هتلر قد جاءته عبر هملر فيما يسمى بالحل النهائي .

وكان « هويس » يدلي بشهادته ببرود وبلاهة بالضبط كما كان يحكيها لي في زنزانته .

كانوا يأتون بهؤلاء المقرر قتلهم في قطارات النقل من كل أنحاء البلاد ، فيرسلون القادرين على العمل إلى حيث يستفاد من كل صاحب مهنة . ثم يرسلون من تبقى من النساء والأطفال الصغار إلى غرف الإعدام على الفور .

وكان بعض النساء اللاتي يخترن للعمل يخفين أطفالهن الرضع تحت ثيابهن وسرعان ما يكتشف هذا فيؤخذ الأطفال في منظر مؤثر يقطع نياط القلوب بين صراخهم وعويل الأمهات إلى غرف الإعدام بالغاز أمام الجميع .

وتنزع الأسنان الذهبية والخواتيم والحلي من الجثث بعد تمام الإعدام حيث تصهر وترسل إلى وزارة الاقتصاد . وتقص شعور النسوة قبل حرقهن وتوضع في أكياس كبيرة وتباع في جهات مختلفة .

ســاعة الغداء :

عند نهاية جلسة الصباح ، وبعد أن أثيرت مسألة اضطهاد الكنيسة عند استجواب الشاهد « نيوباخر » وجدنا فرانك يغمغم لاعنًا هتلر وعهده والحزب النازي .

أما ساوكل فقال إنه لا يرى مبررًا على الإطلاق لإقحام مسألة الكنيسة في هذا الأمر لأن الكنيسة لم تضطهد على الأقل من الجهات التي كان يرأسها .

وانفجر فرانك :

ـــ لقد تم هذا بالفعل .. لقد اضطهدت الكنيسة في « بافاريا » بالتأكيد . وهناك حقيقة أعرفها شخصيًا أن الحرس النازي قد قام بطرد الراهبات من الأديرة لاستخدامها كأماكن للإيواء . لقد رأيت هذا بنفسي في « بافاريا » وأظن أنه قد حدث في كل أنحاء ألمانيا . والحزب النازي مسئول عن كل هذا . لقد اضطهدت الكنيسة بالفعل .

قال هذا وهو يحملق في « روزنبرج » متحديًا ، ثم أدار وجهه وزم شفتيه .

وأثناء الغداء كان يخيم على القاعة صمت كئيب . وجلس كل منهم في الركن الذي تعود الجلوس فيه صامتًا . وكان حضوري يجعلهم يتوقعون أن أبدأ المحادثة والنقاش كالعادة .

و لم يكن هناك غير ملاحظة صغيرة من « جورنج » ، ثم جاءت الملاحظة نفسها من « دونيتز » أن ما قيل في المحكمة صحيح .

و لم يكن الشاهد كولونيل « هويس » من « بروسيا » ولكن من الجنوب الألماني بشكل عام . والمفروض أن « البروس » لا يفعلون هذه الأشياء الشنيعة مثل التي قيلت .

١١

الدفاع عن روزنبرج



١٥ أبريل

روزنبرج يقف أمام المحكمة

الجلســة المسائية :

بدأ « روزنبرج » دفاعه عن فلسفته في علم الأجناس التي تفترض تفوق الجنس الآري بشروح نظرية تاريخية غامضة من الصعب فهمها أو استيعابها . واضطرت المحكمة إلى مقاطعته بوضوح عدة مرات ، وكذلك فعل ممثل الاتهام . حتى مجموعة الدفاع عنه طلبت منه أن يدخل في الموضوع مباشرة .

وفي نهاية اليوم عاتب « روزنبرج » محاميه لمقاطعته أثناء إدلائه بأقواله . وقد حاول محاميه أن يبين له عدم اهتمام المحكمة بتاريخ الفلسفة وأن هذا لا صلة له بالوقائع المنظورة .

والتفت إليَّ « روزنبرج » وقال :

ـــ حسن .. إن كانوا يريدونها محاكمة إجرامية فلماذا لا يحدد هذا ممثل الاتهام بشكل مباشر ، ولماذا يهاجم فلسفتي وأفكاري إذن ؟ .

١٦ أبريـــل

الدعايـــة

زنزانة الكولونيل « هويس » :

حاولت أن أدور حول مصادر عداء السامية التي جعلت توجيهات « هملر » في القضاء على اليهود مقبولة في نظر « هويس » .

وسألته عن سبب توجهه هذا .

وقال إنه كان يقرأ مقالات « جوبلز » الأسبوعية لعدة سنوات . وكذلك كتبه ، وكان يستمع أيضًا إلى خطبه الكثيرة .

وقال : إنه قرأ كتاب « روزنبرج » « أسطورة القرن العشرين » وكثيرًا من كلماته .

وبطبيعة الحال فقد قرأ كتاب « كفاحي » لأدولف هتلر . وسمع خطبه كلها وقرأ مقالاته .

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات كانت هناك النشرات العقائدية والتعليمية التي كانت تعطى لأعضاء الحزب وجميع العاملين .

وقرأ لشترايخر في « العاصفة » قليلاً وهذا لسطحيتها وضحالتها .

وقد أبدى ملحوظة أن مرءوسيه الذين اعتادوا على قراءة « العاصفة » كانوا في العادة من الرجال ضيقي الأفق والذين يتصفون بالسطحية والتفاهة .

وقرر أن الذين أمدوه بالزاد الفكري هم « جوبلز » و « روزنبرج » و « هتلر » . وكان كل ما كتبوه وقالوه ووصل إليه سماعًا أو قراءة قد أكَّد له فكرة

أن اليهود هم الأعداء الحقيقيون لألمانيا .

وقال « هويس » :

ـــ بالنسبة لي كمتعصب قديم للاشتراكية الوطنية فقد أخذت هذه الأفكار كحقائق ، وقد سلمت بها تسليم المسيحي المخلص لتعاليم الكنيسة . لقد كانت حقائق لا تقبل المناقشة . ولم أشك فيها مطلقًا .وقد كنت على يقين من أن اليهود يقفون كأعداء في مواجهة الشعب الألماني . وأنه سوف يكون صدامًا مروعًا بيننا وبينهم طال الزمن أو قصر . وكان هذا في وقت السلم .

وعلى أسس هذه النظريات كنت على يقين من أن سائر الشعوب سوف تدرك خطر اليهود عليهم . وسوف يحاولون مواجهة هذا الخطر .

لقد أجمعت الكتب والدراسات والمقالات على أن اليهود مجرد أقليات في سائر بلدان العالم . ولكنهم يتملكون عناصر من القوة لا يتخيلها أحد فإنهم يحكمون هذه الشعوب من وراء ستار وتأثيرهم بالغ وكبير ويفعلون ما يشاءون .

وكل العالم يعرف تحكم اليهودية العالمية في الصحافة وصناعة السينما والإذاعة .

وكانوا يوجهون التعليم في ألمانيا يومًا ومن ثم يتحكمون في المجتمع الألماني مع مرور الوقت . وأظن أنهم يقومون بنفس الشيء في كل بلاد الدنيا . وفي وقت ما سوف تنتبه هذه الشعوب وتقضي على اليهود كما حاولنا أن نفعل .

وكان من المعروف والمفهوم قبل الحرب أننا إذا لم ننجح في القضاء على اليهود فإنهم سوف ينجحون في استدراجنا إلى حرب مدمرة للقضاء على ألمانيا .

وقد رأيت ماذا حدث .

وقلت له :

ـــ لقد قلت إنك قد اعتنقت هذه الأفكار بإيمان مثل تعاليم المسيحية . فهل

كنت في شبابك شديد التدين ؟ .

ــ نعم . لقد نشأت على التعاليم المسيحية وربيت عليها بشكل صارم . كان أبي شديد التعصب والإيمان . وقد عرفت أنه قد انسلك في الإيمان المسيحي عند ولادة شقيقتي . وكان يود أن ينذرني للرب بعد أن عمدت ، وكان يتمنى أن أكون قسيسًا في يوم من الأيام ، وقد وجه تعليمي هذه الوجهة . وكان يأمرني بالصلاة والاستغفار إن أسأت لشقيقتي أو فعلت أقل ذنب يمكن أن يكون .

وصار « هويس » يشرح كيف ابتعد رويدًا رويدًا عن الدين حتى ترك الكنيسة تمامًا وكفر بها عام ١٩٢٢ م . وعندما فعل ذلك كان على استعداد لتقبل كل الأفكار النازية التي اعتنقها بعد ذلك .

ســاعة الغداء :

بدأ فريتشه المناقشة حول الدعاية مقتبسًا عبارة لمؤلف ما يقول فيها إن الدعاية « البروباجندا » هي أول خطوة إلى الجحيم . وأكد اعتراض « شيراخ » من أن « روزنبرج » هو الأب الشرعي للفكر النازي . وأعاز العداء للسامية الذي ظهر حديثًا في ألمانيا إلى كتاب اسمه « دليل المشكلة اليهودية » لمؤلف مغمور اسمه « فريتش » .

وقال شيراخ معقبًا :

ــ نعم . كان هذا حتى ظهر كتاب « اليهودي العالمي » لنفس الناشر ، وهو الذي أعطى الدعم والقوة للحركة بعد ذلك .

وأضاف فريتشه :

ــ هذا صحيح وصار روزنبرج بعد ذلك الكاهن الأعلى للفكر النازي .

وكان يبين أنه يمكن لشخص ما أن يفعل بالدعاية ما يشاء . يستطيع شخص ما أن يُكَذِّب الحقائق الظاهرة بأن يخرج بعض الأشياء من سياقها ، وأن يسحب الناس بعيدًا عن أفكار الحقائق الرئيسية .

واستمر « فريتشه » في تحليله لعداء السامية :

ــ والعداء للسامية قديم ولكن الدعاية النازية استخدمت عداء اليهود للأفكار الوطنية واحتضانهم للشيوعية وخدمتها حتى صارت حقيقة .

وحاول أن يبين أن أسلوبه في الدعاية قد اعتمد أساسًا على إثارة معاني الوطنية . ولم يتعرض لليهود إلا في إظهار سيطرتهم العالمية وخطورة ذلك على الشعوب .

وقال « فريتشه » :

ــ ولكن المتعصبين أمثال « جوبلز » و « شترايخر » و « روزنبرج » أشعلوا هذه الأفكار ووجهوها إلى كل اتجاه ، وصارت القصة بيننا وبين اليهود مسألة حياة أو موت .

وقلت له :

ــ مثلما فعل « روزنبرج » عندما أخرج إلى الناس كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » وأعاد طبعه وتوزيعه ؟ .

ــ هذا صحيح ، وأنا في الحقيقة لم آخذ هذا الكتاب مأخذًا جديًا أبدًا .

جلســة بعد الظهر :

وفي جلسة بعد الظهر دافع « روزنبرج » عن تصرفاته عندما كان مسئولاً عن الأراضي المحتلة في الشرق . وقال إنه استنكر كل الفظائع والجرائم التي كانت تحدث ، ولكنه لم يستطع شيئًا أكثر من الاستنكار .

وعلى كثرة معسكرات الاعتقال التي كانت في المناطق التي تحت سيطرته ادعى أنه لم يشاهد أيًا منها على الإطلاق . أو على حد تعبيره أنه رفض زيارتها .

وكان يستخدم كلمات قوية وشعارات طنانة عن اليهود . وقال شيئًا ما لم يفهم تمامًا حول عمليات الإبادة والقتل الجماعي . وقال إن الدعاية ينبغي ألا تؤخذ من جانب واحد ويجب أن تفهم دواعيها وأسبابها . وأكد أن سلطان الفوهرر كان يغطي على أي رأي أو أية شخصية بجانبه .

١٧ أبريـــل

تطبيق نظرية الجنس المتفوق

جلســة الصباح :

استجوب السيد « دود » « روزنبرج » واعترض على نفاقه وتظاهره بالبراءة . وركز على مسئوليته في ترحيل العمال العبيد وعلى الذعر والرعب الذي شمل البلاد التي كان يحكمها في الشرق .

وقد قدم السيد « دود » مستندات كثيرة تبين أن « روزنبرج » لم يدرس الفلسفة وأنه لا يعد من الفلاسفة أو المفكرين . وكل ما فعله ـــ مع الأسف ـــ أنه وضع الفكر النازي موضع التطبيق عندما كان حاكمًا لبلاد الشرق المحتلة .

ســاعة الغداء :

علق « فون بابن » عند الغداء قائلاً :

ـــ لقد سأل السيد « دود » « روزنبرج » عما إذا كان « هويس » قائد معسكر اعتقال أوشفيتز قد قرأ كتبه أم لا . وفي ظني أن هذه النقطة هي حجر الزاوية في الموضوع . وقد أجاب روزنبرج مراوغًا ولم يبين شيئًا .

وقال « شاخت » :

ـــ نعم . الواقع أن « روزنبرج » قد كتب كثيرًا .

وفي غرفة الطعام الخاصة بالشباب كانت المناقشات والتساؤلات تدور بطريقة حية ، وبدأت في الجانب النفساني عن المحاكمة .

وكان « فريتشه » شديد الانتقاد لفشل المسئولين في فهم أهمية جلوس بعض القضاة الألمان على المنصة للاعتبار النفسي للشعب الألماني عندما يرى قادته وهم يحاكمون بمعرفة قضاة أجانب .

وقد أكد لي أن المحاكمة كان يمكن لها أن تأخذ طابعًا مختلفًا أكثر من وضعها الحالي بقضاتها الأجانب الذين يهتمون في المقام الأول بالجرائم التي ارتكبت ضد شعوبهم .

وكانت هناك موافقة واتفاق بين الجالسين أن « هتلر » قد خان الشعب الألماني .

وكانت هناك اعتراضات عما إذا كان ذلك سيدرك في حالة النصر ومن ثم يثور الشعب .

وكان من رأي « فريتشه » أن ملايين الألمان كانوا سيثورون عند نهاية الحرب .

ولكن « فون شيراخ » علّق بأن البلاد المنتصرة في الحروب لا تثور ضد قادتها الذين حققوا لها هذا النصر .

جلســة بعد الظهر :

كانت التعليمات تقضي بكشف « جورنج » وإظهاره وحيدًا وقد كان .

وكان « روزنبرج » مستمرًا في الاعتراض على طريقة الجنرال « رودينكو » في الاستجواب . ويقول إن مرءوسيه العصاة هم المسئولون تمامًا عن الفظائع في الشرق .

وكان يريد أن يبرر الأمور ويبسطها ، ويدعي أنه قضى تمامًا على النظرية النازية في الدول الشرقية التي كان يحكمها . وحاول أن يكون وزيرًا للخارجية وألح في هذا ولكنه لم يكن يتمتع بنفوذ عند هتلر كما يدعي .

وكان السيد « م . موناري » ممثل الادعاء الفرنسي قد اتهم « روزنبرج » بأنه قام بطرد الفرنسيين وترحيلهم من المناطق التي كان يحكمها في الشرق ثم القيام بإعدامهم أثناء ذلك للاستيلاء على مقتنياتهم الثمينة .

ولم يقل « روزنبرج » شيئًا تجاه هذه النقطة ولم يعلق عليها .

السـجن في المســاء

زنزانة « دونيتز » :

زرت « دونيتز » في زنزانته في المساء .

وابتدرني قائلاً :

ــ ذلك الروزنبرج الذي تطاول قامته السحب . ليس عندي شك أنه لا يستطيع أن يؤذي ذبابة . وليس عندي شك أيضًا أن هؤلاء الذين قاموا ببرنامج الدعاية الهائل هم المسئولون عن كل الفظائع والمآسي التي حدثت . وكذلك كان « هتلر » السيئ . لقد كان وراء الكثير مما نناقشه الآن .

وكان يرسم مستطيلاً وهو يتحدث معي وقال :

ـــ خذ مثلاً « كالتنبرونر » . ولنفترض أن كل ما قاله كان صحيحًا . لنفعل ذلك حتى نحلل الأشياء ونفهمها . كيف يختفي خلف اعتذار واه مؤداه أن بعض مرءوسيه قد زوّروا توقيعه . لماذا ؟ لو أن شخصًا فعلها تحت رئاستي لقدمته للمحاكمة وأظل دائمًا مسئولاً عن كل ما يحدث في الأماكن التي أرأسها .

وقلت له :

ـــ هل تعتقد حقًا أنه صادق فيما قال من أن بعض مرءوسيه قد زوّروا توقيعه . وأنه لم يكن يعرف شيئًا مما حدث ؟ .

ـــ في الحقيقة من الصعب تصور هذا .

واستمر « دونيتز » شارحًا أفكاره أن روسيا كانت خنجرًا مصوبًا إلى قلب ألمانيا ، وأنه ليس من مصلحة أمريكا أن تترك الروس يتحكمون في أوروبا . وأنه يود لو يتحدث في هذا مع بعض المسئولين الفاهمين من الأمريكان حول هذه النقطة بعد المحاكمة .

زنزانة « فرانك » :

كان فرانك يجلس هادئًا يدخن غليونه .

وقال في تؤدة :

ـــ نحن سعداء لأن الأمور قد جرت في سلاسة مع « روزنبرج » . وعندما انتهوا من المناقشات الفلسفية سألته عما إذا كان سعيدًا بنفسه ، فأجابني بأنه كذلك .

وكانت ترجمته لكلمة « الإبادة » ضعيفة وكذلك تفسيره لها . لقد قلت للآخرين إننا كنا معلقين من رقابنا في هذه الحركة النازية طيلة الخمسة والعشرين

عامًا المنصرمة ، ربما أكثر أو أقل . فلماذا ننكر كل شيء الآن ؟ ولا يمكن تجاهل الحقائق أبدًا . سوف أقول في المحاكمة أشياء سوف تصدم الجميع حتى المحامي الموكل بالدفاع عني . ولكن ماذا يمكن أن نفعل ؟ لا تزال شهادة « هويس » المرعبة تطن في أذني .. ألفان من القتلى في اليوم !! لقد جلَّل هتلر ألمانيا بالعار إلى الأبد ، وخان الشعب الذي وثق فيه وأحبه .. لست أدري كيف أحبه الشعب ؟ سوف أكون أول من يقف ويقول إن كل الذين أنكروا ما تم من إبادة وتعذيب كذابون ومنافقون . وسوف أكون أول من يعترف بكل ما فعل من ذنوب أمام المحكمة .

وسألته :

ــ على أي نحو تشعر بذنبك ؟ .

وكانت إجابته سريعة قاطعة :

ــ لأنني كنت نازيًا متعصبًا ولم أقم بقتله . كان على واحد فينا أن يقتل هتلر ! .

١٢

الدفـاع عن فرانك



١٨ أبريـل
اعتراف فرانـك

جلسـة الصباح :

حكى « فرانك » كيف اشترك في انقلاب حانة الجعة عام ١٩٢٦ ، وكيف أصبح المستشار القانوني لهتلر والحزب النازي بعد ذلك . وصار عضوًا في « الرايخستاج » عام ١٩٣٠ ، ثم رئيسًا للأكاديمية الألمانية للقانون في عام ١٩٣٣ ، ثم حاكمًا عامًا لبولندا في عام ١٩٣٩ .

ثم جاء السؤال الحرج :

ــ هل اشتركت في القضاء على اليهود ؟ .

وأخذ « فرانك » نفسًا عميقًا وقال :

ــ أنا أقول نعم .. لقد كنا نقضي عليهم ، واستمر ذلك سنين . وقد سمحنا لأنفسنا أن نصنع مشاعر الناس . ويومياتي الموجودة هي خير شاهد ضدي في هذا

الخصوص . كانت تصرفاتنا هي خلاصة الكراهية المطلقة . إن ألف عام سوف تمر ولن يمحى عار ألمانيا .

واستمر فرانك يحكي عن المذابح والإبادة التي جرت في بولندا بمعرفته وتحت إشرافه ووفقًا لأوامره .

وعاد « فرانك » للقفص لبضع دقائق وكان عصبيًا منفعلاً ينظر حوله استجابة لبعض الملاحظات التي كان المتهمون يوجهونها إليه .

وقد وجه إليه « فون باين » و « سايس انكوارت » بعض عبارات الاستهزاء .

واقترب منه محاميه الدكتور « شيدل » وقال له :

ــ أنت هكذا لا تعطيني فرصة للدفاع عنك .

وأجابه فرانك :

ــ دع الأمور تسير حيث تسير .

وعندما انصرف الدكتور « شيدل » التفت إليَّ قائلاً :

ــ « شيدل » المسكين يبدو وكأنه لا قيمة له . « جورنج » يدعوه « ميكي ماوس » هو يريد أن يجعل جرمي صغيرًا أمام المحكمة . ولكن كيف يكون ذلك ؟ أنا سعيد بكل ما قلته . وسوف أقول أكثر . لن أخفي شيئًا .

وفي الناحية الأخرى من القفص كان « فريتشه » مستاء من أن « فرانك » قد قرن إجرامه بالشعب الألماني .

وقال « شاخت » إنه على أي حال قد أصاب فرانك باعترافه وكان محقًا عندما قال إن هتلر قد خان ألمانيا .

وهمس ساوكل لجورنج :

ــ هل سمعته وهو يقول : إن عار ألمانيا لن يمحى قبل ألف عامٍ ؟ .

وقال « جورنج » في صوت كالخوار :

ـــ نعم لقد سمعت . وأظن أن « سبير » سيقول نفس الكلام .. الخنازير الجبناء !! .

ســاعة الغداء :

أبدى العديد رضاهم وسعادتهم للطعنات التي وجهت لجورنج اليوم من خلال ما قيل في المحكمة . وكان « جورنج » يتجول في ضيق وهو يراقبني أتحدث مع الآخرين الذين يضحكون ملء أشداقهم لضيقه وشقائه .

وكان تعبير الرضا والسرور يملأ قاعة طعام الشباب وقاعة طعام الشيوخ ، وكانوا يتسلون بمقاومة سلطان « جورنج » عليهم .

وكان « فرانك » ينتظر زيارتي له ، وبادرني قائلاً :

ـــ لقد حافظت على وعدي . أليس كذلك ؟ .

ـــ بلى . لقد فعلت .

وواصل قوله إنه بالمقارنة إلى الآخرين الذين كانوا يلتفون حول الفوهرر ، والذين يبدون وكأنهم لا يعرفون شيئًا . ولا أحد يعرف ماذا كان يدور على وجه التحديد . فإن القضاة يتأثرون بالتأكيد عندما يستمعون إلى رجل من هذه الدائرة يتكلم من أعماق قلبه وبصدق ، ولا يحاول التنصل من مسئولية أعماله .

والتفت إليَّ وقال :

ـــ ألا تظن هذا ؟ .

ولم ينتظر إجابتي ولكنه واصل حديثه :

ـــ في الحقيقة لقد كنت ممتنًا من الطريقة التي تأثروا بها من إخلاصي في الحديث .

وهناك قاعدة عامة أنه لا يمكن لشخص أن يستغفل قضاته .

السجن في المساء

زنزانة « جورنج » :

انزوى « جورنج » بزنزانته في المساء ، وجلس متحفزًا أجوف شقيًا بما آل إليه أمر المحاكمة بعدما قيل ، والحقائق التي رواها أحد كبار القادة عن الفساد والجرائم التي كانت ترتكب بعلم الجميع .

وقال إنه لا يستطيع السيطرة على الأحداث التي تفاجئهم ، ولا يمكنه أن يوجه الآخرين لكيفية الدفاع عن أنفسهم ، ناسيًا أن الذي كان يتكلم اليوم في المحكمة كان يعمل رئيسًا للأكاديمية الألمانية للقانون يومًا ما ، وهو « فرانك » الحاكم العام لبولندا أيام الاحتلال النازي .

وقال إنه لم يضمر عداء للسامية في يوم من الأيام ، بغض النظر عن كل ما يقال .

وأنه لم يسمع أبدًا بهذه الفظائع التي ذكرت . وياليتهم يقدمون شهودًا ضده يذكرون عكس ما يقول .

وإن كان « فرانك » قد علم بهذه الجرائم التي يدعي وقوعها عام ١٩٤٣ فكان عليه أن يقابله ويخبره بها وكان عليه محاولة منعها .

ونسي هنا أيضًا أن « فرانك » كان يأتي هذه الجرائم وهو راض عنها ، أو هكذا قال أثناء سماع أقواله .

صحيح أنه لم يكن يملك القوة الكافية لتغيير شيء في عام ١٩٤٣ ، ولكنه بالتأكيد كان يستطيع هذا في عام ١٩٤١ وفي عام ١٩٤٢ ، وإن كان قد جاءه من يخبره بهذا أثناء هذين العامين فإنه يؤكد أنه كان يستطيع منع ذلك تمامًا .

ولم تكن لدي الرغبة في أن أذكره بقول « أولندورف » أن « جورنج » لم يعد له التأثير والنفوذ بعد أن فاحت رائحة فساده وإدمانه للمخدرات ، أو الحديث عن قتله لمائتين من المواطنين والاستيلاء على ممتلكاتهم أثناء سلطانه المؤقت الذي ادعاه .

لقد صار في ذلك الوقت زعيمًا للأقلية اليمينية بصعوبة شديدة .

واعترض « جورنج » مبينًا أن هذه السلطة المؤقتة التي أخذها قد حملت بالكثير من الأشياء المبالغ فيها . وبالإضافة إلى هذا قال إنه لم يكن يعظم هتلر أو يعبده كما فعل الآخرون .

١٩ ــ ٢٢ أبريــل

عطلة الفصح في السجن

زنزانة « فرانك » :

كان فرانك يجلس في زنزانته هادئًا يدخن غليونه كعادته . وانطلق مباشرة يواصل حديثًا كأنه بدأ منذ وقت مجهول ولا يعرف ردود أفعال من سمع دفاعه في المحكمة وحديثه فيها . وسرعان ما صار يتحدث بهستيرية محركًا ذراعيه بطريقة يصعب عليه التحكم فيهما .

وقال :

ــ حسن . هذا هو يوم الجمعة الطيب(*) وإني أشعر بالهدوء والسلام لأني لم

(*) المقصود به الجمعة الحزينة عند الشرقيين (المترجم) .

أحنث في قسمي بالأمس . كنت أقف خلف بوابة سوداء قاتمة . ثم اجتزتها إلى الجانب الآخر المضيء . نعم ، كنت في الظلمة حافي القدمين أمسك بشمعة كأي خاطئ يرتدي أسمالا بالية يريد التوبة والمثول أمام الله . شعرت كأني عروس أزف . تكلمت مرة واحدة بصدق أمام الله والعالم . تأكدت أنني قد سدَّدت جميع ما عليَّ من ديون . لقد خرجت من الظلام إلى النور . اعترفت بذنبي . لم أعد أنتمي إلى هذا العالم للحظة واحدة بعد اعترافي . لقد غفرت خطاياي . إني أفد إلى رب واسع المغفرة . كريم يقبل الخطاة عندما يتوبون .

إن الله تعالى يتركك ترتع في الأرض مثل أي خنزير ، تفعل ما تشاء .. الغرف العالية .. القلاع .. الخمور .. النساء .. القوة .. المجد .. ما تشاء . ثم يأخذك بعدها أخذ عزيز مقتدر ويحاسبك على كل شيء حسابًا دقيقًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وسكت « فرانك » لدقيقة وقد أنهكته محاولته اللغوية البليغة في التعبير عن أفكاره . ثم استمر متذكرًا ما قاله في الدفاع :

ـــ لقد كنت أول من أوضح للعالم كم كنا مذنبين ومجرمين ، رغم أن « جورنج » قد بين لنا أهمية أن نبدو متماسكين ، على الأقل في مبدأ الأمر . كانت الدنيا كلها تتمنى أن يقف واحد منا ويحكي حقيقة ما حدث ونحن على عتبات الموت ! لقد كان نظامنا فاسدًا يحكمه الشيطان . وهذا ما ينكره « جورنج » وكذلك « ريبنتروب » تلك الشخصية الضعيفة . أما « كالتنبرونر » فقد اكتفى بالكذب وإنكار أنه يعلم .

لماذا لم يقف « جورنج » ويذكر كل شيء ؟ وهو يعلم كل شيء بالتأكيد ! .

هل تستطيع تفسير هذه الظاهرة يا سيدي الدكتور ؟ .

وأجبته :

ـــ واضح أن « جورنج » يريد أن يؤكد للجميع أنه الرئيس الحقيقي لهذه المجموعة حتى تأتي النهاية المريرة .

وقال « فرانك » :

ـــ ولكنه كان يستطيع القول بأننا قد بدأنا بداية حسنة ، وكانت لنا مبادئ قويمة . ولكن هتلر قد خاننا وجلّلنا بالعار . ونحن أجرمنا لتحقيق طموحاتنا وللشيطان الكامن في أنفسنا .

وقلت :

ـــ هذا صحيح . ولكن لا تنس أنه من صنف لا يحب أن يعترف بالخطأ . وعلى أي حال لقد أحرجته بكلامك إحراجًا شديدًا ، ووجهت إليه طعنات قاتلة .

وضحك « فرانك » قائلاً :

ـــ لقد صار محاميه في حالة شقاق هائل مع محاميّ بسبب ما قلته . ودعنا نر ماذا يمكن أن يقولوه بعد ذلك . سوف يشويه وكيلي أثناء النقاش .

واستمر « فرانك » قائلاً :

ـــ هل تعرف السبب النهائي الذي جعلني أحزم أمري وأكفر عن ذنبي ؟ لقد قرأت في الصحف منذ أيام خبرًا صغيرًا مؤداه أن محاميًا اسمه دكتور « جاكوبي » من ميونخ قد تم إعدامه في معسكر « أوشفيتز » ، وكان من أحسن أصدقاء أبي .

وبعدها سمعت شهادة « هويس » وهو يقر بأنه قام بإعدام مليونين ونصف فعرفت أنه الرجل الذي قتل صديق أبي ببساطة ودون إحساس بالذنب .

وكان الدكتور « جاكوبي » رجلاً رقيقًا طيبًا طاعنًا في السن ، وملايين من الأبرياء كانوا مثله . وأنا لم أفعل شيئًا لوقف هذه المجزرة وكنت أعرف بها .

صحيح أنني لم أقتله بنفسي . ولكن الأشياء التي قلتها ، وتلك التي قالها « روزنبرج » جعلت ذلك ممكنًا .

كانت شهادة « هويس » تفيد أن هناك أوامر صريحة بإفناء الجميع والقضاء عليهم . وأنا لا يمكنني أن أنسى ما سمعته هذا . إنها اللعنة الأخيرة للنظام برمته .

لقد أصدر هتلر أوامر الإبادة بهدوء . وقد أخبرنا « هويس » كيف قام بتنفيذ هذه الأوامر ضد المعارضين والسياسيين واليهود وسائر الجنسيات الأخرى .

سيدي الدكتور هل يمكن للتاريخ أن ينسى هذا الانحطاط الحضارى الذي ساقنا إليه هتلر ؟ ليس هناك شك أن هتلر اللعين هو الذي ساقنا إليه .

زنزانة « روزنبرج » :

لم يتناول « روزنبرج » اعتراف « فرانك » بطريقة غير لائقة وقال :

ـــ نعم . « فرانك » خطيب مؤثر . وأظن أنني أخبرتك هذا من قبل . يستطيع أن يرفع صوته عاليًا رخيمًا ثم يخفضه بعد خمس دقائق فلا تكاد تسمعه بطريقة متفردة . وكادت تلك الطريقة في الخطابة التي يتبعها أن تضيع بين منصة القضاة وموقع ممثلي الادعاء وقفص المتهمين . ولكنه كان حساسًا ورخيمًا وبليغًا . وظني أن كل الخطباء البلغاء عندهم ضرب من الجنون . ولا يمكن لأحد أن يتوقع ماذا يمكن أن يقول : « إن ألف عام سوف تمضي ولن يمحى عار ألمانيا » ! في الحقيقة لقد ذهب بعيدًا بهذه العبارة .

وقلت له :

ـــ ولكن هل تظن أن هناك شخصًا ما في وقت ما يقف مثل هذا الموقف ويعترف بجرائم ويقول هذا الكلام العظيم الكبير بلا أصل ؟ وعمليات الإبادة والقتل بالجملة

التي تمت وهي أكثر الأشياء فظاعة وسوف تأخذ مكانها في تاريخ الإنسانية ولن تنسى أبدًا .

وكان « روزنبرج » يروح ويجيء في الزنزانة أثناء حديثه معي ، وعندما سألته هذا السؤال توقف عن السير ، وصار يفكر للحظة ، وأظن أن السؤال قد أصاب في نفسه شيئًا . وسرعان ما عاد إلى التاريخ والدفاع عن نفسه وتبرير ما فعله النظام من خلال حوادث قد حدثت في الماضي وسجلتها الكتب .

وقال « روزنبرج » :

ــ نعم . أنا أتفق معك . ولكن ماذا عن الثلاثين ألفًا من الصينيين الذي قتلوا في حرب الأفيون[٢٤] ؟ وماذا عن الأربعة ملايين الذين قضى عليهم الأفيون بمعرفة بريطانيا أثناء اتجارها فيه ؟ وماذا عن الثلاثمائة ألف إنسان الذين قضت عليهم القنبلة الذرية التي ألقيتموها على اليابانيين ؟ وماذا عن الطائرات التي ملأت سماء ألمانيا ودمرت مدننا ومواطنينا ؟ أليس هذا قتلاً بالجملة هو الآخر ؟ أليس كذلك ؟ أم ماذا تسميه ؟ .

وقلت له :

ــ الحرب كلها كانت قتلاً بالجملة لا ضرورة له . ويرجع الفضل في هذا لزعيمك الفوهرر الذي بدأها عن عمد في الوقت الذي لم تكن تريدها أية دولة في العالم . حتى شعبك لم يكن يريد هذه الحرب . « جورنج » نفسه استنكر هذا ! ربما أنت شخصيًا تلوم نفسك لعبادة الفوهرر وتلك (البروباجندا) الهائلة التي كنت أحد صانعيها والتي خلقت تلك الكراهية وعمقتها في نفوس الناس .

والتوى « روزنبرج » محتجًا مستخدمًا قواعد المنطق ومهاجمًا في نفس الوقت .

ثم قال :

ــ لم يكن هذا خطئي . لقد بدأت الحرب وأخذت هذه الأشياء مداها البعيد

بحكم الضرورة والواقع . إنها معاهدة فرساي . إنهم أولئك اللئام الفرنسيون الممتلئون بالكراهية . إنهم البريطانيون الإمبرياليون . إنه ذلك التهديد بالثورة الشيوعية التي تشمل العالم .. إنها أشياء كثيرة .

زنزانة « فون بابن » :

وقال « فون بابن » إن جميع المتهمين الذين تكلموا أكثر مما ينبغي قد أظهروا جرمهم واعترفوا به ، وقد ضاعوا بالتأكيد . وقال إنه يمكن أن نستثني « هيس » من هذا ، لأنه في حالة عقلية محل شك واختبار .

وقال :

ــ ظني أن « ريبنتروب » هو أكثرهم مدعاة للشفقة ، وإني لأرثى لحاله .

ما هو عذر وزير الخارجية ؟ لقد رأيت وسمعت كيف كان يصنع المعاهدات ويوقعها ثم ينقضها ويمزقها باستهتار وعدم إدراك لأية مسئولية ودون النظر إلى شرف الأمة أو سلام العالم أو أي شيء آخر .

وسألته :

ــ ما هو رأيك في « كالتنبرونر » ؟ البعض يرى أنه كان أسوأ من وقف للكلام أمام المحكمة .

ــ آه .. « كالتنبرونر » ! ذلك الشرطي الغبي ! أنا لا أضعه في اعتباري . ولا أرى في الخدمة المختفية غير نوعين : واحد للمخابرات وآخر للأمن السري الداخلي . ولا شيء آخر .

زنزانة « ريبنتروب » :

كان « ريبنتروب » يقرأ بيانًا عن الاستجواب الذي تم معه . وكان يضع

علامات حول أسئلة ممثل الاتهام التي تبدو هامة . ويبدو أنه كان يعاني من عدم القدرة على النطق أو الشعور بالاكتئاب العميق . وكان في حالة عجيبة وهو يطالع تلك الأوراق .

ــ أنا لا أستطيع أن أجد .. الكلمات .. أو أنني لا أستطيع أن أكوِّن الجمل ، إنها تأخذ مجهودًا ضخمًا . أنا عندي .. الأفكار .. ولكني .. لا أستطيع .. السيطرة . هل تفهمني ؟ إنها تأخذ مجهودًا كبيرًا .. إنه شيء مضحك .. بين يدي كتابة من الصعب قراءتها .. حتى القلم لا أستطيع أن أجري به في سلاسة على الورق .

أما بالنسبة لفرانك فقد قال :

ــ لم يكن له أن يقول : إن ألف عام سوف تمضي ولن يمحى عار ألمانيا .

وسألته عما إذا كان لا يعتقد في صحة ما حدث ؟ .

وقال بعد أن فكّر للحظة :

ــ حسن . ولكن لا ينبغي لمواطن ألماني أن يقول هذا بأي حال .

وسكت فترة ثم سألني :

ــ أخبرني .. أنا لم أذهب إلى المحكمة يوم الإثنين .. هل صحيح أن « هويس » قال إن « هتلر » قد أعطى الأوامر بعمليات القتل بالجملة ؟ .

وقلت له :

ــ لقد قال إن « هملر » أعطاه أوامر هتلر المباشرة بعمليات الإبادة والقتل بالجملة في عام ١٩٤١ .

وأمسك « رينتروب » رأسه بين يديه وصار يهمس لنفسه :

ــ ٤١ .. ٤١ .. ٤١ .. يا إلهي ! هل قال « هويس » إن ذلك قد تم في عام ١٩٤١ ؟ .

وأجبت عليه :

ـــ نعم . وبدأ بالفعل في التنفيذ فور وصول أوامر الفوهرر . وتم الإعدام من كل بلاد أوروبا المحتلة .. الرجال .. النساء .. الأطفال وجميعهم كانوا يعيشون في أسر هادئة سالمة آمنين في بيوتهم . ولكنهم أخذوهم عرايا قد جردوهم من ملابسهم ، وساقوهم إلى غرف الإعدام بالغاز ، وكانوا بالآلاف . ثم نزعوا خواتمهم وأسنانهم الذهبية ، وقصوا شعور النساء ، وبعد أن عبثوا بهذه الجثث جروها إلى المحرقة الضخمة المعدة لهذا . هذا ما قاله « هويس » .

ونظر إليَّ « ريينتروب » محدقًا متعجبًا :

ـــ أنا لا أتصور هذا ! كل هذه السنين يا سيدي الدكتور ! .

ذلك الرجل يأتيه الأطفال في حب وثقة ، وهم يظنون أنهم ذاهبون للاستحمام !! لا بد أنه متعصب بالغ الجنون . لم يعد هناك شك إذن أن هتلر هو الذي أعطى مثل هذه الأوامر . لقد ظننت حتى الآن أنه ربما « هملر » في آخر أيام الحرب فعل ذلك تحت ضغط ما قد يكون لديه من ظروف . ولكن عام ١٩٤١ ؟ يا إلهي . يا إلهي .. إنه شيء فظيع .

وقلت له :

ـــ وماذا كنت تظن بعد أن أشعلتم نار الكراهية والبغضاء والحقد ؟ .

ليس هناك حد معقول للكراهية يمكن أن تتوقف عنده ، وهذا ما فعله قادة النازي .

ـــ ولكننا لم نتصور أبدًا أنها تنتهي هكذا . خذ مثلاً المسألة اليهودية فقد وجدنا أن نفوذهم صار كبيرًا وفعالاً في ألمانيا فاتجه التفكير إلى ترحيلهم إلى الشرق أو توطينهم في مدغشقر وهذا ما عرفته . ولعلك تعلم أنني لا أعرف شيئًا عن مسألة القتل الجماعي التي قالوا عنها .

زنزانة « فريك » :

كان « فريك » يشعر بقليل من البرد ، وكان يبدو غير مهتم على غير العادة ، فقد كان يحاول الاستعداد بدفاعه حتى آخر دقيقة ، وكان يكتب ملاحظاته التي سوف يدلي بها أمام المحكمة إن حدث ذلك .

وقال إنه لن يقف شخصيًا للإدلاء بأقواله ولكنه يحتاج إلى شاهد واحد هو من يدعى « جيسيفيوس » وكان مسئولاً في الجستابو ذات يوم . وكان قد قام بالشهادة لصالح « شاخت » أيضًا .

وقال إنه ليس لديه ما يقوله كثيرًا غير أنه لم ير الفوهرر بعد عام ١٩٣٧ ولا مرة .

وأنه لم يوافق أبدًا على تعذيب مخلوق .

وسألته عما إذا كان يدرك أن قوانين « نورمبرج » هي التي بدأت ربط الدولة بالعنصر ، والقضاء الصارم على عناصر أخرى .
وعند هذه النقطة هزَّ كتفيه وقال :

ــ كما تشاء . من حق كل جنس أن يحافظ على نفسه ، وهذا ما فعله اليهود تمامًا عبر آلاف السنين .

ــ ألا ترى أنه من الجنون محاولة إخراج فكرة العنصرية من ظلام القرون الوسطى ؟ والناس لا يمكنهم اليوم تجنب السكنى بجوار بعضهم البعض على اختلاف أجناسهم وألوانهم في مدينة واحدة في مجتمع حديث . كيف تقبل هذا وأنت محام ؟ .

وحدجني طويلاً وقال :

ــ حسن . عليك أن تواجه نفس المشكلة في أمريكا اليوم . البيض لا يمكنهم

التزاوج مع السود . القتل بالجملة لم يكن بسبب قوانين نورمبرج .. لعلها قد أخذت طريقها منها .. ولكن الفكرة لم تأت من هذه القوانين .

زنزانة « شترايخر » :

صار « شترايخر » أكثر خضوعًا ومذلة بعد شهور من الاحتقار البارد الصامت الذي لقيه من زملائه المتهمين ، وبعد الدعاية الكبيرة التي صنعت ضد المعادين للسامية .

عندما زرته في زنزانته لم يتكلم في مسألة عداء السامية كما كان من قبل .

وكنت أود أن أعرف الطريقة التي يفكر بها في الدفاع عن نفسه .

وقال إنه يظن أن الأمر معه لن يأخذ أكثر من يوم واحد . وليس هناك الكثير ليقوله في المحكمة . لقد ظن أن « روزنبرج » فيلسوف عميق التفكير . وأنه قد أعدّ دفاعه بشكل جيد . وهو يرى أن اليهودية العالمية سوف تحكم العالم يومًا ما . ويعلم أن أحدًا لم يعد يصدق هذا الكلام .

وقد شهدت زوجته وسكرتيره أنه أصبح خارج منطقة النفوذ والقوة تمامًا بعد عام ١٩٤٠ . ولم يعد عنده غير إصدار جريدته « العاصفة » .

زنزانة « فون شيراخ » :

كان أثر إبعاده عن نفوذ « جورنج » له التأثير العظيم على عودته إلى طبيعته . ثم جاء اعتراف فرانك فأحكم هذا التأثير .

وقال إن اعترافات « فرانك » قد دفعت المحاكمة إلى نقطة حرجة جدًا . وهو ينوي أن يطور بأقواله الحقائق التي أسفرت عنها الاعترافات . وسوف يعترف بعدائه

للساميه وسيقر بذنبه هو الآخر . وقد ناقش مع محاميه الأسئلة التي ينبغي أن يوجهها إليه في المحكمة ليعرف الجميع كيف اعتنق هذه الأفكار ، وكيف تورط فيها من خلال جوليوس شترايخر وهتلر وكل القيادة النازية . وأنه سوف يقر ويعترف أن السياسة العنصرية هي خطأ ألمانيا المأساوي الصعب تجاهله .

زنزانة « سايس إنكوارت » :

دخلنا في مناقشات حول عداء السامية كنتيجة لسماعنا آخر شهادة في المحكمة . لم نتكلم حول « شترايخر » فقد ضاع تعصبه السخيف خلف ثقافة « سايس انكوارت » العالية . ومن وجهة نظره أن عداء السامية صار مسألة أكاديمية . ولكنه على رأيه أن تصوراته حول المسألة اليهودية لها أسس كثيرة في الحقيقة . وهو يرى أن ألمانيا بها عدد غير قليل من اليهود ، وليس هناك بأس في إعادة الترتيب ، وأن هذا ضروري جدًا .

وسألته :

ــ ما رأيك في التصور الأمريكي لحياة المجتمع كله في حالة من الهدوء والسلام مع حل ومعالجة مشكلة الأقلية حلاً لاعيب فيه ؟ .

وكان رأيه أن هذا يعد أمرًا منطقيًا في أمريكا ، فقد تكونت من كثير من الأنماط وفي وقت وجيز ولم تأخذ شكل الأمة عبر قرون طويلة كألمانيا . تكونت أمريكا من تيارات المهاجرين الذين كان عليهم أن يتحدوا في هذا الشكل مكونين مجتمعًا عالميًا ، ولا بد أن يتميز بهذه السمة لظروف تكوينه وتشكله . وهذا التكون الاجتماعي أهم من التكون السلالي أو الوراثي في هذه الحالة ، ومن الطبيعي أن يتطور بالنسبة للحالة الأمريكية . وربما يتطور على نفس المنوال بشكل عام ، لكنها لم تكن الطريقة التي تطورت بها الأمة الألمانية . هناك دائمًا اختلافات كثيرة بين الأمم في شكلها وتكونها وتطورها .

زنزانة « شــاخت » :

كان « شاخت » سعيدًا جدًا أن إجرام المتهمين الآخرين أصبح يظهر في وضوح شديد أثناء سير المحاكمة وتقدمها . ولم يستطع تجاهل الحفر العميقة التي حفرها فرانك لجورنج أثناء اعترافاته .

وقال « شاخت » :

ــ لقد قلت « لفرانك » إن الاعتراف الكامل هو أحسن ما يمكن أن يفعله . ولا تنس أن كل شيء مدون في يومياتك التي تم العثور عليها . فماذا كان أمامه أن يفعل غير الإقرار بجرائمه . ولم يكن « كالتنبرونر » شريفًا في كذبه الواضح أمام المحكمة . و « ريبنتروب » لم يكن غير شيء صغير . وكان « كايتل » شريفًاوأمينًا في شهادته ولكن لم تكن له شخصية . أما « جورنج » فقد أخذ مكانًا مرموقًا بين المتهمين .

وقلت :

ــ ولكن جبهته المتحدة ــ يقصد « جورنج » ــ القائمة على الولاء والدفاع عن النظام النازي يبدو أنها اضطربت . وأظن أنها تتفكك وتسوء أحوالها . وأتخيل أنك ستقف في المحكمة وقفة طيبة .

ــ حسن . أنا أرجو ذلك . أنا أفقد أعصابي بسهولة إذا وجهت إليَّ أسئلة غبية .

وأشار إليَّ إشارة خفيفة تفيد أن هناك قلة يمكنها أن تتحدث معه على مستواه وأنني أحد الأشخاص الذين يمكنهم تبادل الحديث معه بشكل لائق وفيه ذكاء .

وقال :

ــ إن المشكلة التي وقعت فيها الحكومة الألمانية أن هناك قطيعًا من الجهلة قد

تسنموا أرق المناصب ، بما فيهم « هتلر » نفسه .

وسكت للحظة ثم قال :

ـــ وعلى فكرة . لقد أخبرني « جورنج » نفسه عام ١٩٣٣ .. تذكر .. عام ١٩٣٣ ما يفيد هذا ، لقد أشار إلى « هتلر » قائلاً : « ذلك الجرسون القادم من قهوة في فينيسيا » . هكذا قال عن هتلر ! وبعد ذلك أقسم له يمين الولاء وهو يحافظ عليه حتى هذه اللحظة . هل تدري لماذا ؟ لقد تغاضى « هتلر » عن فساده وسرقته للكنوز ، وقدم له الحماية اللازمة . وقد اتضح هذا الآن . وأي أنواع الحكومات تلك التي كانت تحكم ألمانيا ؟ شخصيات مهزوزة معقدة بالغة الحماسة لأمور ليست واضحة تمامًا في ذهنها ، مع ضحالة التعليم والثقافة ، ولا توجد أية خلفية لهم على الإطلاق في المجتمع الألماني .

إني في غاية العجب . من ذلك الذي سوف يستجوبني أمام المحكمة ؟ .

لقد قدمت إلى المعتقل من موقع المعارضة لهذا النظام بأكمله . ولا يخفى عليك أنني قادم من معتقلهم .. لقد كنت ضد « جورنج » و « هتلر » والجميع وكل هؤلاء الجنرالات الذين لا شخصية لهم .. لا يمكنني تبرير تصرفاتهم ! وعلى الأخص عندما أقسم اليمين أمام المحكمة التي تنتظر إجابتي .

هناك أربعة مجرمين في نظري .. « جورنج » .. « ريبنتروب » .. « كايتل » .. ثم « ريدر » . ربما تكون إدانتهم من جانبي لا ترضيني ولكني لا أستطيع أن أساعدهم فالحقائق تفرض نفسها .. لا يمكنني تبرير تصرفاتهم !! ويجب أن يعلم شعبي كيف قاده هؤلاء الأوغاد إلى حرب لا ضرورة لها بالمرة .

وفجأة امتلأت لهجته بالسخط والغضب وقال :

ـــ كيف يجرءون على إقحام دولة في حرب ضروس دون أن يسألوا شعبهم عن رأيه في هذا على الأقل ؟ بعد تلك الخطبة التي ألقاها « هوشياخ »[٢٥] عن هتلر عام

١٩٣٧ لم يكن أمام هؤلاء القادة غير واجب مقدس وهو أن يواجهوا « هتلر » في شجاعة ويخبروه أنه يقود الأمة إلى حرب لا داعي لها . وكان عليهم أن يعترضوا ويبينوا عدم ضرورة احتلال بولندا .

ولكن هؤلاء القادة الملاعين لم يكن أمامهم ما يتقنونه غير أن يضربوا أحذيتهم في بعضها ويقفوا في انتباه ويلقوا التحية ويقرروا أنهم يستطيعون تدبير أمور الحرب في أي وقت وتوجيه الجيوش إلى أي مكان ! لا أستطيع الدفاع عنهم الآن .. ولا أقدر أن أعفيهم من المسئولية . حتى « شترايخر » أيضًا كان مسئولاً عن هذا الخراب . أما « جورنج » ذلك الذي يرتدي ثياب النمر ويجلس في القفص متحفزًا فهو أكثر الأشخاص فسادًا . يمتلئ بالكراهية والحقد .. ولا تنس أنه لص قبل كل هذا .

زنزانة « يودل » :

كان « يودل » يبتسم وهو يتذكر اعترافات فرانك وقال :

ـــ إني أعجب من حديثه النقي الصريح .. لقد كان في الأيام الخوالي يعيش كملك صغير يحكم إمبراطوريته الخاصة في بولندا . وكانت بيني وبينه مشاكل كثيرة .. كان يريد أن يبقى كل شيء تحت سيطرته حتى الخطوط الحديدية .. كل شيء ! .

وعندما ذكرت له اتهام فرانك لجورنج بالسلب والنهب بدت عليه علامات الرضا واتسعت عيناه . ثم سألني عما إذا كان « هويس » قد حصل على أوامر الفوهرر بالإبادة للمعتقلين في معسكر أوشفيتز في عام ١٩٤١ حقيقة . ومعنى ذلك أن هذه الأوامر كانت قبل أن تكون الحالة العسكرية جدية أو تستدعي أية إجراءات .

وقد أكدت له هذا ، وأخبرته أن الإبادة وعمليات القتل بالجملة قد بدأت قبل ذلك في معسكر اعتقال « تربلنكا » عام ١٩٤٠ . ولكن « هويس » هو الذي قام

بتأكيد العمليات وتطويرها بعد ذلك .

واشرأب يودل بعنقه محملقًا وأردت أن أسبر غوره فقلت :

ــ وذلك الرجل الذي كان يجلس معك في مقر القيادة العسكرية الألمانية ويتكلم عن حماية الوطن الأم ورد الاعتبار للشرف الألماني .

وهزَّ يودل رأسه موافقًا حزينًا وقال :

ــ نعم .. كلامك صحيح .. لم يكن عنده اعتبار للشرف أو شعور بالإنسانية إلا بقدر أنها أدوات تحقق طموحه . هذا واضح لي الآن أكثر من تلك الأيام بالتأكيد .. كان يتعامل مع الناس بقدر حاجته إليهم وفائدتهم له .. صرت أدرك هذا الآن أكثر فأكثر . وفي الحقيقة أصبحت أشك الآن أن الحملة ضد روسيا لم تكن مهمة على الإطلاق كما أكّد لنا في ذلك الوقت ، وأن المحاولات الدبلوماسية قد فشلت كما أخبرونا . وأنا أميل إلى أنه كانت لديه الرغبة الجامحة لاحتلال الروسيا وظن أنه الوقت المناسب لتوجيه هذه الضربة آنذاك ، بغض النظر عن ضرورة هذا من عدمه .

وكانت الخطط ضد روسيا من باب الاحتياط ولكنه أخرجها إلى مجال التنفيذ ولم نكن نعرف شيئًا بالمرة عن المحاولات الدبلوماسية وتطورها . والصورة السياسية أمامنا نحن ضباط القيادة العليا الألمانية كانت مليئة بالضباب وغير واضحة .

وسألته :

ــ وماذا عن غزو بولندا ؟

وقال يودل :

ــ نفس الشيء . هذا واضح لي الآن تمامًا . كانت حربًا لا ضرورة لها على الإطلاق . أقنعونا أن الدبلوماسية قد فشلت في حل المشكلات . .

ولكن هذا يبدو غير صحيح بالتأكيد ، وأنا أرى ذلك بوضوح الآن .

وسألته عن رأيه فيما يمكن أن يحدث لو أن الضباط والجنود أدركوا في عام ١٩٤٢ أنهم يحاربون حربًا لا ناقة لهم فيها ولا جمل ولا فائدة منها ولا يريدها أحد في ظل حكومة تصدر أوامرها بالقتل الجماعي مخالفة في هذا كل الأعراف الإنسانية .

وفكر يودل قبل أن يتكلم ، ثم قال في بطء :

ــ لا شك أنه سيترتب على ما تقول ردود أفعال غير مفهومة وقد تؤدي إلى اضطرابات في كل القوات المسلحة الألمانية . ولا أستطيع التكهن على وجه التحديد ماذا كان يمكن أن يحدث بالضبط .. الجنود الألمان ليسوا وحوشًا يا سيدي .. هم يؤمنون بأهمية شرف الغاية التي يقاتلون في سبيلها .. والضباط متدينون بوجه عام . أما معرفة حقيقة ما كانوا يقاتلون من أجله في ذلك الوقت ، وفهمهم للحالة كما نعرفها نحن الآن فلا شك أن ذلك كان سيحدث اضطرابًا عظيمًا .

ــ هل تظن أن ذلك كان يمكن أن يؤدي إلى ثورة ؟ .

ــ من الصعب أن نقول هذا ، فأثناء الحرب يكون التمرد مقرونًا بالخيانة العظمى ، وهي تهمة بشعة أثناء القتال . لهذا أستبعد أن ثورة ما كان يمكن أن تحدث لو علم الجند حقيقة ما يجري . ربما كانوا ينتظرون حتى تنتهي الحرب . ولكن هاأنتذا ترى ما حدث .

١٣

دفـــاع فـريك



٢٣ أبريـــل

ســاعة الغداء :

عبَّر عدد من المتهمين أثناء الغداء عن خيبة أملهم لأن « فريك » لن يقف بنفسه للاستجواب أمام المحكمة .

وقد أشار « فريتشه » إلى أن رجلاً مثل « فريك » كان بمثابة « أمين عام الحكومة » وهو يستطيع من هذا الموقع الذي شغله أن يوضح أمورًا كثيرة غير واضحة .

أما « فانك » فقد قال إن لديه بعض الأسئلة الهامة يجب أن يوجهها له .

وقد علقت بقولي :

ــ إن غاية ما يسعى إليه « فريك » هو إنقاذ رأسه ، أما هذه المحاكمة فهي لا تعنيه في قليل أو كثير .

وقد هزَّ « سبير » رأسه معلنًا موافقته على هذا التعليق .

أما « فريك » نفسه فكان يبدو هادئًا متمتعًا ببرود أعصاب يحسد عليه ، ولا يعنيه هذا كله وقال :

ــ سوف يتولى شاهدي تحديد علاقتي بنظام الشرطة ، وحتى يصل إلى هذه النقطة فإن عليه أن يقول أشياء كثيرة .

وكان « جورنج » وكأنه يجلس في قاع بئر مريضًا مستكينًا ، ربما بسبب تطور المحاكمة والبرود الذي صار يعامله به زملاؤه . وقد حاول أن يبدأ الحديث ليشارك به مع الآخرين ، ولكن أحدًا لم يلتفت إليه أو يهتم بالرد عليه .

وأخيرًا قام إليه « ساوكل » في عصبية وسأله :

ــ أخبرني الحقيقة . هل تعرف قصة المليونين ونصف من البشر الذين تم إعدامهم في معسكر « أوشفيتز » ؟ .

وأجابه « جورنج » وهو يهز يديه يائسًا :

ــ لا .. لا .. بالطبع لا .. لقد فكرت في هذا الكلام كثيرًا .. وهو مستحيل من الناحية الفنية .

وذكَّرته قائلاً :

ــ لقد سمعت بنفسك شهادة « هويس » وتعرف أنه قد شرح لي الطريقة التي كان يتم بها القتل بالتفصيل . وهي نوع من الإنتاج الضخم العادي الذي تم من خلال خطة ونظام .. إنتاج ضخم في قتل البشر ! .

٢٤ أبريـــل

جيسيفيوس يفضح جورنج

ســاعة الغداء :

في قاعة طعام الكبار كان « فون بابن » و « فون نيوراث » يلعنان ذلك الرجل

السمين ــ يقصدان « جورنج » ــ لإسراعه بفرض « الانشلوس » بالقوة على الشعب النمساوي ورفض الاستفتاء لصالح الوحدة مع ألمانيا خوفًا من النتيجة .

وكان « جورنج » يروح ويجيء بعيدًا عنهم بينما يشير إليه « فون بابن » بإصبعه وهو يحدث من حوله :

ــ هذا الرجل هو المجرم الحقيقي . هذا السمين الذي يسير هناك رفض أن يجعل الاستفتاء يأخذ طريقه إلى الناس حيث كانوا سيصوتون ضد الوحدة مع ألمانيا . ثم أغرى « هتلر » باجتياح الجيوش الألمانية لحدود النمسا .. هو الذي فعل ذلك ! .

وعندما عاد المتهمون إلى القفص بدأت موجة من الإثارة العارمة حول أغلب التوقعات حول شهادة « جيسيفيوس » حيث انتبهوا إلى كتابه الذي كان قد كتبه « حارب حتى النهاية » .

ومن ناحية أخرى كان « روزنبرج » يزجر « فريك » لأنه يفكر في دعوة « جيسيفيوس » للشهادة في صالحه ، عندما علم أن كتابه يدين القيادة النازية ويدمرها تمامًا بما رواه في الكتاب .

جلســة بعد الظهر :

بدأ الشاهد « جيسيفيوس » شهادته .

لاحظ « جورنج » أن القاضي « باركر » ينظر إليه أثناء إدلاء الشاهد بشهادته .

وسلم القاضي « باركر » ورقة صغيرة إلى « بيدل » وسرعان ما رأينا القضاة الجالسين على المنصة يرقبون « جورنج » الذي بدأ في التمثيل .

صار « جورنج » يهز كتفيه استنكارًا وتكذيبًا لكلام الشاهد ، وهو يلتفت مرة ناحية « دونيتز » وأخرى ناحية « هيس » الذي كان يجلس فاقد الذاكرة وكأنه ليس من هذا العالم ، وكانت تبدو على وجهه بعض الدهشة أحيانًا لعدم فهمه لما يدور

حوله من أشياء عجيبة .

وصار « جورنج » يهمس أحيانًا لهما ببعض العبارات غير المسموعة دون أن يبدو أي رد فعل من أحدهما .

وكان « جيسفيوس » قد بدأ يشرح كيف شارك « جورنج » في بناء الجستابو وفي الفضائح النازية الكبرى .

وانسابت علامات الرضا والاهتمام والتسلية على وجوه المتهمين الجالسين في القفص مع شرح « جيسفيوس » فقد كان معظمهم له رأي غير حسن في « جورنج » وبيَّن الشاهد للمحكمة الحمامات الدموية التي أجراها « جورنج » و « هملر » للتخلص من « روهم » وقوات العاصفة ليحكموا السيطرة على الحكومة آنذاك .

وأثناء الاستراحة بعد الظهر انفجرت انفعالات المتهمين .

قفز « يودل » واقفًا منفجرًا في الكلام صائحًا بأعلى صوته وقد كانوا يناقشون حمامات الدم التي قتل فيها روهم وآخرون . وصار « يودل » يصيح :

ــ ليس هناك خنزير أحسن من الآخر . إنه لعار لا يصدق . ما أتعس هؤلاء الأبرياء المساكين الذين اتبعوكم في إيمان عميق ، وإذا بهم كانوا يشاركون في هذه المجازر دون وعي منهم .

واضطرب « يودل » وانهمرت الدموع من عينيه ولم يعد يسيطر على نفسه . وعلّق فريك ببرود :

ــ ربما كان الأمر كما سمعناه . ولكني أؤكد أنه لم تكن هناك مجزرة مدبرة . كل ما في الأمر أن هناك جناحًا قد قضى على الآخر .

وانتبه « يودل » وقال في كراهية عميقة :

ــ ماذا تعني أنه لم تكن هناك مؤامرة ؟ لقد كنا نجلس في مقر القيادة العليا

ومسدساتنا محشوة على مكاتبنا . لقد كانوا قطيعًا من الخنازير . كلا الجانبين .

وكان « فريتشه » و « شاخت » و « سبير » يخفون سعادتهم ورضاهم بصعوبة . وكان حبورهم يظهر رغمًا عنهم أثناء الحوار .

وهمس « شاخت » إليَّ :

ــ هذا حسن جدًا . ماذا أقول لك ؟ كل الأعمال القذرة التي تمت في الخفاء سوف تظهر إلى النور رويدًا رويدًا . كان غباء من ممثل الادعاء أن يوجه إليَّ الاتهام وأن يجعلني أجلس بين هؤلاء .

وفي نهاية الجلسة حاول « جورنج » أن يخطب في المتهمين والمحامين معًا ، وهو بهذا يقاوم ذهابه إلى السجن قبلهم كما تقضي الأوامر بذلك . وكان أن دفعه الجند بالقوة إلى المصعد واختفى .

وعلق « شيراخ » بعد ذلك :

ــ لقد قدم الشاهد لفريك خدمة كبيرة ، ولكنه آذى « جورنج » أذى بالغًا .. ولكن « شاخت » هو أحسن من في هذه المجموعة بالتأكيد .

السجن في المســاء

زنزانة شــاخت :

عندما دخلت زنزانة « شاخت » قابلني في تباه وعظمة وقال :

ــ ماذا يمكن أن أقول أكثر مما سمعت في المحكمة ؟ لقد انتهت أسطورة « جورنج » . أم تشك في هذا ؟ ينبغي أن أقول إنني سعيد بالفعل فبعد هذه السنين التي مرَّت جاء الوقت الذي يلقى فيه هذا المجرم جزاءه على حكمه البلاد بالحديد

والنار وتعذيب المواطنين الألمان الأبرياء .. هل رأيت كيف بدا كالوحش ؟ والآن قد انتهى كل شيء . شكرًا للرب . لقد نزع عن وجهه القناع .. في الحقيقة كان غباء منهم أن يقدموني للمحاكمة . كان ينبغي أن أكون أفضل شاهد لديهم .

زنزانة « فون شيراخ » :

لم يستطع « فون شيراخ » أن يتجاهل فضح بطله وكشفه في المحكمة .

وقد التقطت هذه النقطة لأتحدث عن بطولة « جورنج » الزائفة ، وأن هذا لم يعد ينطلي على العالم الخارجي . وأن هذه الحقائق الجديدة قد عرفها العالم كله . وذكرته بفكرة قديمة قد أخبرني بها هي أن « هتلر » و « هملر » كان كل منهما يحمل للآخر شيئًا ما حول عملية تصفية « روهم » ، وأن بينهما الكثير من الاتفاقات الإجرامية . والآن قد جاء دور « جورنج » لتظهر حقيقة أعماله بهذا الخصوص .

وقلت له : إن الثلاثة يربطهم حلف إجرامي ، وكانوا ينسقون سويًا جميع الأعمال القذرة التي حدثت .

كان « فون شيراخ » متأثرًا جدًا وقال لي :

ــ لقد كنت غلامًا صغيرًا عندما كان « جورنج » هو بطل الحرب العالمية الأولى الكبير . ولم يكن هذا الكلام يفيده كثيرًا عند الدفاع عن نفسه أمام المحكمة . ولن ينفعه لو أدين سياسيًا .

وقال : إنه لم يشترك مع « جورنج » في شيء ، وأن المشكلة الأساسية هي نظرية العرق المتميز التي أدت بنا إلى هذا الشكل من سوء الحظ .

زنزانة « فريك » :

كان « فريك » يعلم جيدًا أن شاهده يشوي « جورنج » على نار هادئة ، ولكنه

لا يريد أن يذكر ذلك في حديثه ، ولكنه قال ببساطة إن شاهده لم يفعل سوى ذكر الحقائق التي يعرفها . وخلفية صعود « هملر » إلى السلطة قد ظهرت تمامًا بوضوح .

وقال :

ــ كنت أتمنى أن أكسر عنق « هملر » ولكن « هتلر » كان يحميه دائمًا .

وبالإضافة إلى هذا فقد كان « هتلر » لا يحب أن تسير الأمور على طريقتي ، فقد كنت أود أن يسير كل شيء وفقًا للقانون . ولا تنس أنني محام .

٢٥ أبريـــل

المؤامرات والفضائح النازية

جلســة الصباح :

شهد « جيسيفيوس » باشتراك « جورنج » في الجريمة التي كانت لها صلة بفضيحة الفيلد ماريشال « فون بلومبرج » وزواجه .

فبمعرفة « جورنج » ومساعدته تم زواج الفيلد ماريشال من امرأة سيئة السمعة . ثم استخدم جورنج هذه القصة في إغراء « هتلر » بطرد الفيلد ماريشال « فون بلومبرج » من قيادة القوات المسلحة الألمانية .

وظهر أيضًا دور « جورنج » القذر في التخلص من « فون فريتشه » رئيس الأركان في القوات المسلحة الألمانية ، وكيف اتهمه بالشذوذ الجنسي وأعدَّ له من يشهد بهذا . وكان هذا مدعاة لشاخت وكاناريس[٢٦] وآخرين للتفكير في التخلص من « هتلر » ومن كل معاونيه والحكم النازي بشكل عام .

وحاول « جورنج » أن يضحك ساخرًا معلقًا :

ـــ هو يحاول ببلاهة أن يعيد على أسماعنا تلك الشائعات التي كانت تدور خلال العشر سنوات الماضية .

وقال لي دونيتز :

ـــ دعه يتكلم . إنه يوضح كيف وضع السياسيون أنفسهم في حفرة وكانوا ينتظرون من الجنرالات أن يخرجوهم منها . ولكن هتلر قضى عليهم .

وكان « كايتل » غاضبًا جدًا لذكر فضيحة زواج الفيلد ماريشال « بلومبرج » أمام المحكمة وقال :

ـــ هذا شيء لم يسمع به من قبل . من قلة الشرف ومن العار أن نتحدث عن هذه الفضيحة ونضعها هكذا أمام الرأي العام . ولو أن هذا لا يدينني في شيء .

وتدخل « جورنج » قائلاً :

ـــ لا فائدة من الشكوى يا فيلد ماريشال . هؤلاء الناس لم ينالوا من التربية مثل ما نلناه ، ولا يفهمون هذه الأشياء ، وهذا ما أقوله لك دائمًا .

وقلت لكايتل :

ـــ نعم إنها خدعة قذرة أن نخفي هذه الأشياء عن أهل العاصمة في ذلك الوقت . والآن صار من الصعب تجنب معرفة الناس لكل الفساد الذي كانت عليه القيادة النازية ، وهم الآن يعرفون جيدًا كيف خدعتهم الحكومة وكيف كانت تحيك المؤامرات من خلف ظهر الشعب الذي كان يصدقهم ويثق بهم .

ـــ أنا لم أعد أهتم بشيء الآن . ولكن مثل هذه الفضيحة لم يكن من المناسب أن تنشر على الناس في ذلك الوقت . لقد كنت جنديًا شريفًا على مدار أربعة وأربعين عامًا . واليوم يريدونني أن أبدو أمام الناس كقرد متخليًا عن كل التقاليد التي ربيت

عليها ونشأت فيها(*) .

ســاعة الغداء :

بينما كانوا يتوافدون للغداء كان « فون شيراخ » ينظر متلصصًا إلى بطله الذي فضح . وكان جميع المتهمين قد بدا عليهم التأثر الشديد والغضب الصامت .

حتى « شاخت » كان عصبيًا وهو يتحدث إليَّ ، فقد كانت النخبة العسكرية من المتهمين تنظر إليه شذرًا بين الحين والآخر ، وكذلك بعضهم من غير العسكريين .

وقال لي « شاخت » :

ــ هأنتذا ترى .. حتى كثير من الألمان البسطاء غضبوا لأفكارهم حول الوطنية . كان من الأحسن لجيسيفيوس ألا يتعرض لقصة الغدر هذه .. ولكنه قد ذكر الحقائق ببساطة . وعلى أي حال الحقيقة هي الحقيقة . ولا توجد طريقة تمنعها من الظهور يومًا .

وكان « دونيتز » يروح ويجيء في صالة غرفة الطعام وهو في استياء متجنبًا لأول مرة حديثي مع « شاخت » .

واستمر « شاخت » في حديثه :

ــ هأنتذا ترى عقلية العسكريين التي تسير في طريقها بعيدًا عن فهم المشاعر الإنسانية . هكذا كانت . التهديد بالحرب معناه حياة ملايين الألمان معرضة لخطر الموت . الدمار . الفوضى . وكل هذا قد حدث ، وعندما يأتي الوقت لمحاولة منع هذا تجد بعض الناس لا يمكنهم التخلي عن مفهومهم الضيق لمعنى الواجب .

(*) كان ابن كايتل قد تزوج من ابنة فون بلومبرج زواجًا خاصًا ولهذا كانت فضيحة زواج الفيلد ماريشال بلومبرج تؤثر تأثيرًا مباشرًا على عائلة كايتل . (المترجم) .

جلســة بعد الظهر :

وفي جلسة بعد الظهر شرح الشاهد محاولة اغتيال هتلر في ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ وتفاصيل المؤامرة كما حدثت . وكثير من المكايد والفضائح التي شارك فيها « جورنج » وكثير من الجنرالات .

حتى الجنرال « روميل » جاء دوره في المؤامرة عندما علم أنه قد اختير ضمن مجموعة تقود البلاد بعد نجاح الانقلاب بعد اغتيال هتلر في ٢٠ يوليو(٢٧) .

وأثناء الراحة بعد الظهر أخبرني « شاخت » أن هذا كله معناه نهاية أسطورة هتلر ، فقد ظهر فساد النظام النازي وفضح تمامًا .

أما « فريتشه » فمن بين ضباب دموعه للمرة الثانية ــ وكان يضع نظارة سوداء ليخفي ذلك ــ فقد قال :

ــ على العكس أيها الأصدقاء . هذا يعني أن أسطورة هتلر قد بدأت .

وسألته :

ــ هل تعني بقولك هذا أن الفساد والمؤامرات والفضائح التي صنعها نظام هتلر يجعل منه بطلاً أمام الشعب الألماني ؟ .

وتدخل « سايس انكوارت » في هذه اللحظة قائلاً :

ــ لا .. لأن الصورة غاية في الفظاعة .. مكايد لا حصر لها .. مؤامرات لاغتيالات متنوعة وكثيرة .. وأنا أظن أن الشعب الألماني يشعر بخيبة أمل لا حد لها .

وتحت استجواب القاضي « جاكسون » بيَّن « جيسفيوس » مؤامرة حريق الرايخستاج الألماني . فقد أمر هتلر بعمل حملة إعلامية على نطاق واسع وكبير . ولهذا دبَّر « جورنج » و « جوبلز » ورئيس قوات العاصفة « كارل أرنست » كيف يشعلون النيران في مبنى الرايخستاج ثم يوجهون التهمة إلى الشيوعيين . وشرح كيف

تخلص جورنج من جميع الذين اشتركوا في هذه المؤامرة من قوات العاصفة أثناء حمامات « روهم » الدموية ، وكانت هناك قوائم بمن يجب قتلهم في هذا اليوم .

السجن في المســاء

زنزانة « شاخت » :

شرح « شاخت » المحاورات التي دارت حول أسطورة « هتلر » قائلاً :

ــ هم يحاولون أن يقولوا إن كل هذه المؤامرة التي حيكت ضد « هتلر » ربما تساعد في المستقبل على ظهور فكرة أن هذه الأسطورة قد طعنت من الخلف بالضبط مثلما حدث عقب الحرب العالمية الأولى . ولكن الأشياء التي ذكرها الشهود والتي عرفت للمرة الأولى قد قضت كلية على سمعة « هتلر » ودمرته كبطل .

تخيل معي هذا المنظر ..

الفيلد مارشال « فون فريتش » يمثل أمام « هتلر » ويقسم بشرفه العسكري أن التهمة الموجهة إليه بالشذوذ الجنسي تهمة باطلة ولا أساس لها .

وتأمل معي .. هتلر قائد الأمة يتجه إلى الباب بنفسه ويدخل شخصًا مغمورًا صعلوكًا رديئًا ليواجه الفيلد مارشال ويكابر في اتهامه له .

رئيس ألمانيا يرفض قسم الشرف العسكري للفيلد مارشال المشهور ويقبل شهادة مأجور مثل هذا !! .

لا يا سيدي .. الألمان لا يمكن أن يغفروا شيئًا مثل هذا أبدًا .

وأعاد « شاخت » ما كان قد قاله عن دستة من الرجال الشجعان أثناء الغداء فقال :

ــ والآن « فون بابن » يريد أن يعرف لماذا لم أوافق على انضمامه لنا ضد « هتلر » . لماذا ؟ كيف أفعل ذلك ، وهو يترك القتلة النازيين يغتالون مرءوسيه ومن كانوا يعملون معه واحدًا بعد الآخر وهو لا يزال مستمرًا في اللعبة ؟ .

بعد عملية (الانشلوس) ظننت أنه قد استبعد . ولكني وجدته قد ألحق بوظيفة سفير بوزارة الخارجية الألمانية . هل يمكنني التعاون ضد « هتلر » مع رجل مثل هذا ؟ والآن هو يريد القول إنه كان أيضًا يعمل ضد هتلر . لا . لقد كان في وضع لا يسمح له بالوقوف أمام « هتلر » .

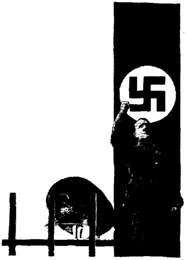
٢٦ أبريـــل

جلســة الصباح :

تحت أسئلة القاضي « جاكسون » استمر « جيسيفيوس » في شهادته وكانت حول وحشية رجال قوات العاصفة منذ بدأ نشاط الحزب في البدايات الأولى حيث وضعوا أساس القسوة التي ساقت النظام إلى ما تم أخيرًا من عمليات القتل بالجملة في معسكرات الاعتقال .

١٤

دفـــاع شترايخر



٢٦ أبريـــل

شترايخر يقف أمام المحكمة

جلسة بعد الظهر :

بدأ « شترايخر » دفاعه بأن شجب المحامين الذين وكلوا للدفاع عنه ، لأنهم لم يديروا الدفاع عن قضيته في الخطوط التي كان يريدها .

وهذا أجبر محامي الدفاع في الدفاع عن أنفسهم أمام المحكمة في أنهم لا يمكنهم تبرير عدائه للسامية . وكان لا بد من الانتظار لقرار المحكمة عما إذا كان يمكن للدفاع أن يستمر في مهمته لمساعدة موكليه تحت هذه الظروف .

وأثناء هذا طلب من « شترايخر » الاستمرار .

وبدأ « شترايخر » بخطبة ملتهبة ووصف نفسه بأنه مبعوث العناية الإلهية والشخص الذي هيأه القدر لمعاداة السامية .

ووصف بطريقة درامية حماسية كيف التقى بهتلر وكيف انبهر به ولا يزال يذكر

تلك الهالة التي كانت تحيط رأسه عندما شاهده لأول مرة .

وكان القضاة يستمعون إليه ونظراتهم مليئة بالتهكم .

وفي القفص اعتمد « جورنج » رأسه بيديه في عظمة وكبرياء ولكنه بدا كمريض .

أما « دونيتز » فقد هزّ رأسه حزينًا ثم أغلق عينيه .

وأثناء الاستجواب وبخ « شترايخر » لوصفه الشاهد السابق جيسيفيوس بأنه خائن وعميل .

وبينما كانوا يتجمعون خارجين إلى المصعد بعد رفع الجلسة أبدى جميعهم استياءهم ما عدا « فريك » ، وكان استياؤهم بالكلام والإشارة .

أما « فريك » فقد ذكر أن « شترايخر » قد تكلم كلامًا جيدًا .

٢٧ ــ ٢٨ أبريــل

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « يودل » :

كانت الكآبة واضحة على « يودل » عندما دخلت إليه . وأخبرته أنني أفهم جيدًا حقيقة شعوره ، وهو يرجع بوضوح لكل ما ثار في المحكمة خلال الثلاثة أيام الماضية . وصار يتكلم بهدوء وتؤدة :

ــ هذا صحيح .. هو شيء شديد المرارة . وأنه ليس من دواعي السرور أن ندور في هذه الحلقة المريرة ونهاجم فيها السياسات القذرة ونعيد الحديث حولها مرة

ومرة في الوقت الذي أشعر فيه الآن بالحس الوطني الطبيعي .

وضحك « يودل » عندما تذكر كيف بدأ « شترايخر » كلامه رافضًا محاميه .

وذكرت له أن محررًا في جريدة (العاصفة) هو « هايمر » سوف يظهر كشاهد في المحكمة .

وقال « يودل » إن كلا من « هايمر » و « شترايخر » كانا يعملان كمدرسين في المدارس .

وقال أيضًا :

ـــ أمثال هذا النوع من المدرسين يبحثون عن فرصة يحصلون فيها على شيء من القوة والاحترام .

وسألته عما يمكن أن يكون هامًا ومثيرًا وراء هذا .

وقال :

ـــ ربما لا تدرك هذا . ولكن مدرسي قواعد اللغة ينظر إليهم نظرة ليس فيها الكثير من الاحترام . هذه هي نظرة مواطنينا إلى هذه المهنة . وعلى الأخص في « بافاريا » . فهؤلاء المدرسون في المدن الكاثوليكية يبحثون عن الكنائس التي يقل فيها عدد القسس ، فهم يذهبون للعزف على (الأرغول) أيام الآحاد ، أو يقومون بما يطلب منهم من عمل .

زنزانة « فون شيراخ » :

لم يكن « فون شيراخ » مرتاحًا للحديث عن « جورنج » بعد أن فضح ونزع عنه قناع البطولة .

على أي حال فقد كان لديه الكثير ليقوله عن فريك :

ــ في الحقيقة هو رجل ممتاز . لقد ظهر « فريك » بعد كل ما سمعناه أنه كان دائمًا ضد النظام النازي . لماذا ؟ عندما كنت صبيًا في المدرسة كان « فريك » زعيمًا كبيرًا للعصبة النازية في الرايخستاج . كان أحد الذين جاءوا بهتلر إلى الحكم . لقد كان أمينًا عامًا للحكومة بصفته وزيرًا للداخلية عندما وصل الحزب إلى القوة والحكم . والآن هو يمسك بذيل « شاخت » لأنه يهاجم « هملر » دائمًا . ولهذا فإنه وصف « جيسيفيوس » بأنه هو شاهده . وهو يعلم أن « شاخت » سوف يقدم عرضًا جيدًا أثناء المحاكمة ومن المحتمل أن يصدر حكم ببراءته .

إنه حتى لم يكلف خاطره بالوقوف للشهادة من أجل الآخرين فهو يخشى التورط في جملة قد تضره . وكل ما يعنيه هو إنقاذ عنقه من الإعدام .

في الحقيقة هو شنيع أن أتذكر أنه كان زعيمًا نازيًا كبيرًا عندما كنت طفلاً . والآن هو لا يريد أن يعرف أي شيء عن الحزب .

ويرى « فون شيراخ » أن مستقبل عداء السامية في ألمانيا بين يديه ، وأن كل شباب ألمانيا يسمعون له ويطيعون فهو رئيسهم . فإذا ظلّ صامتًا حول هذه النقطة فسيفهم الشباب أن كل شيء يسير على ما كان من قبل . أما إذا أخبرهم كيف خدعوا جميعًا فسوف تكون هذه هي نهاية عداء السامية في ألمانيا .

وقلت له : إن ما ينبغي عليه عمله هو عدم الصمت بل يجب أن يقول ما يعتقده ويعلنه للألمان جميعًا وذلك من أجل شعبه . ويوضح كم كان « هتلر » سطحيًا وكيف خان شعبه .

وتكلمت حول هذا الموضوع كثيرًا ، وأخبرته أن التاريخ بشكل عام والألمان بشكل خاص لن يحترموا كثيرًا هؤلاء الساسة السفلة الذين أضروا شعوبهم وخنقوها واستعبدوها من أجل أهداف لا معنى لها . وأن رجلاً مثل « جورنج » لن يحظى باحترام أحد . ولكن رجلاً مثل « سبير » الذي وقف ضد « هتلر » عندما أدرك

ما يفعله في خداع شعبه هو رجل جدير بالاحترام .

وأظن أن هذا قد أحدث تأثيرًا في « فون شيراخ » .

زنزانة « رينتروب » :

قال « رينتروب » إنه لا يزال يشعر بصعوبة في الكلام ورغم ذلك تحدث كثيرًا . وأعاد على مسامعي معظم محاوراته وتبريراته ، وفي رأيه أن خسارتهم للحرب خطأ عظيم . وأكّد أنهم لم يخرقوا معاهدة ميونخ بل التزموا بها ، وكل ما هنالك أن « هتلر » شخصية حماسية بشكل عام وهو شديد التأثير .

وفي هذه اللحظة تمنيت لو كان « هتلر » لم ينتحر ووقف للاستجواب أمام الكولونيل « إيمن » وكان « رينتروب » سيعلم ساعتها من هو « هتلر » .

وذكر أنه ليس معاديًا للسامية وأن له أصدقاء أعزاء من اليهود . ولكنه كان أحد أعضاء حكومة سياستها معاداة السامية ، ومن الطبيعي ألا يتخذ سياسة خاصة تتناقض مع سياسة حكومته .

وأخبرني في استنكار أن الادعاء قد قدم بعض المستندات التي يثبت فيها معاداته للسامية وأنه كان سببًا في الحرب العدوانية . ولكنه على يقين أنه كان يمكنه أن يقدم مستندات أخرى فيها عكس ما قدم تمامًا .

ثم أخذ طريقًا آخر في حديثه وقال : إن أمريكا قد استخدمت جيشها لقمع معارضيها مائة وخمسين مرة خلال المائة والخمسين عامًا التي مضت .

ولكنه لم يخبرني من أين جاء بهذه المعلومات .

وبعد لحظة سألني :

ـــ ماذا سيقول الناس عني بعد أن تنتهي قضيتي ؟ .

ولم أستطع أن أنطق بعبارات مشجعة فلم يكن لدي ما أقوله له في هذا المجال .

زنزانة شاخت :

أخبرني « شاخت » أن الجميع قد قاطعوه عدا « سبير » ، وأنه لن يتأثر حتى لو قاموا عليه وشنقوه فهم عصبة من المجرمين على حد تعبيره .

وانبرى يتحدث كعادته :

ــ يمكنك أن ترى « شترايخر » المنتفخ الأوداج وهو واقف أمام المحكمة ، ثم تتبين أي نوع من الناس كان يقوم « هتلر » على حمايتهم حتى اللحظة الأخيرة .

لم يكن عند « هتلر » هذا أدنى اعتبار لقيم المروءة والشرف والكرامة ، وكل ما فعله أن جمع حوله مجموعة من حثالة المجرمين ووضعهم في مراكز القوة والسلطان ، ثم أجبر صفوة الرجال على أن يقبلوهم ويوافقوا عليهم ، وإن لم يفعلوا فهو يصفيهم واحدًا بعد الآخر .

٢٩ أبريـــل

جريدة العاصفــة

جلســة الصباح :

حاول « شترايخر » إثبات أن سبب تدمير معابد اليهود كان من أجل الحفاظ على الطبيعة المعمارية العامة للمدن . وأضاف أن المظاهرات التي قامت ضد اليهود في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ لم تكن عملاً تلقائيًا ولكنه كان برنامجًا أعده « جوبلز » الذي كانت له معرفته الخاصة بهذه الأمور .

وجاء وقت هددت فيه جريدة « العاصفة » بالإلغاء ولكنه حصل على دعم مكتوب بالاستمرار من « هملر » و « فون شيراخ » .

وبطبيعة الحال وبصفته من المعادين للسامية فليس من المنطقي أن يهتم بوصف الملكات الخاصة لليهود أو المزايا التي يختصون بها إن وجدت .

وعند الاستراحة عاد إلى القفص باحثًا بعينيه في الوجوه متسولاً نظرة تشجيع أو عطف بلا فائدة ، فقد أدار الجميع ظهورهم له . ولكن « رينتروب » قال له : إنه يمكنه أن يذكر أمام المحكمة إذا أراد أنه ــ أي رينتروب ــ لم يكن متعصبًا ضد السامية .

ونظر إليه « شترايخر » صامتًا شاردًا .

وأضاف « روزنبرج » كأنما يذكره بشيء ينبغي قوله أمام المحكمة أن الكتاب والصحفيين اليهود هم الذين بدءوا بمهاجمة النظام النازي وكان من العدل أن يرد عليهم الكتاب النازيون . وربما كان هذا غاية ما يمكن لروزنبرج أن يقوله دفاعًا عن المتهمين .

وقد هزَّ « شترايخر » رأسه موافقًا على قول هذه العبارة .

وعودة إلى الشهادة أمام المحكمة فإن « شترايخر » قد أقر بمسئوليته الكاملة عن الجريدة ، بالنسبة للمقالات التي كتبت أو أولئك المحررين الذين كانوا ينادون بحرق الكتب الخاصة بالطقوس العبرية والديانة اليهودية .

وكان قد بدا في نبراته شيء من الازدراء لمحاميه الذي يتولى الدفاع عنه مما دعا المحكمة إلى لفت نظره بضرورة احترام المكان بكل من فيه أو تأمر فينتهي الاستجواب .

ســاعة الغداء :

كان هناك اشمئزاز عام وإحجام عن « شترايخر » أثناء الغداء ، وكانوا ينظرون

إليه كشخص غاية في السفالة والانحطاط .

جلسة بعد الظهر :

واصل « شترايخر » كلامه منكرًا معرفته بعمليات القتل بالجملة التي تمت . ولكن الاستجواب الذكي الذي قام به السيد « جريفث جونز » ، والذي أجراه ببطء ومهارة أجبر « شترايخر » على الاعتراف بأنه كان على علم بعمليات التعذيب التي حدثت في المعتقلات ، وكل الاضطهاد الذي كان . واعترف أيضًا أنه كان يعلم بعمليات القتل بالجملة ، فقد كانت وكالات الأنباء العالمية تذيع هذه الأخبار ، وكان يطلع عليها باستمرار . ولكنه قال إن كونه يقرأ هذه الأخبار ليس معناه بالضرورة أنه يصدقها .

وقال : إن كونه يكتب أو يتكلم عن القضاء على اليهود فليس بالضرورة أنه يعنيه أو يطلب حقيقة تنفيذه وهو لا يعدو في النهاية ضربًا من ضروب الأدب والكتابة .

السجن في المســاء

زنزانة « فريتشه » :

كان تعليقه على « شترايخر » مختصرًا وأصاب الهدف مباشرة وقال :

ــ حسن . لقد أحكموا الحبل حول عنقه . هذا هو كل شيء . وأظن أن نهايتنا مثله .

وتحدث وهو يغالب البكاء وصار يخبرني عن استنكاره لكل ما حدث من أمور مؤلمة في ذلك الماضي القريب .

ولم يكن الرجل متماسكًا بأي حال ، وقال : إن «شاخت » كان ممن أضاءوا له الأمور وأعلموه بالحقائق .

واستطرد في حديثه مبينًا أن بعض الناس كانوا على علم بحقيقة ما يفعله « هتلر » وهو يتعجب لماذا لم يقم أحدهم بالمخاطرة بحياته شخصيًا والتوجه مباشرة إلى « هتلر » وإطلاق الرصاص عليه . وكان غاية ما استطاعوه دائمًا خططًا غير مكتملة ، وقنابل لا تنفجر ، لأن واحدًا منهم لا يريد التضحية بنفسه .

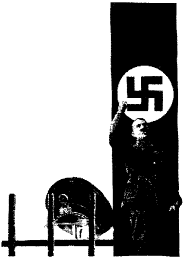
وصار يشرح خطورة ما أسموه « أسطورة الطعن من الخلف » وما يمكن أن يكون لها من تأثير إعلامي سيىء . وعلى كل حال فقد كان يشعر بالتعب والغثيان من كل ما يدور حوله .

زنزانة « دونيتز » :

لم يكن راغبًا في الكلام حول هذه السياسات القذرة والدعايات الرخيصة التي اتسم بها النظام النازي . وأكّد أن واحدًا من ضباط البحرية التابعين له ليست له صلة من قريب أو بعيد بشترايخر هذا . وهو حزين لأنه أرغم على الجلوس في هذا القفص مع هؤلاء وسط كل ما يسمع من أشياء يشيب من هولها الولدان . ولكنه سعيد أن قضيته قد اقتربت وأن واجبه أن يعطي المثل المستقيم لضابط البحرية الألماني الشريف ، وأن حالته سوف تبدو جلية واضحة في بساطة وأمانة . وتمنى أن يأتي اليوم الذي ينسى فيه هذا الكابوس الرهيب وكل ما سمعه في المحكمة .

١٥

الدفاع عن شاخت



٣٠ أبريــل

شاخت يقف أمام المحكمة

جلســة الصباح :

بدأ « شاخت » دفاعه راسمًا لنفسه صورة الوطني الغيور ، المثالي الذي يؤمن بالديمقراطية . وذكر أنه كان عليه أن يتعاون مع « هتلر » فقد كان زعيمًا لأكبر حزب في البلاد آنذاك . ولم تكن أفكاره وبرامجه قد تطورت بعد إلى الصورة التي ظهرت عليها بعد ذلك .

ثم ازدرى « هتلر » واحتقره في كلام كثير واصفًا إياه بأنه سياسي غوغائي من النوع الذي يستهوي الجماهير . وقال عن كتاب (كفاحي)(*) إنه كتاب رديء قد كتب بلغة ضعيفة وإن كاتبه متعصب جاهل مفتقر إلى المعرفة لم ينل حظًا من التعليم .

(*) كتاب (كفاحي) ألفه هتلر في السجن . (المترجم) .

وقال « شـاخت » :

ـــ ولكن « هتلر » كان على صواب في اعتراضه على معاهدة فرساي . وحتى الأمريكان أنفسهم لم يكونوا موافقين عليها لأنها ضد مبادئ ويلسون الأربعة عشر .

وأثناء الاستراحة الصباحية جاء « جورنج » من ركنه الذي يجلس فيه وقد تغير وجهه منفعلاً صارخًا وسط القفص ، والتف حوله « ساوكل » و « فون شيراخ » و « فرانك » و « روزنبرج » و « ريبنتروب » . ووصف كيف كان « شاخت » يحيي « هتلر » بكلتا يديه واقفًا على أطراف قدميه ولم يكن يحلم بالوصول إليه ليصافحه بيده . وتناول « شاخت » بالنقد والتجريح ووصفه بالنفاق أمام الجميع ، وحذر الشعب الألماني من الالتفات إلى مثل هؤلاء الناس الذين يشهدون بمثل هذه الأكاذيب .

ســاعة الغداء :

وأثناء الغداء حدثت مناقشات حية في غرفة الطعام المخصصة للشباب . وكان « سبير » يعمل جاهدًا ليحتفظ بفون شيراخ أو يجذبه تمامًا إلى تلك المجموعة التي صارت ضد أسطورة « هتلر » . وأعلن « سبير » أن « هتلر » لم يكن غير شخص متعصب متوسط التعليم ، ولم يكن في ذهنه أدنى تصور عن المشكلات الصناعية .

وسأل « فون شيراخ » متعجبًا عن وقوف « شاخت » بجوار « هتلر » في أول الأمر وكيف كان يؤيده ويسانده في البداية .

وأجاب « سبير » أن « هتلر » قد أثار إعجاب « شاخت » بالفعل ، وكذلك كان حالنا جميعًا على حد تعبيره ، فقد أعجب الجميع به في مبدأ الأمر .

ولكن « فون شيراخ » لم يتقبل فكرة أن « هتلر » رجل جاهل كما أراد « شاخت » أن يقول . قد يكون غير حاصل على درجة علمية عالية من التعليم ،

ولكنه قد قرأ كثيرًا ، وقد أبدى معرفة لها اعتبارها الكبير في مجالات متنوعة من المعرفة .

وقال « سبير » :

ــ « هذه هي المشكلة على وجه التحديد . هناك بعض الناس يقرءون قراءات سطحية في كثير من المجالات ، وبعد فترة يظنون أنهم خبراء في كل شيء .

أنا أفهم هذه الأشياء جيدًا . فهناك من يظن نفسه خبيرًا لمجرد استيعابه لكتاب في مجال ما ، وهناك فئة من الناس ينظرون نظرة مليئة بالتقديس البالغ لكل ما هو مطبوع ، وهذا يتوقف على ثقافتهم وتعليمهم ، والحال يختلف مع العلماء فهم لا ينظرون إلى الكتب والمؤلفات تلك النظرة المليئة بالقدسية ، بل يرجعونها دائمًا إلى وقتها وزمنها وظروفها التي كتبت فيها . آخذين في الاعتبار تقدم العلوم وتطورها . وليس للكلمة المطبوعة تلك القدسية التي ينظر بها إليها أولئك الذين نالوا حظًا ضئيلاً من التعليم ، أولئك الذين يرون آراءهم مطلقة ولها كل الحجية في جميع المجالات لمجرد أنهم قد قرءوا كتابًا ما » .

وكنت أشعر بشيء من الخطر لتطور المناقشات واختلاطها حول المعرفة من خلال ذاتية كل متكلم فيه .

ولكن هذا الحديث قد جذب « فون شيراخ » ثانية إلى حظيرة المناوئين لهتلر فقال :

ــ « نعم لقد استغرق في معاداته للسامية حتى الموت . وفي وصيته حاول أن يُحمِّل اليهود مسئولية قيام الحرب العالمية، ومن ثم فقد كانت عمليات الإعدام بالجملة لها كل مبرراتها من وجهة نظره » .

والتفت إلى « سبير » وأضاف :

ــ « ينبغي عليَّ أن أقول شيئًا حول هذه الأمور عندما نأخذ مكاننا أمام المحكمة

للدفاع عن أنفسنا » .

وأراد « سبير » أن ينتهز الفرصة للتأثير عليه فقال :

ــ « نعم هذا صحيح . وكما أخبرتك مرة ينبغي أن ألا ننسى قول « هتلر » بوضوح إنه لا يهتم بأن تضيع من الشعب الألماني آخر فرصة له في البقاء في سبيل جيل آخر سوف يأتي بعد ذلك ، ولكن هل أمام هؤلاء الشباب الذين خلفتهم الحرب فرصة للبقاء والوجود ؟ لست أدري » .

ورفع « سبير » حاجبيه قائلاً :

ــ « وعلى فكرة ينبغي أن تريني هذا الكلام الذي قلت عنه ، فأنا لا أكاد أتخيله » .

وقال « سبير » إنه سيفعل وسيريه كيف أمر « هتلر » بالفعل بتدمير جميع المنشآت الخاصة بالشعب الألماني .

جلسة بعد الظهر :

استمر « شاخت » يبين أثناء شهادته كيف خان « هتلر » كل أصحاب المثل من الألمان أمثال « شاخت » ، وعرَّض به كثيرًا في حديثه . وأخبر كيف وقف « هتلر » وأقسم اليمين لحماية دستور فايمار ولكنه خرج بعد ذلك على جميع نصوصه وخرق قوانينه وقواعده . وكيف وعد الأقلية أن تأخذ حقوقها وبعد ذلك قضى عليها تمامًا . ووعد أن يحمي الكنيسة والمسيحية ولكنه آذى رجال الدين وانتهك حرمة الكنائس . نادى بعهد جديد من السلم والأمان في الوقت الذي كان يرتب فيه لعكس ذلك تمامًا .

وقال « شاخت » إنه عندما تيقن أن « هتلر » قد ركب طريق الحرب وأنه يعمل على عكس ما نادى به تمامًا وجد نفسه مضطرًا أن يكون ضده ، وأن يتآمر مع الآخرين من أجل القضاء عليه ، مثل ما قال « جيسيفيوس » في شهادته .

السجن في الليل

زنزانة « شاخت » :

كان « شاخت » يبدو كالراهب كعادته ، فهو هادئ يشعر بالرضا عن نفسه ، وقال :

ــ « هل سمعتني في جلسة بعد الظهر ؟ لقد أخبرتهم بشيء أو شيئين . قلت لهم : إن الذي وعد به هتلر هو حقيقة ما فعله بعد ذلك . وبطبيعة الحال لم يستطع أولئك النازيون المتعصبون ابتلاع ما قلت . لقد كانوا جميعًا متذمرين في القفص عدا اثنين وهما اللذان وافقاني . « سبير » و « فانك » . وربما « فون بابن » أيضًا » .

١ مايـــو

جلسة الصباح :

وشرح « شاخت » أنه لم يكن يستطيع عمل أي شيء تجاه النازيين إلا أقل القليل . وكم كان يشعر بالاحتقار لهذه الجموع الهائلة التي كانت تؤيدهم ربما لاعتبارات لها علاقة بعلم الاجتماع .

ورغم أن « جورنج » لم يكن يبدي الاهتمام بالإنصات إليه ولكنه ظل يقول بعض الملاحظات بصوت عال يسمعه الجميع : هل لديه الأعصاب ليقول هذا ؟ يكفي أن تستمعوا إليه وهو يكذب !! .

ثم جاءت مناقشة طويلة حول نزع السلاح وإعادة التسليح ، وكان غاية ما يريده « شاخت » أن يحافظ على التوازن بين ألمانيا وجيرانها من ناحية التسليح في

الوقت الذي رفض فيه هؤلاء الجيران فكرة نزع السلاح كلية .

وقال « شاخت » إنه لو كان يعلم أن « هتلر » سوف يستخدم المال لإعادة التسليح بالشكل الذي تم ما كان أعطاه من المال شيئًا .

وعندما سمع « جورنج » هذه العبارة ضحك بصوت عال في القاعة ، بينما قال « ريدر » في ازدراء :

ــ من يمكنه أن يصدق هذا الهراء ؟ .

واختار « شاخت » فقرة من كتاب دافيز « بعثة إلى موسكو » التي وصف فيها كيف حيا « شاخت » بحماسة اقتراح روزفلت بتحديد حجم الأسلحة التي ينبغي للمقاتل أن يحملها على ظهره في الحرب . وأضاف أنه كرئيس لبنك الرايخ كان يمكنه إلغاء عملية تمويل التسليح ، ولكنها لم تكن غلطته ولم يكن خطأه بأي حال ، فقد كان كل شيء يتم بطريقة سرية . وهي حدود مسئولية وزير المالية .

ســاعة الغداء :

في قاعة الطعام المخصصة للشباب كان « سبير » يتكلم مع « فون شيراخ » و « فريتشه » وأراهم المراسلات المتبادلة بينه وبين « هتلر » ، التي يأمره فيها « هتلر » بتدمير ما تبقى من البنية الأساسية للمدن الألمانية في حالة استسلام الشعب الألماني . وأراهم ذلك بالمستندات .

وكان « فون شيراخ » يطلع عليها ويقرؤها باهتمام شديد وحساسية بالغة .

وكان هذا يتم في اللحظة التي دخلت فيها الزنزانة .

وصار « فون شيراخ » يغمغم :

ــ شيء مرعب .. شيء لا يصدق !! .

وقال « سبير » وهو يناوله بعض الأوراق الأخرى :

ــ هذه هي المستندات التي تبين أنه لم يكتف فقط بإصدار الأوامر بل بدأ بالفعل في تنفيذها .

وكان « فريتشه » يروح ويجيء منفعلاً ثم اقترب مني وقال :

ــ هذا هو الشيء الذي سيدمر أسطورة « هتلر » مرة واحدة وإلى الأبد ، وهو الذي سينهي فكرة الطعن من الخلف التي يحاولون صنع أسطورة منها معتمدين على تلك المؤامرات التي حيكت ضد « هتلر » .

وكان « فون شيراخ » يوجه كلامه لسبير :

ــ هذا ما طلبت منك أن تؤكده لي بالضبط . وقبل مؤتمر (يالتا)[٢٨] أمر « هتلر » بعمل حملة دعائية ضخمة وجعل لها شعارًا (نحن لن نستسلم أبدًا) . لم يكن يريد أن يقبل عرض السلام .

وظل « فون شيراخ » يردد :

ــ شيء مرعب ! شيء مرعب ! .

وفي أسفل القاعة كان عديد من المتهمين يبدون ملاحظات ضاحكة مؤداها أن « شاخت » لم يكن ذلك الشخص الشديد الكراهية لهتلر كما يحاول أن يبدو الآن . لقد كان في السنين الأولى أحد قلة يركبون العربة الرئيسية للحزب إن جاز التعبير .

أما « فرانك » فقد أعلن أنه لا معنى على الإطلاق لأي شخص يحاول أن يتظاهر بأنه بريء ، على الأخص بعد أن اعترف هو شخصيًا بكل جرائمه .

وقال ساخرًا :

ــ ماذا لو انتصر « هتلر » في الحرب ؟ كان شاخت سيرقص بجنون في كل مكان وهو يهتف بأعلى صوته (هايل هتلر) .

أما ملاحظات « يودل » و « دونيتز » فهي مختصرة ومقتضبة ومؤداها أن كل شيء مثير جدًا ويدعو إلى التسلية ، وهما بطبيعة الحال يشيران إلى ما يدور .

جلســة بعد الظهر :

واستمر « شاخت » يحكي ويبين اعتراضاته الدائبة على ما كان من خروج على القانون وعدم الاهتمام بنصوص الدستور ، والسير قدمًا في محو إرادة ورأي أي رجل في النظام . وشرح أن كل ما كان يطلب من أي مسئول هو الطاعة العمياء ووضع الاعتبار الأول والأخير لهتلر .

وبالنسبة لقسم الولاء الذي أقسمه « شاخت » لهتلر فقد قال إنه لم يؤد هذا القسم لهتلر كشخص ولكن لهتلر الذي يحكم الدولة وقال :

ــ أنا لا يمكنني أن أتمسك بقسم لخائن أو حانث . وقد حنث « هتلر » في قسمه مئات المرات .

وغمغم « جورنج » مستاء من هذه الطعنة التي أصابت رئيسه السابق وأمسك بقضبان القفص الحديدية بكلتا يديه في عناد شديد ، وهو يحملق في « شاخت » الذي كان مستمرًا في أداء شهادته .

٢ مايــو

استجواب شاخت

جلســة الصباح :

كان ملخص دفاع « شاخت » عن نفسه متمثلاً في رسمه لنفسه صورة للفضيلة

في أعلى صورها . وأكد على دوره الرئيسي في المؤامرات التي استهدفت القضاء على « هتلر » ، وقال إنه لم يستطع الحصول على مساعدات أو تأييد من النخبة الألمانية المثقفة . وكذلك لم يقدر على التعاون مع رجال الجيش في القضاء على « هتلر » ؛ لأنهم يمكنهم أن يضعوه في مركز حرج أو يجد نفسه في النهاية وقد سيق إلى كمين .

ســاعة الغداء :

دارت مناقشة صغيرة حول قضية « شاخت » أثناء الغداء ، وذلك منذ أن ظهرت فكرة تظاهر « شاخت » بالمثالية والفضيلة والتي بالغ فيها وتحمس لها .

وكانت التعليقات هي نفسها التي دارت في القفص حول ذلك الكريه الذي لم يكن يتوقع منه أحد أن يتظاهر بمعاداته للنازية إلى هذا المدى وبهذا الشكل الذي بدا أثناء الاستجواب .

ولأول مرة كان الجميع يتمنون أن ينجح المدعي العام في إثبات التهمة ضده .

جلســة بعد الظهر :

عندما بدأ الاستجواب بعد الظهر كانت مجموعة « جورنج » في غاية السعادة والسرور عندما بدأ المدعي العام « جاكسون » يبين للمحكمة أن « شاخت » كان من أكثر الملتصقين بالحزب في حماسة زائدة على العكس مما حاول « شاخت » وأن ينكره وينفيه أثناء دفاعه عن نفسه .

وبعد ذلك بدأ « جاكسون » يقرأ لشاخت بعض مقتطفات من خطبه التي ألقاها في نوفمبر سنة ١٩٣٨ حول عجائب التمويل !! .

وفي القفص كان كل من « جورنج » و « ساوكل » و « فون شيراخ »

و « ريدر » والأدميرالات ينظر بعضهم إلى بعض وهم يتغامزون ويسخرون .

وجذب « جورنج » « هيس » الذي لم يكن يتابع ما يدور قائلاً له :

ــ ضع السماعة في أذنيك فقد صارت المحاكمة ممتعة جدًا .

أما رجال الجيش والمتهمون التابعون لوزارة الدعاية النازية فقد كانوا جد مستمتعين بالحيرة الشديدة التي بدت على وجه « شاخت » أثناء كلام المدعي العام « جاكسون » عندما قدم الدليل أن « شاخت » كان ينفق على الحزب في سخاء شديد متخطيًا جميع اللوائح .

وظهر على وجه « شاخت » أثر الصدمة من تقديم هذا الدليل ، وعندها انفجر « جورنج » في ضحكة عالية سمعها كل من في القاعة .

وعاد المدعي العام إلى موضوع مدى معرفة « شاخت » بمسألة نمو وازدياد القوات المسلحة الألمانية مما يتنافى ــ ويصعب أخذه في الاعتبار ــ مع تصوراته وآماله عن عهد السلام الذي كان يتمناه ويسعى إليه .

وكان « جورنج » في غاية السعادة والسرور وهو يستمع ، ثم التفت إلى من معه من المتهمين في القفص وهو في غاية المرح قائلاً لهم :

ــ لقد خرجت الأمور من أيدينا الآن .

السجن في المساء

زنزانة « دونيتز » :

كان عند « دونيتز » الكثير ليقوله لي ، وقد شعرت بهذا بمجرد دخولي الزنزانة . فقد بادرني قائلاً :

ــ ماذا يمكن أن أخبرك به ؟! هذه دروس في السياسة لك . إني أحني هامتي احترامًا لكل من يظل ممسكًا بسلاحه حتى النهاية لا يتراجع ولا ينسحب .. خذ مثلاً « جورنج » إنه لا يعجبني ولكنني متأثر بالفعل لإخلاصه الشديد لما كان عليه ، ويبدو أنه لن يتراجع فيه . معرفتي به ليست عميقة .. لم أدعه إلى بيتي مرة واحدة . ومن ثم يمكنك تخيل علاقتي به ، ليست بالوثيقة أو الحميمة . هو رئيس لسلاح الطيرات الألماني وكنت رئيس السلاح البحري ، وقد يجعلنا هذا في مرتبة واحدة . ولكني أراه ممسكًا بسلاحه حتى اللحظة الأخيرة . وفي الحقيقة لقد غيرت رأيي بشأنه لهذا . وهذه رؤيتي أيضًا لروزنبرج وكم أتمنى أن يرجع عن بعض آرائه في بعض النقاط فيصير إعجابي به كاملاً .. على أي حال هذا هو شأنه .

قد اختلفت الرؤى واختلطت في أمور كثيرة عبر ذلك التاريخ القريب وتلك المحاكمة القائمة ، وتبادل المقاعد واختفاء الأقنعة وظهور كل شخص على حقيقته .

« سبير » واحد من أحسن أصدقائي الذين أثق بهم ، وهو يشعر بالرضا ويعبر عنه لأنه حاول اغتيال « هتلر » في يناير سنة ١٩٤٥ ، وهذا شأنه أيضًا ، ولا شك عندي أن ذلك قد نبع عن اقتناع أمين بأن هذا هو الحل من وجهة نظره ، ولم يغير هذا من صداقتنا في شيء ، رغم أنني ربما أختلف معه اختلافًا تامًا حول هذه النقطة .

ولكن الأمر يختلف مع « شاخت » فما إن بدأ في الكلام حتى رأيته فأرًا في ثياب رجل . وقد رثيت لحاله وهو يحاول أن يجعل من نفسه مناوئًا لهتلر والنازية منذ تلك البداية المبكرة التي لم يختلف عليها أحد . ولعلي قد قرأت في وجهي القاضي « بيدل » والقاضي « باركر » ما يدور في رأسي من أفكار حول « شاخت » وموقفه .

زنزانة « سبير » :

كان « سبير » يرى أن « شاخت » غير مخلص وغير أمين في ادعائه بعداوة

الحزب النازي منذ السنين الأولى . أمور لا يتناسق بعضها مع بعض من وجهة نظره . وقد تعاون مع « هتلر » منذ اللحظة الأولى فمتى جاءته خيبة الأمل التي ادعاها ؟ وماذا فعل تجاه تحول فكره ؟ كان عليه أن يواجه النظام بطريقة ثابتة وراسخة وواضحة إن كان حقًا ما يدعيه .

وانبرى « سبير » يقول :

ــ وهذا يؤكد وجهة نظري في طريقتي أمام المحكمة . يجب أن أعترف بدوري فيما حدث في هذا التاريخ مبينًا ذنبي ومقرًا به بطريقة واضحة ومستقيمة . وبعدها أبين لماذا قررت اغتيال « هتلر » .

وصار يركز على معنى يريد أن يوصله إليَّ في وضوح ، فهو لا يفعل هذا إنقاذًا لرأسه من حبل المشنقة ، ولكن ينبغي للشعب الألماني أن يعرف كم كان « هتلر » خائنًا له .

٣ مايــو

مالية « شاخت » وأحمر شفاه « جورنج »

جلســة الصباح :

كان تحليل « شاخت » لشخصية « جورنج » أنه (النموذج الدقيق للمجرم المتجرد من الأخلاق) وكل هذه العظمة الكاذبة والتباهي الخادع سوف يتلاشى عندما يقف للاستجواب أمام « جاكسون » .

وهو يصف « جورنج » وصفًا غريبًا فهو قد حضر إلى المحكمة يرتدي (التوجا) الرومانية والخف في قدميه مثل « نيرون » ، وقد رسم وجهه بعناية فائقة ، ولم ينس

أن يلطخ شفتيه بأحمر الشفاه ، وأن يضع الصبغة الحمراء على أظافره الناعمة .

وقد شغف كل الحاضرين بهذا الوصف وملأهم بالتسلية والمتعة خلا شخصًا واحدًا في القاعة هو « جورنج » نفسه ، وتململ في كرسيه متذمرًا وهو يغمغم لمن حوله :

ـــ هذا المكان لا ينبغي أن يقال فيه مثل هذا الكلام .. حتى ولو كان ما ادعاه حقيقة .. وهذا لن يساعده في شيء .. لست أدري كيف نطق بما قال .

وقد أظهر الاستجواب أن « شاخت » لم يتردد في تمويل إعادة التسليح ، حتى رغم عدم موافقته واستنكاره للأنشلوس حيث ضمت النمسا للرايخ بالقوة ، واغتصبت تشيكوسلوفاكيا . وقد قام بالاستيلاء على بنوك الدولتين في فرح وسرور بالغ بعد أن تم غزو الدولتين والاستيلاء عليهما .

وبعد ذلك ألقى الخطب العظيمة يمجد فيها « هتلر » ويصفه بأنه مبعوث العناية الإلهية . وعلى الرغم من ذلك فقد اعترف « شاخت » أن غزو بولندا والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا وسائر البلدان الأخرى هو عدوان مؤكد واضح .

وأثناء استراحة الصباح صار عدد من المتهمين يعلق على حقيقة قد ظهرت لهم ، مؤداها أن الاستجواب قد أخذ جانبًا جديدًا باحثًا عن النظرة الأخلاقية لكل واحد منهم حول الحقائق المجردة التي حدثت .

وقال « فون بابن » إنه سعيد للجزء الخاص به ، رغم أنه يعلم أنه سوف يسأل عن سبب استمراره في دعم « هتلر » وتأييده حتى بعد أن عرف يقينًا أنه مذنب في شنه لتلك الحرب العدوانية .

ولم يوضح كيف سيكون جوابه على مثل هذا السؤال لو وجه إليه . ولكنه قدر أن مثل هذا السؤال لا ينبغي أن يوجه وهو سؤال غير عادل بكل المعايير .

ثم التفت إلى « فون شيراخ » قائلاً :

ــ وعلى سبيل المثال ربما يسألونك عن رأيك في غزو بولندا وهولندا وبلجيكا ، وهل كنت راضيًا عن هذا ؟ ستجيبهم بلا . وبعدها سوف يكون السؤال التالي : ولماذا دعوت الشباب وحمستهم لغزو هذه البلاد ؟ .

واستمر استجواب « شاخت » الذي أفاد أن تشيكوسلوفاكيا قد قدمت على طبق من الفضة إلى « هتلر » ، ولهذا السبب لا ينبغي لأحد أن يذكر لفظة (اغتصاب تشيكوسلوفاكيا) .

وأضاف أنه لو أتيحت له الفرصة لقتل « هتلر » بنفسه ، ولكنها لم تتح أبدًا .

وعند هذه العبارة اعتدل « جورنج » مدهوشا في مقعده بالقفص ، وحملق في « شاخت » وهو يهز رأسه غير مصدق لما يسمع ، ثم دفن وجهه في كفيه ، وهو يهز رأسه في أسى عميق من هول هذه الخيانة البالغة .

ســاعة الغداء :

في قاعة طعام الشباب كان الجميع موافقًا أن « شاخت » قد ذهب بعيدًا ليؤكد براءته ومعاداته لهتلر .

وقال « فون شيراخ » إنه ببساطة لا يصدقه في أي حرف مما قال ، ولم يعد يضمر له شيئًا من الاحترام .

وبالنسبة لتظاهره بأنه كان ديمقراطيًا ، ولم يكن يومًا معاديًا للسامية فقد قال الآخرون أشياء مريرة تعليقًا على هذا .

فقد حلّل « فريتشه » دفاع « شاخت » عن نفسه قائلاً :

ــ إنه يقتل نفسه بالدعاية .

أما « فانك » فقد استخدم جملة أدبية قالها بعض الأدباء :

الشيء الوحيد النظيف لدى « شاخت » هو ياقته البيضاء .

وقال « فون شيراخ » :

ـــ لقد كان يحيي « هتلر » بخطب رنانة بعد كل حرب من تلك التي يسميها بالحرب العدوانية ، وكان يخطب في حماسة وإيمان عظيمين . كل ما يقوله يؤكد لي أنه يلعب ليحمي نفسه .

وقد أكد جميع المتهمين أن المدعي العام « جاكسون » قد قام بعمل جيد حقيقة في استجوابه لشاخت .

السجن في المســاء

زنزانة « شاخت » :

لا يزال يؤكد أنه بريء ولا صلة له بما كان يحدث . وكان يود لو يعرف ما إذا كان ممثل الاتهام قد فهمه وقدر موقفه أم لا . وذكرت له أن ليس من الأعراف المحمودة أن أذكر له شيئًا من هذا إن كان قد وصل خبره لي . .

وحاولت أن أعرف ما إذا كانت لديه مبررات معقولة لتأييده المبكر لهتلر وذكرته بكلام المدعي العام عن دوره الكبير في صعود « هتلر » إلى السلطة وفي إعادة التسليح .

واعترض شاخت قائلاً :

ـــ لقد كان هذا عين ما فعله الآخرون . ولا توجد جريمة . وعلى أي حال ليس هذا ما أحاكم من أجله . هم يستطيعون أن يهاجموا شخصي ويمكنهم وصفي بما يشاءون . وأن يتهموني بالنفاق ، ويقولوا عني أي شيء وهم أحرار في ذلك . وربما لا أهتم كثيرًا بالرد على مثل هذه المقولات التي لا معنى لها . ولكن الغريب المثير

للدهشة أنني متهم بالتخطيط لحرب عدوانية مجرمة . وهذه التهمة فضفاضة جدًا على مثلي ، ولن يتمكن أحد أبدًا من إثباتها عليَّ . ولست أدري كيف تسير الأحداث بنا ! هل عليَّ أن أبقى هنا جالسًا لمدة ثلاثة أشهر أخرى لأستمع إلى هراء السادة المتهمين ؟ .

هذا لا يعنيني في شيء . ولكن ما العمل ؟ .

زنزانة « جورنج » :

كان « جورنج » يعاني من صداع شديد . وسألني أن أطلب من الطبيب الألماني أن يعطيه بعض الأقراص . وكان يبدو هزيلاً شاحب الوجه قد ملأه الاكتئاب .

ومن المؤكد أن سبب هذا كله هو ما قاله عنه « شاخت » في المحكمة .

وانسابت كلمات « جورنج » :

ــ هذا الأحمق .. آخ .. ربما يظن أنه يستطيع إنقاذ رقبته بمهاجمتي وسبي . ولكنك رأيت بنفسك كيف ذهب بعيدًا في هذا المجال .. حياتي في بيتي هي من شئوني الخاصة ، وما كان ينبغي له أن يتعرض لها . وقد ظننت أن رجلاً في مثل ذكائه سوف يترفع عن الكلام في مثل هذه السفاسف ، ولن تصل به الحماقة للخوض في مثل هذه الأحاديث .

على أي حال أنا لا أستخدم (أحمر الشفاه) كما قال . يمكنه أن يقارن بيني وبين « نيرون » أو أي إنسان آخر يقع اختياره عليه . ولكني لست أفهم كيف يفيده هذا في الدفاع عن نفسه أمام هذه المحكمة . هناك الكثير في قضيته ، عليه أن يجد له الإجابات المقنعة والشرح المفسر ، وهو خير لحالته ، بدلاً من الوقوف أمام أشياء لا علاقة لها بقضيته .

وكان « جورنج » يبدو حزينًا مغتاظًا مريض النظرة . مستلقيًا على ظهره فوق

سريره بالزنزانة ، يحدثني وكأنه يهمس إلى نفسه بأفكاره وكان وجهه متغضنًا وهو يكتم انفعالاته كطفل تلقى صفعة ويريد أن يكتم نشيجه أمام والديه .

زنزانة « فون شيراخ » :

يبدو أن « فون شيراخ » قد كوَّن لنفسه فكرة نهائية عن « شاخت » ، وكان يبدو متأثرًا مستاء بادي التذمر والغيظ ، وصار يقول :

لقد انتهى « شاخت » في نظري ، ولم يعد له عندي أدنى اعتبار .. أنا أعرف الكثير عنه ، ولم يكن أمامي غير الابتسام عندما قال كم كان عدوًا للاشتراكية الوطنية . ومرت في مخيلتي ذكريات كثيرة عن مواقفه السابقة . وأنا أعرف أن هناك من الأشياء ما يصعب تسجيله وإثباته ، ولكن عندما تتجمع الجزئيات تحت ناظريك تتضح لك الصورة تمامًا .

وعلى سبيل المثال تذكرت حفل استقبال قد تم في دار مستشارية الرايخ ، حيث كانت زوجتي وزوجات الآخرين وزوجة « شاخت » وكثير من الناس . فقد كان حفلاً كبيرًا على ما أذكر .

هل تعرف ماذا كانت ترتدي زوجة « شاخت » ؟ .

كانت تضع على صدرها صليبًا معقوفًا كبيرًا من الماس ! قد أعطاه لها زوجها لترتديه .

شيء مبالغ فيه وهذا كان رأي الكثير من الحاضرين ، لم يقولوه بألسنتهم ، ولكن عيونهم كانت تنطق به .

وفي مثل هذه الحفلات لم يكن من العادة أن يهتم أحد بمثل هذه الأمور . حتى النازيون العريقون في نازيتهم لم يكونوا يستخدمون زوجاتهم في الدعاية عن أنفسهم بهذه الطريقة التي تثير التقزز .

لقد ابتسمنا جميعًا يومها لهذا المشهد ، وتسلينا برغبة « شاخت » في أن يبدو وسط هذا الجمع أنه من أكثر النازيين تعصبًا وولاء .

وبعد ذلك تقدمت زوجة « شاخت » ناحية « هتلر » بإيعاز من زوجها .

كانت تريد أن تحصل على توقيعه للذكرى في مثل هذا الحفل حيث تومض آلات التصوير ويبدي الجميع اهتمامهم .

لقد أراد لها زوجها أن تجذب اهتمام « هتلر » وتؤثر فيه وأن ينتبه إلى ذلك النازي العظيم « شاخت » .

ثم عاد « فون شيراخ » إلى الفكرة الأساسية التي يدور حولها دفاعه عن نفسه الذي ينتويه أمام المحكمة .

وقال في بساطة ووضوح إنه لا يجرؤ شخص على الاعتراف بأن معاداة السامية ، والسياسات العنصرية للنظام النازي لم تكن غير أخطاء مأساوية قد دفعت ألمانيا ثمنها .

وهو لا يزال يشعر أن الشباب الألماني ينتظر قائدًا نازيًا يثق فيه ليخبرهم بالحقائق ، ولن تفيد الدعاية التي يقوم بها الحلفاء في تغيير أفكار هؤلاء الشباب ، فهم لا يزالون ينظرون إليهم كأعداء .

وفي رأيه أنه لا بد من أن يتكلم الزعماء الألمان أنفسهم ، وهذا ما يشعر به ، ويظن أيضًا أنه من واجبه .

وأخيرًا وبطريقة قاطعة اعترف أن « هتلر » كان شيطانًا مدمرًا قد خدع كل شباب ألمانيا ، وأنه لم يكن أمينًا أبدًا .

ويقول إن هذا ما وصل إليه بعد أن اطلع على المستندات التي في حوزة « سبير » والتي يعدها للدفاع عن نفسه .

وذكر أن أوامر « هتلر » بتدمير كل المنشآت الأساسية للشعب الألماني شيء بالغ الرعب في التأثير حتى على أكثر النازيين ولاء وتعصبًا وغيرة .

وهو لا يزال يتعجب . لماذا لا يعطونه الفرصة ليتكلم مع قادة مجموعات الشباب الألماني ، ولو لمرة واحدة قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه .

يجب أن يخبرهم بالخطأ الفادح الذي حدث والذي كان هو أحد صانعيه .

وهو يريد الكلام لينير الطريق لمستقبل يختلف عما يبدو أنه سيكون .

وأخبرته أن أحسن ما يمكن أن يصنعه لشعبه أن يعلن عن آرائه في شجاعة ، وبغض النظر عما إذا كان ذلك سوف يغضب « جورنج » أو يرضيه ، لأن استمرار فكرة النازية وبقاءها لن يؤذي ألمانيا فقط ، ولكنه قد يضر بالسلام العالمي وعلى المدى الطويل .

وقد وافقني على هذا بإخلاص وقال :

ـــ مهما كانت النظرة إلى « جورنج » فهو رجل عظيم بلا شك ، وهو ينتمي إلى عالم آخر مختلف ، ولا تزال في نفسه تقاليد العصور الوسطى بفروسيتها ، ولكنها بالتأكيد مسألة أخرى ، فإن ما يشغلني الآن هو مستقبل شباب ألمانيا .

٤ ـــ ٥ مايـــو

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « فونك » :

كان دفاع « شاخت » عن نفسه موضع اعتبار من الجميع ولكن بطرق مختلفة .
وقد علّق فونك قائلاً :

ـــ كان من المفروض أن أقدر « شاخت » كثيرًا ولكني أظنه أصبح غير ملتزم بقواعد الأخلاق . ليس هناك أدنى شك في أنه المسئول الأول عن إعادة التسليح

وهي نقطة لا يختلف عليها أحد . لقد كان وزيرًا للتسليح للحرب .

إن « شاخت » الذي أعرفه يمضي إلى تحقيق هدفه بشكل مباشر دون تردد أو شك حول هذا الهدف . كان دائمًا هكذا . وأنا أراه الآن كذلك في المحكمة .

زنزانة « فرانك » :

قال « فرانك » :

ـــ أظن أن « شاخت » قد بالغ كثيرًا ، ولكن كل ما قاله عن « جورنج » صحيح .

إنهم طغمة من اللئام منحطون فاسدون ، وهذه هي حقيقتهم التي قدر لها أن تظهر يومًا . وذلك « الشترايخر » المزعوم كم هو كذاب أشر ! إنه حتى لم يعترف بالاتهامات الخاصة باليهود ! وحاول أن يبرر معاداته للسامية بقوله إن تلك الأشياء لا معنى لها . وأنه كان يسعى من أجل وطن قومي لليهود .. آخ .. ما هو إلا رجل شنيع بشع كريه ! .

وهأنتذا ترى بنفسك ، ما زلتُ أنا الشخص الوحيد المذنب المعترف بذنبه وسط هذه المجموعة من الأشرار .

وضحك « فرانك » كثيرًا عندما تذكر أن « شترايخر » قد نسب أحد عناوين كتبه المعادية للسامية إلى « لوثر » .

ويرى « فرانك » أنه مما يثير التسلية والضحك أنه كان هناك بعض الناس يعتبرون « لوثر » هو النازي الأول .

وهو نفسه قد ظن يومًا أن هذا الكلام ربما كان يخفي خلفه شيئًا من الحقيقة .

وقال :

ـــ لا يمكن أن يبتلع المرء مثل هذه المقولة إلا ومعها قليل من الملح . وحتى يبدو منصفًا وعادلاً في ازدرائه القديم لتاريخ الكنيسة ، فقد قدم بعض القياسات بين الكنيسة الكاثوليكية والزعامة الفاشستية ، وقال إن كليهما يعطي السلطان المطلق للقادة والزعماء .

زنزانة « فون بابن » :

سألني « فون بابن » عن وجهة نظري حول دفاع « شاخت » عن نفسه في المحكمة ، وأنه مهتم بهذا قبل أن يقف للدفاع عن نفسه شخصيًا .

وقد صاغ تساؤله في دبلوماسية شديدة .

وأجبته باختصار فقلت له : إن « شاخت » كان مبالغًا بعض الشيء من وجهة نظري .

وعند ذلك شعر « فون بابن » بالحرية في التعبير عن وجهة نظره في صراحة وأعاد على مسامعي ما سبق أن قاله لي مرة من أن « شاخت » كان رجل أعمال ، وهو يبحث دائمًا عن دور وعن مكان للقيام بهذا النشاط . وأنه قد جاءه يسعى وهو يخشى أن يرفض طلبه ، وكان ذلك عام ١٩٣٢ .

وطلب منه أن يتحرك ليكون مستشارًا للرايخ فيهيئ مكانًا « لهتلر » بعد ذلك .

ودون أن يخبرني بطريقة مباشرة ، فقد أعطاني « فون بابن » رأيه في « شاخت » بأنه انتهازي قد راهن على الجواد الخاسر .

إن « شاخت » بالتأكيد قد فعل غاية ما في وسعه من أجل « هتلر » في البداية . ولكنه عارضه بإخلاص بعد عام ١٩٣٨ .

وكان « فون بابن » يظن أن « هتلر » قد كان يريد مخلصًا أن يحل مشاكل

الصناعة والسياسة بعيدًا عن الحرب في مبدأ الأمر . ولو أنه يساوره الشك في هذا أحيانًا .

لم تفشل النازية بسبب برنامج التصنيع الهائل الذي كان ، ولكنها قد فشلت بسبب جهل « هتلر » بطبيعة العلاقات بالدول الأجنبية وتعقدها وتشعبها . قد فشلت النازية بسبب عدم رغبة « هتلر » في الاستماع إلى سفرائه الذين عينهم بنفسه . .

وهذا هو ملخص آراء « فون بابن » .

زنزانة « يودل » :

كان من الطبيعي أن تنعكس كل آراء الجنرالات عند « يودل » حول ذلك السياسي « شاخت » :

ـــ أي نوع من الوسائل هذه التي يريدونها ؟ هل أجمع الجنرالات للاجتماع وأطلب منهم اغتيال رئيس القيادة العامة ، وأن أتولى أمر هذه القيادة . ومن ثم يمكنني أن أكون رئيسًا للدولة إذا نجحت المؤامرة ؟ هذه أعمال جهنمية تتطلب الكثير من الخيانة حتى تكون .. هناك الكثير لأقوله حول ذلك .. إن تصوري عن الولاء أنه شيء يستحيل بيعه وشراؤه ، وهو ليس مما يحفظ في خزائن البنوك حيث يستطيع أصحابها التصرف فيها .. أنا لا يمكنني أن أقف على قدمي لأحيي ذلك الرجل بكلتا يدي ـــ يقصد هتلر ـــ عندما يكون منتصرًا ، ثم أبحث عن خنجر لأضعه في ظهره عندما تبدأ أسهمه في النزول .

يستطيع أصحاب البنوك أن يفعلوا هذا ولكن الضباط الشرفاء لا يمكنهم ذلك أبدًا .

وسألته :

ـــ ولكن ألا تحتوي هذه المسألة على بُعْد أو نظرة أخلاقية ؟ .

وأجابني « يودل » :

ــ نعم بطبيعة الحال .. وربما أتخلى عن ولائي لأسباب أخلاقية . ولكن ليس بسبب هزات السوق .. هذا شيء طبيعي .. أنت تعرف بالتأكيد أن هناك حدودًا أخلاقية للطاعة والولاء .

زنزانة « رينتروب » :

كان « رينتروب » مستغرقًا في ذلك الهياج الذي زاد حول الدولة وذلك النقاش الذي لم ينقطع حول ذلك التاريخ القريب . وكان يدور في الزنزانة رائحًا وغاديًا مرة بعد مرة .. يجلس ثم يقف .. يقضم أظافره بسرعة وهو في حالة شديدة من العصبية والتوتر . وكان وجهه يتغضن عندما كان يتكلم بسرعة . وكانت لفتاته عنيفة قلقة . وقد بدا هكذا بعد تلك الضجة التي ثارت للتقليل من هيبة القيادة النازية والقضاء على سمعتها بواسطة « شاخت » والشاهد « جيسيفيوس » .

وقال « رينتروب » :

ــ ينبغي عليَّ أن أفكر وأفكر مرة بعد مرة حول هذه الأشياء التي حدثت والتي لا يمكن تصديقها .. يبدو المستقبل غارقًا في الظلام .. هذا بالنسبة لأوروبا .. آه لو لم يكن لديَّ أطفال .

ثم التفت إليَّ لفتة متوحشة وهو يقول :

ــ « ستالين » قوة هائلة لا تقدرونها حق قدرها .

ونظرت إليه نظرة متسائلة ولم أقل شيئًا .

وأجابني على نظرتي مستغرقًا في أفكاره :

ــ إنه مقدس وعظيم أكثر وأعظم من بطرس الأكبر .. أنا أعرف ذلك جيدًا ..

لقد تفاوضت معه .. لقد رأيت عندهم مصنعًا للطائرات على مساحة هائلة يبدو من خلالها أنه أعظم في إنتاجه من كل مصانع ألمانيا للطائرات .. وأظن أنه السبب الرئيسي لقرار « هتلر » بإعلان الحرب على الاتحاد السوفيتي .. لقد كان بالنسبة لألمانيا تهديدًا مروعًا يعمل له كل حساب .. كنت أريد سياسة موحدة للقارة الأوروبية . ولكني أظن أن التاريخ سوف يبين أن « الفوهرر » كان على حق .. روسيا قوة هائلة .. وسوف ترى .. ولكن قتل اليهود والمعارضين !! إنه شيء يثير الرعب والخوف ، وهو ما يجعلني أفقد ولائي .. إنها أكثر الأشياء التي يمكن أن تمر بمخيلتي وأرفضها ولا أتخيلها .. ليس هناك شك في هذا على الإطلاق . ولكن المشكلات السياسية !! هناك الكثير مما ينبغي قوله حولها .

لو تمكنت من الكلام مع بعض العقلاء الأمريكان لاختلف الأمر بالتأكيد ..

أنت تعرف أنني لم أكن معاديًا للسامية . لقد كنت معارضًا لهتلر تمامًا في هذه النقطة . ولكنك لا تعرف كم كان فظًا في تناولة لهذه القضية ، فهو لا يقبل حتى مجرد الكلام حولها .

كانت لي معه مناقشات تثير رعب من يسمعها . كان ذلك عام ١٩٤٠ . ألم أخبرك بهذا من قبل ؟ فعندما بدأ هجومه أخبرته أن هذا من الأخطاء الشنيعة التي يصعب معها العلاج ، وأفهمته أننا نستنهض ضدنا اليهودية العالمية . ونصبح وقد واجهتنا قوى أربع لها ثقلها في العالم وعلينا أن نحاربها : إنجلترا وفرنسا وروسيا واليهودية العالمية . ولا طاقة لنا بقتال هذه القوى مجتمعة .

ولكنه ضرب بقبضته على المائدة أمامي ، ولم أستطع أن أثنيه عن عزمه ، والله يعلم كم كافحت من أجل هذا .

قد تجد الشجاعة لتواجه عشرة جيوش فتقاتلهم وربما يكونون مسلحين بالقنابل الذرية . ولكن هذا أيسر وأسهل من مناقشة « الفوهرر » في مسألة اليهود .

ولكني كنت ضد سياسة معاداة السامية طول الوقت .

والذي قاله بعد ذلك من أن اليهودية العالمية هي التي خططت وبدأت الحرب هو كلام لا معنى له . لا معنى له بالتأكيد . لقد قاومته بأظافري وأسناني دون فائدة . لم أستطع منعه . وقد حاولت ذلك كثيرًا .

وسألته :

ــ ولماذا لم تقل هذا الكلام في المحكمة ؟ .

ونظر إليّ حزينًا وتنهد بصوت مسموع وقال :

ــ لا أستطيع أن أقف وأهاجم الفوهرر . هذا ما لا ينبغي أن يكون . أنا لست كسائر الألمان . ولا أريد أن أتحدث ضد أي متهم آخر من الزملاء . وأيضًا لا أستطيع أن أقف وأعلن أنني كنت ضده . ما زلت على يقين من أن اليهود لم يبدءوا الحرب كما قال . ولا يمكنني ذكر معارضتي للفوهرر في هذه المسألة .

ــ هل كنت كذلك حقيقة ؟ .

ــ أوه .. ربما أبديت بعض الملاحظات المؤكدة التي توافق السياسة . ولكن ينبغي ألا ننسى أنني كنت أعمل في خدمة حكومة معادية للسامية . ولكني لم أكن كذلك في يوم من الأيام .

١٦

الدفاع عن دونيتز



٨ مايـــو

دونيتز يقف أمام المحكمة

ســـاعة الغداء :

ومن قبيل المصادفة البحتة فإن الأدميرال « دونيتز » الذي خلف « هتلر » في الحكم والذي أجرى مفاوضات استسلام ألمانيا ووقع على الوثيقة الخاصة بهذا ، وقف أمام المحكمة في الذكرى الأولى لهذا الاستسلام .

وقد ذكرته بهذا عند الغداء وانتبه إليه بشيء قليل من الغضب والاستياء .

وقد علّق بجفاء قائلاً :

ــ هذا هو السبب الذي من أجله أجلس في هذا المكان .

ثم شرد قليلاً وقال :

ــ ولكن لو عاد بي الزمن مرة أخرى هل كنت أفعل ما فعلت ؟ لست أدري . ربما كنت فعلته بشكل مختلف . ولكن هل كنت أستطيع ؟ هل كان يمكنني أن أفعله بشكل مختلف ؟ .

وقلت له باحثًا في أفكاره :

ـــ حتى لو كنت قد عرفت ما عرفته الآن أثناء سير المحاكمة .

وكان يبدو عليه أنه يحاول أن يعصر ذهنه مفكرًا وقال :

ـــ لو كنت أعقل مني الآن مائة ألف سنة أو أكثر فيصعب عليَّ تصور ماذا ينبغي عليَّ أن أفعل . ربما هناك أمور أقوى وأكبر من عقل البشر ، ولا يملك المرء حيالها شيئًا . لست أدري ماذا كنت أفعل . هل كان عليَّ أن أقوم بدور مختلف ؟ .

وقد لاحظ « فون بابن » من خلال الصحف التي يقرؤها أن الجنرال ديجول قد قام بعد حضور احتفالات النصر التي أقامتها الحكومة في باريس بزيارة قبر « كليمنصو » في الحال .

وسألته :

ـــ وماذا تعني هذه الملاحظة بالنسبة لك ؟ .

وأجاب « فون بابن » :

ـــ لقد أراد « ديجول » أن يظهر للعالم أنه ليس لديه ما يفعله مع الحكومة الاشتراكية الحالية ، وأن يعلن احترامه العميق لكليمنصو كمثال للوطنية الفرنسية .

وتدخل « فون نيوراث » مصححًا :

ـــ تقصد التميز القومي الفرنسي ؟ .

وقد قاد هذا إلى مناقشة بين « فون بابن » و « فون نيوراث » حول دور أمريكا الكبير وإثمها الواضح في تهيئة المناخ والظروف التي أفرزت « هتلر » وأدت إلى الحرب العالمية الثانية . وذلك بعدم انضمامها إلى عصبة الأمم .

وقال « فون نيوراث » :

ـــ لو كانت هناك عصبة حقيقية للأمم لما كنت في حاجة إلى ناد من الشرطة

العالمية يمنع عقد معاهدة فرساي على الصورة التي تمت . ومن ثم لم يكن أمام رجل مثل « هتلر » ما يفعله ، فقد كان « هتلر » نتيجة منطقية لمعاهدة فرساي . وعلى الأقل كان التاريخ الكلي لهذه الحرب سوف يختلف اختلافًا بينًا .

وأوضح أن أمريكا لو كانت قد دفعت بنفسها في هذا المعترك للحفاظ على السلم العالمي أو لتوقيع معاهدة حوله كما كان يتوقع من الرئيس « ويلسون » لما كانت هناك معاهدة ميونخ ، ولو كانت خرقت بنودها فإن كل ذلك لم يكن ليفعل شيئًا . ولو تم شيء من هذا فما كان لهتلر أن يتمكن من الصعود إلى أعلى السلم حيث السلطة المطلقة . كان يمكن أن يتغير كل شيء منذ اللحظة الأولى .

جلسة بعد الظهر :

وقف « دونيتز » أمام المحكمة في جلسة بعد الظهر .

وقد بدأ دفاعه موضحًا أمام الجميع أنه كضابط لا يعنيه أن يقرر ما إذا كانت هذه الحرب عدوانية أم ليست كذلك . وليس من حقه أو واجباته البحث حول هذه النقطة .

والذي يعنيه في المقام الأول هو تنفيذ الأوامر .

وقد كانت الأوامر الخاصة بالبحرية الألمانية تأتيه من الأدميرال « ريدر » ويقوم هو بتنفيذها دون مناقشة ، مثله في هذا مثل أي ضابط في أي جيش في العالم . ولا يُتْرك الضباط وتقديراتهم الشخصية حول الأوامر وإلا فسد كل شيء .

وقد قام العدو بتسليح سفنه التجارية الأمر الذي يدعو لسرعة التصرف ، وهو الذي دعانا للهجوم عليها .

والأوامر التي صدرت من الأدميرالية البريطانية بضرب السفن التجارية الألمانية تبرر تصرفات البحرية الألمانية بالتأكيد .

لقد انتهكت بريطانيا قواعد الحرب في البحر بطريقة لم يسبق لها مثيل ، وهي أكثر ألف مرة مما فعلناه كألمان .

السجن في المســاء

زنزانة « يودل » :

أخبرني « يودل » في هذا المساء كيف قام بالتوقيع على وثيقة الاستسلام الفعلية مع القوى الغربية في (ريمس) يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٥ .

وقال إنه قد أخبر « أيزنهاور » الذي كان رئيسًا لفريق المفاوضات ومعه الجنرال « بيدل سميث » بعدم استطاعته إصدار أوامر بكل ما يريد . وأن الجنود في الجبهة الروسية يمكن تحريكهم إلى الخلف في الأماكن البريطانية والأمريكية ، وأنه يطلب أربعة أيام بين توقيع الهدنة وتنفيذها . وفي هذه الفترة يمكنه أن يصدر الأوامر إلى القوات في الجبهة الشرقية بالتصرف المناسب والمفيد حسب الظروف .

ولكن « أيزنهاور » أهمل هذه النقطة ، وقال إنه سوف يحتال ليعطيهم ثماني وأربعين ساعة لتحقيق هذا الغرض . وليس أكثر .

وقد أرسلت برقيات بالشفرة إلى « دونيتز » أشرح له فيها هذه الترتيبات .

ولتنفيذ هذا بأسرع ما نستطيع وضع أحد الجنرالات الألمان في دبابة أمريكية في مناطق القتال بتشيكوسلوفاكيا حتي يتمكن من تبليغ الأوامر لجميع الوحدات في الجبهة الشرقية .

وقال « يودل » :

ــ وبهذه الطريقة قد أنقذت سبعمائة ألف جندي من الوقوع في أسر الروس ولو كانوا قد أعطوني الأربعة أيام التي طلبت لأمكنني إنقاذ أكثر من هذا العدد .

وصار « يودل » يضحك وهو يقول :

ــ إن الروس لا يعرفون كيف تمت الأمور في هذا اليوم وماذا كان شكلها حتى هذه اللحظة التي نتحدث فيها . فعندما جاءوا يبحثون عن الطائرات والقوات الميكانيكية التي كانت تقاتل ضدهم لم يجدوا شيئًا منها .

زنزانة « كايتل » :

كان « كايتل » يقول إنه يعرف جيدًا كيف كانت تسير الأمور في تلك الأيام . وهو يذكر التوقيع على الاستسلام ولكنه لم يكن سعيدًا وقتها بأي حال .

وهو يرجع شعوره بالضيق والشقاء وعدم الرضا إلى أنه كان يرى أن الشخص الذي ينبغي عليه التوقيع على هذا الاستسلام هو « هتلر » نفسه ، وكان عليه أن يتحمل المسئولية كاملة عن كل ما حدث .

وقال « كايتل » :

ــ وكما أخبرت « يودل » من أن « هتلر » قد جعل من نفسه رئيسًا أعلى للقوات المسلحة الألمانية ، ومن ثم فقد كان عليه أن يبقى حتى هذه النهاية المريرة . لقد كان يصدر إلينا الأوامر وهو يقول : أنا آخذ المسئولية كاملة على عاتقي ! وعندما جاء الوقت لنواجه هذه المسئولية تركنا وحدنا وذهب . تركنا لنجيب عنه ونبرر كل تصرفاته . وهذا ليس من العدل في شيء . كان على « هتلر » أن يحمل المسئولية على كتفيه كأي جندي ألماني شريف إلى آخر لحظة في النهاية .

٩ مايــو

مزيد من الأوامـر

جلســة الصباح :

وصف « دونيتز » كيف تم استسلام ألمانيا للحلفاء ، وشرح الأحداث كما رآها .

وقال : إن التآمر ومحاولات الانقلاب في زمن الحرب هو تهديد للدولة وإن أي شخص يخطط لمثل هذه المؤامرات في هذه الظروف هو خائن بالتأكيد .

وكأنما أراد أن يطعن « شاخت » بهذا الكلام .

وانتفخت أوداج « جورنج » عند سماعه لهذا ، وأبدى سعادة أحدثت صوتًا وجلبة ، بينما يحدج « شاخت » الجالس في أقصى القفص في احتقار وازدراء .

واستمر « دونيتز » في الدفاع عن نفسه وهو يبرر الأوامر التي كان يصدرها لإغراق السفن دون إنذار ، وهو لا يرى معنى لإنذار يوجه إلى سفينة يريد إغراقها ! .

أما البحارة الذين كانوا يحاولون النجاة من تلك السفن التي ضربت فقد قام الألمان بإنقاذهم ، وكانوا يبذلون في سبيل هذا غاية الجهد .

وقال : إنه من الضروري أن نتفهم الظروف التي تجري فيها المعارك ويدور فيها القتال . ويجب أن نعي جيدًا أن الحرب هي الحرب بكل ما فيها من مرارة وقسوة .

وإجابة حول سؤال في الاستجواب عن سبب عدم السرعة في الاستسلام . فقد قال إن الاستسلام المبكر لم يكن من الحكمة في شيء . وأبسط دليل على ذلك هو ضياع عدة ملايين من الجند في الجبهة الشرقية ، وكان الأمر يستدعي بعض التدبير .

وقد أظهرت شهادة « دونيتز » خطوط المعارضة بوضوح شديد .

وخلال الاستراحة قفز « جورنج » نشيطًا يهز يديه وهو يوضح في سعادة لمن حوله :

ـــ لأول مرة أشعر بالفخر منذ ثلاثة أسابيع مريرة . لقد وصلنا أخيرًا عندما نستمع إلى ضابط ألماني شريف يتكلم مرة . إن هذا يمدني بقوة جديدة . وبعد هذه الجرعة الطيبة التي سمعتها من « دونيتز » فإني على استعداد للسماع والإنصات

إلى بعض الخونة مرة أخرى .

وكان من رأي « فريك » و « شترايخر » أن « دونيتز » قد تكلم بطريقة ملائمة وجيدة .

حتى « فرانك » نفسه قال :

ــ لقد كان يتكلم كأحسن ضابط رأيته . لأنه أولاً وقبل كل شيء . الأوامر هي الأوامر . هذه هي القاعدة الخالدة .

وغمغم « سبير » حول إشارة « دونيتز » عن الخونة والخيانة وعن استحالة إنهاء الحرب في وقت مبكر ، وكان يهمس لفريك « وفرانك » و « شترايخر » في مرارة :

ــ بطبيعة الحال فإن الأوامر بتدمير ألمانيا ينبغي أن تطاع !! ليس أمام أحد غير طاعة الأوامر !! .

وأثناء الاستجواب الذي أجراه سير « دافيد ماكسويل فايف » مع « دونيتز » حول طبيعة الذين كانوا يعملون في بناء قطع الأسطول . فقد أوضح « دونيتز » أنه لم يكن يهتم ولا يعنيه في شيء قليل أو كثير ــ وهي ليست مشكلته أيضًا ــ ما إذا كان الذين قاموا على بناء البحرية الألمانية من العمال العبيد أم أي شيء غير ذلك . وكان كل ما يعنيه هو بناء قطع الأسطول . وليس من شأنه أن يسأل عن طبيعة ونوعية هؤلاء العمال الذين قاموا ببناء السفن .

وحاول السير « دافيد » أن يحصل على إجابة مباشرة من « دونيتز » عما إذا كان قد وافق على الأمر الخاص بإطلاق الرصاص على أسرى الكوماندوز من الحلفاء . وقد بذل جهدًا شديدًا ليحصل منه على إجابة مباشرة ولكنه عجز عن ذلك .

وقد أجاب « دونيتز » أنه لا يوافق على مثل هذه الأوامر لو جاءته الآن ، وهو لا يرضاها بطبيعة الحال . أما ما حدث بالفعل حول هذه النقطة في الماضي فهي ضبابية في ذهنه ولا يذكر عنها شيئًا .

السجن في المساء

زنزانة « سبير » :

كان « سبير » يشعر بألم لأن صديقه « دونيتز » وصف الذين دبروا المؤامرات بأنهم خونة ، رغم علمه بأنه ــ سبير ــ أحد هؤلاء الذين خططوا لاغتيال « هتلر » في النهاية .

وقلت له : إنني قد لاحظت أخيرًا عندما ظهرت هذه الأمور أن عسكرية « دونيتز » وانضباطه وعقليته التي ارتبطت بتاريخه كجندي قد غطت على كل تفكير .

وقد غمغم « سبير » معلقًا :

ــ نعم . نعم . الأمر بطبيعة الحال كما تقول .

وفي مرارة شديدة أكمل حديثه :

ــ المشكلة الآن .. انظر كم هم مهذبون . وكلهم يقولون : الأوامر هي الأوامر . على الناس أن يموتوا . أما هم فيقفون في شجاعة الأبطال محتفظين بولائهم حتى اللحظة الأخيرة .. فليذهبوا إلى الجحيم .. إني مقتنع بما فعلت .. لقد كانت ألمانيا في مخيلتي .. ورائي وأمامي .. ولم يكن ذلك بالأمر السهل على أي حال .. هؤلاء العسكريون كم هو سهل عليهم أن يقولوا ليس علينا غير طاعة الأوامر .. وهم في الوقت نفسه يعجزون عن الإجابة عن أية أسئلة تتعلق بالشرف والضمير والأخلاق . أو رفاهية الناس وسعادتهم .

زنزانة « دونيتز » :

أظهر « دونيتز » سعادته ورضاه أنه قد عرف أخيرًا تلك المؤامرات الخسيسة

وأنها خرجت إلى النور وعرف أصحابها . وهو على يقين من أن رجال البحرية من ضباط الحلفاء الذين كانوا يحضرون المحاكمة يفهمونه جيدًا . وأنه قد اتبع قواعد الحرب البحرية مثل أي ضابط شريف دون زيادة أو نقصان .

وسألته :

ــ هل كنت تعني « سبير » عندما كنت تتكلم عن هؤلاء الخونة الذين فكروا في اغتيال « هتلر » ؟ .

وسكت « دونيتز » طويلاً شاردًا مفكرًا فقد كان « سبير » صديقه . وأخيرًا قال :

ــ ينبغي عليَّ أن أوضح لك أن أي شخص قد قام بالتخطيط لمثل هذه الأمور فإنه كان يظن أنه لصالح الشعب الألماني . ومن ثم فإن الأمر مفتوح بالنسبة لسبير . ولم يرد أن يستمر كثيرًا حول هذه النقطة فسألني :

ــ ما رأيك في دفاعي الذي قدمته أمام المحكمة ؟ .

وقلت له :

ــ من الملاحظ أن جميع العسكريين لا يزالون يرفضون قول أي شيء ضد « هتلر » رغم علمهم أنه قاتل .

واعترض « دونيتز » :

ــ ولكن المحكمة لم تمنحني هذه الفرصة لأقول شيئًا عن الجانب المظلم في شخصية « هتلر » . وليس من المناسب أن أجيب عن سؤال لم يوجه إليَّ . وقد كدت أن أقول شيئًا حول هذا . ولكني قوطعت عندها . نعم . أنا لم أعط الفرصة حتى أتكلم عن الجانب المظلم في شخصية « هتلر » . وهو جانب لم تتح لي الفرصة لرؤيته .

١٠ مايــو

جلسة الصباح :

استطاع السير « دافيد » أن يجعل « دونيتز » يعترف بعديد من الأشياء التي كان قد أخفاها أثناء استجوابه له في مبدأ الأمر . ولذلك أعاد سؤاله حول ألف ومائتي عامل قد جاءوا بهم من معسكرات الاعتقال لبناء السفن للأسطول الألماني وقد جعله يعترف أنه لم يكن يعنيه أمر هؤلاء العمال ، من أين جاءوا ؟ وبأية طريقة يعاملون ؟ .

وجعله يعترف أيضًا أنه قد أعطى الأوامر لإغراق سفن غير مسلحة وتتبع دولاً محايدة ولكنها دخلت منطقة القتال على سبيل الخطأ .

وقال إنها أمور تخضع للتصورات العسكرية في النهاية .

وقد اعترض على تهمة عدم التقيد بمعاهدة جنيف وقال :

ــ إن البحرية عليها أن تتصرف حسبما تمليه عليها الظروف وبالطريقة التي تراها .

ساعة الغداء :

شرح لي « دونيتز » أثناء الغداء الاعتبارات المأخوذة حول إغراق السفن التي تدخل في منطقة القتال . وبيَّن أن هذا أمر ممكن الحدوث . مع ملاحظة أن هناك تحذيرات لكل السفن التجارية والمحايدة أن تبتعد عن هذه المناطق . والرئيس « روزفلت » قد قال مبينًا للسفن التجارية التي تبحر في مناطق الحرب بحثًا عن الربح والكسب أنه ليس من حق أصحابها التضحية بطواقم هذه السفن والعاملين بها ،

ولهذا السبب فقد منع السفن من الوجود في مناطق القتال .

جلسة بعد الظهر :

ولخص سير « دافيد » استجوابه بأن أظهر « دونيتز » أنه كان يعد العدة لاحتلال إسبانيا من أجل موانيها البحرية . وأنه قد أيّد « هتلر » وأمده بأشياء عديدة . وأنه كان مصدرًا لطاقة عظيمة كانت أحد الأسباب لنشوب الحرب .

١١ مايـــو

دونيتز يخرج عن شعوره

السجن في المســاء

زنزانة « دونيتز » :

كان « دونيتز » مندفعًا في حديثه لي :

ــ « حسن .. ماذا تظن الآن ؟ لقد أريتك أنني وقفت بجانبكم .. لقد حركت كل قطع الأسطول إلى المياه الغربية قبل الاستسلام . وهذا ما جعل الروس يمتلئون غضبًا وغيظًا مني . كان عليَّ أن أظهر أنني صديق للغرب .

وهذا ما جعلني أعلن أمام المحكمة أن ألمانيا تنتمي للمسيحية الغربية » .

وبعد ذلك أخبرني « دونيتز » أن هناك أدميرالاً أمريكيًا في الخدمة قد أرسل مساعده إلى المجلس الذي يتولى الدفاع عني وقال لهم إنه يعتبر « دونيتز » كأحد رجال البحرية العظام الذين يعتبرون فوق مستوى الشبهات والتوبيخ .

وقال دونيتز :

ــ لقد طلبت من « كرانز بوهلر » أن يخبره عن محاولة الروس للحصول على الفنيين الذين كانوا يعملون في غواصاتنا الجديدة . تلك الغواصات التي صنعناها والتي يمكنها أن تدور حول العالم دون أن تضطر إلى الصعود على سطح الماء .

وقلت له : إن مثل هذا يمكن أن ينظر إليه على أنه يحاول أن يلعب لعبة الغرب ضد الشرق ، وأن يحصل من خلالها على بعض المزايا لنفسه عبر محكمة عسكرية عالمية .

وقال « دونيتز » إنه يفهم هذه النقطة ولهذا فقد غيَّر رأيه في آخر لحظة ولم يدع محاميه يخبر مساعد الأدميرال بهذا .

ولكن « دونيتز » رجاني قائلاً :

ــ ولكن عليك أنت أن تخبرهم بذلك . هذا واجبك . لا يزال الروس يحاولون حتى الآن الحصول على هؤلاء الفنيين والخبراء للغواصات وزوارق الطوربيد . هل تعرف لماذا ؟ لقد أخبرتك . إنها تدور حول العالم دونما حاجة للصعود على سطح الماء ، وهي ليست في حاجة إلى تغيير البطاريات . وهي مجهزة تجهيزًا فنيًا عالي الجودة ، وتصمد أمام أية أسلحة كانت ، حتى القنبلة الذرية .

ولما أبديت دهشتي لهذا الكلام تحمس « دونيتز » ورسم رسمًا كروكيًا لهذه القوارب وصار يشرح لي كيف يمكنها أن تعيد شحن بطارياتها بمجرد أن ترتفع إلى عشرين مترًا تحت سطح الماء ، ثم تخرج أنبوبًا يسحب الأكسوجين لاستخدام الماكينات التي تقوم على إعادة الشحن . وشكلها مثل السمكة مما يجعل سرعتها تحت سطح الماء أكثر منها فوقه .

واستمر « دونيتز » في حديثه :

وإن كان « ستالين » كريمًا في مسألة التسليح كما أظن ، وهو كذلك بالتأكيد فهو في هذه الحالة سوف يأمر ببناء بضعة آلاف من هذه القوارب . ومن ثم سوف

يتحكم في بحار العالم . وما الذي يمكنك فعله تجاه غواصة لم تظهر فوق سطح الماء ؟ حتى قنبلتك الذرية لن تساعدك في شيء .

وسكت بينما جلست أمامه أفكر في حديثه هذا .

وتكلم بعد فترة قصيرة :

ــ ماذا بعد أن أفضيت إليك بهذه المعلومات ؟ .

وقلت :

ــ وما الذي تريدني أن أفعله بالضبط ؟ .

وقال « دونيتز » منفعلاً :

ــ واجبك هو إبلاغ الأدميرال . لأنه بعد ستة شهور من الآن سوف أقول إنني قد أخبرتك بهذا وإنك لم ترد أن تقوم بواجبك .

ثم صمت ، وأنا أنظر إليه مفكرًا ، ثم عاد ليخبرني أنه كضابط شريف أعلن استنكاره للسياسات القذرة التي كانت .

وفي الحقيقة كان ماهرًا في حديثه معي في تلك الجلسة .

وقبل أن أخرج أخبرته أنني ربما أنقل هذه المعلومات التي ذكرها حول الغواصات والقوارب لارتباطها وتعلقها بالأمن . ولكني أكدت له أنه ليس ثمة ما يدعوه إلى التفكير في أننا ، أننا مهتمون بالسير قدمًا للحرب ضد روسيا .

١٧

الدفـاع عن ريـدر



١٥ مايــو

أسنان ذهبية في بنك الرايخ

جلســة الصباح :

قبل أن تأخذ قضية الأدميرال « ريدر » مكانها من المحاكمة ، ظهرت بعض النيران الخفيفة من الخلف بالنسبة لقضية « فونك » وكان يجب تسوية هذه المشكلة والبت فيها . فقد شهد « بوهله » حول الترتيبات التي اتخذت لإيداع الذهب الذي صادره الحرس النازي في بنك الرايخ . وكان قد استجوب بمعرفة محامي « فونك » ليؤسس على شهادته جهل « فونك » بالتفاصيل الخاصة بالأسنان الذهبية وخواتم الزواج وأُطُر النظارات الغالية .. إلخ . والتي تم جمعها ونزعها من جثث الضحايا الذين تمت إبادتهم في معسكرات الاعتقال . ثم جمعت وأودعت في بنك الرايخ .

السجن في المســاء

زنزانة يودل :

أعرب « يودل » عن ازدرائه لبداية دفاع « ريدر » عن نفسه . وقال إنه لا يظن

أن المحكمة تهتم بذلك الكلام السخيف الذي قاله من أن التجار يجب أن يسلحوا أنفسهم من أجل حماية التجارة . وهو مثل لا معنى له في هذه القضية التي نحن بصددها . وعلى أي حال فقد شعر أن رجال الجيش قد ظهر أنهم كانوا يعملون تحت إشراف ساسة منحطين قذرين يجرون صفقات حول ذهب قد نزع من جثث القتلى .

ربما لم يكن « فونك » يعلم شيئًا عن التفاصيل الخاصة بالأسنان الذهبية المودعة في بنك الرايخ . ولكن هذا كان عينة من الأعمال المدنية الحقيرة .

لقد قامت القوات المسلحة بإيداع الذهب المصادر في بنك الرايخ . ولكنه لا يمكن أن نصفه بأنه ذهب قذر ، فهو من وجهة نظر الجيش ذهب مصادر وفق القوانين العسكرية . ولكن الذهب الذي جاءوا به من معسكرات الاعتقال أمره يختلف . وعلى أي الأحوال فهذه الأمور تعكس العار والخسة اللذين كانت عليهما حكومة « هتلر » .

١٦ مايــو

شـــهادة ريدر

جلســة الصباح :

شهد « ريدر » بأن « هتلر » لم يكن يريد منافسة إنجلترا في إعادة تسليح القوات البحرية . ولهذا السبب فقد قام بتوقيع الاتفاقية البحرية عام ١٩٣٥ والتي قضت أن تكون النسبة بين القوات البريطانية البحرية ومثيلتها الألمانية بنسبة ٣ : ١ وكان هذا خرقًا لمعاهدة فرساي من كلا الجانبين في واقع الحال .

ولم يعترض « ريدر » بطبيعة الحال في زيادة هذه النسبة على المقرر المتفق عليه بعد ذلك . وقد اعترض « ريدر » على النوايا العدوانية التي ظهرت في خطبة « هتلر » في مؤتمر هوشباخ . ولكنه اعترف أنه كان موجودًا يومها وسمع الخطبة بنفسه .

١٧ مايــو

جلســة الصباح :

في هذه الجلسة وصف « ريدر » الخطط التي أعدت للهجوم على تشيكوسلوفاكيا وبولندا وشرحها ، وكيف تم تنفيذ كل شيء في غاية الدقة والسرية .

ثم اعترف بحادث غرق الباخرة (أثينا) وأن هذه الأوامر قد صدرت بمعرفة « هتلر » نفسه . وأن التقارير حول هذا الحادث قد رفعت إليه مباشرة . وأنه لم يعرف بالخبر إلا في جريدة (الفولكشايربيوباختر) .

وقد قيل يومها إن « تشرشل » هو الذي أمر بإغراق السفينة من أجل أغراض الدعاية ضد ألمانيا .

وقد قال « ريدر » بعض مقتطفات من كلام « فريتشة » الذي حكى له القصة وأخبره أن « هتلر » شخصيًا هو الذي أملى طريقة كتابتها .

وكل هذا يجعله متأكدًا أن « هتلر » قد كذب متعمدًا في هذا الموضوع .

ســاعة الغداء :

وأثناء ذهاب المتهمين للغذاء كان « جورنج » يهمس بشيء لفريتشه .

وفي قاعة الطعام جاءني « فريتشه » متوترًا وقال :

ـــ هل سمعت ما قاله « جورنج » لي ؟ .

وأشرت له بأنني لم أسمع شيئًا فقد كانا يتهامسان .

واستمر قائلاً :

ـــ لقد قال لي مؤنبًا كيف تقول هذا الكلام عن « الفوهرر » ؟ . أنا آسف يا دكتور فقد رأيتك واقفًا ولهذا أجبته إجابة مقتضبة . ولكن لقد تعمد « هتلر » الكذب في هذا الموضوع . وهذا أمر أعرفه جيدًا وأقسم عليه . وأنا بنفسي ظللت أصرخ طوال شهر في الراديو حول فضيحة الباخرة (أثينا) لأنهم كذبوا عليَّ .

جلســة بعد الظهر :

استمر « ريدر » في دفاعه والقاعة كلها تستمع إليه ، وصار يشرح أهمية وضرورة احتلال النرويج وعدالة هذا التصرف ، لأنهم بهذا يقطعون الطرق والإمدادات عن إنجلترا .

وعلى أي حال فقد خدع « هتلر » « ريدر » باهتماماته الظاهرة عن أهمية السلام وتحقيقه .

وبالرغم من ذلك فقد شارك متعمدًا في خرق معاهدة فرساي .

وفي نهاية الجلسة لخص « شاخت » رد فعله قائلاً :

ـــ لقد اعترض على الحرب العدوانية . وخدعه « هتلر » بدعاواه . ولكنه خطط وبدأ هذه الحرب العدوانية في الوقت نفسه . هؤلاء هم رجال العسكرية إن كنت لا تعرفهم .

١٨ مايــو

جلســة الصباح :

شهد « ريدر » بأن « هتلر » قد نصح اليابان بالهجوم على سنغافورة حتى تظل

أمريكا بعيدة عن الحرب .

ولكن حادث بيرل هاربور[٣٠] كان مفاجأة كاملة بالنسبة له .

ولقد لخص ردوده على الاستجواب الذي تم في أنه قد قضى وقتًا صعبًا ودقيقًا في العمل مع « هتلر » ، وكيف أنه كان في نهايةتلك الأيام يحتفظ باستقالته في جيبه دائمًا . وقد حاول أن يعطي انطباعًا أنه كان يدير الأمور بطريقته في بعض الأشياء القليلة على عكس إرادة « الفوهرر » . ولم يضرب مثلاً لهذا . ولكنه يعتبر أن « هتلر » رجل لا يمكن تحمله ولا يمكن السير معه في عمل على الإطلاق . وأنه لم يكن يعرف ما ينبغي أن يفعله معه على وجه التحديد .

السجن في المساء

زنزانة « فرانك » :

كان « فرانك » يظن أن المحاكمة قد أخذت وقتًا أكثر مما ينبغي لها . وأن القيم الأخلاقية العليا قد غُضَّ النظر عنها وضاعت جوانبها عند الاستغراق في تحديد بعض الأدلة .

وقال ساخرًا :

ــ بالتأكيد فإن هذا يعطي الآخرين شيئًا من الشجاعة ؛ لأنهم لا يزالون يحاولون إنقاذ رءوسهم . وكلما طال الأمر كان ذلك خيرًا وسلامًا بالنسبة لهم .

٢٠ مايــو

قانون ريدر العسكري

جلسة الصباح :

أثناء الاستجواب أظهر السير « دافيد ماكسويل فايف » أن الاتفاق الألماني

البريطاني البحري الذي عقد عام ١٩٣٥ كان يمنع الألمان من صناعة الغواصات .ولكن النازيين كانوا ينتهكون هذا الاتفاق ببجاحة شديدة .

كان « ريدر » منفعلاً على نحو ما وهم يقرءون التقرير الذي قدمه للروس عن « جورنج » . وكانوا يقرءونه للتأكد من أنه كاتبه . وكان قد كتب فيه أن « جورنج » قد استخدم فضيحة زواج « فون بلومبرج » ودعوى الشذوذ الجنسي التي اتهم فيها « فون فريتش » حتى يستطيع الوصول إلى الرئاسة العليا للقوات المسلحة الألمانية .

وكان هذا تأكيدًا لشهادة « جيسيفيوس » من مصادر غير متوقعة .

وقد بهت « ريدر » وتلعثم ، ولكنه اعترف في النهاية أن هذا ما كان يظنه في ذلك الوقت .

وأفاد السير « دافيد » شارحًا خصوصية التكوين الأعلى للقوات المسلحة الألمانية أن الشخصين اللذين يمكنهما الاعتراض على الحرب العدوانية قد استطاعوا طردهما من الجيش .

وقد ذكره السير « دافيد » بحالات أخرى متعددة كان ينبغي فيها على « ريدر » أن يتعرف بوضوح على نوايا « هتلر » العدوانية .

خطاب « هتلر » في مؤتمر هوشباخ يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٨ سرعان ما طرده « ريدر » من مخيلته ، ولم يشأ أن يأخذه مأخذًا جادًا .

ولكن « هتلر » أبدى جدية شديدة في نواياه عندما احتل تشيكوسلوفاكيا . الأمر الذي جعل تعليق « ريدر » بعيدًا ولا معنى له .

وقد غمغم قائلاً :

ـــ حسن .. لقد كان يريد الاستيلاء على أشياء كثيرة . خطبة « هتلر » في ٢٣ مايو ١٩٣٩ (خطبة شموندت) لم تكن سوى مناقشة أكاديمية مليئة بالمبالغات .

واستمر المدعي العام يذكره بالوقائع :

ــ وكيف أمر القوات المسلحة باجتياح بولندا في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٣٩ م .

إن المدعي العام يريد أن يفهم .

وكان « ريدر » يجلس متململاً فوق كرسيه وهو ينظر إلى الساعة المعلقة في القاعة ، وكل أمله أن تدق معلنة انتهاء الجلسة .

وتمتم ببعض الجمل غير المفهومة والتي يريد أن يبين فيها مهارة « هتلر » في تجنبه للحرب . وأنه ظل معتقدًا أنهم لن يقوموا بالحرب حتى بعد أن أصدر أمره بالهجوم على بولندا .

ســاعة الغداء :

ضحك « شاخت » كثيرًا لعدم رغبة « ريدر » في تأكيد ما سبق أن قاله عن « جورنج » وعن تدبيره لفضيحة « فون فريتش » وقال :

ــ لماذا يخاف الناس من التعبير عما يعتقدون بيقين أنه صحيح ؟ لقد تكلمت مباشرة وبصراحة وأعلنت عن رأيي في وضوح حول « جورنج » إنه شخصية مراوغة مخادعة ! .

وكان « فون نيوراث » مهتمًا للغاية برؤية « ريدر » لخطبة « هتلر » في مؤتمر هوشباخ .

وقال :

ــ عندي رؤية مختلفة تمامًا عن خطبة هوشباخ . إنها لم تكن أكاديمية كما يتظاهر « ريدر » .

وقد أظهر « فون بابن » أن أكثر ما أثار غيظه هو تلك الأسئلة حول العدوان .

وقال :

ـــ اتفاقية عدم الاعتداء الروسية الألمانية كانت في الحقيقة خيانة وتآمرًا !! . لقد سموها باتفاقية عدم الاعتداء . وفي نفس الوقت كان الاتفاق يتضمن بندًا سريًا على اقتسام بولندا في وقت لاحق .

جلســة بعد الظهر :

استطاع السير « دافيد » أن يجبر « ريدر » على الإقرار أنه كان يوافق على مهاجمة السفن المحايدة ، في الوقت الذي كان يرفع أعلامًا زائفة فوق سفنه ، وأن هذا مسموح به في الحرب من وجهة نظره ، ولكن هذا يعتبر نوعًا من القرصنة حسب القانون البحري .

وقد أفاد « ريدر » أنهم قاموا بمهاجمة الغواصات الروسية قبل ستة أيام من إعلان الحرب عليها .

وأقر أيضًا أنه كان يحبذ ويحض على أن تقوم الغواصات الألمانية بهجوم غير محدد ومفتوح وبأية طريقة ضد كل أنواع السفن البريطانية . وبالنسبة للسفن المحايدة فيجب اتباع القوانين الدولية مادامت ملائمة لخططنا .

وحاول « ريدر » أن يبرر هذه التصرفات على أساس أن هذا هو الفهم الصحيح الدقيق لمعايير قيادة الحرب .

وكان هناك تقرير قد كتبه « ريدر » في موسكو عندما كان أسيرًا هناك يفيد أن « جورنج » كان يتدخل في أعمال الكثير من كبار المسئولين أمثال « دونيتز » و « كايتل » . وقد قرئ جزء من هذا التقرير ، بعد أن حاول مجلس الدفاع عن « ريدر » منع قراءته أمام المحكمة التي رفضت هذا الطلب .

زنزانة « دونيتز » :

كان « دونيتز » ضجرًا في أيام الشهادة الأخيرة ، وكان قلقًا بشأن ما كتبه عنه « ريدر » في التقرير الذي قدمه للروس في موسكو أثناء أسره . ورغم هذا فقد كان القلق الحقيقي من ذلك التقرير الذي جاء من الأدميرال « نيميز » وكانت وجهة نظره أن الجميع سوف ينفذ فيهم حكم الإعدام شنقًا . ولم يعد هناك ما يدعو للقلق .

٢١ مايــــو

تقرير ريدر الذي كتبه في موسكو

كنت قد حصلت على نسخة من نص التقرير الذي كتبه « ريدر » في موسكو والذي أثار الرعب والذعر بين رجال العسكرية الذين يجلسون في قفص الاتهام ، وهم يبررون خشيتهم وخوفهم من مساس التقرير بالقيم النفسية والأخلاقية بقيادات الجيش الألماني .

وكان « ريدر » حزينًا مغتمًا يشعر بالتعاسة الشديدة وعبر عن ذلك بأنه لم يكن يتمنى يومًا أن يتورط في الحديث عن الآخرين ، وبخاصة زملاؤه الذين يحاكمون معه ويجلسون بجواره في نفس القفص أمام نفس القضاة .

فقرات من التقرير :

« ذلك الشخص المسمى « جورنج » كان له تأثير مروع على أقدار الرايخ الألماني

وهو يتفرد بخصائص رئيسية في أخلاقه ، تتمثل في طمع لا حدود له ، وطموح لا تحده حدود ، يلهث خلف الشعبية ويطلبها ، مغرم بالتظاهر ، لا يمكن الوثوق به . انتهازي وأناني وليست لأطماعه حدود ، ولم يعمل من أجل الدولة أو الشعب يومًا . ورائده دائمًا هو أطماعه وجشعه ، وهما اللذان يقودانه إلى أي تصرف يفعله . لم يكن جنديًا حقيقيًا في يوم من الأيام ، ولكنه كان يحيا حياة ناعمة لاهية .

وبالنسبة لاقتناعي الشخصي ، فإن « هتلر » قد أدرك هذه الصفات فيه منذ وقت مبكر . ولكنه استفاد منه كثيرًا ؛ وحصل منه على مزايا وتأييد خدم أهدافه وأغراضه .

وكان « هتلر » يكلفه دائمًا بالأعمال الشاقة المتشعبة لينهك قواه ويرضي غروره ويظل منشغلاً دائمًا ، ومن ثم يتجنب خطره الذي يمكن أن يصيب « الفوهرر » وكان « جورنج » يبدي عظيم الاهتمام للفوهرر وهو يبدي ولاءه بشكل خاص وفي كل مناسبة ، وأمام الجميع ، ولكن هذا كان محل استخفاف خفي بين بعضهم . ولا شك أنه رجل غريب الأطوار ، له (تاكتيكات) غريبة في تصرفاته . ورغم ولائه الظاهر « للفوهرر » فلم تكن له طريقة محددة السلوك حياله .

وكان هذا محل نظر وتفكير واهتمام من « الفوهرر » .

وفي البداية فإنه بدأ نشاطه معنا وهو ممتلئ بعواطف الزمالة والصداقة مع كل قيادات البحرية الألمانية . وسرعان ما بدأ يعرف أنهم يسيطرون على جهاز قوي وخطير . وبدأ يشعر بالغيرة والحساسية تجاه نجاحهم وتطور جهودهم في خدمة هذا السلاح .

وتغيرت عواطفه ، وظهر له طموح جديد : أن يضم هذا السلاح البحري إلى مقتنياته مع سلاح الجو الألماني الذي يرأسه . ورغم أن البحرية الألمانية قد قامت بدور خطر في الحرب ، فإنه كان يبدي احتقاره نحوها ، ويعبر عن ذلك في جلساته الخاصة ، وبطبيعة الحال ليس أمام رؤساء هذا السلاح أو على مسمع منهم .

وكان « الفوهرر » يحرص دائمًا أن تكون علاقته معي طيبة وجيدة بشكل عام . وكان يعرف أن لي أفكاري الجيدة حول مسائل كثيرة ، وأن لي علاقات وثيقة بجميع الدوائر الهامة . وكانت لي صلة طيبة بمعظم حلقات النخبة في المجتمع الألماني بشكل عام . وكانوا يثقون بي ثقة عظيمة .

وكان « الفوهرر » يحاول دائمًا أن يوجد تناسقًا عامًا بيني وبين « جورنج » و « فون » و « رينتروب » و « جوبلز » و « هملر » تحت رعايته وإشرافه .

ومع عظيم الاحترام لدونيتز فقد كانت علاقتنا باردة جدًا منذ أن صار ينظر إليَّ نظرة خاصة . ولم تكن طريقته في (التاكتيك) تروقني . ولعل نتائج أخطائه قد جاءت من نظرته الشخصية للأمور ، وإدارته للجانب الذي يخصه في الحرب من زاوية ذاتية بحتة . وكانت طريقته معروفة لبعض كبار الضباط . وسرعان ما صارت واضحة وظاهرة لجميع أجهزة البحرية .

وكان « سبير » يثرثر في كل مكان حول تفاهة شخصية « دونيتز » وتقلبه وتصرفاته اللولبية التي تثير الشك دائمًا . وقد نحيت تمامًا كل المحاولات التي بذلت من أجل تطوير السلاح البحري وإعداده بشكل يتلاءم مع العصر الجديد . وبرزت فكرة قيادة جديدة وغرفة عمليات جديدة بطرق لا نعرفها ، ورجال ظهروا للمرة الأولى ليس لديهم الخبرة والبراعة ، في لحظة حاسمة من لحظات التاريخ الألماني . وانتصر « دونيتز » .

وكانت رغبات « دونيتز » السياسية العارمة قد خلقت له مصاعب جمة ، وجعلت قيادته للبحرية الألمانية من أشق الأمور .

ثم كانت خطبته الأخيرة في « شباب هتلر » التي اتسمت بأنها مثيرة للضحك والازدراء في كل الدوائر مما جعله يحمل لقب « دونيتز صبي هتلر » .

وكان هذا أحد الأسباب المنطقية التي لم تساعده في خلق مكانة له .

ومن الناحية الأخرى فقد كانت تصرفاته سببًا في ثقة « الفوهرر » به .

وليس عندي تفسير واضح للسبب الذي من أجله جعلوه في رئاسة إدارة شمال ألمانيا . ولم يتردد في قبول هذا المنصب .

وكانت قيادته العامة للبحرية الألمانية قد أظهرت اهتمامه القليل بها ؛ لأنه لم يكن مؤهلا تمامًا لهذا العمل .

وباستدعائه من أجل استمرار المقاومة جعل من نفسه أضحوكة وأساء إساءة بالغة للبحرية الألمانية .

أما عن رئيس الأركان وقائد الجيش « كايتل » فيجب أن نتذكر هنا شخصيته وهدوءه واختلاف نوعه عن سائر زملائه وأقرانه . فقد كان يشغل منصبًا لا حدود فيه لصلاحياته . وهذا قد أثر تأثيرًا سيئًا على مصير وأداء القوات المسلحة الألمانية . فكايتل رجل منعدم الخيال ضعيف ، ويرجع بقاؤه في المنصب الذي شغله تلك المدة الطويلة إلى هذه الخصائص الشخصية .

وكان « الفوهرر » يعامله بطريقة ليست حسنة ، ويفعل معه ما يشاء ، وهو يقف مطيعًا لا يعترض » . انتهى التقرير .

عودة إلى الجلسة :

وعندما جاء المتهمون ودخلوا القفص في الصباح كان يبدو على وجوه الجميع وتصرفاتهم أن التقرير الذي كتبه « ريدر » في موسكو قد أحدث فيهم تأثيرًا عميقًا ضارًا . وقد شاهدوه في الوقت نفسه وهو يدخل معهم القفص مما سبب أعظم الإثارة والغضب والضيق وشتى الانفعالات .

وقد أحدث هذا خللاً كبيرًا في العلاقات بين المتهمين من الحلقة العسكرية .

كان « دونيتز » متجهم النظرة حزينًا منطويًا على نفسه ، لم يفتح فمه بكلمة مع أحد .

ولسوء الحظ فإن « جورنج » ظل خارج قاعة المحكمة بسبب توعكه ومرضه .

وجلس « كايتل » متوترًا في صمت . وناول محاميه ملاحظة مكتوبة على ورقة يطلب منه ألا يسأل « ريدر » أية أسئلة حول ذلك التقرير المدمر الذي كتبه .

وقد سمعت « فون شيراخ » يقول لريدر إنه لا يلومه من أجل كتابة هذا التقرير حول « جورنج » .

وقال له :

ـ إن ماريشال الرايخ يعرف أشياء كثيرة من التي حدثت في ألمانيا أكثر من أي شخص آخر يجلس معنا في هذا القفص ، وعليه بناء على ذلك أن يقر بمسئوليته الكبيرة . وهو لا يقل جرمًا بالفعل عن أي رجل آخر من المتهمين .

وكان هذا الكلام من ذلك الرجل الذي كان يعبد « جورنج » والذي قيل بطريقة تلقائية وعفوية ، وكأن وحيًا قد هبط عليه أو رؤيا رآها في النوم فغيرت كل نظرته للأمور .

وهذه الأمور جميعها جعلت « جورنج » يكاد ينفجر من الغيظ والغضب .

وبالتأكيد كان هذا اليوم شاقًا وحزينًا على جميع المتهمين فقد شعروا أنهم قد ظهروا أمام العالم على حقيقتهم الخاوية المريرة الخالية من المثل العليا .

جلسة الصباح :

حدثت محاورة حادة وعنيفة حول مسألة قراءة تقرير « ريدر » الذي كتب في موسكو كاملاً ويتم تسجيله .

وقد اعترض مجلس الدفاع عن « ريدر » وطلب عدم قراءته .

وأصر الكولونيل « بكروفسكي » على قراءة التقرير وتسجيله .

وأثناء هذا الحوار نادى كل من « يودل » و « كايتل » على محاميه .

« يودل » يقول لمحاميه : دعه يقرأ هذا التقرير .

و « كايتل » يصرخ في محاميه : لا تجعله يفعل ذلك أرجوك .

وجلس « دونيتز » صامتًا في جد وصرامة ، ولم يفتح فمه بكلمة واحدة .

وكان « هيس » يضحك مستمتعًا لهذا الاضطراب الذي حدث بين رجال الجيش .

وزمجر « ريبنتروب » وكان يتكلم بانفعال مع محاميه الدكتور « هورن » .

وانتهت المسألة على اجتماع تم بين جميع المحامين الموكلين عن المتهمين وناقشواالأمر في حرارة وهياج .

وأخيرًا أصدرت المحكمة قرارها .

لا ضرورة لقراءة مثل هذه الوثيقة .

وانتهز الفرصة الدكتور « شايمرز » وأنهى إعادة الاستجواب بشكل سريع مع « ريدر » على الفور .

ساعة الغداء :

عبر « كايتل » عند الغداء عن إنكاره لهذه الوثيقة . وقال : إنه شيء مقزز من « ريدر » أن يقول مثل هذه الأمور عنا وعن نفسه . وبالفعل كان القضاة في غاية الأدب والتهذيب لرفضهم الصريح لقراءة مثل هذا في المحكمة .

وحاول « دونيتز » أن يخفي استياءه ولكنه قال بصعوبة :

ــ إنه يزداد حكمة كل يوم . وهو الآن يشعر بحاجته أكثر من أي وقت مضى

للدفاع عن نفسه .

ثم دخل في محادثة مع السياسيين : « شاخت » و « فون نيوراث » و « فون بابن » .

وكان هذا للمرة الأولى منذ أسبوعين ! .

وشرح أن من المحتمل أن يكون « ريدر » قد وقع تحت تأثير ضغط ما في موسكو جعله يكتب مثل هذا الكلام .

ولا شك أن « ريدر » لم يفهم هدف « دونيتز » في تأخر إعلان الاستسلام . فقد كان غرضه ليس إطالة الحرب ولكن كان ذلك حتى يتمكن أكبر عدد من الألمان من الهرب إلى الخطوط الغربية ومن ثم ينجون من أسر الروس .

وعبَّر « يودل » عن رأيه بأنه لم يكن لديه أدنى اعتراض على قراءة الوثيقة . وأنه قد نسخ جزءًا منها في الناحية التي تخصه .

وقد قرأه لي ، وأطنب وتكلم في كبرياء وعظمة وأنه حتى « ريدر » يعرف أن « يودل » على العكس من « كايتل » وأنه كان مستقلاً في آرائه تجاه « هتلر » ، وأنه كان ينجح في كثير من الأحوال في تنفيذ ما يريد .

وقد أطلعت « يودل » على مقال في جريدة (ستارز آند ستربس) حول محاكمة رجال التعذيب في « داخاو » والتي دارت حول إطلاق الرصاص على خمسمائة أمريكي في (بولجي) عند (مالميدي) وفي أماكن أخرى .

والمقال مأخوذ عن أقوال « سبد دايترش »[٣١] عندما قال : إن « هتلر » قد أمر الفرقة السادسة من قوات البانزر[٣٢] للقتال دون الأخذ في الاعتبار قواعد الرحمة أو الإنسانية . وقال يودل :

ــ في الحقيقة إن هذا خارج عن تفكيري بالمرة ، وذلك أن « سبد دايترش » لو كانت قد وصلته أوامر بإطلاق الرصاص على أي أحد ، أو هو الذي فعل هذا

بنفسه لكنت قد علمت بذلك بالضرورة أنا و « فون رونشتدت » .

وكلانا لا يعرف شيئًا عن هذا على الإطلاق !! .

وهذه أمور لا تقبل التساهل أو التسامح للحظة واحدة ..وفي حقيقة الأمر فإنهم أخذوا أربعة وسبعين ألفًا (؟) أسرى من الأنجلو أميركان من (بوبجي) وهذا يؤكد عدم صحة الخبر حول تلك الأوامر . وللعلم فإن « سبد دايترش » جندي شريف متفوق . وهو أحد الذين أبدوا احتقارهم لنظرية « هملر » عن الجنس (النردي) المتفوق .

وجاء « كالتنبرونر » ليساعد « يودل » في الدفاع وقال :

ـــ إن هذه الأشياء قد بدأت مع خطبة من خطب « هتلر » العادية التي تبث الكراهية وتدعو إلى القتال دون رحمة أو شفقة وهي أمور لم تؤخذ مأخذ الجد من القادة المحليين . وقد يقوم بفعلها آخرون يريدون تقديم خدمة أو جميل « للفوهرر » . وهم لم يقتلوا أسرى من أي نوع .

وقد تخيل « كالتنبرونر » الخطبة التي ألقاها « هتلر » وصار يذكرها :

ـــ قاتلوا بحماسة وغيرة وغضب وإخلاص .. لا تمتنعوا عن فعل شيء .. فلنضحِ جميعًا من أجل الوطن الأم .. ولتظهر أيها الألماني شجاعتك الفائقة ليعرف العالم من نحن .. ولتبين للعدو شدة مراسك .

ولعل هذا الذي جعل البعض يقتلون في (مالميدي) ![٣٣] .

٢٢ مايــو

الأدميــــرالات

ســاعة الغداء :

أثناء الغداء أبدى « دونيتز » بعض المداعبات حول التقرير الذي وصله للتو

من الأدميرال « نيميز » والذي يجيب فيه على مجموعة من الأسئلة .

وقال « دونيتز » :

ــ هل تدري ماذا قال ؟ لقد قاد حربًا لا حدود لها في كل أنحاء المحيط الهادي منذ اليوم الذي تلا حادث (بيرل هاربور) ! إنها وثيقة عجيبة وجيدة ! .

وفي الغرفة الأخرى كان كل من « رينتروب » و « ريدر » يتحدثان في راحة كبيرة حول تلك الوثيقة التي أراهم إياها « دونيتز » .

وقال « ريدر » :

ــ هل رأيت ؟ حرب لا حدود لها ! كل شيء مسموح لك ما دمت منتصرًا . والشيء الذي لا ينبغي عليك عمله في الحرب هو أن تخسرها ! .

وانتهز « رينتروب » هذه الفرصة ليبرر خرقهم لمعاهدة ميونخ وقال :

ــ لقد أصبت الحقيقة .. حرب لا حدود لها ! حرب لا حدود لها في كل أنحاء المحيط الهادي .. حرب لا تلتزم بقواعد أو قوانين .. وأين ؟ في المحيط الهادي حيث لا علاقة لأمريكا به بالمرة .. ونحن عندما نعلن الحماية على بوهيميا ومورافيا اللتين تنتميان إلى ألمانيا منذ أكثر من ألف عام يصفون تصرفنا بالعدوان والهمجية ! .

وتدخلت قائلاً لرينتروب :

ــ ولكن يظل هناك اختلاف جذري بين الحالتين ، لقد وقعت معاهدة في ميونخ تقر فيها أنك لن تأخذ أراضي جديدة بعد (السوديت) . بينما نحن نُهاجَم في المحيط الهادي دون إنذار مسبق وأثناء المفاوضات الدائرة .

هناك فرق واضح بين العدوان وبين الدفاع عن النفس .

ورفض « رينتروب » الإذعان لهذه النقطة وقال : إنه ليس هناك فرق يذكر .

وفي غرفة طعام الشباب كان « سبير » يعطي « فون شيراخ » آخر نصائحه قبل

مثوله أمام المحكمة ، وأن عليه أن يقول الحقيقة وألا يخشى أحدًا . وأن يذكر حقيقة « جورنج » الوضيعة التي عرفها ونفاقه وتظاهره .

وقد حضرت في نهاية ذلك الحوار الذي تم بينهما في اللحظة التي أبدى فيها « فون شيراخ » موافقته على ما قاله « سبير » .

السجن في المســاء

زنزانة « دونيتز » :

ذهبت إلى زنزانة « دونيتز » ومعي نسخة من تقرير « ريدر » الذي كتبه في موسكو ، وقلت له :

ـــ انظر في هذا سيدي الأدميرال . لست أدري ما إذا كان يمكنني التعاون معك أكثر من هذا .. ها هو ذا رئيسك يبدي رأيه فيك ، ويبدو أنه لا يثق كثيرًا في شخصيتك وقدراتك .

وتكلم « دونيتز » وهو مديرٌ ظهره لي بعد أن صرف حارسه الخاص . وصار ينقد كل جملة جاءت في التقرير وهو مستثار إلى آخر درجة .

وقال :

ـــ انظر يا كابتن . كل جملة في هذا التقرير غير صحيحة .. غير صحيحة بالمرة .. ولا تنس أنه قد كتب هذا الكلام في حالة خاصة .. رجل متقدم في العمر .. قد اختلطت عليه الأمور .. هزم ووقع في الأسر .. قد حاول الانتحار .. أي صواب يمكن أن يقوله هذا الرجل ؟ وتلك الأشياء التي كتبها عني وعن « سبير » . هل تدري لماذا كتب هذا ؟ سببه الغيرة الشديدة التي كانت تنهش قلبه بعد أن نجحنا في إنتاج القوارب الجديدة ضاربين عرض الحائط بنظرياته القديمة البالية .

لقد سألته هذا الصباح : أي الرقمين أعلى من الآخر ٤٤ أم ٢١ ؟ . حسن . فقد أثبتنا فساد الطريقة القديمة التي كان يتبعها في الإنتاج . فقد أنتجنا ــ أنا وسبير ــ أربعة وأربعين قاربًا من النوع الجديد في مقابل واحد وعشرين قاربًا قد مارس كل الضغوط ليتم إنتاجها . وهذه هي حصيلة إنتاجه وإنتاجنا في شهر واحد . وقواربه عتيقة بالية لا تصلح للحرب الحديثة .. أما قوله إنني (صبي هتلر) فهي كذبة ملعونة ! أنا لم أدع كذلك أبدًا . « ريدر » مجرد رجل عجوز غيور ليس لأنني قد حققت نجاحًا أكثر منه فقط ، ولكني بالفعل قد حققت أكثر مما كان يحلم هو أن يصل إليه .

وأخيرًا صرت رئيسًا للدولة كما تعلم ، في الوقت الذي كنت فيه تحت رئاسته وإشرافه .

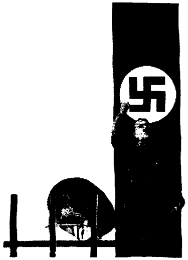
وأما الجزء الخاص بأوامري للقوات بالقتال حتى النهاية فقد سبق أن شرحت لك وجهة نظري حول هذه النقطة .

لقد كان هذا لإنقاذ مليونين من الجنود الألمان خشية وقوعهم في أسر الروس . وفي سبيل هذا قد حصلت على تأييد الجنرال أيزنهاور والجنرال مونتجمري .

وصرت أستمع إليه وهو يبرر تصرفاته لي وتذكرت كيف كان اسمه يثير الرعب في كل السفن التي تمخر البحار من غواصاته الخفية التي لا يمكن لأحد أن يطلع عليها حيث تظهر في لحظة لا يعلمها أحد ولم يستعد لها مخلوق وكأنها القدر أو يوم القيامة ، وفي لحظات تحول الحياة إلى موت ثم تغيب في الأعماق كأنها لم تكن . وها هو ذا يجلس إليَّ كتلميذ يبرر عدم أدائه لواجبه المدرسي وهو يخشى العقاب ، رغم أنني لست من قضاته . ونسي أنه قد جلس على مقعد رئيس الدولة في وقت قريب كان .

١٨

الدفاع عن فون شيراخ



٢٣ مايــو

فون شيراخ يقف أمام المحكمة

جلسة بعد الظهر :

بدأ « فون شيراخ » دفاعه عن نفسه متحملاً المسئولية كاملة حول التعاليم التي بثها في الشباب الألماني . وقد وصف منظمة الشباب الألماني التي كان يرأسها بأنها لا تزيد ولا تقل عن فريق كبير للكشافة ، ولكن على نمط ألماني .

وأضاف أيضًا أنه لم يترك « هتلر » يشرك (شبيبة هتلر) في المذابح التي حدثت عام ١٩٣٨ .

ثم وصل « فون شيراخ » في حديثه إلى النقطة الأساسية .

وبدأ يشرح كيف أصبح من المعادين للسامية . وذكر أن الشيء الذي كان له أكبر تأثير عليه في هذا الفكر هو قراءته للكتاب الأمريكي (اليهودية العالمية) .

وأثناء النهار كان الدكتور « توما » محامي « روزنبرج » قد أخبرني أنه مصاب

بالغثيان من أفكار موكله « روزنبرج » وطلباته . فقد ضايقه « روزنبرج » بالكلية عندما طلب منه أن يقدم دليلاً على أن الاتهام الخاص باليهود غير مبرر وليس عليه فيه شيء . وهو يصر على تقديم وثيقة « بوتوتسكي » على سبيل المثال .

وقال الدكتور توما :

ــ لقد قلت له : بحق الله يا « روزنبرج » ! هل تريد مني أن أجعلهم يظنون أنك لم تكن موافقًا على المذابح وعمليات القتل بالجملة ؟ وأنك لا تعرف عنها شيئًا ؟ والآن تريدني أن أقدم وثيقة تبين أن عمليات الإبادة والقتل بالجملة كان لها ما يبررها ؟! لقد جعلني أشعر بالغثيان . وسألته عما يمكن أن يكون في وثيقة « بوتوتسكي » .

وأخبرني أنه تقرير من السفير البولندي في الولايات المتحدة الأمريكية يبين فيه أن اليهود الملتفين حول الرئيس « روزفلت » يناصبون ألمانيا النازية العداء .

وقال الدكتور « توما » :

ــ ولكنك إذا سألتني فإني أقول : إن هذا لحسابهم ؛ فقد أدركوا مبكرًا مدى الشر والسوء والفساد الذي يختفي تحت رداء (الهتلرية) التي دمرت أوروبا ، والتي كانوا يريدون تصديرها خارج القارة . وأستطيع أن أخبرك أن هناك الكثير من المسيحيين المتدينين كانوا سعداء بالحرب إلى أبعد مدى لسبب واحد فقط . وهو أن هذه الحرب سوف تنهي « هتلر » .

٢٤ مايــو

فون شيراخ يعلن تبرؤه من هتلر

جلســة الصباح :

صار « فون شيراخ » يشرح أفكاره حول معاداته للسامية ، وكيف أنه كان

ينتظر هو ومنظمة الشباب الألماني حلاً سلميًا للمسألة اليهودية . ولم يكن لديه ما يفعله بالنسبة لقوانين « نورمبرج » . ولكنه ظن أن المشكلة قد تم حلها بالفعل وأن قوانين « نورمبرج » ليست سوى أمر سطحي . وعلى أي حال فقد كان على منظمة الشباب الألماني أن تعتبرها جزءًا من سياسة الدولة التي ينتمون إليها .

وعند هذه النقطة حدجه « فريك » متجهمًا .

واستمر « فون شيراخ » :

ــ وبالنسبة لجريدة العاصفة التي كان يرأس تحريرها ويصدرها « شترايخر » فإن الشباب الألماني كان يعارضها ويرفضها .

وقطع حديث « فون شيراخ » ضحكة كريهة مجلجلة انفجرت من ناحية القفص وكأنها تعبيرٌ عن رأي « شترايخر » فيما يقوله « فون شيراخ » الذي استمر :

ــ وإن رأيي في المذابح التي حدثت عام ١٩٣٨ م أنها عار يقضي على الحضارة وهي جريمة كبرى بكل المعايير . وفي ظني أن اليهود سوف يكون حالهم أفضل بكثير لو استقروا في الشرق . في أي بقعة يختارونها .

وأقر « فون شيراخ » في حديثه أنه قد حصل على موافقة على نقل اليهود من فيينا ، وذلك عندما كان مفوضًا للرايخ هناك . وأنه كان عليه أن يصعد الأحداث بخطبة في فيينا وقد تم ذلك في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٢ .

وعند هذا الحد أضاف « فون شيراخ » :

ــ لقد فعلت هذه الأشياء وأقرُّ بها .. ولكني أنكرها اليوم وأعتذر عنها بإخلاص . وأعلن تبرئي من ذلك الولاء الزائف للفوهرر . وإني أدين نفسي أخلاقيًا لكل هذه الأحداث التي كانت ، والتي اشتركت في فعلها ولا يمكنني نكرانها الآن .

ووصف « فون شيراخ » كيف اتفق مع « هتلر » حول المسائل الثقافية وموضوع معاداة السامية في عام ١٩٤٣ .

ثم وصل في حديثه للتشهير بهتلر وبفكرة معاداة السامية .

وبالرجوع إلى شهادة « هويس » حول ما حدث في معسكر الاعتقال في « أوشفيتز » فقد قرَّر « فون شيراخ » :

ـــ لقد كان ما حدث أكبر وأعظم مذبحة جماعية قد شهدها التاريخ . والشيطان نفسه لا يقدر على تنفيذها على هذا النحو الذي كان . ولكن هذه المذبحة لم تكن بإرادة « هويس » . لقد كان « هويس » هو الجلاد في هذه المذبحة . لقد تمت المذبحة بأوامر صريحة من « آدولف هتلر » . وهذا يمكن أن نراه واضحًا في وصية « هتلر » الأخيرة . تلك الوصية الأخيرة التي لا يزال أصلها الخطي موجودًا ، وقد اطلعت على صورة منها . وقد اعترف فيها أنه و « هملر » قد قاما بهذه الجرائم ، والتي ستظل على طول تاريخنا هي أكثر النقاط ظلامًا فيه . وهي من الجرائم التي تجعل كل ألماني يشعر بالعار الشديد لمجرد تذكرها .

ومن القفص حيث يخيم الصمت كان كل من « فرانك » و « فونك » و « ريدر » يمسحون دموعهم عند نقط مختلفة من كلام « شيراخ » وهم في غاية التأثر .

وفي الوقت نفسه كانت تتعالى ضحكة « شترايخر » القبيحة الكريهة التي تثير الكثير من الاشمئزاز والضيق .

واستمر « فون شيراخ » :

ـــ إني مقر بذنبي معترف به ، وعلي أن أقر به أمام الله وأمام الشعب الألماني . لقد قمت بتعليم الشباب الألماني . لقد كرست هؤلاء الشباب من أجل رجل قد اعتبرته لسنين طويلة منزها عن الخطأ كقائد للشعب ، وكرأس للدولة . لقد شكلت الشباب لتحقيق أهدافه وخدمته ، ذلك الرجل الذي رأيته كما رآه كل الشباب الألماني .

هذا هو ذنبي الحقيقي أنني علمت الشباب الألماني وثقفتهم لخدمة رجل كان يأمر بقتل الملايين دون أن يدري أحد .

ولكن حول أسس السياسة العنصرية ومعاداة السامية فقد كانت النتيجة الحتمية هي « أوشفيتز » ، والتي ينبغي أن تكون هي آخر جملة في تلك السياسة الشيطانية التي تعتمد على عنصر متفوق لا وجود له .

وأثناء الاستراحة طلب « روزنبرج » من محاميه ألا يوجه له أية أسئلة . وقد وافق المحامي على هذا فهو ببساطة لا يمكن أن يعتبر عمليات القتل بالجملة التي تمت يمكن تناولها والتظاهر بأنه كان هناك مايبررها .

وكان « فون شيراخ » مهذبًا في تناوله لشهادته فقد أنكر السياسة العنصرية ووجه اللوم مباشرة إلى « هتلر » فهو المسئول عنها وليس « روزنبرج » .

وفي غرفة طعام الشباب كان اعتراف « فون شيراخ » محل تقدير وتحية واعتبروه انتصارًا على عدم مبالاة « جورنج » . وأن ما قيل هو أكبر خدمة للشعب الألماني .

وقد حيَّاه كل من « فريتشه » و « فان » و « سبير » بصوت عالٍ .

وفي غرفة طعام الشيوخ وافق كل من « شاخت » و « فون بابن » و « فون نيوراث » على كل ما قاله « فون شيراخ » ، وحيوه من أعماقهم .

وقال « فون بابن » :

ـــ نعم . لقد كانت أكبر عملية قتل تمت في جميع الأزمنة . وفي النهاية قال إن من تبقى من الشعب الألماني لا يستحق الحياة .

وسألت « دونيتز » عما إذا كان يوافق على هذه الآراء .

وأجابني باقتضاب :

ـــ نعم بطبيعة الحال .

ولم يقل كلمة أكثر من هذا .

ولم يكن عند « شترايخر » أي تعليق ، بينما وضع « رينبتروب » وجهه في صحيفته .

جلســة بعد الظهر :

أثناء استجواب المتهم بيَّن المدعي العام « دود » أن « فون شيراخ » لديه أسبابه الجيدة لإبداء هذا الندم . ثم أظهر بعض الأشياء وقال : إن « فون شيراخ » قد أغفلها في أقواله أمام المحكمة .

ففي الأيام الأولى للحرب لم يكن من المناسب أن يدفع بأعضاء منظمة الشباب الألماني للتدريب العسكري ليصبحوا مقاتلين وطنيين حسبما قاله لهم في ذلك الوقت .

وقد أوحى إليهم بتأليف الأناشيد والأغاني التي تخدم أهداف وسياسة « هتلر » وجعل « شبيبة هتلر » تقوم على أداء هذه الأشياء ، وجميعها أغان تدعو إلى الشغب والقضاء على أعداء الشعب .

وعدد كبير من أعضاء المنظمة قد تم تدريبهم على البنادق وعلى هياكل طائرات ليتعلموا كيف يطيرون بها .

وكثير من التعاليم المعادية للدين بشكل عام قد أخذت طريقها إلى المنظمة بطرق عديدة ومختلفة ، ثم أبعدوا الشباب عن الكنيسة بالكلية .

٢٥ ــ ٢٦ مايــو

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « فون شيراخ » :

كان « فون شيراخ » راضيًا تمامًا عن اعترافه أمام المحكمة ، وعن الأثر الذي تركه

في النفوس حول ذنبه في اتباع السياسة العنصرية وإنكاره لهتلر وكل ما فعله من جرائم ، ووصفه له بأنه أكبر قاتل في التاريخ .

وعودة إلى اتفاقه مع « هتلر » الذي أشار إليه أمام المحكمة بيَّن أن « الفوهرر » منكر للجميل وخائن .

وقال « فون شيراخ » :

ــ تخيل معي . لمجرد أنني أثرت موضوع التعذيب !! أنا الذي أقمت وشيدت منظمة الشباب الألماني . وفجأة وجدت نفسي مقطوعًا من الجميع . وصرت خائفًا على حياتي وعلى حياة أطفالي وأسرتي . وبعد ذلك ناقش مع « هملر » ما إذا كان ينبغي أن أقدم لمحكمة الشعب أم لا . وفي نفس الوقت كان يثني عليَّ لإتمامي تكوين منظمة (شبيبة هتلر) . وكنت عندما أفكر بهدوء لا أفهم ما الذي يريده بالضبط .

وتكلم « فون شيراخ » عن طبيعة « هتلر » الغريبة مع النساء . فقد كان دائمًا يلاحظ أنه غير مرتاح في التعامل معهن ، وأنه لا يميل إليهن . ولكنه يخفي هذا الشعور تحت أدب مبالغ فيه ومظهر من مظاهر الشهامة . وعلى سبيل المثال :

فقد كان يقبل يد أية سيدة بانحناءة مبالغ فيها ولم تعد موجودة ، فقد كانت تتم في بلاط القياصرة ، أما في حياتنا الحديثة فقد صارت قليلة وبشكل يختلف عن مثيله القديم .

وقال « فون شيراخ » :

ــ وفي محيطنا هناك فهم محدد لهذه الانحناءة . فأنا يمكنني مثلاً أن أقبل يد زوجة ضابط كبير أو وزير . ولكن لا يمكن أبدًا وفقًا لعاداتنا أن أقبل يد فتاة لم تتزوج بعد .. وتستطيع أن تتخيل هذا إذا عرفت أنه لا يتفق مع تقاليدنا . وكنت أحيانًا أشعر بالدهشة الشديدة عندما أرى رئيس الدولة وهو ينحني ليقبل يد فتاة تصادف وجودها أثناء زيارته لمكان ما . لم يكن لديه حس عميق باللياقة وما يجب

وما لا يجب في هذه الأمور . لقد كان رجلاً أحسنوا طلاءه وجعلوه لامعًا جدًا .

وتناقشنا معًا حول تأثير إنكار « فون شيراخ » لهتلر وجرائمه وإعلانه التبرؤ منه وأنه ينبغي أن يصل إلى الشباب الألماني . وكان قلقًا لرغبته في أن يصل بيانه هذا لمجموع منظمة الشباب الألماني ، ومن ثم يمكن له أن يشعر بالراحة والرضا ، وأنه استطاع أن يحقق شيئًا وأن يخفف من الضرر الذي وقع .

وقد أعطاني أصل المذكرة التي كتبها والتي يتبرأ فيها من « هتلر » وطلب مني أن أوصلها إلى قادة منظمة الشباب الألماني ، وحدد اثنين .. « هوبكن » و « إيزهوفر » وهما في جناح الشهود .

وقال إنهما عندما يريان هذه المذكرة ، وهما يعرفان خطي ، فسوف يفهمان أن هذا هو رأي قائد المنظمة . وسوف ينشران مضمونها بين كل شباب ألمانيا . وقد وافقت أن أقوم بهذه المهمة .

جناح الشـــهود :

أخذت التقرير الذي كتبه « فون شيراخ » والذي يشجب فيه « هتلر » والسياسة العنصرية وخيانته للشباب الألماني إلى اثنين من قادة المنظمة في جناح الشهود . وقد قرآه وظهر عليهما التأثر بما جاء فيه .

وقالا : إن هذا الكلام يعكس آراءهما الشخصية بالضبط .

وقد كانا على يقين من أن هذا التقرير سوف يحدث تأثيرًا عظيمًا على مئات الألوف من الشباب الذين لا يزالون يعتقدون أن « فون شيراخ » هو قائدهم الوحيد ، وهو الذي يعرفونه ويدينون له بالولاء .

وقالا : إن لهذا التقرير تأثيرًا عمليًا لأنه من واحد من أتباع « هتلر » الذين أخلصوا له ومن الذين كانوا يؤمنون بالسياسة العنصرية لمدة طويلة ، كما كانوا هم

أيضًا . وأنه طرد هذه الأفكار من رأسه بإخلاص لأنه وجد أنها تؤدي في النهاية إلى القتل بالطريقة التي حدثت .. بوحشية وبالجملة .

وطلبا الإذن في طبع هذا التقرير حتى يمكن أن يصل إلى أكبر عدد ممكن من الشباب في كل ألمانيا .

زنزانة « فون شيراخ » :

وعدت إلى زنزانة « فون شيراخ » وأخبرته كيف تلقى قادة الشباب تقريره بكثير من التعاطف والاعتبار . وكان في غاية السعادة من أجل هذا وأوضح :

ــ لقد توقعت أن يروا من خلال هذا التقرير طريقتي وطريقي . هل تعرف ما الذي قاله لي أحد المتهمين عند عودتي إلى القفص ؟ لقد أخبرني أن الشباب الألماني لن يصدقك لأنه لا يؤمن بك ، بل يؤمن بهتلر ، وسوف ينظرون إليك كخائن وعميل . وأخبرته أنني أعرف الشباب الألماني أكثر مما يعرفه هو .

واستمر « فون شيراخ » في حديثه :

ــ وأنا قلت لروزنبرج : إذا كنت تظن أن الشباب الألماني لا يزال يؤمن بهتلر حتى هذه النهاية فأنت مخطئ . ولا تنس أن هذا الجيل الذي صنعته كان يستعد للذهاب إلى الجبهة للدفاع عن ألمانيا بينما أنت منشغل في عمل الخطب الفكرية الجميلة . إن الأطفال الذين ظنوا « هتلر » رجلاً عظيمًا هم أنفسهم الذين بدءوا في التفكير بعد أن ظلوا في الجبهة سنتين .. ثلاثًا .. أربعًا .. خمسًا .. ستًا . لقد رأوا زملاءهم يموتون . جرحوا وعادوا إلى بيوتهم والمستشفيات حتى يتم التئام الجروح ثم يعودوا للقتال من جديد . إنهم في طاعة تامة حتى النهاية بطبيعة الحال . ولكنهم شباب قد تحملوا الكثير وعانوا من أجل وهم ، وفي سبيل خرافة ظهرت أمام أعينهم في جلاء بعد ذلك . دعني أنا الذي أخبرك عنهم وليس أحدًا آخر ! .

وكان « فون شيراخ » يشعر بأن كل روابطه مع « هتلر » قد قطعت . ولو كان الأمريكان حاذقين لاستمروا في الضغط لإنهاء هذه الأسطورة حتى النهاية .

وقال :

ــ قد يبدو غريبًا للأمريكان أن يتصوروا أن الجيل الألماني يمكن أن يتأثر تأثرًا كبيرًا بمعرفة قائد يثقون به . ولكن الحقيقة أن الشباب الألماني له طبيعة خاصة وقد أعد إعدادًا خاصًا ليتبع قائدًا . ويمكن أن يقودنا هذا التفكير إلى نتيجة إيجابية ونهاية طيبة . وسيكون هذا أفضل بكثير من القفز هنا وهناك والحديث عن الديمقراطية بينما الجميع في حالة اضطراب فكري ولا يدرون حقيقة ما حدث على وجه التحديد . وهم أيضًا لا يعرفون كيف يفكرون بالنسبة للمستقبل ، ثم أردف قائلاً :

ــ والآن لقد كتبت ما ينبغي علي كتابته ، وقلت ما كان علي أن أقوله ، وإني أنهي حياتي الآن بطريقة طيبة . وكل أملي أن يعرف العالم أنني كنت أعني حقيقة كل ما كتبت وقلت .

زنزانة « روزنبرج » :

استنكر « روزنبرج » أن يكون « لفون شيراخ » أي تأثير على الشباب واستخف بهذا الكلام .

وقال :

ــ إنه لم يجبر أحدًا على قراءة كتابه (الأسطورة) ولكن دهشتي كانت كبيرة عندما رأيت أن كثيرًا من الناس قد قرءوه على مختلف مراكزهم الاجتماعية . لقد استنكرت مسألة « فون شيراخ » حول الاتهام بالنظرة العنصرية . لقد كان يتكلم بكراهية شديدة ، وربما يكون لكلامه معنى الآن ، لأنه يقوله وخلفه أفق واسع مليء بعمليات القتل بالجملة والإبادة ! ولكن فكر في المسألة بتعقل ، فإن فعلت فسوف

تجد أن الفكر العنصري يسير عبر التاريخ والقرون ونحن لم نخترعه . والآن وفجأة اعتبر جريمة لمجرد أن الألمان فعلوه ! .

زنزانة « جورنج » :

لا يزال « جورنج » متجهمًا عبوسًا شاكيًا من المرض والغدر ومن خيانة الأصدقاء وظلم الأعداء .

وقد شعر الميجور « جولدنسون » الذي قام بفحصه أنه بالإضافة إلى مرضه بالفعل فإنه أيضًا يريد التملص من الذهاب إلى المحكمة هذا الأسبوع حتى يريح نفسه من عناء « ريدر » وقسوة « فون شيراخ » في بيانه .

وكنت عنده مع الأخصائي النفساني « شايلن » وعندما هممنا بالمغادرة أشار إلى كل واحد فينا وقال :

ـــ أنا أعلم كل شيء عن تقرير « ريدر » الذي كتب في موسكو قبل أن يصل إلى أيديكم . وكذلك أعرف أن ما كتبه « فون شيراخ » سوف يباع في الخارج .

٢٧ مايــو

جلســة الصباح :

أجبر « دود » « فون شيراخ » على الإقرار بأنه رغم اهتماماته الثقافية فإنه اقترح على « بورمان » أن يتم قصف إحدى المدن الإنجليزية الثقافية ، أخذًا بثأر « هايدريش » الذي قتل[٣٤] .

وأنه اقترح أن يتم ترحيل جميع التشيك الذين يعيشون في فيينا . وأيضًا أقرَّ بأنه

قد ناقش مع « فرانك » و « هملر » مسألة الترحيل بالقوة لخمسين ألفًا من اليهود تبقوا في فيينا إلى بولندا . ولكن الوزير « فرانك » اعترض لعدم وجود غرفة واحدة لأي منهم في بولندا ، لا في البيوت أو معسكرات الاعتقال .

وأثناء الاستراحة قال لي « فرانك » :

ـــ ولكن الوزير « فرانك » قد اعترض ! هل سمعت هذا ؟ هل تفهم ما الذي أقصده ؟ إنه لا يكلمني ليس كبريء وليس كرجل قد خانوه ! ألم يفعل ؟ لا تنس أنه متحذلق العبارة منمق الكلمات ، وجمله لا تحمل أي معنى قانوني يمكن أن يستشف منه شيء . ولم يتغير الزمن .ولكنه يعني شيئًا بالتأكيد .

وبالنسبة لبرنامج الاستجواب بمعرفة المدعي العام الروسي جنرال ألكسندروف فقد قرر « فون شيراخ » أن (شبيبة هتلر) التي أنشأها لم تكن على مستوى التدريب بالنسبة للشباب الروسي .

وهنا انفجر « فرانك » في الضحك حتى احمر وجهه من شدته .

السجن في الليل

زنزانة « فرانك » :

شرح لي « فرانك » في المساء أفكاره حول دفاع « فون شيراخ » فقال :

ـــ لعلك تعجب لماذا انتقدت « فون شيراخ » يوم الجمعة . أنت تذكر .. « فرانك » قال شيئًا واحدًا عن « هتلر » في يوم ، ثم قال شيئًا آخر في اليوم التالي . أليس الأمر بسيطًا ؟ أنا أعرف الحالة جيدًا . لقد أراد « فون شيراخ » أن يبسط الأمور إلى أدنى حد ممكن باعتراف ضخم وكبير إلى أقصى درجة ممكنة . ولعلك لاحظت كيف ظهرت جميع الأشياء القذرة أثناء الاستجواب ؟. وهذا ما توقعته . لقد كان

يريد أن يظهر أمام الجميع وأن يفهمهم أنه مجرد صبي بريء قد فقد النصيحة والمرشد .. لماذا ؟ إنه حاول أن يصور الأمر بصورة كأننا نبحث عن مسئولية « هنري فورد » فيما حدث في (أوشفيتز) مثلاً ، وليس الأمر على هذه الصورة بالتأكيد .. أنا أعرف علاقته بهتلر جيدًا . وخوفه من أن يفقد نفوذه عنده وما يعنيه ذلك .. أو ما الذي تظنه عندما أرسل تلك البرقية إلى « بورمان » يقترح فيها قصف مدينة ثقافية إنجليزية بالقنابل ؟ لأنه يخشى أن يفقد نفوذه عند « هتلر » . أو أن يظل محتقرًا وضعيفًا في نظر « بورمان » الذي كان بجانب أُذُن « هتلر » طوال الوقت . وعلى هذا فقد قدم اقتراحه الجريء بقصف تلك المدينة الإنجليزية الثقافية .

زنزانة « رينتروب » :

كانت أفكار « رينتروب » أن « فون شيراخ » قد تكلم بطريقة مرعبة حول « الفوهرر » .

وسألته عما إذا كانت هذه هي الحقيقة أم لا ؟! .

وقال :

ــ حسن . أنا لا أعرف .. ولكن هذه هي الطريقة التي تظهر بها كل الأشياء المختفية .. إنها ليست من الأمور السهلة أن نفحص المذنب ونختبره ونفهمه .

كان « رينتروب » يريد أن يشرح أن شخصًا ما لا يستطيع أن يقرر ما إذا كان « هتلر » أو « رينتروب » مذنبًا في التخطيط والتنفيذ لحرب عدوانية وأن هذه الأمور أكثر تعقيدًا من ذلك .

وكان « نيفيل هندرسون » قد لامه لأنه يريد أن يكون كتاليران(٣٥) ، وبالنسبة للإنجليز المنحلين فهم لن يحاربوا . وفجأة قرر « رينتروب» أن يجاهد بصعوبة شديدة لتحذير « هتلر » من أن البريطانيين سوف يقاتلون لأي بادرة اعتداء

جديدة تحدث من الألمان . وكان هذا في الواقع بعد خرق معاهدة ميونخ . وقد بذل جهدًا كالشيطان من أجل هذا .

كان ذلك الشرح والكلام بعد أن أخبرني كثيرًا أن معاهدة ميونخ لم تخرق أبدًا . وأنه لم يكن هناك من سبب واحد يجعل البريطانيين يقاتلون من أجل شيء صغير حقير مثل طلباتهم المعقولة في بولندا . ويبدو أن « رينتروب » غير واثق من كلامه معي فهو ينسى كثيرًا ما يقول .

زنزانة « دونيتز » :

أطلعت « دونيتز » على عناوين الصحف الألمانية التي تقول :

« فون شيراخ » يدين « هتلر » كقاتل .

ونظر فيها « دونيتز » قليلاً ثم شرد ببصره كأنه يتذكر الأحداث ثم قال :

ــ هذا صحيح بالتأكيد .

وتحدثت معه طويلاً . وهو يظن أن المسألة قد تناولها « فون شيراخ » بطريقة مبالغ فيها بعض الشيء . وتلك الحكاية التي رواها عن بث روح البعد عن الدين ومعاداة الكنيسة في منظمة الشباب الألماني .

وقال :

ــ إنها نفس القصة القديمة مع هؤلاء القادة النازيين . لقد بدعوا هذه الأشياء التي ملأت الدنيا بالفوضى والاضطراب . وكان علينا نحن العسكريين الذين لم نفعل شيئًا غير واجبنا أن نكون في دائرة المعذبين والذين عليهم أن يدفعوا الثمن .

وخذ هذه القضية الخاصة بالمسيحية والشباب الألماني . لقد ربيت أطفالي على أن يكونوا مسيحيين متدينين .. لقد أكدت مسيحيتهم وأرسلتهم للتعميد . كان لي

ولدان وقد فقدتهما في المعارك . وقد كانا جنديين متدينين ، وكانا من أحسن الجند . وقد حصلا على أنواط قبل أن يموتا لشجاعتهما . أنا لا أختلف عن أدميرالاتكم . فنحن من نفس الطابع .

على أي حال .. كان ولداي قد ذهبا إلى التعميد فهما مسيحيان .. وفي الوقت نفسه ذهبا إلى (شبيبة هتلر) ليكونا عضوين فيها .

وهذه المنظمة كانت ضد الدين بالتأكيد .. أنا أعرف جيدًا أنها كانت ضد المسيحية ! وتحاول خلعها من نفوس الشباب ومن ثم الأمة . وهذا ما يجعلني أشعر بالجنون حيال هؤلاء السياسيين ، جمع قد أخرج لنا كل هذه الأشياء القذرة . وعلينا أن نجلس معهم في القفص وأن نتقاسم اللوم والإهانة !! .

هناك طبقتان من الناس في هذا القفص .

العسكريون .

والسياسيون .

وقد قام العسكريون بواجبهم فقط ولم يزيدوا عليه . وأنا مثلاً أمثل ذلك النوع . فأؤكد لك أنني لم أحصل على مليم واحد غير مرتبي وما قد يصرف لي كمكافأة . وهذه هي حياة جميع العسكريين .

أما هؤلاء السياسيون أمثال « فون شيراخ » و « فانك » وغيرهما فقد حصلا على ولايات كاملة ، وهدايا لا تقدر بثمن ، وأشياء لا نعرف وصفها ولم نرها في حياتنا .

وسألته عما إذا كان يعتبر « جورنج » من العسكريين أو من السياسيين وأشار « دونيتز » باحتقار بالغ وقال :

ـــ « جورنج » ينتمي إلى طبقة السياسيين الجدد ، فقد زرع زرعًا بينهم .

زنزانة « سبير » :

لا يزال « سبير » منفعلاً بتبرؤ « فون شيراخ » من « هتلر » وانفصاله الكامل عن جبهة « جورنج » المتحدة وقال :

ـــ إن « فون شيراخ » كان صديقي المقرب ، وينادي كل واحد منا الآخر دون ألقاب . وقد مضى وقت بعيد منذ أرسلني « جورنج » إليه ليحذره أن يقول شيئًا ضد « الفوهرر » . وقد ذكَّرته بهذا عند الغداء اليوم .

وقد قلت له إن على « جورنج » أن يذهب إلى الجحيم ببطولته . وقد كان ينبغي عليه أن يحصل على بطولة أكبر أثناء الحرب ليواجه المسئولية ولكنه ظل يبحث عن وظائف أرفع ومكاسب أكثر . تاركًا ألمانيا تدمر وتغرق في العار .

وقد اعترف « فون شيراخ » أخيرًا أنني كنت على صواب تمامًا حول هذا ، نحن الآن صديقان حميمان .

ها .. ها .. انتظر حتى يسمع « جورنج » بذلك .

سوف يصاب بغصة .

١٩

الدفاع عن يودل



٣ يونيــو

يودل يقف أمام المحكمة

جلســة الصباح :

بينما كان « يودل » يتقدم ليقف أمام المحكمة همس « جورنج » لهيس قائلاً :

ــ حسن . هذا هو أملي الوحيد .

وصار يرقبه في اهتمام ووجهه لا يخلو من أمل غامض أن يقول شيئًا يرضيه .

وقد بدأ « يودل » الدفاع بملخص تكلم فيه عن نفسه وصار يشرح للمحكمة أبعاد شخصيته كما يراها ، أو كما يجب على المحكمة أن تراها .

وقال إنه أحد الذين احترفوا العسكرية وأن الجندية تجري في دمائه . وأنه لم تكن لديه أية اهتمامات حزبية في يوم من الأيام فهو أحد أعضاء الجيش وهذا هو انتماؤه الوحيد .

وحول صلته بهتلر يذكر أنه كان ينظر إليه بعين الريبة والشك منذ أحداث انقلاب (حانة الجعة) وحتى وصوله إلى السلطة .

ولم يكن بينه وبين اليهود كمواطنين في أرض الآباء أي تنافر أو عداء ، فقد كانت علاقته بهم طبيعية تمامًا .

وقد كان قلقه شديدًا عندما صار « هتلر » هو الحاكم في ألمانيا ، وقد خفف من حدة هذا القلق وجود بعض الرجال أمثال « فون بابن » و « فون نيوراث » و « شيفرن كورزك » .

جلســة بعد الظهر :

وفي هذه الجلسة حلَّل يودل أفكار « هتلر » وشخصيته من وجهة نظره وكان مما قاله إنه كان من أكثر الناس سرعة في التصرف وأكثرهم قدرة على الخداع من خلال « هملر » .

وقد بدأ « جورنج » في التململ فقد قال « يودل » كلامًا لا يرضيه وعلى الأخص عندما ذكر أن هناك خلافًا نشأ بينه — يودل — وبين « هتلر » في عام ١٩٤٢ ، وأنه لم يستطع أن يتجاوب معه بعد هذا التاريخ .

وغمغم « جورنج » وكأنه يحدث نفسه :

— آخ .. لم يكن الأمر سيئًا إلى هذا الحد .

وبعد قليل من الوقت انتظر حتى قال « يودل » شيئًا يؤكد ما سبق أن صرح به ، ثم غمغم متضايقًا :

— أتمنى لو يتكلم بطريقة أسرع حتى نستطيع أن نتابعه . إنه يثير أعصابي .

وأنكر « يودل » في غضب تصريحات الشاهد « جيسيفيوس » عندما قال عنه إنه كان يحجب معلومات عن « هتلر » . وفي الحقيقة إنه كان يقدم تقريرًا عن أي شيء في التو واللحظة ، حتى عن فظائع الحرب مثلما حدث في حالة إطلاق النار في (ماالميدي) .

ثم استنكر في حدة أولئك الذين خططوا للانقلابات بينما الجنود يموتون في ساحة القتال .

وفي القفص هزَّ كل من « دونيتز » و « جورنج » و « رينتروب » رءوسهم تأثرًا وحماسة . والتفت إليَّ « دونيتز » من مكانه في القفص إلى الركن الذي أجلس فيه وأشار برأسه إشارة كأنه يريد أن يقول : هل ترى وتسمع ما يدور ؟ .

ووصف « يودل » نفسه كواحد من قلة استطاعوا أن يتجرءوا على « هتلر » وفي عنف وقوة في بعض الأوقات .

ثم عاد مرة ثانية للهجوم على أولئك الذين خططوا للانقلابات مما أثار اختلافًا بينًا في القفص بين السياسيين والعسكريين .

وقد شعر كل من « جورنج » و « دونيتز » بالتباهي والزهو لهذه اللطمة التي وجهت لشاخت من خلال حديث « يودل » .

وكان « فرانك » لا يزال يعتبر نفسه من طبقة الضباط ، وقد شرح لي بطريقة درامية فيها اعتزاز كثير مشيرًا إلى « يودل » قائلاً لي :

ـــ هذا هو كلام الضابط الألماني ! الشعب الألماني عسكري النزعة يا سيدي الدكتور .. أنت لا يمكنك أن تحيط تمامًا بمثل هذه الأمور . فالألمان لا يستطيعون تأكيد أنفسهم لألف عام إن لم يكونوا كذلك .

وكان « شاخت » و « شبير » مختلفين في الرأي تمامًا ، فهما يريان أن مثل هذه البيانات تدين الشعب الألماني تمامًا .

واستمر « يودل » في الشرح والتفصيل .

فهو يرى أن الثورة السياسية ليست محل نقاش أو جدل ولكن مسئولية القادة أنه كان عليهم أن يعملوا شيئًا حيال ذلك المجنون « هتلر » .

وقد قوطع « يودل » عندما بدأ يعاود تحليل شخصية « هتلر » من جديد . ونقلته هذه المقاطعة إلى نقطة أخرى .

فقد ذكر أنه بعد اغتيال الخمسين طيارًا البريطانيين الذين هربوا من معسكر الأسر ، تأكد لديه أن « هتلر » لا يرعى أي اعتبار للحقوق الإنسانية .

وقد شعر « يودل » بأهمية هذه الاعتبارات التي لم تغب عن ذهنه قط ، ووضع في شعوره وتفكيره أهمية الانتباه للقانون الدولي بعد يوليو سنة ١٩٤٤ .

وكان مكتب « كاناريس » للمخابرات قد وضع تحت إدارته بعد محاولة اغتيال « هتلر » في ذلك التاريخ .

أما تلك التهمة التي يرددها البعض جزافًا من أن الضباط قد حققوا ثراء وغنى فماهي إلا محض افتراء وتجن على الحقيقة ، وهي بمثابة احتقار لشرف الضباط الألمان .

وقد أبدى الضباط الجالسون في القفص ارتياحًا شديدًا لسماع هذه العبارة التي قالها « يودل » فيما عدا « جورنج » .

السجن في المســاء

زنزانة « يودل » :

وعندما زرته سألته عن ذلك الذي كان يريد قوله عن « هتلر » عندما قوطع في الاستجواب .

وأخبرني « يودل » أنه كان يريد القول بأن مشاعره تجاه « هتلر » كانت تتذبذب بين الإعجاب والكراهية . وقال :

ــ الأشياء التي كانت تجعلني أكره « هتلر » هي احتقاره للطبقة المتوسطة

(البرجوازية) وهي التي أنتمي إليها شخصيًا . ثم شكه وارتيابه في طبقة النبلاء الألمان وهي التي منها تزوجت . وأخيرًا عدم ثقته وكراهيته لكل جنرالات الجيش وأنا واحد منهم .

وسألته :

ــ ولماذا يكره « هتلر » هذه المجموعات ؟ .

وشرح لي « يودل » وجهةنظره في هذه النقطة :

ــ « هتلر » يكره البرجوازيين لأنه يعتقد أنهم جبناء ، وأنهم لا يتعاطفون مع الأفكار الثورية ويرونها ضد مصالحهم . أما النبلاء فهم ينتمون إلى المجتمع العالمي أكثر من انتمائهم إلى ألمانيا ، فالنبلاء في العالم أسرة واحدة من وجهة نظر « هتلر » . وبالنسبة للجنرالات فهو يلقي اللوم عليهم إن وقعت أخطاء ، وهو يرفض النصيحة إذا قدموها له لأنه يفهم كل شيء خيرًا منهم في ظنه » .

٤ يونيــو

العدوان المرتجل والتمويه

جلســة الصباح :

شرح « يودل » كيف طلب منه « هتلر » أن يصدر الأوامر دون تردد أو رحمة أو شفقة بإطلاق الرصاص وإعدام كل من يقع في الأسر من الفدائيين التابعين للحلفاء أو الوطنيين في أي بلد أوروبي .

وذكر « يودل » أنه ذهب إلى مساعد « هتلر » الجنرال « شموندت » وأخبره أن عليه أن يرفض فعل شيء كهذا .

وقد أصدر « هتلر » بنفسه الأوامر الخاصة بهذا .

وفيما بعد كان عليه أن يتصرف دون الرجوع إلى « هتلر » أو « كايتل » ودون أن يعلما شيئًا . وأصدر تعليماته بأن يعامل الفدائيون معاملة أسرى الحرب في حالة الإمساك بهم .

وقد أقسم « يودل » قسمًا مغلظًا أنه لا يعرف أقل القليل عما كان يجري في معسكرات الاعتقال . وأنه لم يكن يعرف أدنى شيء عن برنامج « هتلر » و « هملر » في القضاء على اليهود والمعارضين في أوروبا .

وكان قد سمع عن نقل بعض اليهود من الدانمرك ولم يربه الأمر وأخبر جنرالاته أنه ليس هناك ما هو وراء ذلك لأنه كما قال لم يكن يعرف شيئًا مما يدور .

والمرة الأولى التي شعر فيها بالشك حول نشاطات « همل » كانت عندما قدم الأخير تقريرًا عن انتفاضة (الجيتو) في وارسو وكيف اقترح في تقريره أن الطريقة المثلى لإخمادها هي العنف الشديد والضرب دون رحمة .

ساعة الغداء :

ظهرت في صحف اليوم صورة « كارل هيرمان فرانك » جزار (لايدش) بعد أن تم تنفيذ حكم الإعدام فيه شنقًا .

وأثناء الغداء علّق « فون نيوراث » على ذلك بأن هذا في صالحه لأن ذلك الجزار أحد الذين كذبوا عليه وهو الذي كان يقوم بعمليات القمع والمذابح في تشيكوسلوفاكيا .

وقال « فون نيوراث » إنه لم يكن هناك وقتها ما يفعله سوى الاستقالة من وظيفة مفوض الرايخ لأن « كارل هيرمان فرانك » كان مسئولاً أمام « هتلر » وليس لي أن أحاسبه فيما يفعل .

ويبدو أن موضوع الفرق الخاصة التابعة للحرس النازي هو نقطة الاتفاق الوحيدة بين العسكريين والسياسيين من المتهمين .

وقد أبدى « دونيتز » موافقة على شرح « فون نيوراث » وقال :

ــ لقد كانت الفرق الخاصة دولة غير تابعة للدولة ، وكانت لها حكومتها المستقلة . وهذا هو السؤال ، من كان أكثر قوة من الآخر ؟ « هتلر » أم « هملر » ؟ وفي النهاية لا يمكنك أن تعرف من كان سيتمكن من طرد الآخر .

ومرة عندما ذهبت إلى اجتماع القيادة العليا للقوات المسلحة أخبرني البعض أنه جنون مني أن أتحرك دون أن يكون معي جرس .

وكان « دونيتز » يعطي الانطباع بأنه كان صبيًّاغريرًا في مغارة لصوص بين مجموعة من السياسين والوحوش .

جلسة بعد الظهر :

وفي هذه الجلسة شرح « يودل » كيف كانت ألمانيا غير مجهزة لحرب عالمية . فقد كان الألمان يستطيعون غزو بولندا وليس أكثر من ذلك ولم يكن في وسعها ملاقاة القوى العالمية البالغة التركيب والتعقيد . وهو لا يزال مدهوشا ! لماذا تركت فرنسا وإنجلترا ١١٠ فرق ثابتة لا تحركها أمام ٢٣ فرقة ألمانية في الوقت الذي كانت فيه ألمانيا منشغلة بإنهاء غزو بولندا ؟ .

وأثناء الاستراحة أخبرني « كايتل » أن هذا الكلام صحيح مائة في المائة .

وقال « كايتل » إنه قد أخبر « هتلر » وقتها عام ١٩٣٩ وقبل الحملة البولندية مباشرة أن الذخيرة الموجودة في الجيش الألماني لا تكفي لأكثر من ستة أسابيع وأنه يأمل في وقف كل الإجراءات التي قد تثير ضدنا الأعمال العدوانية لأننا ببساطة سوف نتوقف عن القتال لنفاد الذخيرة بعد ستة أسابيع . وأنه يظن أن القوى الأجنبية

قد أعطته التصريح بالتصرف في اجتماعات ميونخ . وأنهم لم يكونوا ليخاطروا بحرب عالمية وهم في هذه الحالة من نقص الذخيرة وعدم كفاية التسليح .

وأبدى « دونيتز » أنه لا يمكنه فهم هذه الحالة ! كيف يمكن للسياسيين أن يبدءوا حربًا تحت هذه الظروف غير المناسبة ؟ .

وقال « فون شيراخ » لساوكل :

ــ السياسة الخارجية لألمانيا كانت ضربًا من الجنون . نعم كانت ضربًا من الجنون لم يحدث له مثيل !! .

وكان « رينتروب » في هذه اللحظة منشغلاً بالحديث مع محاميه في موضوع آخر مختلف ، ولم يكن في حالة تسمح له بالتعليق .

واستمر « كايتل » قائلاً :

ــ هل رأيت ؟ هذا ما جعلنا نفهم أن « هتلر » لا يفكر في الحرب بالفعل ، وعلى الأخص بعد أن وصل إلى تفاهم مع الروس . كنا على يقين من أن كل شيء مجرد مجموعة من الخدع والألاعيب السياسية .

وأقر « يودل » أن الجنرالات الألمان كانوا يقاتلون مثل المقامرين يعتمدون كلية على الحظ فقط . وقد كانت مقامرة طائشة أن نقوم باحتلال أرض الراين عام ١٩٣٦ بثلاث كتائب فقط .

وقال « يودل » :

ــ ولا يمكن اعتبار هذا عملاً عدوانيًا بأي حال . فقد كان الجيش الفرنسي وحده يمكنه أن يذرونا في الهواء إذا وضعنا في الاعتبار الحالة العامة التي كنا عليها آنذاك .

ووصف « يودل » التحرك إلى النمسا بأنه قد تم في حالة كاملة من الارتجال في بضع ساعات ليس أكثر بعد صدور الأوامر ، ودون خطة معدة من قبل ، وكان

كل شيء يعتمد على الحظ فقط . هذا على الرغم من أن قواتنا قد دخلت النمسا دخول الظافرين وقابلهم الشعب بالورد والمشروبات .

وقد كانت أرض « السوديت » هدية من اتفاقية ميونخ . و لم يُبْد أحد أية دهشة عندما اجتاحتها قواتنا .

وكان « يودل » يظن أنه لن تكون هناك أية تحركات عسكرية بعد ذلك ، وأنهم قد وصلوا إلى غاية ما يريدون . وقد فوجئ تمامًا باحتلال تشيكوسلوفاكيا . و لم تكن لديه أية فكرة عن احتلال بولندا الوشيك أيضًا .

٥ يونيـــو

ضرورة الاستراتيجية وجريمة الحرب

جلســة الصباح :

وأوضح « يودل » كيف أن احتلال النرويج كان ضرورة لضرب إنجلترا حتى تضطر لإنهاء الحرب . وكذلك تم اجتياح هولندا وبلجيكا لإحكام القبضة على فرنسا وتنتهي الحرب بالنسبة لها .

وقال بتهكم إن القواعد الأخلاقية لا يمكن أن تأخذ مكانها في هذه الاستراتيجية ، ولا يمكن أن يكون لها دور في مثل هذه الأشياء .

وقد أوضح أن رأس الدولة ينبغي ألا يجعل أعداءنا بمثل هذا الانتشار والعدد إلا في حالة الضرورة الاستراتيجية .

و لم يكن أمامنا غير تنفيذ السياسة ، وإن هيئة المحكمة لا شك أنها تشكر الجند المطيعين الموجودين بالقاعة لأنهم نفذوا الأوامر من أجل سير الإجراءات ، وهذا كان

شأننا بالضبط .

وأثناء الاستراحة أكّد لي « كايتل » أن « هتلر » لم يخبره أبدًا بضمان إنجلترا وفرنسا لحدود بولندا .

وقد سألت « رينتروب » :

ــ كيف يتأتى أنكم تبدءون حربًا عالمية بينما جنرالاتكم لا يعرفون شيئًا بالمرة عن الموقف السياسي ؟ .

والتفت « رينتروب » ناحية « كايتل » وقال وهو في ضجر وسأم :

ــ حسن . لقد أعلنت في الأول من سبتمبر سنة ١٩٣٩ وربما لم تطلع على ذلك .

وقلت لكايتل :

ــ أنا أفترض إذن أن الناحية السياسية في الموقف لا تعنيك .

وأجاب « كايتل » :

ــ إن « هتلر » هو الذي يقرر أمر الحملة ، وبعد ذلك أخذ القيادة الفعلية للقوات المسلحة .

ــ وهو يقصد بذلك بعد استقالة « فون براوختتش »[٣٦] عام ١٩٤١ .

واستمر « كايتل » :

ــ لقد كان لهتلر السلطة الكاملة علينا كقائد عام ، وقد مدَّ سلطانه إلى الرتب التي تلينا ، وكان يصدر إليهم الأوامر منه مباشرة أحيانًا وليس من خلالنا كما تقضي القواعد . ولم يكن حتى يخبرنا بماذا يفعل أو ماذا ينوي .

وقلت له :

ــ ولكن كيف يجرؤ على مثل هذه السياسات الطائشة وتلك الاستراتيجية

العسكرية بينما جيشك كما يقول « يودل » ليس مستعدًا لحرب أوروبية ؟ .

وأجاب « كايتل » :

ـــ لم نفكر أبدًا أن الفرنسيين سوف يقاتلون . ولماذا نظن أنهم يفعلون ؟ إنهم لم يفعلوا أي شيء تجاه الفرقتين اللتين وصلتا إلى (خط ماجينو)[٣٧] ! لقد بدا الأمر في نظرنا ببساطة أن الفرنسيين لا ينوون الحرب مهما كانت الظروف . لقد كنت على يقين من أن الأمر خدعة واتفاق من الجانبين ، وأن « هتلر » سوف يحصل على كل ما يريد .

وأكمل « يودل » شهادته وكيف بدأ « هتلر » الكلام معه حول إمكان شن هجوم على روسيا في يوليو سنة ١٩٤٠ ، وقد سأله « هتلر » عما إذا كان في وسع الروس التعجيل بالهجوم عليهم في الخريف ، ولكنه رجح أنهم لا يمكنهم عمل الاستعدادات اللازمة لذلك .

وأصدر « هتلر » الأوامر بترتيب الحملة للهجوم ناحية الشرق .

وأرسلت فرقتان على عجل إلى بولندا لحماية حقول البترول في رومانيا . وكان « هتلر » يؤكد أن الروس سوف يهاجمون أو يشكلون ضغطًا علينا في المستقبل القريب جدًا . وسوف تشجعهم إنجلترا على هذا .

وكثرت حوادث الحدود بين خطوطنا في بولندا وبين روسيا . وجاءت التقارير بانتشار الفرق الروسية على مقربة من حدودنا .

وقال « يودل » إن هذا لم يكن يعنيه في شيء لأنه على يقين من أن « هتلر » لن يهاجم روسيا إلا في حالة الضرورةالقصوى .

وكان « هتلر » يؤكد هذا المعنى دائمًا ، وذلك على الرغم من النصائح الكثيرة التي تقضي بالعكس وتخفيف حدة التوتر .

وقد تحركت الفرق الروسية بجدية في فبراير ، واعتمد « هتلر » خطة الهجوم

في ١ أبريل على ما أذكر .

ويقول « يودل » :

ــ وقد كانت حربًا دفاعية بطبيعة الحال !! .

ســاعة الغداء :

أبدى كل من « دونيتز » و «جورنج » رضاه الكامل عما قاله « يودل » في المحكمة أثناء دفاعه .

وكان « دونيتز » بشكل خاص سعيدًا من تأييد « يودل » لفكرة أن المبدأ يقضي بأن الحرب يشعلها السياسيون وعلى العسكريين الطاعة وتنفيذ الأوامر وليس لهم مناقشتها .

ولكن السياسيين كان لهم رأي مختلف بالكلية عن هذا فقد التفت إليَّ « شاخت » ساخطًا أثناء تناوله للغداء وقال :

ــ إنه قد وجه اتهامًا صغيرًا وبصعوبة للسياسة الألمانية الخارجية .. وللقيادة السياسية بوجه عام !! ولكن هل تنشب الحرب دون خطة ؟ هل سمعت بهذا من قبل ؟ فرصة طائشة أتيحت فتم احتلال الراين !! الذهاب إلى الحرب العظمى ببضع فرق لا يفيد ، في خدعة أخرى مع بولندا !! أنا أخبرك يا دكتور .. إنها جريمة ليس لها نظير في التاريخ كله !! ليست ضدكم ، ولكنها ضد الشعب الألماني ! وينبغي علينا نحن أن نعلقهم في المشانق وليس أنتم ! .

وكان « فون بابن » أكثر دبلوماسية في تعبيره عن رأيه بسبب وجود « دونيتز » فقد هزَّ رأسه وقال :

ــ لقد كانت المسألة مليئة بالخدع والتمويهات بالتأكيد ، والذي يدهشني تمامًا

لماذا ترك الحلفاء « هتلر » يخدعهم هكذا طوال الوقت ؟ .

جلســة بعد الظهر :

وفي جلسة بعد الظهر أعلن « يودل » إنكاره للمؤامرة قائلاً :

ــ لم يكن لدينا أي شيء أكثر من خطة الهجوم على بولندا عام ١٩٣٩ . ولم تكن لدينا أدنى فكرة في الهجوم على النرويج أو هولندا في البداية . ولكنني أتصور أن هذا هو التطور الطبيعي لضرورة الحرب .

وبعد فترة من الجلسة شهد بأن كلاً من الجنرال « رونشتدت » والجنرال « روميل » قد نصحا « هتلر » في وقت مبكر من عام ١٩٤٤ بأن ألمانيا في طريقها لخسارة الحرب ، وأن عليه أن يتلمس طريقًا إلى السلم . ولكن « هتلر » رفض أن يتزحزح عن قراره بالحرب حتى لحظة النهاية مهما كانت مرارتها .

السجن في المســاء

زنزانة « يودل » :

ناقش « يودل » دفاعه معي هذا المساء في زنزانته .

وقال :

ــ إنني أشعر بالأسف لأن الفرصة لم تسنح لي فأعبر عن رأيي فيما يقولونه عن عبقرية « هتلر » العسكرية .

وقد كان رأيه مخالفًا تمامًا لرأي « كايتل » في هذه النقطة . وأيضًا كان في دهشة شديدة من تخمين « هتلر » الذي أدى إلى النجاح في الحملة على الغرب .

وقد كرَّر عليَّ أنه مقتنع تمامًامن أن « هتلر » لم يكن ليجرؤ على غزو بولندا لولا تأكيد الإنجليز بأن الأمر لا يعنيهم .

وقال :

ـــ يجب أن تكون واثقًا من أننا نحن الجنرالات لم نكن نريد الحرب . فالله وحده يعلم كم ضرستنا الحرب العالمية الأولى وما الذي ذقناه منها ، ولم تذهب مرارتها من حلوقنا بعد . فعندما سمعت بضمان الإنجليز بعدم التدخل عند غزو بولندا أدركت أن المسألة منتهية عند هذا الحد . وأدركت أيضًا أن الأمور سوف تستقر ولن يجرؤ « هتلر » على المغامرة بحرب عالمية جديدة . وأنا أؤكد لك أنه عندما تأكد لدينا أن الحرب صارت حقيقة واقعة فقد امتقعت وجوهنا جميعًا نحن الجنرالات في وزارة الحرب .

وسألته :

ـــ هل تريد إن تقول أن « هتلر » ، و « هتلر » وحده هو الذي أراد الحرب ، وأنه كان قادرًا على إجبار جميع الجنرالات على السير فيها وهم لها كارهون ؟ .

وتوقف « يودل » عن تناول عشائه والتفت إليَّ مؤكدًا في ثقة شديدة :

ـــ ليس هناك شك بالتأكيد حول هذا . في هذه القضية كانت إرادة « هتلر » هي الوحيدة التي حركت الأمور على هذا النحو . وأظن أنه كان ينوي ذلك في أعماقه ، وأن كل المفاوضات التي تمت كانت لمجرد الخداع . أنا لا أعرف بالضبط ، ولكن الأمور هكذا تبدو لي . وللحقيقة فإن أحدًا لا يدعي معرفة ماذا كان يدور في عقل « هتلر » على وجه التحديد .

وقد أعطى « يودل » الانطباع بأنه كان يعتقد أن الاستعدادات العسكرية كانت لمجرد الخداع في ذلك الوقت . ولكنه فهم بعد ذلك أن المفاوضات السياسية كانت هي الخدعة الحقيقية . وأن « هتلر » قد خدع جميع الجنرالات .

وقال « يودل » :

ــ أعتقد أنه كان ماهرًا لدرجة كبيرة حتى يجعل جميع الأعمال والاستعدادات تبدو أنها لخدمة أهدافه وأغراضه . ويظهر أنه لن يجازف بإشعال الحرب . ولما أعلنت إنجلترا بوضوح أنها سوف تحارب ، فقد تصورت وقتها أنه سوف يتراجع ويعود إلى المفاوضات . ولكنه أعطى الأوامر بالتحرك وهو يعلم أنها سوف تكون حربًا أوروبية تشمل القارة كلها على أقل تقدير ، إن لم تصبح حربًا عالمية . ولحظة أن أصدرت إلينا الأوامر لم يتبق لنا ما نفعله غير الطاعة وتنفيذ هذه الأوامر .

إن قرار الحروب في يد السياسيين وليس العسكريين .

ربما يكون للعسكريين رأي في المستقبل حول بدء الحروب وإشعالها . ولكن في هذه الحرب اللعينة التي تمت فإن المسئول عنها شخص واحد ، شخص واحد فقط هو « آدولف هتلر » .

٦ يونيــو

السياسة والعسكرية والشرف

ســاعة الغداء :

كان جنود وضباط الحلفاء يرتدون ملابس التشريفة في هذا اليوم فهو الذكرى السنوية الثانية ليوم الإنقاذ حيث نزول قوات الحلفاء في نورماندي في ٦ يونيو عام ١٩٤٤ وبداية نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقد لفت نظر « يودل » إلى ذلك أثناء الغداء ، فشرد قليلاً ثم قال :

ــ نعم .. لقد كنا ننتظر نزول قواتكم ونتوقعها في هذا الوقت تقريبًا .

ثم شرد للحظة أطول قليلاً وسألني :

ـــ أنا لم تصلني بيانات عن خسارتكم في هذا اليوم . هل عندك معلومات ؟ .

ـــ وأنا أيضًا لا أعرف .

ثم لمعت عينا « يودل » بنظرة خبيثة وقال :

ـــ يبدو أن كتائبكم بهذه الهيئة سوف تذهب إلى مكان ما .

ولم أرد عليه ، في الوقت الذي لحق بنا « رينتروب » وكنا نقف عند الطريق المؤدي إلى باب غرفة الطعام الأخرى .

وسألني « رينتروب » :

ـــ لست أدري لماذا اشتركتم في الحرب ؟ .

وقلت له :

ـــ لماذا بدأتم أنتم الحرب ؟ هل نسي وزير الخارجية أن ألمانيا هي التي أعلنت الحرب ضد الولايات المتحدة ؟ .

وقال « رينتروب » :

ـــ كان إعلان الحرب مسألة شكلية بحتة . لقد كنا عمليًا في حرب معكم . لقد كان « روزفلت » يعادينا بشكل واضح .

ووافق « روزنبرج » الذي لحق بنا على هذا الكلام مع بعض الملاحظات التي تشير إلى أن إعلان الحرب كان مسألة شكليات ليس أكثر . وأن الجميع كانوا في عداء مع ألمانيا الوحيدة المسكينة .

ورددت عليه الإهانة :

ـــ أين العجب في هذا بعد أن أخل هتلر بكلمته وانتهك معاهدة ميونخ ؟ لقد كان واضحًا للعالم كله أنه لا يوجد شيء يقفه عند حده . وأصبح من الواضح أيضًا أنه قد دخل الحرب بالفعل . لقد وقعت معاهدة ميونخ نيابة عن « هتلر » ثم خرقتها

بعد ذلك . ألم يحدث ؟ .

وتبادل « رينتروب » و « روزنبرج » بعض النظرات المضطربة ولم يقل أحد منهما شيئًا . وانفض الجمع .

جلســة بعد الظهر :

صار استجواب « يودل » أكثر حدة وحرارة . آخذين في الاعتبار قصف روتردام بالقنابل وهي مدينة بلا دفاع .

وقد رد « يودل » على هذا متهكمًا :

ــ لم تكن الخسائر في هذا القصف توازي خسائر ليبزج التي قصفت بعد أن تأكد الحلفاء أنهم قد كسبوا الحرب .

وقال « يودل » في الاستجواب إن الهجوم على روسيا قد تم بعد أن رأى السياسيون أن الروس قد خرقوا معاهدة عدم الاعتداء الروسية الألمانية .

وقد سأله السيد « روبرتس » عما إذا كان تسجيل كل هذه الانتهاكات للمعاهدات من جانب ألمانيا سوف يجلب العار عليها لعدة قرون آتية ؟ .

وأجاب « يودل » :

ــ إذا لم يثبت أن الروس كانوا ينوون الهجوم علينا فالإجابة هي نعم ، وإن كان غير ذلك فالإجابة هي لا .

وفي الاستجواب وافق « يودل » على أنه أعطى الأوامر بقمع المقاتلين الموالين للحلفاء في البلدان المحتلة . ولكنه قرر أن قتل الفدائيين بعد القبض عليهم أمر يتنافى مع مبادئه . وكان عليه أن يقر كذلك بأن قتل الطيارين الإنجليز لا يعد قتالاً ولكنه جريمة بكل المعايير .

وأخيرًا سأله السيد « روبرتس » :

ــ هل تعتبر أن الإخلال بالوعد أمر يتفق مع شرف الضابط ؟ .

وأجابه « يودل » في مرارة :

ــ هذا أمر لا علاقة له بشرف الضابط ، فالأمر يختلف بالنسبة للسياسة .

السجن في المســاء

زنزانة « جورنج » :

مهما كان الأمر بالنسبة لأمل « جورنج » الأخير على حد تعبيره ، فإنه كان قليل الارتياح من دفاع « يودل » عن نفسه . فقد هاجم « يودل » السياسات القذرة ، وعدم الالتزام بكلمة الشرف ، وأكد عدم فساد ضباط القوات المسلحة الألمانية الحقيقيين . إلخ .. إلخ ..

كنت أنتظر « جورنج » في زنزانته ، وعندما عاد إليها بعد نهاية استجواب « يودل » ورآني في انتظاره عبس وتولى .

على أي حال .

قال « جورنج » إنه كان راضيًا للطريقة التي كان يجيب بها « يودل » عن أسئلة المدعي العام « روبرتس » فقد كانت إجابات ساخنة .

ولكن « جورنج » لم يستطع أن يخفي ضيقه وعدم ارتياحه للحديث الشائك عن أخلاقيات بعض الناس ، وهذا جعلنا نستمر في الحوار ونبدأ من حيث انتهينا حول القضايا الأخلاقية .

وكان في حواره أكثر صراحة من التهكم الذي شاب لهجته .

ــ ماذا تعني بحق الشيطان عن الأخلاقيات ؟ كلمة الشرف ؟ نعم يمكنك أن تتحدث عن كلمة الشرف إن كنت تاجرًا واتفقت على تسليم بضاعة في وقت متفق عليه . ولكن عندما تكون المشكلة لها صلة بمصالح الأمم فيجب أن ننسى الأخلاقيات بالمرة !! وهذا ما فعلته إنجلترا عبر القرون . ونفس الشيء فعلته أمريكا . ولا تزال روسيا تفعله حتى الآن ! ما الذي يجعلك تفترض أن روسيا لن تتخلى عن بوصة واحدة من (البلقان) ؟ هل هذا بسبب الأخلاقيات ؟ .

وكان يغير ثوبه الرسمي متخبطًا في الزنزانة من الحالات العصبية التي كانت تنتابه . واستمر قائلاً :

ــ عندما تأتي للدولة فرصة لتمكين نفسها بسبب ضعف جيرانها فهل تظن أن هذا سوف يمنعها لاعتبار يثير القرف والغثيان حول الاحتفاظ بوعد قد قطعته لهؤلاء الجيران ؟ إنه واجب رجل الدولة أن يحاول الحصول على أية ميزات تحت أية ظروف في سبيل وطنه ! .

هل تعرف أي قيمة تطمسها هذه المحاكمة التي تدور ؟ إنها تطمس قيمة (اتباع الأوامر) ولا تعجب أنك لن تجد أي أناس مناسبين لهم قيادة حقيقية يأخذون مسئولية الإدارة في ألمانيا . هل تدري لماذا ؟ لأن أحسن الوطنيين من قادة هذا الشعب قد صاروا في السجن الآن . وبعض الوجوه الذين نجوا سوف يواجهون (قوانين إبطال النازية) . ومن يدري فلعل الأحوال تتغير خلال عشر سنوات ، بعد أن يرحل الأمريكان من هنا . أو يدخل الشرق والغرب في حرب جديدة . وفي هذه الحالة فإن هؤلاء الذين سوف تأتون بهم للإدارة سوف يجدون أنفسهم مضطرين للوقوف أمام محكمة ألمانية وطنية حقيقية يحاكمون فيها بتهمة الخيانة . وعندها لن يستطيع أحد الاختفاء خلف اعتذار لا تعتبرونه الآن ، وهوأنهم كانوا يتبعون الأوامر . ولست أدري لماذا تعرض هذه الوجوه الجديدة ــ الذين سوف تأتون بهم ــ رءوسهم لأن تطير بحق الشيطان ! .

وما الذي يفكر فيه الشعب الألماني الآن ؟ إني أعرف إجابتك وأقولها لك : عندما تكون الأمور غامضة وغير منضبطة فنحن لدينا الديمقراطية ! وليس هناك فرصة للخطأ حولها .

الناس يعرفون أنهم كانوا أحسن حالاً عندما كان « هتلر » في الحكم وقبل أن تنشب الحرب . وكل ما فعله صواب إن نظرت إليه من الزاوية الوطنية . هذا باستثناء عمليات القتل بالجملة بطبيعة الحال . وهو أيضًا لا يجعل هناك أي تغيير في المشهد من منظور وطني .

وقلت له :

ـــ حسن .. أنت حتى لا تريد أن تذعن أن « هتلر » مخطئ في هذا التصرف ، وتؤكد ولاءك له ، حتى بعد أن عرفت أنه كان سفاحًا .

وكان عصبيًا ثائرًا وهو يجيب :

ـــ أنا لا أستطيع أن أقف هناك كقملة حقيرة وأدعو « الفوهرر » بأنه سفاح وكان يصدر أوامر القتل بالجملة كما فعل ذلك الأحمق « فون شيراخ » . إنني أستنكر هذا الفعل ولكن لا يمكنني أن أقول كلمة واحدة عن الفاعل !! ولا تنس أن « هتلر » كان بالنسبة لنا أكثر من مجرد شخص .

وسألته :

ـــ إن كان الفعل هو القتل فإن الفاعل هو القاتل . أليس الأمر كذلك ؟ .

ونظر إليَّ طويلاً ثم قال :

ـــ مرة ثانية أقول لك هذا شيء آخر . هذا ليس لنا أن نقوله .. لا تنس أن ذلك الصغير « فون شيراخ » قد عاش في خير ونعمة « الفوهرر » حتى آخر لحظة !! لا يستطيع الإنسان أن يدير وجهه هكذا ويعلن براءته من شخص أعطاه أكثر مماحلم به لأكثر من ثلاثة وعشرين عامًا .

وقلت له :

ــ أيا ما كان رأيك فأنا أظن أنه قد وضع شيئًا حسنًا عندما أعلن أنه يستنكر بوضوح كل ما حدث ، من أجل الشعب الألماني الذي ربما لا يزال يربطه هذا الرباط الزائف المسمى بالولاء لزعماء مزيفين قد تخلوا عن كل القيم الإنسانية .

ولسعت هذه العبارة « جورنج » فانتفض قائلاً :

ــ هل تظن أن الشباب الألماني يعطي أقل انتباه لما يقوله قائدهم السابق الملقى في زنزانة يحكم بابها عليه العدو ، وهم لا يدرون ماذا يفعلون به ، وهل تظن أنهم يلقون بالاً لما تطلقون عليه الفظائع مع ذلك الكم الهائل من المصائب التي تحيط بهم الآن ؟ لا .. إن الجيل القادم سوف يقوده قادته الذين سوف يخرجون معه ، وسوف يرون أن مصالحهم الوطنية قد ضاعت . وعندها تستطيع أن تأخذ معك قيمك وأخلاقياتك وتأسفك وديمقراطيتك وتلقي بها في الفضاء .

زنزانة « يودل » :

كان « يودل » يجلس مرتديًا قميصًا قصير الأكمام وهو يستريح من الاستجواب العنيف الذي تم معه . وقال إنه في الحقيقة مستريح ويظن أنه قد عبر عن نفسه جيدًا ، ولا شك أن القضاة قد تأثروا بما قال ، وهو أيضًا يظن أنه استطاع أن يعمل عملاً جيدًا بضبط أعصابه أثناء الاستجواب ، هذا عدا مرة أو مرتين ، وأنه قد عايش الحالة جيدًا . وقد ذكرته بالمناظرات والمحاورات مع « هتلر » في القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية حيث كان ينبغي عليه أن يتعلم هناك كيف يضبط أعصابه . وكان كثيرًا ما يقاطع أثناء الحوار أيضًا . والذي لا شك فيه أن هجومه على السياسيين كان محسوبًا بدقة .

وقال « يودل » :

ــ لقد قلت لهم وجهة نظري عن تلك الصفقات السياسية المزدوجة . وكان

هذا سهلاً عليَّ بطبيعة الحال ، لأنني لم أكن مرتبطًا بالحزب النازي منذ نشأته مثل « جورنغ » مثلاً . وأريد أن أخبرك بشيء .. أنا لست مثل هؤلاء السياسيين الذين كانوا يجلسون للغذاء هذا النهار . والذين كانوا يحاولون القول بأن خرقًا لمعاهدة ميونخ لم يحدث . لقد قالوا كلامًا كثيرًا حول هذا ، وتظل هناك حقيقة في النهاية أنهم قد أخلوا بتعهداتهم ! كل العالم كان يعلم ما الذي تعنيه معاهدة ميونخ مهما قال هؤلاء الذين ينظرون إلى الشرعية نظرة مزدوجة من جانبين متقابلين .

وقرر « يودل » أنه ليس هناك أدنى شك عنده في أن « هتلر » قد بدأ الحرب بإرادته تمامًا . وأنه كان مدهوشًا من أن المحكمة لم يكن لديها شيء حول هذه المسألة في الاستجواب . ولم يكن أمامها غير أن تضيع الوقت الكثير لمهاجمته في شرفه كجندي مخلص .

ثم قال في مرارة :

ـــ وهأنتذا تراني هنا الآن .

وبالعودة مرة أخرى إلى محاولة اغتيال « هتلر » في ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ التي ظهرت أثناء الاستجواب ، فقد أعاد « يودل » حديثه مرة أخرى :

ـــ إنني بالتأكيد لا أحمل في قلبي أي حب لأولئك الذين يقومون بعمليات الاغتيال . ولا تنس أنني كنت سأُقتل أنا الآخر لو تمت هذه العملية ! وإني أظن أن الكونت « ستوفنبرج » والجنرال « بيك »[٣٨] قد حركتهما تنظيمات إيديولوجية ولكن لا شك أن كثيرًا من الناس قد ركبوا (عربة عصابة القتلة) لأن الريح صارت تهب من الجانب الآخر . وهذا ما يجعلني أشعر بالجنون .

وقال « يودل » إن هناك بعض الجنرالات كانوا سيجدون أنفسهم في الجانب الذي مكاننا لو نجح الانقلاب .

ولم يحدد أسماء هؤلاء الجنرالات .

٧ يونيــو

قتال حتى النهاية

بعد الظهر في الســجن

زنزانة الجنرال « فون رونشتدت » :

بينما استدعي « يودل » لاستكمال بعض الأسئلة في الاستجواب بمعرفة الكولونيل « بوكروفسكي » ذهبت أنا إلى جناح الشهود لأتحدث مع الجنرال « فون رونشتدت » .

وقد أكّد لي الجنرال « فون رونشتدت » أنه والجنرال « روميل » قد أخبرا « هتلر » في يوليو سنة ١٩٤٤ أنه قد جاء وقت الهدوء والعمل على وقف الحرب .

وقال « رونشتدت » :

ـــ لقد قال لي مساعد « هتلر » الجنرال « بلو منتريت » يومها لو أن جنرالاً آخر قال هذه الكلمة لأسندنا ظهره للجدار ولأطلقنا عليه الرصاص لهذه (الانهزامية) التي لا ينبغي أن تكون .

« هتلر » رجل لا يحب أن يسمع الحقيقة أو يعرفها . ولكنه بدا كالملدوغ بعد مقاومة « ستالينجراد » العنيفة عام ١٩٤٣ . وقد ظهر ذلك عليه أكثر بعد نجاح الحلفاء في عملية الإنزال التي تمت في نورماندي عام ١٩٤٤ .

لقد كانوا يدعونني « فون رونشتدت » المعارض المزعج . وهذا قول صحيح . وأكرر أن هذا القول صحيح . وقالوا إنني رجل الاستراتيجية الأول ، وهذا قول صحيح أيضًا .

وقد رفض « فون رونشتدت » باعتزازه العسكري أن يستفيد من دوره في المعارضة المزعجة كما وصفوها في وقت كانت فيه الهزيمة مؤكدة .

وقال :

ـــ لو علم « فون مولتيكه » [٣٩] أنني الذي خططت لهذا الهجوم فإنه سوف يتململ في قبره .

وقد قال « فون رونشتدت » إنه فور هبوط الحلفاء في نورماندي فإن هذا لم يحدث له أي شعور بالمفاجأة ، رغم دعاياتهم أنهم سوف ينزلون في الشاطئ الشمالي حيث كان التصور كذلك بالنسبة للقيادة الألمانية ، وكانت آلة الدعاية الضخمة قد صورت قاذفات القنابل على أنها لا تبقي ولا تذر . وعلى هذا تصورت أن البريطانيين لن يقفهم شيء وأنهم سوف ينزلون بقواتهم في الساحل الشمالي أولاً ، وبالطبع في الساحل الأكبر على أي حال .. فمثلما حدث في « ستالينجراد » فقد أصدر « هتلر » أوامره بإصرار شديد لا يقبل المناقشة بأن يتمسك كل جنرال بالأرض التي احتلها وطارت البرقيات بالأوامر : فليتمسك كل واحد بالأرض التي عليها ! .

وهذا كلام من السهل قوله ! وقد نفذه الجنرالات حتى قتلوا أو أسروا و لم ينج واحد فقط من القتل أو الأسر .

ويمكن أن يقال نفس الشيء عن هجوم « رونشتدت » المضاد[٤٠] .

حسن هذا وجيد . ولكن كيف يتم الهجوم ؟ هناك معدات وأدوات وإمكانات لا بد من توافرها لتنفيذه . وكان سلاح الطيران الألماني قد تحطم وأصبح عاجزًا عن مساعدتنا ، لهذا كان علينا أن نتحرك في الليل فقط . وفي الوقت نفسه كان الجنرال « باتون »[٤١] يسابق الريح بمدرعاته نحو مواقعنا ، وهويتحرك دون اعتبار لليل أو نهار فهو في حماية طيرانه . ورجالنا الأقوياء القادرون كانوا قد قتلوا ، ومن كان معنا طاعنون في السن لا يقوون على القتال . وبعض الجنود الأجانب الذين نعمل

جاهدين لمنع هربهم من الخدمة . في الوقت الذي يصيح فيه « هتلر » : فليتمسك كل واحد بالأرض التي هو عليها ! .

مثلما حدث في (باستوني) ويكفي أن نذكر اسمًا واحدًا . لقد كان جنونًا مطلقًا ! هذا هو « هتلر » الذي كان يريد تخليد اسمه كواحد من أعظم جنرالات المعارك . لم يكن يعرف مبادئ الاستراتيجية الأولى . ما كان يعرفه هو الخداع فقط ! .

٨ ــ ٩ يونيــو

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « فون بابن » :

قال « فون بابن » إن « جورنج » قد هاجمه في نهاية جلسة السبت وسألته لماذا ؟ فقال :

ــ كانت معي وثيقة من المستندات التي أعددتها للدفاع تدل على أنه كانت لي بعض الصلة بالمتآمرين في ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ . فقد كانوا يرشحونني للقيام بالمفاوضات . حسن على أي حال . وقد سألني « جورنج » عما إذا كنت أنوي التجرؤ وأهاجم « الفوهرر » وأبرر ما فعله المتآمرون .. حسن .. هل تعرف ما الذي قلته له ؟ لقد قلت له : « جورنج » إنني أومن إيمانًا شديدًا بك كضابط كبيْر . وكرجل قد نشأ في عائلة طيبة . وقد ظننت أنه إذا ذهب « هتلر » بعيدًا في أخطائه فإنك سوف تلفه بالحبال وتمسكه من قفاه وتلقي به خارجًا . فظني فيك أنك رجل القدرة والمبادئ ، وكذلك ظن آلاف مثلي . هذا ما قلته له ! هل تعرف بماذا أجابني ؟ . لقد قال : حسن . كان يمكنني أن أفعل شيئًا ، ولكن كان لا بد من

ثلاثة من الاختصاصيين النفسانيين ليشهدوا أنه ليس في كامل قدرته وقواه العقلية . وعندها قلت له : عزيزي « جورنج » هل أنت في حاجة إلى ثلاثة من الأطباء لتبصر كيف يقود « هتلر » ألمانيا إلى الخراب ؟.. هذا مجرد هراء ! .

لقد كنا ننتظر من « جورنج » هذا الكثير ولكنه سرعان ما غطى نفسه بالجواهر وأخذ الرشا الكبيرة من اليمين ومن اليسار ، ولم ينتبه إلى أدنى درجة من واجباته في الوقت الذي كانت فيه ألمانيا تنزف دمًا .

وحرَّك « فون بابن » ذراعيه في إشارة مليئة بالاحتقار اليائس .

وإذا أخذنا في الاعتبار تلك المناقشات اليومية غير المجدية حول الحرب فقد أخبرني كيف وضع افتراضًا في يناير سنة ١٩٤٥ أن يجري تفاوضًا مع القوى الغربية . وأنه قد اقترح هذا على مساعد « رينتروب » بأن يذهب ــ فون بابن ــ ليعقد اتفاقًا مع القوى الغربية نسمح لهم بمقتضاه بالتقدم السريع نحو ألمانيا من جهة الغرب ومن ثم يمكن للحلفاء أن يقوموا باحتلال ألمانيا كاملة ولا نترك أية فرصة للروس للتقدم .

زنزانة « رينتروب » :

كان « رينتروب » يكتب بعض الملاحظات بخط رديء محموم حول المسألة اليهودية . ويبدو تمامًا أن لا صلة لها بالقيم العامة والأخلاق الإنسانية . وكانت ملاحظاته التي خطها بيده هي نفس الكلام الذي سبق لذلك المقامر العجوز أن قاله في تبريرات متناقضة ، وأكاذيب ومغالطات عدوانية وكلها فروض انتقامية ، وكان يكتب بعقل مشوش تمامًا . وقد نسي ما سبق أن قاله لي من قبل وبدا أمامي كشخص جديد .

أما الاقتراحات التي كان قد قدمها لهتلر لعمل ما يسمى بسياسة الاسترضاء ،

فقد كان من المفترض أن تتم عام ١٩٤٣ . ولم يكن عليه أن يقوم بها مباشرة ولكن من خلال حزب ثالث .

وهذه الاقتراحات تظهر أنه لم يكن معاديًا للسامية ، وأنه يريد وضع حد للحرب .. إلخ .. إلخ .

لقد أخبرني أنه لم يكن معاديًا للسامية ، وقد أكد ذلك لي . ولكن اليهودية العالمية قد أخطأت خطأ كبيرًا ، وكذلك الحلفاء قد وقعوا في نفس الخطأ في الطريقة التي عاملوا بها ألمانيا . لأن ألمانيا هي مفتاح السلام في أوروبا . إلخ . إلخ .

١٣ يونيـــو

سقوط أسطورة هتلر

جلســة الصباح :

كانت هناك مناقشة لها اعتبارها في جلسة الصباح . فقد أرادت المحكمة أن تحدد وقتًا محددًا للحوار بعد كل دليل يقدم .

وأثناء الاستراحة وبينما كان المحامون يبدون اعتراضهم لأنهم في حاجة إلى وقت أطول للمناقشة صار « جورنج » يصيح :

ــ « هذا حسن جدًا وجميل ! وسوف يعلم الناس أن هذه المحاكمة ما هي إلا مهزلة سياسية وليس لها أي معنى !! يجعلونهم يجلسون وقتًا محددًا للمناقشة !! هذا يناسبني تمامًا » .

وقد ظل « جورنج » يكرر هذه العبارات عدة مرات .

وقد أبديت له ملاحظة :

ـــ إنها مناقشة تافهة بالنسبة للقيادة النازية أن تحاول الهرب من المسئولية عن الحرب والتعذيب والقتل بالجملة .

وقال « جورنج » :

ـــ التعذيب والقتل والفظائع !! هل هذا كل ما يمكنك قوله ؟ ما الذي تعرفه عن السياسة ؟ هذه محاكمة سياسية يقوم بها المنتصرون . وهي شيء جيد لألمانيا عندما تدرك هذا ! .

وقلت له :

ـــ لا توجد أعذار في العالم يمكنها أن تزيل ما حدث من قتل الملايين ببرود كامل . ولا أستطيع أن أتخيل أبدًا أو أعتقد أن الشعب الألماني كان يريد هذا . أو أن هذا الشعب ممتن وشاكر للقيادة النازية التي قادته إلى الحرب التي دمرت كل شيء .

ـــ لا يوجد شخص يوافق على القتل بالجملة ولكنك تحاول أن تربك النظرة السياسية للمسألة بهذه الأشياء التي تقولها .

ـــ هل تقصد أن « هتلر » لم يأمر بعمليات القتل بالجملة في الوقت الذي قد أقرَّ هو فيه بذلك بنفسه في وصيته الأخيرة .

ـــ لايوجد أي دليل على هذا . وأظن أن هذا ما قاله عند النهاية فقط ، لقد استدرج « هتلر » بطريقة ما بمعرفة « هملر » . وبعدها كان عليه أن يقتل نفسه ومن ثم فقد تحمل المسئولية .

وكانت المناقشة لا معنى لها وتافهة ، وقد دلَّت على أن « جورنج » كان يشعر بقليل من الخجل وهو يتكلم حولها . ولكن من الواضح أنه يناقش هذه الأشياء مع « رينتروب » كوسيلة لحماية اسم « الفوهرر » العظيم .

وقال « رينتروب » منفعلاً :

ـــ هل رأيت ؟ هذا ما أخبرتك به في يوم ما ! وهذا ما أفكر فيه الآن بالضبط .

وقلت له :

ـــ نعم أنا أرى أنه شيء مثير جدًا فعليك أن تقرر بين شيئين . فأنتم تريدون أن تجعلوا من « هتلر » أسطورة . وهل تريد القول إنه في دولة « الفوهرر » ، حيث كانت له السلطة المطلقة . وهذا هو أساس دفاعك أنه لم يكن يعرف شيئًا حول ذلك الشيء الصغير الذي لا قيمة له مثل إبادة شعب بأكمله ؟ .

وقال « جورنج » بعدم ارتياح :

ـــ أو ربما كان يعلم شيئًا حول هذا ولكن ليس بالصورة التي حدثت والتي نعرفها الآن .

وكان بعض الذين يستمعون إلى الحديث ينظرون إليه في اتهام وهم لا يصدقونه .

ســاعة الغداء :

استمرت المناقشات أثناء الغداء . وكان « جويدوشمدت » وزير خارجية النمسا واحدًا من شهود « سايس انكوارت » . وقد قرر أثناء استجواب محامي « فون بابن » له أن « شوشنج »[٤٢] قد اقترح أن يرسل طبيبًا نفسانيًا للتفاوض مع « هتلر » بدلاً من أي دبلوماسي حول مشكلة النمسا .

وقد أخذ « جورنج » هذه النقطة كسبب يحاول به أن يجرح « فون بابن » قبل أن يبدأ في دفاعه بالضبط . وقبل أن يذهبوا إلى الطعام .

فقد انفجر « جورنج » محدثًا « فون بابن » بشراسة :

ـــ كيف تتجرأ فتدع أي إنسان يتكلم بهذه الطريقة عن « هتلر » ؟!! هل نسيت أنه كان رئيسًا لدولتنا ؟ .

وهنا غمغم « فون بابن » غاضبًا :

ـــ رئيس الدولة النازي ! رئيس الدولة الذي قتل ٦ ملايين بريء من الناس ! .

وانفجر « جورنج » ثانية :

ـــ لا .. أنت لا تستطيع القول بأن « هتلر » قد أمر بهذا .

والتفت إليه « فون بابن » متحديًا من الغضب قاذفًا بيديه في سخط :

ـــ أخبرني إذن . من الذي أمر بقتل هؤلاء الملايين ؟ هل أنت الذي أمرت بهذا ؟ .

وكان على « جورنج » أن يتراجع بسرعة فغمغم قائلاً :

ـــ لا .. لا .. « هتلر » هو الذي أمر بهذا . هو الذي فعل ذلك .

وكان يشعر بشيء من الحيرة والحرج وهو يرى المتهمين يغادرون المحكمة وهم لا يبدون ناحيته أي اهتمام ، حتى إن واحدًا منهم لم ينظر إليه .

وأثناء الغداء أبدى فون بابن تذمرًا وضيقًا حول إصرار ذلك الرجل السمين ـــ يقصد « جورنج » ـــ الذي يحاول أن يملي عليه ما ينبغي قوله وما لا ينبغي ليغطي على جريمة النازيين .

وكان « سبير » و « فريتشه » و « فون شيراخ » قد بدءوا في الضحك لنفاق « جورنج » في محاولته للضغط على المتهمين حتى ذلك الدبلوماسي الكبير « فون بابن » .

وقد ذكر « فون شيراخ » أنه لن تكون هناك مناقشات أكثر حدة مما حدثت في القفص بعد ذلك .

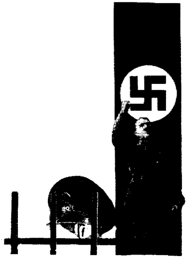
وقال « فريتشه » في سخرية مريرة ما سبق قوله في أسفل القاعة :

ـــ لا بطبيعة الحال . لم يأمر « هتلر » بقتل هذه الملايين . لابد أن أحد الشاويشية هو الذي أصدر هذا الأمر .

وقال « ساوكل » فيما بعد متحدثًا مع « كايتل » إنه من العار الدخول في مناقشات طويلة لأن هذا سوف ينعكس بآثار سيئة على الوطن . ومن الناحية التي يجلس فيها « جورنج »صاح معلنًا أنه يجب عدم الكلام مع جلبرت بُعد ذلك ـــ يقصد المؤلف ـــ فالأمريكان ليست لديهم سعة الأفق حتى ينظروا إلى الأمور من النقطة التي ينظر منها الألمان .

٢٠

الدفاع عن فون بابن



١٤ يونيو

سيد مهذب من المدرسة القديمة

جلســة الصباح :

بدأ « فون بابن » الدفاع واصفًا نفسه بأنه رجل محافظ متدين له خلفية عريضة وخبرة عميقة . وقد نشأ في أسرة ترجع جذورها إلى تسعمائة عام . وكان في المكسيك عندما نشبت الحرب العالمية الأولى فذهب إلى الولايات المتحدة للتفاوض حول شراء بعض المواد الخام . ورغم أنه قد تأثر بالدعاية الزائفة فإنه يستنكرها ولا يقبلها .

ســاعة الغداء :

أبدى « رينتروب » بمرارة ــ بينما كانوا يذهبون للطعام ــ ضيقه وأسفه :

ــ نعم لقد افتروا عليَّ أنا أيضًا .

جلســة بعد الظهر :

في جلسة بعد الظهر استمر « فون بابن » يستنكر الأُكاذيب والمفتريات التي نسبت إليه مثلما ذُكر في كتاب (الشيطان ذو البقعة الطويلة) . ثم استمر يصف كيف انضم إلى حزب المركز الكاثوليكي باذلاً جهده في تحقيق الزمالة والتعاون حتى يتجنب ظهور حزب مختلف متطرف بعد الحرب . وقرر أن « جورنج » قد تكلم عن الحزب النازي . أما « فون بابن » فيتكلم عن ألمانيا أخرى . ولقد بذل جهده من أجل جمهورية فايمار ؛ وقد سلم التراث إلى « فون هندنبرج » (آخر رجل دولة ألماني عظيم) .

ولقد وصف كيف حاول أن يكافح مشكلة البطالة والتضخم التي كان يعاني منها العمال والطبقة المتوسطة . وفي مؤتمر لوزان عام ١٩٣٢ حاولوا أن يصححوا وضع ألمانيا ، بتعديل بعض البنود غير العادلة التي كانت في معاهدة فرساي . ولكنهم لم يحققوا أية نتيجة .

وهو يرجع نجاح « هتلر » إلى فشل القوى الأجنبية في إعطاء ألمانيا أملاً في المستقبل .

وفي الرايخستاج كان « جورنج » يمنعه بالفعل من أخذ الكلمة للنقد وإبداء الرأي . وفي النهاية صار « فون بابن » غير قادر على أن يوقف المد النازي وارتفاع أسهم « هتلر » . وهو ما دعا « هندنبرج » وأجبره على اختيار « هتلر » مستشارًا . وقد بقي « فون بابن » في مجلس الوزراء في الفترة الأولى بإلحاح من « هندنبرج » .

١٥ يونيــو

رجل الدولة رينتروب

زنزانة « رينتروب » :

إشارة إلى الصورة التي رسمها « فون بابن » عن نفسه كرجل الحضارة والدولة .

فقد بدأ « رينتروب » يضغط عليَّ هذا الصباح مذكرا بالمزايا التي له كرجل حضارة ودولة هو الآخر .

واستمر في الحديث طويلاً ، وكان مشوشًا ومضى في كلامه الغامض حول الديناميكية السياسية :

ــ ديناميكية روسيا تعتمد على حزب سياسي واحد يقود بطريقة قهرية إلى نشر الشيوعية في أوروبا بالضبط مثل ديناميكية الاشتراكية الوطنية ، وهي بطبيعة الحال كانت تريد أن تنشر الاشتراكية الوطنية بغزو البلدان والدول . ولكن أمريكا بنظامها الذي يعتمد على حزبين لها ديناميكيتها المتوازنة التي تأخذ الشكل الأمثل . في الوقت الذي تقود فيه ديناميكية الإمبراطورية البريطانية إلى السياسة الإمبراطورية .. إلخ .. إلخ .

وأخيرًا سألني عما إذا كنت قد فهمت ما كان يتكلم عنه أم لا ؟ .

وتجنبًا للجدال معه فقد قلت له نعم .

وكان « رينتروب » مضطربًا وهو بالتأكيد لم يفهم ما قاله هو شخصيًا . وهو يدعي أن الفضل يرجع إليه في أن باريس لم تقصف بالقنابل . وعلى الفرنسيين أن يشكروه لهذه الحقيقة .

وسألته عما إذا كان الفرنسيون قد أعلنوا أن باريس مدينة مفتوحة ومن ثم فلا يجوز استعمال القوة معها .

وقال « رينتروب » :

ــ حسن .. هذا صحيح .. ولكن « هتلر » كان قد قرَّر قصفها . واستعملت نفوذي عنده لتغيير قراره حتى قبل أن يعلن أنها مدينة مفتوحة .

ولا أظن أنه كان يأمل في أن أصدقه فيما يقول . وأظن أنه من أسعد الأوقات في حياته في تلك الفترة أن يسمع نفسه يتكلم إلى آخر .

١٧ يونيـو

النازية والتعصب الديني

جلسـة الصباح :

استمر « فون بابن » في سرد دفاعه شارحًا أن القانون قد وضع « هتلر » في موضع القوة والسلطة . وقد أجبرنا على هذا لجدية الموقف السياسي وخطورته ، وكان من المفروض أن يوجد حل مسيحي للمشاكل الاجتماعية . وقال إنه قد توصل إلى اتفاق مع البابا في الفاتيكان حول هذه الأمور . ولكن « هتلر » كان يرى من وجهة نظره أن هذا الاتفاق ما هو إلا قصاصة من ورق لا قيمة لها .

وكان تصوره عن المشكلة اليهودية هو نفس تصور الكنيسة الكاثوليكية وما كانت تتوقعه من كل مسيحي مخلص . وقد أنكر اشتراكه في مقاطعة اليهود في عام ١٩٣٤ . وذكر أن « هتلر » و « جويلز » قد ألحًا عليه وأجبراه على إعداد حل سلمي للمشكلة اليهودية .

وأثناء الاستراحة وفي القفص كان الكاثوليك من المتهمين وكذلك المعادون للمسيحية أمثال « روزنبرج » قد بدءوا في مناقشة تصور الكنيسة الكاثوليكية عن معاداة السامية .

وقال « روزنبرج » :

ـــ إن « فون بابن » يعني أن البلدان المسيحية لا تفضل أن يكون نفوذ اليهود فيها كبيرًا .

وقد أبدى « سايس انكوارت » ملاحظة مؤداها أن ٨٥ ٪ من المحامين في فيينا كانوا من اليهود . ثم بدأ يشرح أن هناك رباطًا بين رجال الدين ومعاداة السامية .

وقال : إن أغلب رجال الدين معادون للسامية في الحقيقة ، وهذا بشكل أساسي وعلى الأخص في بولندا حيث كان اضطهادهم يسير منذ قرون طويلة حتى هذه اللحظة الزمنية الحالية . وعندما حدثت الهجرة البولندية اليهودية فإنها قد حملت معها موجة معاداة السامية إلى ألمانيا .

ووافق « فرانك » على هذا وأعطى بعض الخلفية التاريخية قائلاً :

ـــ نعم .. إن رجال الدين في أساس تكوينهم معادون للسامية منذ أيام محاكم التفتيش وقد قاموا بتعذيب الناس في أوروبا كلها انطلاقًا من مبدأ عدم التسامح الديني . ثم تطور الأمر معهم فبدءوا بحرق الساحرات .

وهنا أضاف « روزنبرج » وهو سعيد عندما رأى « فرانك » يقرر أن محاكم التفتيش كانت فصلاً مجلّلاً بالعار في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية . فقال :

ـــ نعم . قد استمر هذا عبر أربعة أو خمسة قرون . ولم يكن كلحظة حدثت في انتفاضة ثم انتهت .

ســاعة الغداء :

وفي غرفة الشيوخ أثناء الطعام استمرت المناقشة حول تصور الكنيسة الكاثوليكية تجاه معاداة السامية . ولكن « فون بابن » كان عنده تصور مسيحي أكثر حول هذا الموضوع .

وقال موجهًا حديثه إلى « شاخت » وإليّ :

ـــ لماذا يظن كل شخص أنه يعرف تصور الكنيسة الكاثوليكية ؟ المبدأ يقول إن كل الناس متساوون أمام الله . اختلاف الأجناس ليس سببًا في عدم المساواة .

وقد قال « فون بابن » إن « هتلر » كان يعرف يقينًا أن ألمانيا دولة مسيحية ولكنه أدار ظهره لهذه الحقيقة ، لقد كان « هتلر » مجرد كذاب .. كذاب مريض .

وحول هذا الأمر قال « شاخت » :

ـــ لقد صرت على يقين من أن « هتلر » كان كاذبًا منذ البداية الأولى . ولكن القول بأنه مريض بالكذب أمر لا أتصوره . ومن السهل فحص هذه النقطة وتفهمها . كل ما كان يفعله هو خداع الجميع .

وكان الكل يتابع الحديث بينما استمر « شاخت » :

ـــ لماذا أقول هذا ؟ لقد كنت واقفًا هناك عندما ألقى الخطبة التي قبل فيها أن يكون مستشارًا للرايخ .. أنا أخبركم .. لقد كانت تعبيراته مليئة بالمثالية والرغبة في التعاون .. وكان صوته يجلجل بإخلاص وثقة بشكل يستحيل معه الظن أن هذا الكلام لا يخرج من أبعد عمق في روحه .. أنا أخبركم .. قد استطاع « هتلر » أن يسير بنا إلى أبعد عمق في نفوسنا ويشعرنا أن فجرًا جديدًا قد بزغ في ألمانيا .

جلســة بعد الظهر :

قال « فون بابن » إنه عندما بدأت حكومة الحزب النازي تأخذ طريقها إلى الديكتاتورية بدلاً من حكومة الائتلاف فقد قرر أن يذهب وألمح إلى هذا في خطبة في دائرته الانتخابية في ماربورج وكان ذلك عام ١٩٣٤ . ومنع « جوبلز » نشر هذه الخطبة . وذهب « فون بابن » إلى « هتلر » وقدم له استقالته . وقد قال « هتلر » إنه خطأ وأمر بتصحيحه .

وقد أدرك « فون بابن » الآن أن « هتلر » كان يكذب عليه . فقد ذهب « فونك » إلى « هندنبرج » بأمر من « هتلر » وأخبره أن « فون بابن » قد خرج من أيدينا ولا نستطيع السيطرة عليه ، ومن ثم فينبغي طرده من الحكومة .

ووصف « فون بابن » تفاصيل القبض عليه أثناء حمامات « روهم » الدموية ، وعندها احمرت أذنا « جورنج » وعدَّل من جلسته على المقعد في القفص وبدا في

تراخ وانكسار . وهو الذي كان منتفخًا مشرئبًا بعنقه معظم الوقت .

واستمر « فون بابن » في الشرح فقال : إن واحدًا من مساعديه قد قتل في هذه المذبحة ، وأن اثنين آخرين قد أرسلا إلى المعتقل . وبعد ثلاثة أيام من القبض عليه هو شخصيًا تظاهر « جورنج » بأن هذا كان خطأ . وذهب بعدها « فون بابن » إلى « هتلر » وطلب منه قبول استقالته .

وفي أثناء الاستراحة أبدى « شاخت » ملاحظة مشيرًا إلى قصة « فون بابن » أنها داخلة في صلب الموضوع . ولكن على المدعي العام أن يسأله : لماذا عدت ثانية إلى حكومة « هتلر » بعد هذه المعاملة المهينة .

وقد أكد « فونك » أنه قد ذهب بأمر من « هتلر » إلى الرئيس « هندنبرج » وقد أجاب ذلك الرجل العجوز يومها :

ـــ أي شخص لا يستطيع أن يكون مؤدبًا فإن عليه أن يذهب .

وقال « فون شيراخ » لمحاميه :

ـــ سوف يظل هذا الأمر غامضًا . لماذا عاد « فون بابن » إلى الحكومة ؟ أظن أن هناك احتمالاً بأن عودته بوحي أو طلب من الكنيسة الكاثوليكية لحماية استثماراتها .

واستمر « فون بابن » في قصته وقال إنه قد عُرض عليه أن يكون سفيرًا في الفاتيكان عقب استقالته مباشرة ولكنه رفض . وفي اليوم الذي اغتيل فيه « دولفوس » (٤٣) رأي أنه من المناسب أن يقبل السفارة في فيينا . وكان يؤكد على ضرورة استدعاء « هابكت » ذلك المخرب النازي الذي قتل « دولفوس » .

وعندما عاد « فون بابن » إلى القفص بعد نهاية الجلسة حيَّاه « فرانك » وآخرون للكلمة التي ألقاها في أحسن بيان . وفور أن غادر « فون بابن » القفص في طريق عودته إلى السجن قال « فرانك » للآخرين الذين ينتظرون دورهم في الذهاب :

ـــ نستطيع أن نتكلم الآن بحرية .. لقد استطاع أن يدور حول كل الموضوعات محاولاً أن يصنع من نفسه رجلاً طيبًا ومشهورًا .. لماذا بحق الشيطان لم يذهب هذاالرجل إلى الولايات المتحدة بعد ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ ؟ كان يمكنه أن يعود الآن من هناك وأن يكون مشهورًا بالفعل ، وكان يمكنه الجلوس في مقعد السلطة خارجًا ويظل يضحك علينا الآن .

واستمر « فريك » و « فرانك » يغمغمان بأن « فون بابن » يحاول تجاهل الحقيقة أنه كان يلهث وراء عربة الحزب النازي في تعصب جامح لهتلر وكان يؤيده طول الوقت .

السجن في المســاء

زنزانة « فرانك » :

عندما ذهبت إلى « فرانك » في المساء وجدت له رؤية أخرى حول رأيه في « فون بابن » وقال :

ـــ آه .. ذلك الرجل العجوز الطيب « فون بابن » مثل الثعلب الذي وقع في المصيدة .. ها .. ها .. إنه يبذل مجهودًا كبيرًا ليبدو كوطني غيور ولكن الناس سوف تقول بطبيعة الحال : لماذا بقيت بعد أن عاملك « هتلر » هذه المعاملة المهينة .. ها .. ها .. ها » !! هو في الحقيقة ربما قد جلس للتآمر ضد « هتلر » مع « جيسيفيوس » في سويسرا .

ثم عاد إلى استنكاره لهتلر من جديد :

ـــ ينبغي أن نعرف أنه كان في خطر عظيم من أن يفقد الحرب عام ١٩٤١ وقد قال وقتها : هؤلاء اليهود هم المسئولون عن كل شيء وسوف أقتلهم جميعًا وأبيدهم !! .

وأطلق « فرانك » صفيرًا من بين أسنانه ، وضرب بقبضته منضدة ضخمة أمامه وهو يردد : سوف أقتلهم جميعًا وأبيدهم !!

ثم التفت إليَّ قائلاً :

ــ هل تتصور أن الأمر كان يسير على هذا النحو ؟ لقدكانت مشكلة سيكولوجية ضخمة . وسوف يظل الناس يبكون عبر القرون ويقولون ياللسماء !! كيف تم هذا ؟ لا تستطيع أن تقول إنها مجرد جريمة .. كلمة جريمة صغيرة جدًا بجانب ما حدث !! السرقة جريمة .. قتل رجل واحد جريمة .. ولكن ما حدث .. إنه شيء يقع فوق خيال البشر !! يحول القتل من قتل فرد إلى إنتاج بالجملة ؟ قتل عدة ملايين !! ألفين كل يوم !. الأسنان الذهبية والخواتم تذهب إلى بنك الرايخ ! شعور النساء تقص وتعبأ وتستخدم في التجارة !! فليتمجد الرب !! وكل هذا قد تم بأمر شيطان مريد قد ظهر في ثوب إنسان .. ليتك سمعت حديثه وخطبه إلى النساء .. لقد كانت الطيبة والبراءة مجسمة .. ولكنه بعد ذلك يصنع تلك الأشياء المرعبة في برودة نارية إن جاز هذا التعبير .. وهو في الحقيقة لم يحقق شيئًا ما .. أي شيء للشعب الألماني الذي كان يؤمن به ويحبه .

وسكت « فرانك » وهدأ وجلس في مزاج غامض وغريب وقد بدا عليه بعض من الذهول ، ثم استمر ثانية في الحديث :

ــ هل فرض الله كل هذه الأشياء ؟ هل هزّ الرب رأسه بالموافقة على القتل ٦ ملايين مرة .. وهو يقول : نعم ضع الضحايا في غرف الغاز للموت ؟ .

وهزّ « فرانك » رأسه في وقار وهدوء رافضًا هذا المعنى مستمرًا في الحديث :

ــ هل هذا يخلق اليأس من العدالة الإلهية ؟ لا .. لا .. هناك مؤلف إنجليزي أو أمريكي لا أذكر اسمه قد عبَّر عن هذا المعنى بوضوح .. ولكن هذا الفعل الذي تم من صنع الشيطان بالتأكيد .

١٨ يونيــو

فون بابن في دهشة

جلســة الصباح :

وصف « فون بابن » كيف استدعي من فيينا وقبل أن يأمر « هتلر » بالتحرك إلى النمسا حسب تدبير وتخطيط « كبلر » مساعد « جورنج » الذي عاد رئيسًا للجستابو ولكنه لم يأت بأية نتيجة .

وأوضح « فون بابن » أن « هتلر » قد منحه شعار الحزب الذهبي ليغطي اختلافاتهما . وربما كان من الأفضل رفضه ، ولكنه كان خائفًا من صراع جديد مع « هتلر » .

وقال « فون بابن » إنه قد قبل أن يكونِ سفيرًا في تركيا ليمنع تطويق العداء حول ألمانيا ، وليس ليبدأ الحرب وفي الحقيقة إنه قد صعق عندما سمع بنبأ اندلاعها عام ١٩٣٩ . وقال :

ــ وهذه الحرب هي أعظم جريمة وأكبر جنون لهتلر وهو أبشع عمل قام به . فألمانيا لم يكن يمكنها أن تكسب هذه الحرب . ولكنها سوف تتحول إلى خرائب في آخرها بالتأكيد .

وكان هذا هو رأي « فون بابن » الذي شرحه للدبلوماسيين من أصدقائه في ذلك الوقت . وقد اعتبر « فون بابن » أن شن الحرب على روسيا جريمة أيضًا .

ثم تكلم عن خطة الانقلاب التي يفترض أن يكون له ضلع فيها والتي تقضي بتطويق القيادة العليا للقوات السلحة الألمانية والقبض على « هتلر » وتقديمه للمحاكمة .

وقد قدم محاميه شهادة مكتوبة موقعة من حفيد « بسمارك » تبين أن « فون بابن » قد رشح كوزير للخارجية من المتآمرين في حالة نجاح مؤامرة ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ .

وعند هذا الحد من الحديث انطلقت ضحكة « جورنج » عالية مجلجلة وهو يهز رأسه ساخرًا غير مصدق . بينما احمر وجه « يودل » وصار يتلفت يمنة ويسرة ليرى إن كان قد لاحظ هذا أحد أم لا .

ســاعة الغداء :

كان « ريبنتروب » عصبيًا وغير راض عند الغداء وصار يغمغم :

ــ هل ننشر غسيلنا القذر أمام المحكمة ؟ هذا ليس من الصواب في شيء .. في الحقيقة ليس من الصواب في شيء .. ألست معي في هذا ؟ هناك أشياء لا ينبغي أن تذكر .. أوه .. بطبيعة الحال هو لم يكن بالاشتراكي الوطني الحقيقي .. هذا صحيح .. ولكن هل ننشر غسيلنا القذر ؟ .

وفي الواقع لم يذكر ما الذي ضايقه على وجه التحديد .. وقد كان الحديث في المحكمة عن الجمود والتشبث الأعمى بهتلر .. والكوارث التي صنعتها السياسة الخارجية .

وقد أخبرني « فون بابن » أنه قد أعطاهم قطعة جيدة من عقله :

ــ الرجل السمين لا يعجبه هذا .. لقد دفعني جانبًا وقال إنه سيذهب مرة أخرى للشهادة وسوف يذكر أشياء جديدة .

وقال « سبير » :

ــ هذه عملية ابتزاز غير أخلاقية بالمرة .

وقد أكدت لفون بابن أن « جورنج » لن يحصل على أية ميزة خاصة في المحكمة وليس من حقه الكلام مرة أخرى ، ومثله في هذا مثل أي متهم آخر .

وقال « شاخت » إنه ليس هناك شك مطلقًا في أن « جورنج » كان على ارتباط وثيق بالجستابو منذ أن كان رئيسًا له لفترة قصيرة .

وجلس « دونيتز » في ركن وحده مبتعدًا عن السياسيين وأحاديثهم .

جلســة بعد الظهر :

أثناء إجراء الاستجواب قام السير « دافيد ماكسويل فايف » بتقديم مفاجأة لـ « فون بابن » كان وقعها عليه شديدًا ، فقد أظهر مقتطفات من خطبه التي كان يقول فيها : (إن هتلر هو رسول العناية الإلهية ليخرج الشعب الألماني من الظلمات إلى النور ويخلصه من الشقاء الذي يعانيه) .

وضحك « جورنج » ساخرًا بصوت عال كعادته ، بينما صار الجميع يحكون أنوفهم وهم ينظرون ناحية « فون بابن » ويدارون سخريتهم .

وقد رفع « دونيتز » نظارته عن عينيه ونظر إليَّ تلك النظرة التي عودني عليها والتي يقول فيها : هل ترى ؟ وهو تعبير يكرره دائمًا ليعبر به عن عدم رضاه لنفاق السياسيين .

أما « فون بابن » فقد قال إن مثل هذه الخطب كانت تتم تحت ضغط في الوقت الذي نريد فيه من « هتلر » أن يحافظ على الائتلاف .

وقد أظهر له السير « دافيد » بعض المستندات والشواهد التي تدل على أنه قد أعدّ مشروعًا بالفعل لإلغاء الائتلاف .

وقد شجب السير « دافيد » فكرة تعاون « فون بابن » مع عصبة من المجرمين ،

وسأله عما إذا كان يجهل أن هناك آلاف السياسيين وأصحاب الرأي قد ألقى بهم في المعتقلات في اللحظة التي وصل فيها الحزب النازي إلى الحكم .

وقال « فون بابن » كلامًا يحتوي على معنيين حول الرقم الذي ذكر :

ـــ نعم كان هناك بعض المعتقلين .. ربما بضع مئات ليس أكثر ..

وهنا ارتفع صوت « جورنج » من القفص عاليًا :

ـــ لا .. لقد كان هناك بضعة آلاف .

واستمر الاستجواب .

لماذا كانت رغبة « فون بابن » شديدة في أن يجعل الكاثوليك يؤيدون « هتلر » ؟ وأوضح « فون بابن » أن وجهة نظره حول هذه النقطة تتمثل في أن « هتلر » ربما يعمل على دعم القيم الدينية في ألمانيا .

وأثناء الاستراحة شرح « يودل » وهو يتميز من الغيظ كيف استخدمت سفارة ؟ « فون بابن » في أنقرة كمقر للتجسس والتخريب ، وقال إنهم قد قاموا بأعمال جيدة بالفعل . واستطاعوا مرة الاستيلاء على مستندات لعميل بريطاني ، وعرفوا كيف كانت بريطانيا تتفاهم مع تركيا حول استخدام بعض المطارات أو وضعها تحت تصرفهم .

وأوضح « روزنبرج » و « فرانك » أن هناك الكثيرين قد تم اعتقالهم كجزاء لتلويثهم للمثل الوطنية .. مثل ذلك الرجل البجعة « فون أوسيتزكن » الحائز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٣٥ ، بالإضافة إلى بعض قادة الأحزاب .

وقد أكَّد لي « فرانك » :

ـــ لا .. ليس هناك شك في أن ألمانيا كانت أمام خيارين ، إما الشيوعية وإما الاشتراكية الوطنية .

وقد وافق كل من « فون بابن » و « شاخت » على هذه المقولة .

تدرج السير « دافيد » في المناقشة مع « فون بابن » حتى كاد أن يبكيه ، بداية من الاستقالة التي لم يصر عليها بعد حمامات « روهم » الدموية . ثم قبوله منصبًا بعد ثلاثة أسابيع من تقديمه الاستقالة . وقرأ له خطابه الذي أرسله إلى « هتلر » والذي يعود فيؤكد له فيه ثقته ثانية ، وأنه يؤيده دائمًا ، ويحيي فيه أستاذيته في توحيد القوى وتثبيتها بعد القمع البطولي الذي تم في القضاء على « روهم » وعصابته .

وقال له السير « دافيد » في كلمات كأنها طلقات الرصاص :

ـــ لقد كنت على استعداد للسير معهم ومساعدتهم وتأييدهم إلى أبعد مدى ، ومهما فعلوا ما دات كرامتك لم تمس .

واعترض « فون بابن » على هذا اللمز . ولكن « جورنج » سخر ضاحكًا وقال :

ـــ هذا صحيح تمامًا .

وهزَّ « رينتروب » رأسه علامة موافقة «جورنج » على ما قال .

واستمر السير دافيد موجهًا الخطاب لفون بابن :

ـــ لقد كنت تعلم أن « هتلر » حريص على مكانته ومقامه بين الكاثوليك ، وأن تأييدهم له في ذلك الوقت الذي يعارضه فيه العالم كله له أهميته وضرورته . وكنت تستطيع المساعدة في القضاء عليه بمجرد إعلانك أنك تعارضه .

وقد أجاب « فون بابن » على هذه النقطة مرتبكًا مترددًا :

ـــ هذا صحيح . نعم . أظن أنه صحيح . ولكني لو فعلت ذلك لاختفيت من الوجود مثلما حدث لزميلي .

واستمر السير « دافيد » في كلامه وهو يدق بعباراته كمطرقة مؤلمة فوق رأس

« فون بابن » الغارق في عرقة :

ـــ بالرغم من مذبحة « روهم » ورفاقه . وبالرغم من اغتيال مساعديه . وبالرغم من اغتيال « دولفوس » . وبالرغم من السياسة الخارجية المؤدية إلى حرب مؤكدة . فقد ظلَّ « فون بابن » عضوًا في الحكومة . لماذا ؟ لماذا ؟ .

وارتبك « فون بابن » وبدا عليه الاضطراب وهو يحاول الإجابة بطريقة قاصرة غير مقنعة ، ثم صار مغتاظًا لارتباكه وقال :

ـــ كان هذا إحساسا بالواجب من وجهة نظري .

١٩ يونيـــو

جلســة الصباح :

واستمر السير « دافيد » يبين أن « فون بابن » قد قدم المساعدة للحزب النازي في النمسا وحقق له الراحة في النشاط والعمل ، وذلك عندما كان سفيرًا لهتلر في فيينا . وهو في الواقع قد قدَّم نفسه وكأنه (حصان طروادة) الكاثوليكي لتحقيق المصالح النازية في النمسا بطريقة أكثر وأشد تأكيدًا .

وقد أجاب « فون بابن » أنه كسفير لألمانيا في النمسا فمن أول واجباته أن يعمل على تحقيق أهداف حكومته وأن يسير وفقًا لسياستها وأن لا يدخر جهدًا من أجل هذا . وأنه لم ينكر أبدًا أن ثمة ضغطًا قد تم على « شوشنج » من أجل تحقيق (الأنشلوس) .

وهنا أشار السير « دافيد » إلى أن « رينتروب » سبق أن أنكر هذا .

وأثناء الاستراحة جلس « فرانك » والمجموعة واقتربت رءوسهم بعضها من بعض ،

يدافعون عن (الأنشلوس) . وقال « فرانك » :

ـــ ما الذي يعنيه بحصان طروادة الكاثوليكي ؟ لا يستطيع أحد أن يقف ضد قانون الطبيعة . فالشعب النمساوي والشعب الألماني شعب واحد ، ولا يمكن أبدًا فصلهما . ومن يحاول ذلك مثله كمثل الذي يحاول أن يفصل شيئًا من قوى الطبيعة لا يمكن فصله ، كأن تفرق بين الشمس وأشعتها .

وتطوع « فريك » قائلاً :

ـــ لا أظن أن السير « دافيد » يفهم حقيقة الموقف النمساوي .

وقال « روزنبرج » مستهزئًا :

ـــ أوه .. نعم .. أظنه يفهم .. دع هذا للرجل الإنجليزي .. إنه يفهم الموقف جيدًا بما فيه الكفاية .. يفهمه بالطريقة التي يريدها .. إنها غاية الحماقة من هذا الإنجليزي أن يجعل من مساعدة الاشتراكية الوطنية جريمة . ما الذي يتوقعه بالضبط ؟ إنه من أكثر الأشياء طبيعية في العالم أن يعمل السفير الألماني لتحقيق التعاون مع الاشتراكية الوطنية النمساوية .

وأعاد « سايس انكوارت » ما سبق قوله في أيام سابقة من أن « دولفوس » كان في الحقيقة ديكتاتورًا يحيط نفسه بأقلية صغيرة جدًا من رجال الدين . ولم يكن أبدًا يمثل الإرادة الحقيقية للشعب النمساوي .

وعاد « فرانك » للخط الروسي القديم الذي يركن إليه في الكلام وضرب المثل :

ـــ كم أود أن يخضعوا أنشلوس روسيا مع أذربيجان بنفس المنطق والمحاورات والمستندات .. ها .. ها ..

ثم أشار « فرانك » بإصبعه ناحية منصة القضاة وقال :

ـــ دعهم يفحصوا هذه الأشياء وسوف نرى من الذي سوف يحمر وجهه خجلاً .

ثم صار يقدم بعض الأفكار والنظريات من التاريخ وقال :

ـــ نحن البافاريين الذين خلقنا النمسا وأوجدناها .

ثم عاد إلى العصور الوسطى وكيف كان الملوك المستبدون وقتها وحتى عصر النهضة يقيمون المذابح من أجل الوحدة .. إلخ .. إلخ ..

وكان السير « دافيد » يريد أن يعرف كيف ـــ وبعد سنتين من الاتفاق البابوي ـــ كتب « فون بابن » إلى « هتلر » في يوليو سنة ١٩٣٥ تقريرًا وصف فيه سياسته بأنها « اليد الماهرة التي أبعدت وتخلصت من الكثلكة السياسية دون أن تمس المؤسسات المسيحية الألمانية » .

وقال « جورنج » ساخرًا :

ـــ عليه أن يحاول جاهدًا العثور على إجابة مناسبة لهذا السؤال .

واستمر السير « دافيد » في الهجوم على « فون بابن » دون رحمة :

ـــ لماذا بقيت بعد تكرر القتل لمساعديك ؟ والمعارضين السياسيين ؟ وقادة الدولة السابقين ؟ لقد فعل النازيون هذا وأنت باق في الحكومة وكان « فون بابن » يجيب بشعور من الغضب والكراهية أنه قد فعل هذا بشعور وطني يدفعه للاستمرار ، وأن تصرفاته كانت تنبع من ضميره وإحساسه بما ينبغي عليه عمله .

وكان « فون بابن » يحاول التخلص من أسئلة السير « دافيد » العنيفة بين سخرية « جورنج » ومن معه للموقف الصعب الذي يقفه في الاستجواب .

ســاعة الغداء :

كان « فون بابن » يبدو غاضبًا مماحدث وقال :

ـــ ليست لدى السير « دافيد » معرفة بالحقائق ، وكل ما يحاوله هو تلويث

اسمي وشخصي .

لقد قلت أنه عليّ أن أبقى كألماني وطني مخلص . هل هذا أمر يصعب فهه ، وهل من الصعب أن يقف الإنسان هكذا في مثل هذه الظروف ؟ .

وقال « شاخت » يواسيه :

ـــ نعم .. أنا أعرف جيدًا هذا الصراع الذي ينشأ داخل الإنسان مع ضميره . أن يضع الوطنية في الميزان مقابل الأشياء الأخرى . لقد كنت أعاني من نفس الشيء يا عزيزي « فون بابن » .

جلســة بعد الظهر :

وفي جلسة بعد الظهر وجه رئيس القضاة لورنس سؤالاً لفون بابن :

ـــ كيف ينسب « فون بابن » الفضل إلى نفسه في إنقاذ عشرة آلاف يهودي من القتل في معسكرات الإبادة ، وفي الوقت نفسه يقول إنه لم يكن يعرف شيئًا عن هذه الفظائع في ذلك الزمن ؟ .

ولم يستطع « فون بابن » أن يشرح هذه النقطة بطريقة مقنعة .

٢١

الدفاع عن سبير



٢٠ يوليو

سبير يتبرأ من هتلر

جلســة الصباح :

شرح « سبير » كيف أخذ على عاتقه مهمة إنتاج الحرب . وقد تصاعدت قوته وسلطته من سنة ١٩٤٢ م إلى سنة ١٩٤٤ حتى أنه كان في سلطانه وتحت إدارته ١٤ مليون عامل .

ســاعة الغداء :

وأثناء الطعام قال « كايتل » محدثًا « ساوكل » و « فرانك » و « سايس إنكوارت » ، وكان صوته مسموعًا أثناء الحديث .

ـــ لو كان هناك شخص عنده الإقدام والشجاعة في عام ١٩٤٣ م ليخبر « هتلر » أننا قد خسرنا الحرب لكنا قد أنقذنا الشيء الكثير ولكنا حصلنا على اتفاق طيب .

والرجل الوحيد الذي كان يستطيع هذا هو « سبير » ، لأنه الشخص الوحيد أيضًا الذي يعرف أنه لا يمكن إنتاج دبابات وطائرات وذخائر بالقدر الذي يفي بالحاجة بحيث نستطيع كسب الحرب .

وكان « ساوكل » في غاية الغضب لأن « سبير » قد وضعه في صورة غير لائقة بالنسبة لموضوع العمال العبيد . وكان يشكو غاضبًا من أن « هتلر » و « سبير » كانا لا يكفان عن الضغط عليه بالأوامر لاستحضار العمال بأية كيفية لخدمة القوات المسلحة وصناعة الحرب .

وكان كل من « كايتل » و « ساوكل » يريان أن « سبير » يجب أن يلام على كل ما حدث .

جلســة بعد الظهر :

في جلسة بعد الظهر أدلى « سبير » ببيان حول مسئوليته العامة فقال :

ــ إن من أكثر الأشياء حساسية ودقة أن « هتلر » قد تنصل من مسئوليته تجاه العالم بأن قتل نفسه .

واستمر يصف وجهة نظره حول ما حدث .

لقد أمر « هتلر » بعمل حملة صحفية مكثفة شعارها (نحن لن نستسلم أبدًا) وهو ما يجعل أية مفاوضات للسلام لا يمكن أن تأخذ فكرتها طريقها للوجود . ولن تكون هناك أية جدية لأي حديث حول السلم . ولعلنا نذكر خطبته الشهيرة عام ١٩٤٤ للمفوضين الألمان وقادة الحزب النازي ، والذي بين فيها أن الشعب الألماني لا يرضى الاستسلام إذا خسر الحرب . وقد وجه اللوم إلى الشعب لهذه الكارثة ولم يلم نفسه في شيء . وكان يؤكد على القتال حتى النصر أو تدمير كل شيء في الوقت المناسب ، ليعلم كل إنسان أنه لن يتبقى في ألمانيا غير الخرائب .

وكانت سياسة (الأرض المحروقة) التي اتبعها تظهر في مساحات شاسعة من الأراضي الألمانية حيث كانت هذه هي الطريقة التي تتعامل بها الجيوش .

وصار من الواضح أنه إذا خسرت ألمانيا الحرب فإن « هتلر » يريد أن يدمر الشعب الألماني نفسه معه عندما يتأكد ذلك .

ووسط هذا اليأس والقنوط فقد رأى « سبير » أن الطريقة الوحيدة للخلاص من هذه الكوارث المنتظرة هي اغتيال « هتلر » .

وكان « سبير » حريصًا على ذكر تفاصيل هذه المؤامرة ولكن الحكمة طلبت منه أن يؤجل هذا إلى ما بعد الاستراحة .

وأثناء الاستراحة كان هناك توتر شديد وإثارة بالغة بين المتهمين في داخل القفص .

فقد عبر « فرانك » عن تناقضه الوجداني المثير تجاه « الفوهرر » . فقد بدأ يوضح للآخرين أنه لا بد لهم بالفعل أن يعرفوا الحقيقة . ثم استنكر تلك المحاولة لاغتيال « هتلر » .

وقال « روزنبرج » إنه ما دامت تلك المؤامرة التي استهدفت اغتيال « هتلر » لم تذهب بعيدًا ولم يقدر لها أن تكون فقد كان من الملائم أن يسكت عنها « سبير » ولا يذكر عنها شيئًا .

وقد استطاع « جورنج » أن يضبط نفسه ويحقق رياضة داخلية بأن يمنع نفسه من التعليق ، وأن يذكر رأيه بوضوح .

وشرح « سبير » خطته لقتل « هتلر » بوضع غاز سام في فتحة التهوية المؤدية إلى القاعة التي يجلس فيها . وقال إنه في ذلك الوقت كان من السهل الحصول على بعض المتعاونين الذين يرغبون في العمل من أجل وقف الحرب ووقف تلك الأوامر المخبولة بالتدمير . ولم يكن هناك غير « هتلر » الذي يمكنه إصدار مثل هذه الأوامر المتوحشة .

وقد اقتطف « سبير » بعض الفقرات من خطاباته الخاصة التي يؤكد من خلالها تلك المحادثات التي تمت بينه وبين « هتلر » فقد قال « هتلر » : « إذا كنا سوف نخسر الحرب فإن الأمة يجب أن تذهب هي أيضًا . وهذا قدر لا مناص منه . وليست هناك ضرورة من الإبقاء على الأساسيات الأولى فعلى الناس أن يعيشوا حياة بدائية تمامًا ــ من يتبقى منهم ــ وعلى العكس من ذلك فقد يكون من الأحكم أن نقوم نحن بتدمير كل شيء بأنفسنا . لأن شعبنا قد دلَّ على أنه الأضعف والذي يبقى وحده مستقبلاً تابعًا لأقوى أمم الشرق . وبجانب هذا فإن هؤلاء الذين يبقون بعد انتهاء المعارك هم الضعفاء المستذلون أما أصحاب القيم العليا والعناصر الكريمة فقد ذهبوا في الحرب » .

وأصدر « الفوهرر » الأوامر بأن تستمر الحرب دون النظر إلى التجمعات السكانية الألمانية والتصرف كأنه ليس لها وجود . وقد أخذ « سبير » على عاتقه مهمة الحفاظ على الصناعة الألمانية وحمايتها رغم هذه الأوامر ، حتى إنه قد أحاط المصانع بالمدافع الرشاشة لحماية المصانع من التدمير الذي يمكن أن يقوم به المفوضون النازيون .

وقد عزا « سبير » كل هذه التصرفات إلى ولائه للشعب الألماني . وكان هذا هو واجب القادة في التصرف عندما خان « هتلر » الشعب وقامر بقدره ومستقبله .

وكان هناك ردان للفعل تجاه « سبير » في نهاية الجلسة .

تمثل واحد منهما في قول « شاخت » :

ــ هذا هو أعظم ما سمعته من دفاع . وهذا هو الوضع الذي يجب أن يأخذه أي ألماني مخلص له ولاء .

وتمثل الآخر في قول « فونك » وهو يكاد يبكي :

ــ في الحقيقة ينبغي أن يشنق بحبل من العار .

وقد غادر « جورنج » القفص دون كلمة واحدة في الوقت الذي ينتظر فيه

الآخرون دورهم في الذهاب إلى السجن .

وقد عبر « روزنبرج » عن ازدرائه لهذا الاستنكار الذي أعلنه « سبير » ضد القيادة النازية وزعماء الحزب فقال :

ـــ حسن .. لم تكن لديه الشجاعة ليذهب إلى « هتلر » ويطلق عليه الرصاص . وما هذا الذي يتكلم عنه ؟ ما أسهل التفاخر وإبداء الزهو من شيء حاك في صدرك وفكرت أن تفعله .. مجرد خاطر .

السجن في المســاء

زنزانة « سبير » :

وفي زنزانة « سبير » بالدور الأسفل كان يرقد بملابسه وقد بدا عليه التعب الشديد ويشكو من ألم في معدته . وقال :

ـــ حسن .. كان هذا هو مجرى الأحداث .. وقد أخرجته من صدري .. لقد قلت الحقيقة وكانت هذه الأشياء في طريقها للحدوث . ولم أكن بهذا الجنون حتى أوافق « جورنج » في محاولته لتزييف التاريخ من خلال أسطورة للبطولة كاذبة قد نشأت من العفن والفساد . وهو على وجه التحديد ليس له الحق أن يصنع من نفسه بطلاً لأنه كان تعسًا وكان أجبن من رأيت في أكثر الساعات دقة من تاريخ أمتنا ..

٢١ يونيــو

سبير يقف للاستجواب

جلســة الصباح :

وأثناء الاستجواب الذي تم بمعرفة المدعي العام « جاكسون » فإن « سبير » قد

أقرّ أنه استخدم المعتقلين للعمل وأنه هدَّد بإلقاء الذين يحاولون الهرب في معسكرات الإبادة .

وأنه قد اتفق مع « هملر » على أن يتم إنتاج خمسة في المائة من إنتاج الحرب بمعرفة العمال الذين يحضرونهم من معسكرات الاعتقال .

وقد أقر أيضًا أن المجهود الحربي قد تأثر تأثرًا شديدًا نتيجة لسياسة معاداة النازية .

وقد أقر أيضًا أنه قد استخدم العمال من معسكرات الأسرى والعمال العبيد الأجانب دون النظر لشرعية هذا التصرف أو عدمه .

وقال إنهم كانوا يستعدون تبعًا لأوامر « هتلر » باستخدام حرب الغازات السامة على الرغم من أن قيادة القوات المسلحة الألمانية كانت معترضة على هذا . والكل يعرف أن نتيجة هذا التصرف سوف تعود على ألمانيا بأسوأ ما يحدث للحلفاء .

وأكَّد أن مجموعة من المتعصبين الذين كانوا ملتفين حول « هتلر » هم الذين كانوا يشجعونه ويوافقونه على استمرار الحرب رغم إدراك الجنرالات أن الحرب قد خسرت .

وقد زمجر « جورنج » عندما كشف « سبير » عن رأي « هتلر » الذي قال عنه : « شخص فاسد مرتش مدمن للمخدرات » .

وكشف أيضًا كيف منع « جورنج » الجنرال « جالاند » من أن يذكر الحقيقة حول حقيقة قوة المقاتلين واستعدادهم .

وأثناء الاستراحة قال « فرانك » :

ــ حسن .. أظن أنه من الأحسن الجلوس هنا خير من محاكمة ألمانية بسبب الخيانة . لا تنس أن « سبير » كان أحد الذين قد أكدوا النصر للناس وأخبروهم

أنه قادم . وساعد على انتشار هذه الفكرة في الشعب من خلال خطبه الضخمة الملتهبة ، والتي يقول فيها إنه سوف يطهر سماء ألمانيا من طائرات العدو لأن هناك طائرات جديدة يعمل على إنتاجها سوف تحرس سماء ألمانيا في وقت قريب . وما الذي تظنه قد أبقانا على قيد الحياة في (كراكاو) ؟ إنه اليقين من النصر الذي سوف تحققه الجيوش الألمانية .

وقال « يودل » إنه قد فهم الحالة جيدًا بعد أن انكسرت الجيوش الألمانية في روسيا . ولكنه يرى على شكل ما أنه ليس من المناسب أن يتآمر « سبير » ضد « هتلر » في الوقت الذي كان « هتلر » يقدم له كل معروف وإحسان وتقدير له ولأطفاله .

وقال « يودل » إنه لم يفكر في اغتيال هتلر حتى بعد أن تأكد من أنهم قد خسروا الحرب ، وأن هذا التفكير لا ينبغي أن يكون . ولكن « سبير » قد أظهر طبيعة غير طيبة في أعماقه عندما فكَّر في اغتيال « هتلر » في الوقت الذي كان فيه من أخلص أصدقائه .

وأخبر « فرانك » « فون بابن » أنه كان سيحظى بمعاملة طيبة في الاستجواب لو كان قد قام بمحاولة لاغتيال « هتلر » أيضًا . ثم ألقى عليَّ محاضرة في الإحساس الألماني بالولاء الذي ينبغي أن يكون . وأنهم لا يمكن أن يوافقوا على اغتيال رئيس الدولة ، وأنه ينبغي علينا أن نرى القضايا من كل جوانبها ، وليس من جانب واحد فقط .

وصار « جورنج » يسب ويستمطر اللعنات على الخونة ويؤكد أن الأقدار وحدها سوف تتولى عقابه .

أما « دونيتز » فقد كان يقول بصوت ضعيف هادئ إنه كان على « سبير » أن يروي الحقائق كما رآها وعاينها . ولكنه لم يكن له أن يقول ما قاله عني في المحكمة . لقد ظننت أنه يريد أن يعطي التصور العام لما كان يحدث فقط .

ســاعة الغداء :

وأثناء الغداء أعلن « فون بابن » بوضوح وفي كثير من الارتياح :

ـــ لقد قضى كلام « سبير » على ذلك الرجل السمين « يقصد جورنج » وتصور معي أن يعطي أمرًامباشرًا لجنرال في الجيش ألا يذكر الحقيقة .

وقد وافق كل من « شاخت » و « فون نيوراث » على أن « جورنج » قد انتهى تمامًا أمام الشعب الألماني .

وفي غرفة طعام الشباب كان كل من « فون شيراخ » و « فريتشه » و « سبير » في حالة بشر وحبور وهم يهللون لنهاية أسطورة « هتلر » و « جورنج » . في الوقت الذي عبَّر فيه « فون شيراخ » أنه كان يشعر من قبل بشعور صعب شبيه بمن يعرف أنه يجلس فوق برميل مليء بالديناميت . وهو يقصد بذلك الفترة التي كان فيها على وفاق مع « جورنج » أثناء سير المحاكمة .

وكانت الأصوات تتداخل وترتفع وتنخفض وكلها تتحدث عن الماضي القريب الذي انتهى بالهزيمة ، وكيف وصلوا إليها .

جلســة بعد الظهر :

انتهى الاستجواب الذي قام به المدعي العام الروسي في جلسة بعد الظهر . ووجَّه القاضي « بيدل » سؤالاً إلى « سبير » عما يقصده بأنه كان مسئولاً مسئولية عامة ، وهل يمكن تقديم أمثلة محددة حول هذا .

وقد قال « سبير » إن الحكومة وأعضاءها مسئولون عن السياسة العامة العريضة لها ، وهم أيضًامسئولون عن كل تصرف عدواني ، وكذلك عن بداية الحرب وعن طريقة نهايتها .

السجن في المســاء

زنزانة « سبير » :

وفي المساء عندما كنت في زيارة « سبير » أخبرني أن أكبر وأعظم ما أثَّر في المتهمين وهم في القفص بالمحكمة هو ما قرَّره من مشاركتهم جميعًا في المسئولية العامة . وقد كان لهذا التصريح الاعتبار الكامل في نفوسهم . وقد كان الجميع غاضبين لهذا عدا « سايس انكوارت » الذي كان يؤيده دائمًا حول هذه القضية ضد الشك الذي كان يساور مجلس دفاعه عن هذه النقطة وآثارها .

وقال « سبير » :

ــ وها أنت تراهم جميعًا وقد أصابهم الجنون فقد صارت رءوسهم تحت المقصلة . ولكن تخيلهم وقد انتصروا وكيف كانوا سيتدافعون لنسبة نتيجة النصر إليهم ، وكيف أنهم جميعًا قد شاركوا في صنعه وهم المسئولون عنه .

وقال « سبير » إنه لم يكن مستعدًا تمامًا للإجابة عن ذلك السؤال الذي سأله القاضي « بيدل » . وود لو كان يستطيع أن يكتب للقاضي خطابًا يتضمن الكثير من التفاصيل حول هذه النقطة .

وهو يشعر أيضًا أن قادة الحكومة ليسوا مسئولين فقط عن بداية الحرب ونهايتها وما حدث فيها ، ولكنهم مسئولون أيضًا عن السياسة العنصرية ، وعن التصرف وكأنه ليس هناك قانون يحكم البلاد .

ومع الأخذ في الاعتبار أنه كان وزيرًا في الحكومة فهو يعرف أنه كان مسئولاً أيضًا وبشكل عام ويتحمل نصيبًا من المسئولية حول تلك السياسة العنصرية وتعليمات الإبادة رغم إنكاره وشجبه لها . ولكنه لم يكن موافقًا وجريمته تكمن في موافقته من عدمها . وهي أمور قد وصلت أخبارها إليه في الأيام الأخيرة . وقد

قرَّر « سبير » أن يتوسع حول هذه النقطة في الكلمة الأخيرة التي يسمح له بها في نهاية المحاكمة .

٢٢ ـــ ٢٣ يونيــو

عطلة نهاية الأسبوع في السجن

زنزانة « جورنج » :

كان « جورنج » يحاول أن يكون معتدلاً في إعطاء رد فعله وانطباعه عما قاله « سبير » واستنكاره المؤثر في المحكمة . وقال :

ــ أي مأساة كوميدية تلك التي تدور ؟ ألا ترى الأمر مضحكًا !؟ لقد كرهني « الفوهرر » وأمر بإطلاق الرصاص عليَّ في النهاية ! إذا كان هناك أي استنكار أو شجب لأعمال « الفوهرر » فالشخص الوحيد الذي له الحق الأول في هذا هو أنا . وليس هؤلاء الآخرين ، مثل « سبير » و « فون شيراخ » الذي ظلَّ تحت رعاية « الفوهرر » إلى اللحظة الأخيرة ! ما الذي سيحصلون عليه من سبه وشتمه بهذه الطريقة ؟ أنا لم أفعل ذلك رغم أنني صاحب الحق فيه كما قلت . ولم أفعله لأنه يتعارض مع المبادئ والمثل وهذا هو السبب ! هل تظن أنني أحمل أي حب شخصي لهتلر ؟ لا .. ولا أقل القليل ! أنا أؤكد لك أنني لا أفعل ذلك بسبب المبادئ . أنا أؤكد ولائي له حتى النهاية ولن أعود في هذا أبدًا . ولم يكن هناك ما يمكن عمله معه بشكل شخصي وهي مسئوليتي في المشكلة .

وعليك أن تفصل بين شيئين بالنسبة لتوجهات « فون شيراخ » ليس له شأن ولن يحصل على فائدة من قوله إن « هتلر » قاتل .. حسن .. ربما تقول لي ولكنها حقيقة .. فليكن .. كان يمكنه قولها بطريقة مختلفة على الأقل .

وقلت له :

ــ ألا تظن أن هذا التصور الذي يرجع إلى العصور الوسطي عن الولاء والطاعة والوطنية لم يعد يصلح مع عالم اليوم . وأن الناس سوف يفكرون بطريقة مختلفة في مستقبل الأيام .

وقال :

ــ حسن . لندع هؤلاء الذين ينتمون إلى المستقبل يفكرون بالطريقة التي يرونها وبشكل مختلف .. ولكني سوف أظل كما أنا وكما كنت دائمًا .. نعم (آخر الوجوه القادمة من عصر النهضة) . هذا إذا سمحت لي .

وابتسم لأنه أخذ جملة شاهده « كورنر » واستخدمها . وكان هذا الشاهد قد قالها وهو يحلل شخصية « جورنج » أمام المحكمة . وأكاد أقسم إنه الذي أوحى للشاهد بهذه الجملة كي يقولها بكلماتها أثناء شهادته .

وقال « جورنج » :

ــ لا تتوقع وعمري الآن اثنتان وخمسون سنة أن أغير ما أومن به وأن أبدل ضميري وأن تختلف رؤيتي للأمور هكذا فجأة .

وكان هذا دليلاً على أن « جورنج » يعاني ضجرًا من الحقائق التي تقف في وضوح أمامنا الآن . وأنه يؤكد ولاءه لقاتل قد ثبتت جريمته . ولكنه يحاول جاهدًا أن يبقى على ولائه من زاوية ما ، تبدو معقولة ولو أمام نفسه فقط .

زنزانة « سبير » :

بينما كان « جورنج » يحاول أن يرسم لنفسه صورة رجل الحضارة والثقافة الذي يقف فوق كل اعتبار . كان « سبير » يكشف عن رأيه الأخير في بربرية

« جورنج » وهمجيته في قفص المتهمين قائلاً :

لو قدر لي أن أخرج حيًا من هذه المحاكمة فقد علمت أن (أنثى الكانجارو) ــ يقصد جورنج ــ سوف يعمل على اغتيالي بسبب تهمة الخيانة .

وضحك « سبير » بعصبية ، وهو يعلم أن (أنثى الكانجارو) قد ضربت في مقتل عبر القرون القادمة من الثوريين الألمان الذين قد يأتون في مستقبل الأيام من الغيب .

وقال « سبير » إن « جورنج » يستخدم هذا التهديد بالاغتيال لتخويف الآخرين . إن لم يكن هو شخصيًا يخشى ذلك .

وقال « سبير » :

ــ سوف ترى بنفسك . بينما تقترب المحاكمة من ذروتها ونهايتها ، سوف يفقدون القدرة على التحكم في أعصابهم وانضباطهم ، وسوف تسقط جميع الأقنعة المهذبة التي تراها . وسوف تراهم على حقيقتهم .

وسألني عما إذا كنت لاحظت « جورنج » وهو يلتفت بجسده السمين ناحية الضباط الأمريكان والصحفيين الذين كانوا اليوم ، متظاهرًا بالشجاعة والتماسك والعظمة ؟

وقلت له : نعم لقد لاحظت ذلك .

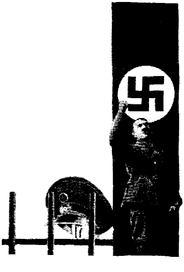
وأخبرني « سبير » أن ذلك التهديد بالاغتيال شيء يكمن في ضمير « جورنج » وأخلاقه وطريقته وشخصيته الحقيقية .

وأخبرني « سبير » أيضًا أن طبيب السجن الألماني قد أخبره أن « جورنج » قد قال إن أسود الأيام التي مرت عليه في حياته هو يوم الجمعة .

وقد أخبر « جورنج » محاميه وبعض الآخرين أنه سوف يقول كلمته الدفاعية ملخصًا فيها كل ما يريد قوله جملة في الكلمة الأخيرة التي يسمحون بها لكل متهم .

٢٢

الكلمات الأخيرة



٣ يوليــو

علم الأجناس

أثناء مناقشة « فريك » للمسودة الخاصة بالخطبة النهائية التي سيقولها محاميه أمام المحاكمة دفاعًا عنه أخبره أنه لم يكن أبدًا معاديًا للسامية ، ولم يكن يحمل كراهية لليهود . وقد قام بصياغة (قوانين نورمبرج) من منطلق علمي لحماية الدم الألماني . ورفض أن يقوم المحامي بتقديم اعتذار نيابة عنه أمام المحكمة بسبب هذه القوانين . وطلب منه أن يذكر بوضوح أن صياغة هذه القوانين قد تمت لأسباب علمية وليس بسبب الكراهية والازدراء لجنس ما .

٥ يوليــــو

قدم الدكتور « شتومر » الالتماس الخاص « بجورنج » هذا الصباح .

وأوضح « سبير » أثناء الغداء أن « جورنج » يرفض أن تكون هناك أية مسئولية أخلاقية أو قانونية لها علاقة بأية جريمة من جرائم النازي .

وهو يظن أن الأمر مثير للاهتمام من نقطتين :

الأولى : أنها تظهر « جورنج » متجردًا تمامًا من الحس الأخلاقي .

والثانية : أنه عندما تنتهي ظروف العرض المليء بالتظاهر والادعاء ، فإنه يبدو مثل أي شخص قد استبد به القلق لإنقاذ رقبته مثله في هذا مثل أي شخص . وأن هذا الشكل البطولي الذي يأخذ سمته عندما يقف أمام المحكمة ما هو إلا مهزلة مضحكة لا معنى لها .

وطلب مني الدكتور « شتومر » بأن أهتم جيدًا بالاستماع إلى خلاصة دفاعه الذي سوف يتم في جلسة بعد الظهر ، لأنه سوف يقدم تحليلاً هامًا لشخصية « جورنج » الأمر الذي قد يثير اهتمامي كمحلل نفساني .

وأظن أن « جورنج » هو الذي دفعه إلى هذا ، لأن « شتومر » لا يقوم بفعل أي شيء دون أمر مباشر من موكله .

وكانت التحليلات النفسانية الخاصة بخصائص شخصية « جورنج » تفيد بأن نظراته للأمور نتيجة لإحساسه العميق بالولاء والوطنية الذي يعود على نحو ما إلى العصور الوسطى بما فيها من فروسية وشهامة وفخر بالقومية التي ينتمي إليها .

وعندما انتهى الدكتور « شتومر » سألني عن رأيي فيما سمعت . وقلت له إن هناك جانبًا آخر من شخصية « جورنج » وأنه قد تجاهله تمامًا ولم يذكره .

وضحك الدكتور « شتومر » كثيرًا وقال :

ــ أنت محق بطبيعة الحال . ولكن هذا ما ينبغي أن نقوله أمام المحكمة .

٨ يونيــو

انتهى الدكتور « هورن » من دفاعه عن سلوك « ريبنتروب » .

وقد أكد الجميع لريبنتروب أن محاميه قد قدم التماسًا ودفاعًا جيدًا .

وأثناء الغداء قال « ريبنتروب » إنه راض تمامًا على ما قاله الدكتور « هورن » وكيف أوضح أن السياسة الخارجية تقرر بمعرفة « هتلر » ثم عليه هو أن يقوم بتنفيذها . وأن مشكلة العدوان قد نوقشت على أعلى مستوى آنذاك .

وعلى أي حال فهو لم يكن مرتاحًا بعض الشيء أن محاميه لم يستخدم شيئًا مما كتبه وأعده حول قضية معاداة السامية ، والتي تظهر جيدًا أن « ريبنتروب » لم يكن ممن يعادون السامية . وعلى أي حال فقد أخبرني أنه سوف يسلمني هذه المقالات ، أو ربما يكون من الأحسن أن يعاود كتابتها بشكل أفضل ، لأنه يريد أن يعرف الشعب أنه لم يكن معاديًا للسامية حقيقة ، ولو أنه كان عضوًا في حكومة تعادي السامية .

وعند هذه النقطة من الحديث جاء « شترايخر » وسمع الجزء الأخير منه وقد أكد لريبنتروب أنه لم يكن محسوبًا على أولئك الذين يعادون السامية .

وكانت سعادة « ريبنتروب » عظيمة لهذا التصريح من « شترايخر » وقال لي :

ـــ انظر .. هل ترى ؟ .. هل سمعت ؟ لقد جاءك التصريح بحالتي حول هذه القضية من مسئول يعرف جيدًا طبيعة أعضاء الحكومة حول هذا .

كانت عناوين الصحف اليوم مثيرة ، وكان العنوان الرئيسي في الصفحة الأولى لجريدة (ستارز آندستربس) يقول :

جورنج يتآمر لإخفاء خمسين مليونًا .

وقد أوجد هذا العنوان نوعًا من القلق والهياج بين المتهمين .

وقد قال « فون شيراخ » :

ـــ إن هذا هو أكبر شيء قد ظهر ليدمر « جورنج » لفترة طويلة من الوقت .

فإن الشعب الألماني سوف يهتاج لفكرة أن « جورنج » يحاول أن يخفي شيئًا لا يشعر به أحد في أمريكا ليأتي يومًا على القمة بعد دمار ألمانيا .

وقد أبدى « سبير » ملاحظة ضاحكة :

ــ وأوضح أنني أرى زميلاً لي يمكن أن يتهم بالخيانة مثلي ، وهذا الشخص هو « جورنج » . والفرق الوحيد بيننا أن توجهاتنا مختلفة .

وكان « جورنج » ثائرًا وغاضبًا عندما أخبرته بعناوين الصحف ، وكان الموضوع المنشور نتيجة لمقابلة له مع « جون روجر » .

وأرغى « جورنج » وأزبد وقال إنها حيل حقيرة أن ندع مثل هذه الأشياء تأخذ طريقها إلى الصحف . وأكد أنه لن يجيب عن أي سؤال بعد ذلك يوجه إليه من أي صحفي كائنًا من كان .

السجن في المســاء

زنزانة « فونك » :

كانت كلمات الدفاع الأخيرة الخاصة « بجورنج » و « رينتروب » و « كايتل » قد حركت شعور « فونك » بالخجل الشديد إزاء هذا التخلي غير الأخلاقي عن المسئولية بالنسبة للقادة السياسيين والعسكريين الذين كانوا يحكمون الرايخ الثالث .

وكان قد طلب مني أن آتي لزيارته في زنزانته لأن هناك ما يدور في عقله ويود الحديث معي حوله .

وعندما دلفت إلى زنزانته هذا المساء أخبرني أنني الشخص الوحيد الذي يشعر معه أنه لا يزال إنسانًا .

وكان يتكلم في حالة من الحزن الشديد .

ثم قال لي :

ـــ ولكني أريد أن أخبرك أنه لا يوجد واحد فينا حقيقة ، ولا واحد فقط ، يمكنه التنصل من الذنب فيما حدث . ولقد أخبرتك بالفعل كيف وخزني ضميري عندما قمت بالتوقيع على تلك القوانين التي تقضي بتحويل كل ممتلكات اليهود إلى الجنس الآري . بغض النظر عما إذا كان هذا التصرف يجعلني في نظر القانون مذنبًا أم لا ، فهذه مسألة أخرى . ولكني بالتأكيد مذنب أمام ضميري ونفسي من الناحية الأخلاقية . وليس في هذا أدنى شك عندي .

وإني لا أزال أذكر كلام زوجتي لي في ذلك الوقت عندما كانت تقول إنه من الخير لنا أن نترك أعمال هذه الوزارة وأن ننتقل بعيدًا عن كل شيء ، ويكفينا شقة للسكنى ليس فيها أكثر من غرف ثلاث . وإن هذا خير لنا كثيرًا من التورط في هذه الأعمال المشينة .

لقد كان هذا هو رأي زوجتي بعد توقيعي على تلك القوانين .

وقد ذكرت أمام المحكمة أن مخاوفي كانت كثيرة آنذاك .

ولكني بطبيعة الحال لم أذكر لهم أن ذلك كان هو صوت زوجتي المختفي خلف ضميري ، والذي كان يؤنبني دائمًا .

ولكن جميع من رأيتهم في القفص مذنبون ليس في هذا أدنى شك . بطبيعة الحال لم يكن « فون بابن » مذنبًا بالقدر الذي عليه « جورنج » مثلاً .

ولم يكن « فريتشه » غير رجل صغير وضع خطأ في ذلك القفص .

ولكن لا تنس أنه كان يعلم عن وقائع التعذيب والفظائع أكثر مما كنت أعرفه أو يصل إلى علمي . كانوا يعطونه تقارير محددة ثم يدعونه يكذب ويكذب عبر محطة الإذاعة .

هذه هي المشكلة الأساسية ، لقد كنا جميعًا مصابين بالعمى . حتى « شاخت » نفسه لا يمكنه التخلص من ذلك الذنب الأخلاقي .

لقد كان رئيسًا لبنك الرايخ ووزيرًا في تلك الفترة التي حدثت فيها كل الأشياء المشينة التي نسمعها الآن .

و لم يتقدم باستقالته من منصبيه رغم علمه بما كان يحدث ! ربما لو رفضنا جميعًا هذه الأشياء وأبينا المضي فيها أكثر من ذلك ، أقول ربما كنا استطعنا منع هذه النهاية المشينة . كل واحد فينا قد وقع في الذنب الأخلاقي وهو مدان في جريمته شاء أم أبى . ولست أدري هل يمكن للمحكمة أن تبرئ واحدًا فينا فقط ! .

٩ يوليـــو

علم الأنثروبولوجي والحضارة

جلســة الصباح :

انتهى الدكتور « نلت » من التماس الدفاع الخاص بكايتل . وكذلك قدم الدكتور « كوفمان » دفاعه الأخير عن « كالتنبرونر » .

وكان دفاع « نلت » الأخير يتناول في معظمه فكرة الزعامة والقيادة . وأن « كايتل » كان يعيش زمنًا صعبًا تحت إدارة « هتلر » . ولكن كل إنسان يرى بوضوح ، حتى أكثر الناس حماقة ، أن الجندي عليه أن يطيع الأوامر التي تصدر إليه ، وليس له أن ينفذ ما يمليه عليه ضميره بأي حال .

وعلى أي حال فقد كانت الفظائع من الحرس النازي وليس من القوات المسلحة الألمانية . والمسئول عما حدث هم من قاموا به ! .

وقام الدكتور « كوفمان » بإلقاء خطبة عن الفضيلة ، وهو لا يدعي أن « كالتنبرونر » هو المثل الأعلى للفضيلة التي يتكلم عنها . ولكنه رجل له كل الاهتمامات الطيبة . وإن كان قد تم قتل ملايين الناس مع الأسف في معسكرات الإبادة فإن ذلك بالتأكيد هو من فعل « هملر » وليس « لكالتنبرونر » دخل فيه .

ســاعة الغداء :

وعندما ذهبوا إلى الغداء أخبرني « كالتنبرونر » :

ــ لقد رأيت الكولونيل « ايمن » وهو يمسك بجنبيه من شدة الضحك . ويمكنك أن تخبره بتهنئتي الحارة بانتصاره عليَّ باختياره مثل هذا المحامي الأحمق الذي تولى الدفاع عني .

وأثناء الغداء وجدتها فرصة لمزيد من المعرفة حول ردود فعل « فرانك » فقرأت عليه عناوين الصحف حول (جيتو كايلس)[٤٤] في بولندا ، وكلام محرر (الهيرالد تريبيون) التي تصدر من باريس ، والذي يستنكر فيه تلك النيران التي اشتعلت للقضاء على اليهود بعد تلك الكوارث المفزعة تحت النفوذ النازي .

ورفض « فرانك » فكرة أن هذا كان بسبب سياسة النازي ، وأشار إلى أن هذه المذابح كانت قائمة طيلة القرون التي مضت . وربما يرجع ذلك إلى أنَّ البولنديين شعب عاطفي تحركه الأوهام أكثر مما تؤثر فيه الحقائق .

ويقرر « سايس إنكوارت » أن هذه الأمور ترجع إلى جذور الخزعبلات الدينية الممتدة إلينا من العصور الوسطى ، عندما كانوا يرفعون شعار : « أنقذ الإيمان واقتل اليهود » .

و لم يقبل « فرانك » هذا التفسير ، ولكنه وافق على رؤية « سايس انكوارت » من أن ما حدث له صلة بمعاداة الشيوعية في مبدأ الأمر ، وعلى أي حال فإن

« فرانك » يفضل التصور الذي يرجع ما حدث في بولندا إلى تركيبة الشعب التي فطرت على أخلاق وعادات لها طبيعة معينة .

وقد وافق « سايس انكوارت » على هذا أيضًا ، وأضاف إليه تفسيرًا أنثروبولوجيا فإن أجناسًا أكثر مما ينبغي قد اختلطت بعضها ببعض وكونت الشعب البولندي .

ووصل بنا الحديث إلى قوانين « نورمبرج » وأفاد « فرانك » بأن هذه القوانين لم تكن لها أية ضرورة في الواقع ، ويتضح لنا هذا عندما ينظر إليها الإنسان بعد مرور تلك الفترة .

وقال « فرانك » أيضًا إن هتك عرض أية فتاة مسيحية يمكن أن تعالجه القوانين العادية المعمول بها ، ويستوي أن يكون المجرم يهوديًا أو مسيحيًا . وكان النص على عقوبة اليهودي المجرم المتهم بهذا على وجه التخصيص سبة غير مستساغة في حق اليهود دون شك .

وقد كان منهم عدد كبير من رجال الصناعة المجيدين . وإن أردت أن تصل إلى صلب الموضوع فيمكنك القول إنهم كانوا على درجة عالية من الكفاءة والنجاح في الصناعة التي لها صلة ببضائعهم ، وقد أثاروا غيرة الألمان الآخرين في بعض المجالات الخاصة بالأعمال والمهن التي لم تكن لها صلة بالصناعة .

ويرى « فرانك » أن التصور الأمثل كان يقضي بذهاب اليهود إلى فرنسا التي أبدت رغبتها في مزيد من العمالة ، وكان يمكن لفرنسا أن تستوعب مثل هؤلاء الصناعيين اليهود ، فالفرنسيون قوم كسالى شأنهم في هذا شأن الشعب البولندي .

وسألت « فرانك » عن رأيه إن وجدنا الفرنسيين يحملون الغيرة المتسمة بالعداء للصناعيين اليهود أيضًا .

وظل « فرانك » يعقد المقارنات بين الشعب البولندي والشعب الفرنسي و لم

يجب عن سؤالي . وقال إن ما قلته هذا قد لا يجعل هناك أية صعوبات كما أظن لأن الفرنسيين متحضرون إذا قيسوا بالبولنديين .

١٢ يوليــو

جلســة الصباح :

قدم الدكتور « ماركس » دفاعه الأخير عن «شترايخر » قائلاً إنه بسبب مظهره المتجهم فإن موكله يبدو معاديًا للسامية ، وهو ليس كذلك ، وعلى أي حال فهو لم يؤخذ مأخذًا جادًا من الشعب الألماني .

و « هتلر » نفسه لم يأخذ « شترايخر » مأخذًا جادًا رغم وقوفه بجوار جريدته العاصفة حتى النهاية . ومن الطبيعي أن يقف عاجزًا أمام عمليات الإبادة التي تمت فليس في وسعه شيء . وهو أيضًا لم يكن يعرف بهذه الأمور رغم أنه يبدو في نظر الجميع أنه قد فعل ويعرف .

ســاعة الغداء :

كان المتهمون بعد الذي قيل في المحكمة يبدون ودعاء طيبين أبرياء كالحملان البيضاء الجميلة ، هذا إن صدقنا ما قاله المحامون عنهم . وقد بدأ هذا المعنى يأخذ شكلاً كوميديًا ساخرًا في غرفة طعام الشباب .

وكان من الواضح أن أحدًا لم يفعل أي شيء حيال أي شيء والجميع أبرياء .

وزير الخارجية لم يكن غير صبي صغير يعمل في مكتب .

رئيس القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية ليس غير جندي مراسلة . وهذه

المعاداة الساخنة للسامية ليست غير معروف يقدم حلاً بطوليًا لمشكلة اليهود ولا يوجد أحد يعرف شيئًا عن الفظائع التي حدثت بمن في ذلك « كالتنبرونر » رئيس الجستابو .

وكان « جورنج » بطبيعةالحال أكثرهم بطولة .

١٣ يوليــو

مزيد من علم الأجناس

زنزانة « شــترايخر » :

كانت لي محادثة قصيرة مع « شترايخر » كتعقيب على الكلمة الأخيرة التي كانت في دفاعه من محاميه . وقد أعاد عليَّ بعضًا من تعبيراته الخاصة حول أفكاره المعتادة .

ليس هناك أي شك في أن « هتلر » قد أمر بإعدام اليهود ، وفي حقيقة الأمر فإن هذا التوجه كان عنده قبل الحرب . وبعد فترة قصيرة من نشوبها أدرك أن نهايته هي الموت ، ولا مناص له من ذلك . فقرر أن يأخذ اليهود معه .

ولم يكن هذا هو الحل المثالي لأنه ينبغي عليك أن تقوم بإعدام جميع اليهود وهو أمر مستحيل ، وأنت ترى اليوم يهودًا كثيرين في بلاد مختلفة لا يزالون يتنفسون ويعيشون .

ولم تكن فكرة « هتلر » بالقضاء على اليهود وإعدام جنس بأكلمه بالفكرة العملية التي يمكن تحقيقها . وقد جعلهم في نظر الناس يبدون كشهداء . وهذا سوف يؤخر الحل الحقيقي للمشكلة اليهودية أكثر من مائة عام أخرى . إن الحل ينبغي أن يكون عن طريق تكوين دولة لهم ، لأن أصحاب الدم الواحد ينتمي بعضهم إلى بعض وهذا هو قانون الطبيعة الذي يجمع أبناء الجنس الواحد ، ولا يمكنك أن تقاوم

قوانين الطبيعة .

وسألته عن معنى أصحاب الدم الواحد الذي ينتمي إلى جنس بعينه ، وما الذي يعنيه بقوانين الطبيعة على وجه التحديد .

وتكلم « شترايخر » حول أربعة وعشرين كروموزوما ، وقد أخبرته أنني أعرف هذه الأشياء جيدًا ، ولكني أتعجب للقول بأن هناك خصائص تميز اليهود في التركيب الجسدي لأن الأبحاث الحديثة قد أخفقت في اكتشاف شيء كهذا . وعاد « شترايخر » يؤكد أن هناك خصائص جسدية خاصة باليهود ، وهناك استثناءات بطبيعة الحال ، وهي أمور تستدعي خبرة حقيقية مثل التي اكتسبها لاختبارهم ، وقال : إنه يعرفهم من عيونهم ، فالعيون اليهودية مختلفة .

وسألته : وكيف يكون ذلك ؟ .

ولم يجبني بأكثر من أن هذه العيون مختلفة على نحو ما .

ثم عاد يقول :

ــ « إذا لم تعرفهم من خلال الخصائص الطبيعية ، فإن سلوكهم يكشفهم ويميزهم . فالألماني مفتوح في سلوكه مستقيم مثل الطفل ، ولكن اليهودي دائمًا له وجهان .

لقد كنت أدرس هذه الأشياء لمدة خمسة وعشرين عامًا ، ولا يستطيع شخص أن يفهم هذه المسألة مثلي ، لقد فحصت وجوه كل من حضروا في قاعة المحكمة على سبيل المثال ، وأستطيع أن أتعرف على اليهودي منهم خلال بضع دقائق ، في الوقت الذي قد يستغرق هذا من الآخرين بضعة أيام قبل أن يدرك أن ما قلته صواب ، وأن الادعاء الذي أقيم علينا قد قام على إعداد معظمه نفر من اليهود » .

وسألته عما إذا كان يعتقد أن المدعي العام « جاكسون » يهودي أم لا ؟ .

وأكد شترايخر أنه يهودي ، فحقيقة اسم« جاكسون » معناه ابن يعقوب وهو

يهودي مثل بقية هيئة الادعاء .

(نفس المناقشة دارت حول « جولدنسون » في يوم آخر) .

١٨ يوليـــو

جلســـة الصباح :

أتم الدكتور « ساوتر » كلمته الدفاعية الأخيرة عن « فون شيراخ » مبرئًا ساحته من النازية ومن معاداة السامية .

وأثناء الاستراحة وقبل أن يأتي موعد الغداء ثار « جورنج » ضد « فون شيراخ » محاولاً أن يجذب إليه بعض المتهمين للاعتراض على إبرائه من النازية .

وكانت علاقة « جورنج » بالذين يجلسون في نهاية القفص قد صارت باردة نوعًا ما . فكان عادة يتجه إلى من في وسط القفص إذا كان يريد أن يهيجهم أو يثيرهم .

وكان يجد منهم تعاطفًا وآذانًا مصغية ، من « ساوكل » و « روزنبرج » و « فرانك » .

واستعجلهم هذه المرة ليوافقوه في هذه النقطة .

وقد قال له « فرانك » موافقًا :

ـــ إني أستنكر هذه المذلة أمام المحكمة .. فهي حالة شبيهة برجل متزوج ويريد أن يثبت أنه ليس كذلك ، فيعتمد على أنه كان أعزب يومًا ، ويقدم ذلك كدليل على أنه ليس متزوجًا الآن .

ســـاعة الغداء :

كان كل من « كايتل » و « يودل » في حالة عصبية عندما جاءت الأخبار أن

ثلاثة وسبعين من قتلة الحرس النازي الذين اغتالوا رجال الجيش الأمريكي في مالميدي قد ثبتت عليهم التهمة ، وحكم على ثلاثة وأربعين منهم بالموت ، وعلى الثلاثين الباقين بأحكام السجن المختلفة .

وقال « كايتل » إن أحد الذين حكم عليهم بالموت وهو الكولونيل « بايير » كان قائدًا جيدًا . وقد علقت على هذا بأنه لا بد أن يكون شديد الولاء حيث يقوم بتنفيذ الأوامر بطاعة وإيمان .

وقال « كايتل » :

ــ بغض النظر عن قتل الأسرى ، وهو شيء لا أستطيع غفرانه بالتأكيد فإن « بايير » كان قائدًا حسنًا .

وفي غرفة الطعام الأخرى قال « يودل » ما يدل على ارتياحه لأن الجنرال « سبد دايترش » قائد فرقة « بايير » قد حكم عليه بالسجن مدى الحياة ولم يعدم ، وهذا يرينا أن الضابط الأعلى يعتبر أقل جرمًا من مرءوسيه الذين يعتبرون مسئولين بشكل مباشر عن ارتكابهم جرائم .

وقد اهتم « يودل » كثيرًا عند رؤيته أن عقاب الجنرال « شتودنت » كان معتدلاً وقد غضوا الطرف عن علاقته بأحداث أخرى . وأضاف مقترحًا :

ــ لأن بعض الضباط الأمريكان يشهدون على أخلاقه أو هذا ما ينبغي أن يكون .

٢٣ يوليــو

أمريكا وروســيا

ســاعة الغداء :

كانت طبعة الأمس من جريدة الهيرالد تريبيون الباريسية تحمل العنوان

الرئيسي : « ماك نارني » يدعو الحلفاء ليجعلوا من الرايخ وحدة اقتصادية .

وكان هناك في الجريدة عرض بقلم « لويس كانيت » حول كتاب السفير « بوليت » الذي اسمه : الكرة الأرضية العظمى نفسها .

وقد قرأ « شاخت » الموضوعين لـ « دونيتز » و « فون بابن » و « فون نيوراث » على الغداء . وكانوا في حالة من نصف الرضا لهذه الدلائل المحسوبة عن نمو الحساسية بين الروس والأمريكان . وكان عرض كتاب « بوليت » قد أثار اهتمامهم أكثر من بيان « ماك نارني » والذي كانوا يعرفونه قبل أن تصل الصحف .

وفي أسفل القفص كان « جورنج » و « رينتروب » قد وصلتهما بعض الأخبار حول هذا ، وبدآ يناقشانها معي . وقال « جورنج » إنه يعرف أن « بوليت » معاد للبولشفية دائمًا ، ولكنه معاد للنازية أيضًا . مما يجعل هناك تناقضًا في التصرف والتناول . فالنازية هي أكبر شيء معاد للشيوعية .

ويبدو أن هذه الحوارات قد مست شيئًا ما في عقل « هيس » الفارغ فقال :

ــ هذا صحيح . هذا تناقض في التصرف والتناول .

وكانت ضحكة « رينتروب » السعيدة قد ظهرت لأول مرة منذ عدة أسابيع عندما قرأ تعليق كاتب المقال من أن « بوليت » يفضل استخدام القنبلة الذرية ليثير الرعب في نفوس الروس .

وبينما كان « رينتروب » يترجم التعليق من أن روسيا تحاول أن تصل إلى صناعة القنبلة الذرية لتقوم بالهجوم قال « جورنج » بغير تحفظ :

ــ لماذا ؟ بطبيعة الحال فإن كل طفل في الشارع يعرف هذا . أي مخلوق عنده أقل دراية بالسياسة يعرف هذا . أنا أعطيهم خمس سنوات من الآن ليصلوا إلى القنبلة الذرية .

ولم يتكلموا كثيرًا حول هذه النقطة في حضوري ، ولكن من بين تجهمهم المتباهي يمكن للمشاهد أن يدرك سعادتهم البالغة لعلامة صغيرة قد ظهرت تدل على الحساسية بين الروس والأمريكان .

وكأنما بدا عليهم أنهم في حاجة ماسة لعقد اجتماع سريع وعاجل لبحث ما يمكن أن تتمخض عنه الأحداث .

٢٦ يوليـو

ملخص الادعاءات المرفوعة

جلســة الصباح :

تقدم القاضي « جاكسون » بكلمة الادعاء الأخيرة نيابة عن الوفد الأمريكي أمام المحكمة :

ـــ « هناك شيء ينبغي أن نكون على يقين منه أن المستقبل لن يسأل في ريبة وشك : لماذا لم تعطوا النازيين الفرصة للكلام دفاعًا عن أنفسهم ؟ والتاريخ سوف يقرر بغض النظر عماقالوه أنهم قد أعطواالفرصة كاملة ليقولوا ما شاءوا . إنهم قد سمح لهم بمحاكمة عادلة لم يسمحوا بها لأحد من أعدائهم وهم في غاية مجدهم وسلطانهم وخيلائهم .

ونحن الآن بصدد تلخيص الاتهامات بعد أن اختبرنا أدلة الإجرام وسمعنا الأعذار السخيفة المهلهلة التي قدمها المتهمون على جرائم بالغة القسوة والفظاعة . وإن العقوبة المتوقعة والتي افتتحنا بها هذه القضية سوف تكون مناسبة بالتأكيد . وقد جاء وقت الدينونة الأخيرة ، وإن كانت القضية التي أقدمها تبدو صعبة وغير قابلة للتساهل فسبب ذلك هو الأدلة الدامغة التي جعلتها كذلك .

إن أكبر القواعد وأكثرها تنوعًا والتي تحكم « جورنج » أن نصفه عسكري ويتبقى في النصف الآخر الوحش الكامن في أعماقه . فقد كان يتدخل في كل شيء ، وقد استوت عنده المذابح وخلق الفضائح حتى يستطيع أن يطرد من رئاسة الجيش الجنرالات المعاندين المتصلبين . واستطاع أن يبني سلاح الطيران الألماني . وأن يقذف بالطائرات إلى جيرانه المجردين من الدفاع . واستطاع أيضًا أن يطرد اليهود من الأراضي التي كانوا يعيشون فيها .

أما عن « هيس » المتحمس فقبل أن يخضع لشهوة التجوال والسفر كان مهندسًا للحزب النازي أو لآلته الضخمة ، فهو الذي يحمل الأوامر الخاصة للدعاية (والبروباجندا) إلى الأجهزة المختصة . ويقوم بالإشراف على كل نشاط الحزب . وهو يقوم على تأسيس وتأكيد المنظمة النازية على الولاء وأن تكون من أهم أدوات القوة . وعندما ظهرت المخاوف واتسعت لتهدد المخطط النازي للغزو ، ظهر « رينتروب » المنافق ذو الوجهين . ذلك البائع المخادع الذي اختير لمهمة خاصة هي تهدئة الظروف وتهيئتها . فهو الذي يخلط النبيذ بالماء ، وفي الوقت نفسه يقف ليعظ ويخطب حول السلام وأي شيء له صلة به .

أما « كايتل » فهو الضعيف غير المؤهل الذي جعل من نفسه أداة سهلة ، وسلم أسلحة الجيش المختلفة التعليمات الخاصة بالعدوان ، والتي صنعها الحزب النازي ثم قادهم لتنفيذ تلك المخططات المرعبة .

أما « كالتنبرونر » ذلك المحقق الذي جاء من عصر محاكم التفتيش فقد ارتدى عباءة « هايدريش » الدموية ليكتم المعارضة ويجعل الجميع وقد أذعنوا لقوة البطش والإرهاب . وهو الذي يدعم القوة الخاصة بالاشتراكية الوطنية في مؤسسات كانت نظيفة وطاهرة قبل أن يأتوا إليها .

أما « روزنبرج » فهو المثقف والكاهن الأعظم لفلسفة الجنس المتفوق . وهو الذي قدم لنا نظرية الكراهية التي أفضت إلى الإبادة التي عرفناها . وقد وضع نظرياته موضع

التنفيذ ضد سكان الأراضي التي احتلت في الشرق . وإن فلسفته المشوشة سوف تضيف ضجرًا وضيقًا وعنتًا إن وضعناها في آخر قائمة الفظائع النازية .

وذلك المتعصب « فرانك » هو الذي يخلق الضبط والإحكام النازي بأن أنشأ أوامر جديدة معطيًا لنفسه كل الصلاحيات التي يريدها دون نظر إلى قانون ، حتى صارت إرادة الحزب هي معيار الشرعية الوحيد . وهو الذي صدر إلى بولندا ونمّى في إدارتها عدم الاهتمام بالقانون وإغفاله تمامًا . وقد حكم هذه البلاد وفي يده سوط قيصر ، ثم ألقى بمن تبقى من السكان في مهاوي الحسرة والأسف .

و « فريك » ذلك المنظم الرث الشخصية قد ساعد الحزب في تنمية قوته . وأشرف على وكالات الشرطة ليتأكد من أنها تدين جميعًا بالولاء للنظام . وصب كل اقتصاديات بوهيميا ومورافيا في تلك القناة التي تمد آلة الحرب النازية الجبارة بالحياة .

و « شترايخر » ذلك السوقي الحقود الذي كان ينتج ويوزع تلك الترهات الخاصة بالأجناس والتي تحرض الجماهير للموافقة ، وتبنى عمليات متقدمة وحشية من أجل المحافظة على الجنس الأرقى في زعمه .

وكان « فونك » وزير الاقتصاد يعجل بوضع قواعد لإعادة التسليح . وكرئيس لبنك الرايخ فقد أودع لحساب الحرس النازي الأسنان الذهبية التي خلعوها من أفواه الضحايا الذين قتلوهم في معسكرات الإبادة .

ولعل تاريخ البنوك لن يرى مثله وحشية وفظاعة .

ثم نأتي إلى « شاخت » صاحب المظهر الكاذب الذي يوحي بالعزيمة والاحترام . والذي كان يقف في الأيام الأولى يعذبه تردده ، وفي قوة سحرية واتته في النهاية استطاع أن يمكن « هتلر » من تمويل مشروعاته في إعادة التسليح وأن يتم ذلك في سرية تامة .

و « دونيتز » خليفة « هتلر » بعد الهزيمة ، الذي استطاع أن يساعد على نجاح العدوان النازي بأن أنشأ الغواصات القاتلة ، وأن يدير شئون الحرب في البحر في ضراوة وقسوة لم تعرفها الغابات .

و « ريدر » ذلك الأدميرال السياسي قد استطاع أن يقوم ببناء البحرية الألمانية خلسة على عكس البنود التي أقرتها معاهدة فرساي . ثم جعلها تقوم بالعدوان الذي كانوا قد خططوا له من قبل .

و « فون شيراخ » الذي قام بتسميم الشباب وأفسد جيلاً بأكمله ، وهو الذي بدأ تكوين منظمة الشباب الألماني كجزء من النظرية النازية . وقام بتدريب جموع غفيرة منهم للعمل في القوات المسلحة الألمانية والحرس النازي . ثم سلمهم بعد ذلك إلى الحزب بعد أن ملأهم بالتعصب ، يقومون على تنفيذ ما يعهد إليهم به من أعمال دون سؤال وبلا إرادة .

و « ساوكل » أعظم وأكبر نخاس عرفه التاريخ منذ أيام فراعنة مصر ، وهو الذي قام على إنتاج القوة البشرية التي كانوا يحتاجون إليها بأن ساق الناس من كل مكان إلى أرض العبودية والرق ، بعدد هائل لم يعرف في التاريخ حتى في أقدم عصور الطغيان والذل في تلك المملكة التي كانت في الزمن القديم على ضفاف النيل .

و « يودل » الخائن لمهنته وتقاليدها العريقة قاد القوات المسلحة الألمانية منتهكًا قانون الشرف العسكري الخاص بهم ، من أجل تحقيق الأهداف الهمجية للسياسة النازية .

و « فون بابن » ذلك الوكيل المؤمن للنظام الكافر ، الذي كان يمسك بالسرج حتى يتمكن « هتلر » من امتطاء جواد الحكم . وهو الذي هيأ الظروف لضم النمسا إلى ألمانيا بالقوة ، وكرس دبلوماسيته السريعة من أجل خدمة الأغراض السيئة للنازي في كل مكان في العالم .

ونحن إذا نظرنا للصورة من خلال مقدمة القفص فقط حيث يجلس هؤلاء المجرمون ، فإن هذه هي أسوأ صورة يمكن أن نراها لحكومة « هتلر » .

فرجل لا يعرف شيئًا عن نشاط الجستابو الذي أنشأه . ولم يتوقع أبدًا عمليات الإبادة للمعتقلين وهو يسمع بها هنا لأول مرة . وهو الذي مهر بتوقيعه عشرات المراسيم التي تنظم هذه الفظائع ، والتي تقضي بالفناء على جنس كامل .

ورجل يبدو بريئًا في مظهره ، متوسط العمر ، يقوم بتحويل أوامر « هتلر » دون أن يكلف نفسه بقراءتها ، أو هكذا يقول ، شأنه في هذا شأن ساعي البريد .

وزير الخارجية الذي يعرف قليلاً في الشئون الخارجية ، ولا يعرف شيئًا على الإطلاق حول السياسة الخارجية .

وفيلد مارشال يقوم بإعطاء الأوامر إلى القوات المسلحة ، وليست عنده أية فكرة عن نتيجة هذه الأوامر كيف ستكون في مجال التنفيذ .

ورئيس الخدمة السرية الذي أعطى انطباعًا بأن وظائف الشرطة الخاصة بالجستابو والحرس النازي وإدارتها لا تختلف كثيرًا عن وظيفة رجال المرور في الشوارع والميادين .

فيلسوف الحزب الذي كان يهتم بالأبحاث التاريخية ، ولم يلتفت إطلاقًا إلى العنف الذي خلفته فلسفته ولم تكن لديه أية فكرة عنه ، وهو شيء لم يحدث مثله في القرن العشرين .

حاكم بولندا العام الذي كان يملك ولا يحكم ، والذي تمكنت قوات الاحتلال من الإمساك بكتاباته الرخيصة والتي لم يظن يومًا أنها ستقرأ على رءوس الأشهاد .

وزير الداخلية الذي لا يعرف عما يدور في داخل مكتبه ، أكثر مما يعرف عما يدور في الإدارة التي يرأسها ، ولا يعرف شيئًا على الإطلاق عما يدور في ألمانيا .

رئيس بنك الرايخ الذي يجهل تمامًا ما يدخل بنكه وما يخرج منه ، ولا يدري شيئًا عما هوموجود بسراديب البنك .

وزير اقتصاد الحرب الذي أدار الاقتصاد الداخلي بسرية من أجل إعادة التسليح ، وهو لا يعرف ما الذي يمكن عمله مع الحرب .

إذا كنتم ستقولون إن هؤلاء المتهمين ليسوا مذنبين ، فإنكم تعنون حقيقة أنه لم تكن هناك حرب ، ولم تكن هناك مذابح ، ولم تكن هناك جريمة .

ساعة الغداء :

كان رد الفعل واحدًا بالنسبة لأغلب المتهمين وهو الصدمة الشديدة والمفاجأة من أن الادعاء لا يزال يعتبرهم مجرمين .

ألقى « فون بابن » قناع الأدب المتسم بعدم الصداقة عند حضوري وقد استنكر الخطبة التي ألقاها الادعاء وقال :

ــ ما سمعته من خطبة هي كلام « ديماجوجي » لم أسمع به من قبل وهو يمثل بحق العدالة الأمريكية ، فلماذا مكثنا ثمانية أشهر نتكلم والادعاء لم ينتبه إلى أقل القليل مما قلناه في دفاعنا ولا يزال مصرًا على أن يدعونا بالكذابين والقتلة ؟

أما « دونيتز » فقد ترك احتقاره السابق للسياسيين المنافقين جانبًا ، ووافق « فون بابن » حول هذه النقطة ، فهو قد هوجم أيضًا في خطبة الادعاء وصبا سخطهما واستنكارهما على المدعي العام « جاكسون » ! وانضم « شاخت » إلى المناقشة وأضاف أنه قد وقع عليه ضيم وظلم هو الآخر ، ووافق الاثنين الآخرين فيما قالاه . وقال :

ــ إني أفترض وأتوقع .. لقد كانت الخطبة بمثابة من يخبر شخصًا في مواجهته أنني أدبر خطة لاغتياله . لقد كانت خطبة تعسة ومستواها رديء جدًا .

وكان الجميع موافقين على أن هذه الخطبة رديئة المستوى .

وكان رد فعل « جورنج » هو الهزة الطبيعية بكتفيه ناحية الدليل الذي يجعله

يعجب كثيرًا من أنهم لا يجدون دليلاً ، فالأدلة التي تؤيد اتهامهم غير كاملة ، بل هي غير موجودة ، وقال :

ــ أوه .. هذا هو عين ما توقعته بالضبط .. ها هم أولاء ينادونني ويدعونني بصفات وأسماء على قدر ما يسرهم ويرضيهم . لم أكن أتوقع شيئًا مختلفًا عنه .

وقد عبر عن أفكاره أن العصي والحجارة إذا ألقوه بها فسوف تسحق عظامه ، ولكن الأسماء والنعوت لن تؤذيه ، وشرح هذا في كلمات مختلفة .

وقال « جورنج » :

ــ على أي حال ، فهؤلاء الذين تملقوا المحكمة واستنكروا النظام النازي قد أحسوا بالندم الآن لأن مصائرهم فيما يبدو هي مصائر أولئك الذين وقفوا في شجاعة . وهذا يجعلنا نفهم الأمور جيدًا ، فقد ظنوا أنه من المحتمل النجاة بأن يكون المرء رخيصًا منافقًا .

وكان « جورنج » يلح على أن « سبير » و « فون شيراخ » و « شاخت » قد استطاعوا عقد صفقة مع الادعاء حتى يقولوا كلامًا من شأنه أن يحط من قدر النازية . وقد أخبرته أنه ينبغي أن يكون متأكدًا تمامًا من أن هذا الفرض غير صحيح بالمرة . وقلت له :

ــ حسن . لو كانت هناك صفقة أو اتفاق لكان على المدعي العام أن يراعي هذا في كلامه عن المتهمين الذين ذكرتهم . ولكن شيئًا من هذا لم يحدث .

وأكدت له أن « سبير » و « فون شيراخ » على الأقل قد أعلنا استنكارهما الذي كان للمرارة الشديدة التي كانا يشعران بها والأوهام التي كانا يعيشان فيها ، وكانا يحاولان أيضًا أن يبينا للشعب الألماني طريقًا مستقيمًا جديدًا ليتحرر من الأوهام .

ولم يكن « جورنج » موافقًا على هذا الكلام ، وكان يدافع عن وضع شخصيًا

بالمقارنة مع « شاخت » وقال :

ــ ليكن هذا .. حسن . ولكن على الأقل فقد دعيت بأنني قاتل ومنافق . وإنني أفضل أن أدعى بالقاتل من أن أكون ذلك المنافق الانتهازي مثل « شاخت » . وإني بلا شك أشعر أنني أحسن حالاً منه . وسوف يقول له الناس : أنت متآمر من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فقد كشفت نفاقك وتخاذلك في الوقت نفسه . إني أعرف طريقي .

وظل يغمغم حول عدم عدالة « جاكسون » ولم يذكر اسمه أثناء حديثه ، فكان يقول : ذلك المدعي العام البريطاني ربما يكون أكثر عدلاً ولكنه في الواقع وهذه المحكمة كلها من أصلها مهزلة ، لم ينتبه المدعي العام إلى أقل القليل مما قاله المتهمون دفاعًا عن أنفسهم ، وإني أذكره أن الدفاع قد استمر أكثر من ستة شهور بمعرفة لجان ومنظمات قد قامت به على خير وجه ، ولكنهم ــ أي الادعاء ــ صارت لهم الكلمة الأخيرة .

وضحك « جورنج » وقال :

ــ في الواقع ولسوء الحظ فإن القضاة لهم الكلمة الأخيرة .

وكان لديه الانطباع أن القرار بشأنه سوف يكون مذنبًا . فأضاف بسرعة :

ــ إن المنتصرين كما أخبرتك دائمًا على صواب .

وكان « شترايخر » مهتاجًا مثله في ذلك مثل الآخرين وقال :

ــ فلنساعد المدعي العام وسوف تسقط فأسه على الرأس على أي حال .

فتركيبة « جاكسون » حسبما شرحه شترايخر بطريقته غير الصائبة تثبت أن أحدًا لم يستطع اختراق جلده .

ثم خطب خطبة متحدثًا بطريقة جديدة عن ذلك الشعب الذي يحدث الآن

في فلسطين ، وقد اعترف أن لليهود قدرة عظيمة على القتال . ولديهم الجرأة الشديدة وأبدى إعجابه بهم الآن وأبدى استعداده للقتال معهم وفي سبيلهم ومن أجل مبادئهم . وقال :

ــ إن شعبا يستطيع القتال بهذه الطريقة لهو شعب جدير بالاحترام .

وصار يعد أنواع اليهود على أصابعه ويبين الفروق بينهم ثم قال :

ــ « إذا كانوا يستطيعون الاحتفاظ ببنادقهم على تلك الطريقة التي جاءتنا بها الأخبار فهم نوع من الناس أحمل لهم غاية الاحترام .. نعم حتى هتلر لو كان حيًّا الآن لما كان أمامه غير الإعجاب بهم فقد أبدوا جرأة وميزة لم نكن نعرفها . وإني على أتم استعداد أن ألحق بهم على أن أتمكن من القتال معهم . لا . لست أضحك .. لست أمزح » .

وكان « يودل » و « روزنبرج » يصغيان بانتباه شديد ، وينظران إليه وهما في دهشة شديدة ، واستمر « شترايخر » :

ــ « أنا لا أمزح ولا أكذب على الإطلاق . هل تعرف لماذا ؟ لقد اهتممت بهذه المسألة خمسة وعشرين عامًا ، ولكني أرى الآن أن اليهود لديهم إرادة وعزيمة ، وسوف يتحكمون في العالم ويسيطرون عليه أكثر . ولاحظ كلامي . إن سعادتي ستكون لا حدود لها لو ساعدتهم وقاتلت معهم وقدتهم إلى النصر الذي ينتظرهم لأنهم أقوياء ومتماسكون وإني أعرف اليهودية جيدًا ، وأنا أيضًا مقدام وجريء ، وأستطيع أن أمسك ببندقيتي ويمكنني لو وافق اليهود أن أقاتل في سبيلهم وأن أكون واحدًا منهم ، فإني عندما أعتقد في شيء فإني أعرف كيف أقاتل في سبيله » .

وفي هذا الوقت كان « يودل » و « روزنبرج » يضحكان بشكل شديد بعد أن كانا في دهشة عارمة في أول حديثه .

واستمر « شترايخر » قائلاً :

ـــ « لقد درستهم طويلاً ولهذا فإني أفترض أنني أقدم نفسي لخدمتهم كخبير وعلى الأقل أستطيع أن أقود مجموعة منهم في فلسطين . أنا لا أمزح . أستطيع أن أقدم لك إقرارًاخطيًا بهذا الكلام ! إني أقدم لك افتراضًا .. دعهم يجمعوا لي جماهير غفيرة في ميدان ماديسون بنيويورك وسوف أعلن ما قلته هذاعلى مرأى من الدنيا كلها ، وسوف يكون أمرًا عظيمًا بالغ الحساسية لو حدث » .

وقد سألته كيف يعتقد أن اليهود سوف يحكمون العالم ، وهل كان هذاالاعتقاد لديه عندما كان النظام النازي يقوم على تصفية اليهود في أوروبا ؟ وعندما سألته هذا السؤال كف كل من « روزنبرج » و « يودل » عن الضحك وامتلأ وجهاهما جهامة وقتامة .

أما « فريك » و « كالتنبرونر » و « ريبنتروب » فقد كانوا يصغون بآذانهم لهذه المحادثة المثيرة ، وفجأة لم يعودوا يهتمون بمتابعتها .

وقال « شترايخر » :

ـــ « أوه .. لا أظن أننا قد قمنا بإعدام العدد الذي قالوا عنه ولا يمكن أبدًا أن يكونوا ستة ملايين كما ادعوا . ربما يكونون أربعة ملايين ليس أكثر . ووفقًا لتصوراتي عن عدد اليهود في العالم فإن فيه ستة عشر مليونًا ، وبطبيعة الحال فهذا العدد يتضمن أولئك الذين اختلطت دماؤهم وليسوا يهودًا تمامًا . ولكنهم منتشرون في أماكن هامة في الدول المختلفة ، وقد قرروا وأجمعوا أمرهم على حكم هذا العالم ، ولأني أعرف مخططاتهم فيمكنني مساعدتهم بطبيعة الحال .ويجب أن أمنح إجازة من العقاب الذي يكون حتى أستطيع القيام بواجبي معهم » .

جلســة بعد الظهر :

بدأ السير « هارتلي شاوكروس » كلمته الأخيرة عن الوفد البريطاني .

وقال :

ـــ « إن هؤلاء المتهمين قد اقتسموا معا وزر تلك الجريمة الهائلة التي لا تخطر على بال أحد . والتي تجعل الخيال يتهادى ويترنح فجريمتهم ليست محل شك . فالمدن العظيمة من كوفنتري إلى ستالينجراد قد قدمت للدمار . وضواحي البلاد قد فقدت وضاعت . والآن هذه الآثار المدمرة للحرب التي تمت : الجوع والأمراض التي انتشرت حول العالم . ملايين الناس الذين أصبحوا لا مأوى لهم . المشوهون . المحرومون المسلوبون . كل هذه الأشياء من فعلهم ، والذين في قبورهم يصرخون منها ليس من أجل الانتقام ولكن من أجل أن يتأكدوا من أن هذا لن يحدث ثانية . عشرة الملايين الذين ربما يرقدون الآن في سعادة وسلام من الجنود والبحارة ورجال الجو والذين ماتوا من المدنيين في المعارك ، يدعونكم اليوم لمنع هذا من الحدوث مرة أخرى ، وربما أن ثلثي يهود أوروبا قد تم إعدامهم . وإن العالم لن يمكنه أن يتجاهل السخرة والعبودية التي تمت على أوسع نطاق وأخذت في طريقها سبعة ملايين من البشر ، من النساء والأطفال قد أخذوا من بيوتهم وعوملوا من وحوش . وماتوا من الجوع وضربوا وفي النهاية قتلوا » .

وأعاد السير « هارتلي » عرض تماسك قوة النازي والعدوان وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية ، وشجب المتهمين مرة ثانية ووصفهم بأنهم مجرد قتلة عاديين .

وفي نهاية الجلسة قال « جورنج » لريبنتروب :

ـــ « يبدو أننا لم نتقدم بكلمة واحدة للدفاع عن أنفسنا » .

وقد وافق على هذا ريبنتروب وقال :

ـــ « نعم .. لقد كان وقتًا ضائعًا ذلك الذي قضيناه قبل ذلك » .

وكان « كايتل » متجمد الوجه يمضي بخطى سريعة ناحية باب المصعد ليكون أول شخص يغادر المكان على قدر إمكانه من السرعة فلم يعد يطيق البقاء أكثر من ذلك .

السجن في المســاء

زنزانة « رينتروب » :

كانت زنزانة « رينتروب » مليئة بالفوضى أكثر من أي وقت آخر . وكانت ملابسه المطلوب غسلها ملقاة بلا عناية فوق سريره . والكتب والملابس والأوراق في زاوية مهملة من الزنزانة . وكان هو شخصيًا يبدو غير مرتب أكثر من الوقت العادي . ونظر إليَّ نظرة ضعيفة مريضة وفي وجهه كل أمارات خيبة الأمل والحزن العميق وسألني :

ــ هل سمعت كلام السير « هارتلي شاوكروس » ؟ .

وسكت للحظة يستجمع فيها نفسه فقد كان يتنفس بصعوبة وقال :

ــ لقد أساء تمامًا حتى « جاكسون » كان مثيرًا وطيبًا في هذا الصباح . كان ساحرًا في كلامه . لقد قالوا أشياء سيئة جدًا عنا . وهذا في الحقيقة شيء غير عادل . هل تظن أن هذه الأمور عادلة ؟

وأشار إلى ناحية من الأوراق وأمسك بواحدة وقال وهو يقرأ لي :

ــ هنا قد دونت باختصار شيئين . بالنسبة للاتهام الخاص باليهود . لم يستطع واحد أن يتحمل عصبية « هتلر » ، أو أن يحاول أن يثنيه عن عزمه في هذا الموضوع مثلي . وقد حاولت أربع أو خمس مرات ونتج عن ذلك صدام بيني وبين « هتلر » كما أخبرتك . ألم أخبرك بذلك ؟ ولكن ببساطة لم يكن هناك ما يمكن فعله . ربما كان من الممكن في البداية ، ولكن مع النهاية كان لا يمكنك مجرد الكلام حول هذا الموضوع .

وهذا الصدام الكبير الذي نشأ بين « هتلر » و « رينتروب » حول بعض النقاط التافهة في عام ١٩٤٠ قد تطور وتحول إلى صدام كبير دفاعًا عن اليهود . وفي النهاية

تطور إلى أربعة أو خمسة صدامات كبيرة من أجلهم . فقد كان « رينتروب » قد بدأ يدخل مرحلة الوهم والخيال فهو قائد اليهود وحاميهم والمدافع عنهم في حكومة الرايخ الثالث وهكذا كان يتصور .

وقد نسي « رينتروب » أنه كان يعمل في نظام قد كرَّس عداوة السامية حتى وصلت إلى قتلهم بالجملة .

زنزانة « جورنج » :

وقد دعاني « جورنج » للدخول عندماكنت أمر أمام الزنزانة . وقال :

ــ « لقد استرجعت كل شيء قد قلته على الغداء في هذا اليوم . إني أشكو « شاوكروس » و « جاكسون » وأرى أنهما لم يكونا فارسين أو صاحبي شهامة » .

(نفس الفكرة التي قالها « رينتروب ») .

واستمر « جورنج » قائلاً :

ــ وفي الحقيقة فإنهم لم ينصفونا ، هل لاحظت أنني في مكان أصبح فيه مجنونًا . حسن ، في هذا الوقت ينبغي عليَّ أن أريك هذا . حول تلك القصة التي قتل فيها خمسون من الطيارين البريطانيين لقد أثبت أنني لم أكن موجودًا في ذلك الوقت . لقد كنت في مكان آخر وهذا ثابت . لم أكن مستقرًا في أرض معينة و لم تكن هناك اتصالات بيني وبين مكتبي . هل تعرف ؟ هناك البعض قد أعدوا جدولاً وترتيبًا لما ذكره « جاكسون » في خطبته . لقد ذكرني اثنتين وأربعين مرة ، وكان « شاخت » هو الثاني في الترتيب . وإني بالتأكيد واثق أنني أحسن حالاً منه . وكما ذكرت لك على الغداء فقد قرأت بالفعل بقية خطبة السير « هارتلي » ، وهو يذهب في كلامه بالتأكيد إلى أن يلقي بالبقية في الجحيم غدًا في الصباح » .

وإشارة إليهم فإنه سوف يتكلم عني أيضًا . ولننتظر الصباح لنرى .

زنزانة « شاخت » :

كان « شاخت » يرى أن « جاكسون » و « شاوكروس » قد ألقيا خطبتين لعينتين وكانا متحيزين ولم يكونا عادلين ، فهما لم ينتبها أدنى انتباه لدفاعه الذي قاله من قبل عن نفسه وهو يظن أنه قد أثبت بحزم وصرامة أنه بريء . وقد سألته عما إذا كان الادعاء لم يتناول بعدل مسألة تمويله السري لإعادة التسليح ضده .

ولكن شاخت قال :

ــ « لقد أخبرت هؤلاء الناس أن هذا لم يكن من عملي وليس في وسعي . لقد كنت فقط رئيس بنك الرايخ . فإذا كان وزير المالية لم يوافق على ذلك فهذه مسألة أخرى . أما أنا فلا يمكنني الامتناع عن دفع الفواتير المقدمة إليَّ وإلا عدت جريمة ويصعب عليَّ فعل ذلك . هذه غلطة وزير المالية .. على أي حال أنا أجزم أنني لم أقم بعمل غير أخلاقي على الإطلاق » .

وحرك يديه ووضعهما في براءة على قلبه واستمر قائلاً :

ــ « هذا هو الفرق بيني وبين « فون بابن » و « فون شيراخ » ويمكن أن يسألا : لماذا استمر كل منكما في العمل مع « هتلر » بعد أن رأيتما أي نوع من الناس هو ؟ وأنا لم أكن كذلك . فلم أستطع أن أبقى في أية وظيفة بعد عام ١٩٣٩ . وقد أخبرتك . أنه سوف يكون عارًا أبديًا خالدًا ألا تقوم هذه المحكمة الدولية بتبرئتي » .

وقلت له :

ــ ولكنك ظللت في نظام « هتلر » وعملت معه بحماسة شديدة في البداية .

وأجاب :

ــ حماسة ؟ لا ولا أقل القليل منها . أنا أخبرك . لقد كنت آمل فقط أن

أستطيع كبح جماحه . قد يمكنهم أن يقولوا عني ما يشاءون . يمكنهم القول : حتى مستر « شاخت » الرجل الذكي النابه كان أحمق بما فيه الكفاية ليدع هتلر يخدعه . ولكنهم لن يستطيعوا القول إنني كنت أريد الحرب ، ومن السفاهة أن يُظن أنني كنت قد انضممت للحزب عندما نشأ ونهض ونجح ، وأنني قد تركته وحاولت الخروج منه عندما بدأ نجمه في الأفول . لماذا ؟ لأنني قد تركتهم وهم في غاية قوتهم ومجدهم ونجاحهم .

وقلت له :

ــ هل هذا لأنك عرفت أنهم قد بيتوا نية الحرب ؟ .

وقال « شاخت » :

ــ لا . في هذا الوقت من يناير ١٩٣٩ لم يكن عندي أي سبب حتى أتوقع الحرب . ولكني قد تركتهم لأسباب أخلاقية .

وسألته :

ــ ما هي هذه الأسباب الأخلاقية إن لم تكن الحرب ؟ .

وقال « شاخت » :

ــ لأن « هتلر » كان يريد أن يمول مشاريع إعادة التسليح بمعايير تضخمية فكان يريد أن نقدم له النقود المطلوبة ، وإن واجبي لا يتعدى طباعتها وليس أكثر . وهذا من وجهة نظري أمر غير أخلاقي . وقد رفضته .

زنزانة « سبير » :

قال « سبير » إنه كان راضيًا عن الخطب بعد أن قال ما قاله أولئك المحامون الجهلة الذين تولوا الدفاع عنهم . فقد كان كل واحد من هؤلاء المحامين الأغبياء في

نظره يحاول أن يظهر موكله أمام المحكمة أنه رجل لا حول له ولا قوة . بريء ضئيل القيمة .ويحاول أن يجعلهم وكأنهم غير مسئولين بالمرة أمام الشعب الألماني . وكان يعلم أن « جورنج » غاضب ، وأنه تكلم عن المؤامرة المزعومة التي بين الادعاء وبينه وقال :

— « إن دواعيه في هذا واضحة . فهو يبحث عن كبش فداء يجعله مسئولاً عن حكم الموت الذي يتوقعه ، ويعرف أنه يستحقه . وسوف يقول : « دعونا نلم « سبير » من أجل ذلك » .وأي شيء يغطي به ذنبه وجريمته .

وكان « سبير » سعيدًا لأن « جاكسون » وصف « جورنج » مباشرة بأنه منافق .

٢٧ يوليــو

جلســة الصباح :

استمر السير « هارتلي شاوكروس » ووصل في خطبته إلى المذابح والرعب الذي حاق باليهود المعارضين ، وقد اقتبس شيئًا من كلام « شترايخر » و « فون شيراخ » و « فرانك » و « هويس » أثناء شهاداتهم وأقوالهم في المحكمة .

وقد أبدى السير « هارتلي » ملاحظة مؤداها :

— « إن القتل بالجملة صار مصنعًا حكوميًا يقوم على الإنتاج » .

وكانت مظاهر عدم الراحة والعداء قد بدت في وجوه المتهمين الموجودين في القفص تجاه برودة السير « هارتلي » في هجومه الساخن عليهم .

وقد غطى « فون بابن » وجهه بيديه عندما كان السير « هارتلي » يعيد عرض أشياء مفزعة من الماضي القريب عن قتل النساء بعد جز شعورهن وإرسال الخواتم

والأسنان الذهبية إلى بنك الرايخ .

أما « فرانك » و « جورنج » و « شترايخر » و « روزنبرج » فقد شغلوا أنفسهم بقراءة النص المترجم . بينما استمر السير « هارتلي » يقرأ ماذا رأى الشهود الذين رأوا عمليات الإعدام بالجملة . واختارا واحدًا من رجال « هملر » وقرأ جزءًا من شهادته :

ــ « بدون صراخ أو بكاء ، وقف هؤلاء المساكين الذين جردوهم من ملابسهم ، والتف كل واحد حول عائلته مذهولاً ، يقبل كل واحد منهم الآخر ويودعه وينتظر الإشارة من ذلك الذي يقف على مقربة من الحفرة وفي يده سوط وعلى ذراعه علامة الحرس النازي . وخلال الخمس عشرة دقيقة التي وقفتها لم أسمع شكوى واحدة صدرت من إنسان ولم يتقدم واحد يلتمس الرحمة من أحد .

وقد لاحظت عائلة مكونة من ثمانية أفراد . الرجل وزوجته وكلاهما في حوالي الخمسين من عمره ، ومعهما أطفال ثمانية يتدرجون من سن الواحدة إلى سن الثامنة ، وطفل في العاشرة ، وفتاتان يتراوح عمراهما بين العشرين والأربعة والعشرين .

وامرأة عجوز قد غطى رأسها شعر أبيض في لون الثلج ، وكانت تحتضن بين ذراعيها ذلك الطفل الذي عمره عام واحد ، وصارت تغني له أغنية وكان صوتها بعيدًا فلم أفهم معناها ، وهي تربت عليه وتهزه في حنان عجيب للحظة الغريبة التي يقفونها . وكان يبدو على الطفل الهدوء والارتياح . وكانت الفتاتان تنظران إليهما من خلال الدموع .

وأمسك الأب بولده الذي في العاشرة وصار يكلمه كلامًا هادئًا غير مسموع ، وهو يحاول أن يطمئنه ، وكان الطفل يقاوم دموعه والأب يشير له ناحية السماء ، ويربت عليه ويمسح على رأسه ، وكأنه يشرح له بعض الأشياء التي ينبغي أن يعرفها .

وفي هذه اللحظة صاح ذلك الرجل من الحرس النازي الذي كان يقف بجوار الحفرة إلى زميله بشيء ما ، فأحصى ذلك الآخر عشرين شخصًا من الواقفين ، وأمرهم أن يذهبوا إلى خلف الهضبة الصغيرة حيث توجد الحفرة هناك ، ومن بين أولئك الذين أمروهم بالذهاب ، كانت هذه الأسرة بأطفالها .

ولن أنسى تلك الفتاة النحيلة بشعرها الفاحم وهي تأخذ طريقها إلى الموت ومرت بجانبي ونظرت إليَّ وقالت من بين الدموع :

عمري ثلاثة وعشرون .

ومشيت حول الهضبة ، ووجدت نفسي أمام قبر هائل ، والناس قد تكوموا فوق بعضهم ، فلا تستطيع أن ترى غير رءوسهم من تلك الكومة ، وكان الدم ينساب من رءوسهم وأعناقهم إلى أكتافهم ، وكان بعضهم لا تزال به بقية من حياة ، فكانوا يتحركون حركات يائسة يغالبون فيها الموت ، أو كأنهم يتشبثون بالحياة .

وقد ملئت هذه الحفرة مرتين أو ثلاثًا أثناء وقوفي ، وأظن أنها قد امتلأت بألف من القتلى .

ونظرت إلى ذلك الذي أطلق الرصاص ، وكان واحدًا من الحرس النازي ، وكان يجلس على حافةالحفرة وقد تدلت رجلاه فيها ، ووضع مدفعه الرشاش على ركبتيه ، وفي يده لفافة يدخنها ، وكأن شيئًا لم يحدث ، وكان ينفث الدخان في هدوء وبرود عبر منظر الجثث التي لا تزال في بعضها بقية من حياة .

وكان الناس عرايا تمامًا ، وكان البعض منهم قد حاول الهرب من الموت عندما سمع صوت الرصاص ، فجرى منهم من جرى إلى الحافة يريد تسلقها ، وانغرست أظافره في طينها ، والبعض قد جرى فوق الرءوس ، ولكنه لم يفلح في الهرب فسقط فوق زملائه .

وكانوا يأمرون الآخرين بالنزول فوق هذه الجثث ليتم تنفيذ الإعدام فيهم ،

ورأيت بعضهم يكلم بعض من بقي من الأحياء ، ويحاول أن يلاطفه ويخفف عنه سكرات الموت ، ثم ينهمر الرصاص فيلحق به أو يسبقه إلى العالم الآخر .

ونظرت في الحفرة ورأيت الأجساد التي صنعت كومة عالية ، وقد أمسكت بعض الأيدي بالأخرى في خوف أو وداع .

وكان الدم يسيل كالعادة من رءوسهم وأعناقهم إلى أكتافهم » .

وظل « كالتنبرونر » دون أي تعبير على وجهه بعد أن سمع هذا الكلام . أما « ساوكل » فقد ارتفع حاجباه ، وأصبح « فريتشه » شاحبًا يعض شفتيه ، واعتمد « جورنج » رأسه بين يديه وصار ينظر نظرة متعبة .

وحدثت ضجة ضئيلة في القفص فقد كانوا يغيرون أماكنهم . وزوى « فون شيراخ » حاجبيه ولم يتحرك . و « فرانك » و « روزنبرج » ظلاً يقرآن من ترجمة الخطبة . أما « فريك » فقد كان يجلس ساكنًا حتى ذكر اسمه مقترنًا بتسميم المرضى والطاعنين في السن ، وعندها امتقع وجهه وارتجفت شفتاه .

وكان صوت السير « هارتلي » يجلجل في القاعة :

ــ « بأي شيء اختصت السماء هؤلاء الناس حتى يمكنهم تجاهل هذه الأشياء واعتبارها كأن لم تحدث ؟ » .

ثم اقتبس قطعة من كلام « جوته » يقول فيها :

ــ « إن يوم القدر سوف يضرب الألمان يومًا لأنهم يخضعون مخلصين لأي وغد أو نذل يستطيع أن يداعب غرائزهم الدنيا ، أو يؤكد لهم أنهم الجنس الأعلى ، ويعلمهم الوطنية والوحشية وأن يجعلهم بمنأى عن الكون » .

وقال السير « هارتلي » :

ــ بأي نبوءة قد تكلم لهؤلاء المجانين الذين صنعوا هذه الفظائع ؟ .

وكان « فرانك » يرفع صوته في عداوة :

ـــ هذا الإنجليزي الملعون .

وغمغم « روزنبرج » بشيء غير مفهوم ، وظل « فريك » يجز على أسنانه .

واستمر السير « هارتلي » يقول :

ـــ هل أي شيء يمكن أن يحدث إذا فقد البعض حياته ألف مرة بينما الآخرون يستحقون الموت مليون مرة . والإنسانية نفسها في كل بلاد الدنيا تحاول أن تعيد بناء كيانها معتمدة على الأشياء البسيطة السهلة التي يفهمها الجميع . الحرية والحب والتفاهم . وهم يتوجهون إلى هذه المحكمة ويصرخون .. هذه هي قوانيننا ودعوها تنتصر .

وسوف تتذكر دائمًا وأثناء اتخاذك لقرارك أيها القاضي تلك القصة التي سمعتها عن الإعدام بالجملة .

وليس من أجل الانتقام ولكن من أجل ألا يتكرر هذا مرة ثانية .

الأب ـــ ينبغي ألا تنسى ـــ أشار إلى السماء وهو يمسح على رأس ولده ، وكان يبدو أنه يقول شيئًا للغلام قبل أن يطلق عليهما الرصاص .

انتهت يوميات المحاكمة

خاتمة

المحكوم عليهم!



المحكوم عليهم !

استمرت المحاكمة شهرًا آخر عندما كانوا يقدمون بعض المنظمات النازية لإدانة من تثبت عليه الفظائع والمذابح الخاصة بالحرب .

وفي يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٦ كانت آخر جلسات المحاكمة .

وقد قدم كل من الواحد والعشرين متهمًا كلمته الأخيرة دفاعًا عن نفسه . وترك « جورنج » الحديث عن « هتلر » ، وكان يدعو الله والشعب الألماني أن يكون هم الشهود على حقيقته ، وأنه لم يتجاوز أبدًا الوطنية النقية في كل تصرفاته .

وكان هذا النفاق قد أثار « فون بابن » إلى الغاية مما جعله يهاجمه على الغداء ، وقد قال له في غضب شديد :

ــ « من في هذا العالم يمكن أن نسأله عن هذه الفظائع ، من مسئول عنها إن لم تكن أنت ؟ لقد كنت الرجل الثاني في الدولة ! ألا يوجد شخص مسئول عن كل ما سمعناه ، وهذه الخرائب من صنعها ؟ » .

وأشار بذراعيه إلى الخرائب التي كانت تبدو من نافذة غرفة الطعام حيث حولت الحرب مدينة « نورمبرج » إلى ركام .

وضم « جورنج » ذراعيه بدهاء وتكلف الضحك وتوجه ناحية « فون بابن » وقال له :

ـــ « حسن . ولماذا لا تتحمل أنت المسئولية ؟ لقد كنت نائبًا لمستشار ألمانيا ؟ » .

ورد عليه « فون بابن » مزمجرًا وقد احتقن وجهه :

ـــ « لقد اعترفت بنصيبي في هذه المسئولية . ولكن ماذا عنك ؟ أنت لم تأخذ أقل القليل ، ولم ترض أن تتحمل شيئًا منها على الإطلاق . لم ترد أن تكون مسئولاً عن أي شيء . وكل ما فعلته خطب مليئة بالتعاظم الكاذب والكبرياء الزائف . إن هذا هو العار » .

وضحك « جورنج » وهو يحاول مداراة غضب الرجل العجوز .

وأغلب المتهمين قد عرفوا أنهم مدانون بجرائم مرعبة ، ولكنهم قد أوضحوا أنهم قاموا بأدوارهم حسب ظروفهم في إيمان عميق ملاحظين مستواهم واحترامهم لمناصبهم ومهنهم .

فالجنرالات لم يكن أمامهم غير اتباع الأوامر وتنفيذها .

والأدميرالات مثلهم مثل زملائهم في الدول الأخرى .

والسياسيون كانوا يعملون من أجل الوطن الأم .

والماليون كانوا يديرون الأعمال المناطة بهم ليس أكثر .

وقد فهم أخيرًا « روزنبرج » أن الإبادة الجماعية جريمة فظيعة ، ولكنه اعترض وأوضح أنه لم يتخيل أبدًا أن تكون هذه الإبادة فصلاً من فصول فلسفته .. أن يتم العزل بالقوة للعناصر غير المرغوب فيها .

وقد أقر « فرانك » أن النازيين لم يتوقعوا أبدًا هذه الدورة المميتة ولم يتصوروا للحظة أنها سوف تعود عليهم ثانية من الرب .

وتوجه « سبير » بكلامه أثناء دفاعه إلى تحذير العالم من الدمار الذي يتوقع من

حرب قادمة . فهناك الصواريخ التي يتحكم فيها بالراديو . والطائرات التي تطير بسرعة أكثر من الصوت ، وهناك القنبلة الذرية التي تدمر كل شيء بإذن ربها . ثم وصل إلى الحرب الكيميائية وإلى الحرب الجرثومية ، وأن هذه الأشياء يمكن أن تدمر الحياة تمامًا على سطح الأرض .

أما « هيس » فقد اكتشف فجأة أن ذاكرته قد عادت إليه من خلال ذهنه الغامض المشتت الهائم ، أثناء خطبته الأخيرة .

وكانت هذه هي المرة الثالثة التي يكتشف فيها ذاكرته أثناء هذه المحاكمة ! .

ثم عاد مرة أخرى إلى صمته المثير في الزنزانة من جديد .

وبينما المتهمون ينتظرون النطق بالحكم كانت حالتهم النفسية بالغة الصعوبة ، فهم في اكتئاب طوال الوقت ، رغم التعليمات المريحة التي كانت قد صدرت في السجن ، والتي تقضي بالسماح لهم بزيارة بعضهم بعضا في أجنحة السجن المختلفة .

وقد عرف « جورنج » أنه قد هزم أمام جبهة المحللين النفسانيين . فقال لي :

ـــ « يجب ألا تهتم كثيرًا بأسطورة « هتلر » أكثر من ذلك . فعندما يعلم الشعب الألماني كل هذه الأمور التي قيلت في المحاكمة فلن تكون هناك ثمة ضرورة للحكم عليه ، فهو قد حكم على نفسه » .

وعندما كان يوم النطق بالحكم يقترب صار « جورنج » أكثر عصبية وضيقًا ، وصار من الصعب عليه الضحك .

وكان « كايتل » مكتئبًا ويشعر بعاره ، ويرفض مقابلة زوجته في الزيارات التي كان يسمح بها لهم . وقال :

ـــ إني لا أستطيع النظر في وجهها .

أما « ساوكل » و « روزنبرج » و « فريتشة » و « فونك » فقد كانوا يظلون

في زنازينهم لا يغادرونها ، وقد استلقوا على أسرتهم في صمت وهم يحملقون في سقف الزنزانة .

و « ريدر » أعاد أنه لا يتوقع أن يكون الحكم عليه أقل من الموت وهو يفضله على السجن مدى الحياة .

وكان « شاخت » هو الوحيد الواثق من براءته . وكان يحاول أن يسأل عن أحوال بعض رجال الصناعة الألمان الذين كان من المفترض أن يحاكموا . وتكلم حول هذا الموضوع في زنزانته وقال :

ــ « إن كنتم تريدون أن تحاكموا رجال الصناعة الذين ساعدوا في إعادة تسليح ألمانيا ، فينبغي عليكم أن تحاكموا وتحاسبوا رجال صناعتكم أيضًا . فمصانع أوبل على سبيل المثال . وهؤلاء لم يصنعوا شيئًا غير إنتاج الحرب . إنها مملوكة لشركة جنرال موتورز . لا .. ليست هناك طريقة للنيل منهم .. لا يمكنك أن تحاكم رجال الصناعة أبدًا » .

أما « رينتروب » فقد كان حزينًا لاضطراب سمعته والأكاذيب الكثيرة التي قالها . وكانت شحوبة الخوف من الموت قد تسربت إلى وجهه البائس المنهك .

وقبل ذلك اليوم الذي كان قبل النطق بالحكم أشار إلى أنه يمكنه أن يكتب كتابًا وربما يكون من عدة مجلدات حول أخطاء النظام النازي لو أعطيناه الوقت الكافي لهذا . ثم ذهب بعيدًا عندما اقترح عليَّ أنه يمكنني أن أصنع معروفًا عظيمًا يسجله التاريخ لي إذا تشفعت لدى المحكمة معتمدًا على سلوك المتهمين في السجن لاستخدام الرحمة والرأفة عند الحكم عليهم . ومن ثم يمكنه أن يكتب هذه المذكرات .

وأخيرًا في ٣٠ سبتمبر و ١ أكتوبر ١٩٤٦ أصدرت المحكمة حكمها وقرئ على كل من الواحد والعشرين متهمًا .

وقد برئ كل من « شاخت » و « فون بابن » و « فريتشه » ووجد أنهم غير

مذنبين . وقد تمت إدانة الباقين بأنهم مذنبون في واحد أو أكثر من الادعاءات التي كانت مقامة عليهم .

آخر ملاحظات اليوميات :

١ أكتوبر سنة ١٩٤٦

السجـــن في المســـاء :

عندما كان المتهمون المدانون يستعدون للحظة الاستدعاء لسماع الحكم الخاص بكل منهم تكلمت مع « شاخت » و « فون بابن » و « فريتشه » الذين برئت ساحتهم عندما كانوا يقومون بحزم أمتعتهم الخاصة لينتقلوا إلى الزنازين في الدور الثالث .

وكان « فريتشه » مضطربًا متأهبًا ويبدو عليه أنه سيفقد توازنه أو أنه مصاب بالدوار وقال :

ــ « أنا حقيقة منهك القوى ولا أتخيل أن يطلق سراحي الآن من هنا ، وإنني لن أرسل إلى روسيا . هذا لم يخطر ببالي ولم أتعشمه لحظة » . وكان سعيدًا من أن المحكمة قد أدركت حقيقة ذلك الوغد « شترايخر » وتلك الكراهية العميقة التي قد ملأت قلبه .

أما « فون بابن » فقد كان متفاخرًا متباهيًا ولكنه كان مدهوشًا في وضوح شديد وقال :

ــ « لقد كنت آمل هذا ولكني في الحقيقة لم أتوقعه » .

وكلفتة طيبة فقد طلب مني أن آخذ سلة البرتقال التي عاد بها من طعام الغداء

إلى « فون نيوراث » .

وكذلك فعل « فريتشة » الذي طلب مني أن أعطي سلته إلى « فون شيراخ » .

أما « شاخت » فقد ظل في الزنزانة حتى انتهى من أكل برتقاله .

ثم جاء المتهمون المدانون إلى أسفل واحدًا بعد الآخر ليسمعوا النطق بالحكم عليهم ، وكان من واجبي أن أقابلهم بعد ذلك عند عودتهم إلى زنازينهم .

وقد سألت كل واحد منهم : ما هو الحكم الذي صدر ضدك ؟ .

وجاء « جورنج » أولاً إلى أسفل بخطى واسعة ودخل زنزانته وكان وجهه شاحبًا متجمدًا وعيناه جاحظتان وقال كلمة واحدة :

ــ « الموت » .

ثم ألقى بنفسه على سريره وأمسك بكتاب ويداه ترتجفان وهو يحاول أن يبدو غير مكترث ، وكانت عيناه مبللتين بالدموع ويبدو منهكًا ويقاوم حتى لا ينهار أمامي . وطلب مني في صوت مضطرب أن أتركه وحده لفترة قصيرة .

وكان « هيس » يتبختر مزهوًا ضاحكًا في عصبية وقال : إنه في الحقيقة لم ينصت إلى ذلك الحكم الذي صدر ضده ، ولهذا هو لا يعرف ماذا قالوا ، وعلى أي حال فهو لا يهتم كثيرًا بمسألة الحكم عليه هذه .

وبينما كان الحارس يحكم القيود الحديدية في يديه سألني :

ــ لماذا يضعون هذه القيود في يدي ويتركون « جورنج » بدونها ؟ .

وقلت له :

ــ لعله خطأ غير مقصود تم مع السجين الأول .

وضحك « هيس » وقال في غموض :

ــ أنا أعرف لماذا .

وأخبرني الحارس أنه قد صدر ضده الحكم بالسجن مدى الحياة .

وكان « رينتروب » يتجول في الزنزانة مذعورًا ، وهو مأخوذ تمامًا وفي دهشة كاملة وأجابني على سؤالي :

ــ « الموت .. الموت .. لن أستطيع كتابة مذكراتي الجميلة .. هذا كثير من الكراهية » .

ثم جلس وهو يبدو أنه قد انكسر تمامًا وصار يحملق في الفضاء .

كان « كايتل » قد وصل زنزانته وظهره إلى الباب عندما دخلت فكان يقوم ويدور في الزنزانة حتى ينتبه إلى نهايتها فيعود وهو يضم قبضة يده والرعب يملأ عينيه ، وقال معلنًا لي :

ــ « الموت شنقًا » .

وكان صوته أجش وهو يقولها وكأن شعورًا بالعار يكتنفه أثناء نطقه بها . وقال « كايتل » :

ــ هذا على الأقل يمكن أن أتحمله .. وأنا لا ألومك لأنك تقف على مسافة بعيدة مني لأنني إنسان قد حكم عليه بالموت شنقًا .. أنا أفهم هذه الأشياء جيدًا ..ولكني لا زلت كما كنت من قبل .. فإن استطعت وإنني أرجوك أن تأتي لزيارتي في هذه الأيام الأخيرة .

وقد قلت له إنني سوف أفعل .

أما « كالتنبرونر » فقد كان يفرك يديه في خوف شديد لا يمكن تبينه في وجهه الشديد الحساسية . وهمس لي بكلمة واحدة .

ــ « الموت » .

ولم يستطع أن يقول شيئًا آخر .

أما « فرانك » فقد ابتسم في أدب ولم ينظر ناحيتي وقال في هدوء :

« الموت شنقًا » .

وأشار بيده إلى عنقه وقال :

ــ أنا أستحقه وكنت أتوقعه كما أخبرتك دائمًا وإنني لسعيد لاستطاعتي التكفير عن خطاياي أخيرًا .. وكانت فرصة جيدة لأفكر فيها حول كل شيء أثناء تلك الشهور القليلة التي مضت .

أما « روزنبرج » فقد كان يزأر في اهتياج عندما كان يستبدل رداء السجن الذي كان يرتديه وهو يقول :

ــ الحبل .. الحبل .. أليس هذا ما كنت تطلبه ؟ أليس هذا ما كنت تريد ؟ .

وذهبت إلى « شترايخر » وسألته وقد ابتسم ناحيتي مخادعًا وقال :

ــ الموت بالطبع . وهذا هو ما توقعته بالضبط ، وأنت كنت تعرف هذه الحقيقة طول الوقت » .

أما « فونك » فقد لاحظ الحارس وهو يحكم القيود الحديدية وابتسم ابتسامة متكلفة مرتبكة ثم دار دورة في الزنزانة ورأسه منحن إلى أسفل ، وهو يغمغم بأشياء لم أتبينها جيدًا وقال :

ــ السجن مدى الحياة !! ماذا تعني تلك الجملة ؟ هل يقصدون أنهم يضعونني في السجن بقية حياتي ؟ هل يفعلون هذا ؟ لا أظنهم يعنون هذا ! هل يعنون هذا ؟ » .

ثم صار يغمغم قائلاً :

ــ لم أكن مدهوشًا لبراءة « فريتشه » ولكنني في دهشة شديدة من أنهم تركوا

« شاخت » و « فون بابن » وبرءوهم .. مدهوش جدًا .

وذهبت إلى « دونيتز » فلم يكن يعرف كيف يتناول هذا الأمر فكان يقول :

ــ عشر سنوات .. حسن .. على أي حال قد أوضحت مسألة القوارب البحرية ..وإن الأدميرال « نيمتز » يفهمني جيدًا .

وبينما « ريدر » قادم إلى الزنزانة سأل الحارس عند الباب عما إذا كانوا سيخرجون إلى الطابور بعد الظهر أم لا . وعندما رآني أشار إليَّ أنه لا يريد الحديث . ولم أدخل زنزانته وسألته من خلال الكوة التي في الباب عن الحكم فقال :

ــ لا أعرف فقد نسيت ..

ودفعني بعيدًا عن الزنزانة .

وأخبرني الحارس أنه قد حكم عليه بالسجن مدى الحياة .

وكان وجه « فون شيراخ » مكفهرًا وحساسًا وكان مرتفع الرأس وهو في طريقه إلى الزنزانة وقال لي :

عشرون . (يقصد عدد سنوات السجن) .

وكان الحراس يفكون من يديه القيود الحديدية وقلت له : إن زوجته في شوق شديد حتى تعرف أن العقوبة ليست الموت وهي ما كنت تخشاه .

ولكنه علّق قائلاً :

الموت السريع أحسن بكثير من الموت البطيء .

ثم سألني عن بقية العقوبات التي نزلت ببقية المتهمين .

وقال :

ــ « إن كل واحد قد نال الحكم الذي كان يتوقعه » .

أما « ساوكل » فقد كان غارقًا في عرقه وهو يرتعد عندما دخلت إلى زنزانته . وقال لي :

ــ لقد حكموا عليَّ بالموت لأنني لا أستحق الحياة !! ولا أعتبر أن هذا الحكم عادل أبدًا .. فلم أكن يومًا قاسيًا أو متجبرًا .. وكنت أحاول دائمًا أن أكون طيبًا مع العمال .. ولكنني رجل وأستطيع أن أتحمل هذا .

ثم انفجر في بكاء عميق .

واقتادوا « يودل » إلى زنزانته ، وكان يسير متصلبًا مستقيمًا في مشيته ،وهو ينظر محملقًا هنا وهناك متجنبًا النظر إلي . وبعد أن فكوا قيوده وصار في الزنزانة تردد لثوان معدودة ، وكأنه لا يستطيع إخراج الكلمات من فمه ، وكان وجه محتقنًا بالدماء ، وكأن هناك توترًا في أوعيته الدموية وقال :

ــ « الموت شنقًا .. هذا في النهاية .. وأنا لا أستحق ذلك .. هذا هو جانب الموت .. حسن على أي حال .. كان على شخص ما أن يتحمل هذه المسئولية .. لكن هذا !! » .

وارتعش فمه واضطرب صوته للمرة الأولى وقال :

ــ أنا لا أستحق ذلك بالتأكيد .

وابتسم « سايس انكوارت » ولكن شرخًا في صوته يبين كذب محاولته للتماسك وقال :

ــ « الموت شنقًا » .

وابتسم ثانية وهز كتفيه وقال :

ــ « حسن فبالنظر إلى الحالة برمتها فأنا لم أتوقع شيئًا غير هذا . هذا حسن جدًا » .

وسألني عما إذا كانوا سيحضرون شيئًا من التبغ ، واعتذر أنه يبدو تافهًا في موقف كهذا .

وضحك « سبير » بعصبية وقال :

ــ « عشرون عامًا .. حسن .. هذا عدل بما فيه الكفاية .. لا يمكنهم أن يصدروا ضدي حكمًا خيرًا من هذا . آخذين في الاعتبار تلك الحقائق التي كانت .. ولا يمكنني الشكوى منه » .

وقلت له :

ــ إن هذا الحكم يبدو أنه صارم جدًا .

وقال « سبير » .

ــ هو كذلك .. ومن السخف بمكان أن أشكو منه .. ولكني سعيد أن « فريتشه » قد برءوه .

أما « فون نيوراث » فقد قال :

ــ « خمسة عشر عامًا » .

وكان يتكلم بصعوبة ، وقد مست قلبه لفتة « فون بابن » الطيبة عندما أرسل إليه سلة البرتقال .

وكان « فريك » يرتجف وهو متصلب وقال :

ــ « الشنق !!.. لم أكن أتوقع شيئًا مختلفًا » .

ثم سألني عن الآخرين . وقد أخبرته أن هناك أحد عشر متهمًا قد حكم عليهم بالموت وهو منهم . وقال :

ــ « أحد عشر حكمًا بالموت ؟ لقد تصورت أنهم سيكونون أربعة عشر .. حسن .. إني أرجو وآمل أن ينتهوا من هذا بأسرع ما يستطيعون » .

وبينما كان « جورنج » يستجمع نفسه ليتكلم قال : إنه كان يتوقع بطبيعة الحال أن العقوبة هي الموت . وهو سعيد لأنهم لم يحكموا عليه بالسجن مدى الحياة . لأن هؤلاء الذين يحكم عليهم بالسجن مدى الحياة يحرمون من ميتة الشهداء .

ولم تكن في حديثه هذه المرة أية إيماءة أو إشارة لتلك الثقة القديمة والشجاعة التي كان يتظاهر بها . وقد وضح ذلك في صوته تمامًا . ويبدو أن « جورنج » قد أدرك في النهاية أنه ليس هناك ما هو طريف وجميل حول الموت عندما تكون أنت الشخص الذي يذهب إليه .

أما الآخرون الذين برئوا فإن هناك صعوبة للاستمتاع بحريتهم فلم تعلن براءتهم بعد ، حتى تستوضح حالة كل واحد منهم مع الإدارة المدنية الألمانية ، وهل سيتم القبض عليهم بتهمة خيانة الشعب الألماني أم لا .

وكان هناك طابور طويل من شرطة « نورمبرج » قد انتشر حول قصر العدالة للقبض عليهم عندما يخرجون منه . وقد ظلوا ثلاثة أيام وثلاث ليال في السجن يستريحون ، وهم في خوف شديد من مواجهة شعبهم .

وقد أوضح « فون بابن » فقال :

ـــ « أبدو كحيوان خائف أن يصطاد .. فلن يتركوني أعيش في سلام » .

وقد قال هذا وهو في غاية الضيق والكآبة .

وطلب مني « فريتشه » أن آتيه بمسدس لينتهي من كل هذا العذاب ، فهو لم يعد يحتمله أكثر من ذلك .

وفي النهاية أخرجوا « فريتشه » و « شاخت » من السجن عندما انتهى الليل وقبض عليهما مرة ثانية .

قبض عليهما ، ثم أفرج عنهما ، ثم قبض عليهما للمرة الثانية ! وكان على « فون بابن » أن يبقى حتى تسنح له الفرصة في الخروج .

وكان « فرانك » يسمع هذه الأشياء من زنزانته .. زنزانة الموت . وقد قطعوا عليه تأملاته المليئة بالندم والأسف . وقال لي وهو يضحك :

ـــ ها .. ها .. هم يظنون أنهم سوف يخرجون في حرية .. ألا يعرفون أنهم لن يمكنهم التحرر من الهتلرية .. نحن فقط الذين سوف نتحرر منها .. لقد حصلنا على أحسن شيء في هذه القصة .. ها .. ها .. ها .. » .

ولكن « جورنج » لم يضحك لهذا وكان يرقد في سريره بملابسه الكاملة و لم يعد يهتم بكوائها ، وكان في مناقشاتنا لا يزال يتلاعب بالألفاظ ويتكلم عن أسطورة البطولة وفكرتها ، مثله في هذا كطفل يمسك ببالونة قد تهرأت وبقاياها في يده ممزقة .

وبعد مرور أيام من النطق بالحكم سألني « جورنج » عن تلك الاختبارات النفسانية ، وما الذي أظهرته حول شخصيته ، وعلى الأخص اختبار بقعة الحبر . وقال : إن هذه المسألة كانت تضايقه طوال الوقت .

وقلت له :

ـــ « بصراحة شديدة .. لقد أظهرت تلك الاختبارات أنك رجل نشيط ولكنك صاحب عقل عدواني ، وأنه ليست لديك القدرة على احتمال ومواجهة المسئولية . وقد كشفت نفسك في إشارة خفيفة أثناء الاختبار مع بقعة الحبر .

وحملق ناحيتي في ذعر وخوف بينما قلت له :

ـــ « هل تذكر ذلك الكارت الذي كانت به بقعة حمراء ؟ حسن .. أولئك العصابيون المروعون في العادة يترددون تجاه هذا الكارت ويقولون : إن هناك دمًا فيه . وأنت قد ترددت ولكنك لم تقل إنه دم . وقد حاولت أن تطمسها بإصبعك . ومن ثم فقد ظننت أنه يمكنك أن تزيح هذا الدم بإشارة صغيرة . وقد فعلت نفس الشيء طوال المحاكمة فعندما لا يعجبك شيء كنت تخلع السماعة من أذنيك حتى لا تسمعه ، كذلك عندما تكون الأدلة التي تدل على جريمتك واضحة بشكل لا يحتمل .

وقد فعلت الشيء نفسه في الحرب أيضًا ، فقد طردت الفظائع من رأسك كأنها ليست موجودة ، فلم تكن لديك الشجاعة لتواجهها . هذا هو ذنبك . وأنا أوافق « سبير » في أنك رجل جبان وهذه هي حقيقة أخلاقك » .

وحملق فيَّ « جورنج » في صمت لفترة قصيرة ثم قال :

ــ هذه الاختبارات النفسية لا معنى لها . وإنه لا يعنيه بالمرة ما الذي يمكنه أن تفسره هذه الاختبارات . وقد قال « سبير » منذ أيام قليلة إنه قد أعطى الدكتور « شتامر » محاميه تقريرًا أن أي شيء يقوله المحلل النفساني عما يدور في السجن لا معنى له وأنه مجرد وهم .

وفي الليلة التي سبقت تنفيذ حكم الإعدام في « جورنج » سأل « القس » ليقوم بإجراء الطقوس الخاصة بالعشاء الأخير وأن يباركه على طريقة الكنيسة اللوثرية .

وأحس القس « جيريك » بأنها حركة استعراضية مسرحية جديدة . وقد أخبر « جورنج » أنه لم يبد حتى الآن أية ظاهرة أو إشارة تدل على الندم عما فعله . وقال له : إنه لا يمكنه أن يعد عرضًا لشخص لا يعنيه في الحقيقة هذا الطلب .

وفي الليلة التي تلت فهمنا سبب إصراره على هذه الطقوس فقد انتحر[٤٥] . ومات « جورنج » كما عاش ، مريضًا مضطرب العقل يريد أن يخدع الإنسانية كلها وأن يسخر من قيمها ، وأن يتحرر من ذنبه بشكل درامي .

وأثناء ليلة ١٤ ــ ١٥ أكتوبر استطاع « جورنج » أن يلحق بـ « هتلر » و « هملر » و « جوبلز » و « لي » بعد أن اختار الانتحار .

أما العشرة الآخرون المدانون والمحكوم عليهم بالموت فقد تم إعدامهم في نهاية المحاكمة .

وفي اليوم الذي تلا الموت لكل القادة النازيين سألت واحدًا من المحامين الألمان :

ــ ما الذي سوف يراه الشعب الألماني حول هذه النهاية للرايخ الثالث ؟ .

وفكر هذا المحامي قليلاً ثم قال لي :

ــ « حتى أخبرك الحقيقة فإنهم يفكرون في الأشياء التي تريدونهم أن يفكروا فيها . فلو علموا أنكم لا تزالون تدعمون النازي فإنهم سيقولون : إنه من العار أن يقوم المنتصرون بالانتقام من قادتنا .. انتظر لحظة .. وإذا عرفوا أنكم تدينون النازية ، والبؤس والخراب الذي ألحقته بألمانيا فإنهم سوف يقولون .. لقد استحق هؤلاء الخنازير هذه الموتة .. والموت هو أحسن شيء لهم ! نعم يا سيدي الدكتور : فإن اثني عشر عامًا تحت حكم « هتلر » قد حطمت البنية الأخلاقية للشعب الألماني تمامًا » .

الأحكام

مقتطفات من الأحكام الخاصة بالمتهمين



التهم الأربع التي وجهت إلى المتهمين هي :

١ ــ التآمر لارتكاب جرائم مبينة في البنود الأخرى .

٢ ــ جرائم ضد السلام .

٣ ــ جرائم الحرب .

٤ ــ جرائم ضد الإنسانية .

ملحوظة : أدين بعض المتهمين في بعض التهم وأدين البعض الآخر في جميعها .

« جورنج » :

« منذ اللحظة التي انضم فيها « جورنج » إلى الحزب عام ١٩٢٢ أخذ قيادة المنظمات المقاتلة في الشوارع . وصار المستشار والوكيل النشيط لهتلر ، وواحدا من قادة النازي الأوائل . وكنائب سياسي لهتلر فقد أعد برنامجًا ضخمًا أدى إلى فوز الاشتراكية الوطنية ووصولها إلى السلطة في عام ١٩٣٣ ، وعمل على توحيد القوة

المسلحة الألمانية واتساعها وازدياد حجمها . وقام على تطوير الجستابو ، وهو الذي أوجد أول معسكر للاعتقال . ثم تركها لهملر في عام ١٩٣٤ . وقاد حمامات « روهم » الدموية في العام نفسه . وهو الذي خطط للعمليات القذرة التي أدت في النهاية إلى استبعاد « فون بلومبرج » و « فون فريتش » من الجيش ...

وكان الشخصية الرئيسية في عملية الأنشلوس مع النمسا فقد كان زعيم الحلقة ...

وفي الليلة التي سبقت غزو تشيكوسلوفاكيا والتهام بوهيميا ومورافيا وفي مؤتمر حضره « هتلر » والرئيس « هاشا » هدَّد بقصف براغ بالقنابل ما لم يمتثل « هاشا » لما هو مطلوب منه ...

وهو الذي قاد سلاح الطيران الألماني أثناء الهجوم على بولندا ، ومن ثم نشأت الحرب العدوانية التي تطورت بعد ذلك ...

وإن التحقيقات قد أثبتت أنه كانت لديه الأوامر وأعطى الإذن باستخدام العمال وتسخيرهم كالعبيد ...

... وقد أعد الخطط المسبقة لنهب وسلب الاتحاد السوفييتي قبل أن تنشب الحرب معه بوقت طويل ...

وقد اضطهد « جورنج » اليهود وعلى الأخص بعد شغب نوفمبر ١٩٣٨ وليس في ألمانيا وحدها ولكن في كل مكان . وقد حصل منهم على مليار مارك ألماني حتى يستوطنوا في مكان آخر . ومن كلامه والشهادة التي أدلى بها شخصيًا ظهرت اهتماماته الأولية حول الاقتصاد . وكيف يمكنه الحصول على ممتلكاتهم ، ثم يجبرهم بعد ذلك على الخروج من الحياة الاقتصادية في أوروبا . وعلى الرغم من أن يدي « هملر » هما الملوثتان بإبادتهم ، فإن « جورنج » كان بعيدًا عن النزاهة والأمانة ، وهو ما جاء في أقوال الشهود ...

وليس هناك ما يمكن أن يخفف من ذنب مثل هذا ...

وإنها لجريمة فريدة من نوعها وحجمها . وقد اطمأنت المحكمة أنه لا يوجد عذر واحد لهذا الرجل فيما فعل » .

القرار : مذنب في الاتهامات الأربع .

الحكم : الموت شنقًا .

« هيس » :

« ... وكنائب للفوهرر كان « هيس » أعلى رجل في الحزب النازي وعنده الصلاحية والسلطة ليدير كل شئون الحزب ، وقادرًا على صنع القرار باسم « هتلر » في كل الشئون الخاصة بالحزب ..

كان « هيس » مشتركًا بإرادته الكاملة وله الرغبة في العدوان الألماني ضد النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ...

وفي ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٧ وأثناء المناقشات التي تمت في ميونخ رتب مع « كايتل » أن يحملوا الأوامر والتعليمات الخاصة بهتلر حتى تدور آلة الحزب النازي وتكون قادرة على تحقيق التعبئة العامة السرية ...

وكانت معه أثناء رحلته إلى انجلترا اقتراحات محددة للسلام كان « هتلر » قد أعدها للموافقة عليها . والشيء المثير للانتباه ملاحظة تقول إن رحلة « هيس » إلى انجلترا تمت بعد عشرة أيام من الاجتماع الذي تم فيه الاتفاق على موعد الهجوم على روسيا ...

وفي تحقيق خاص فقد وجدت المحكمة بعد اختبارات طبية واسعة وتقرير مستفيض عن حالة المتهم أنه يمكن له أن يمثل أمام المحكمة وليس هناك من سبب لتأجيل حالته . وتقدمت اقتراحات بفحص حالته بعد ذلك . وقد تمت الفحوص . وجاءنا تقرير من محلل السجن النفساني .

وكانت طريقة « هيس » في النشاط غير عادية ، ويعاني من فقده الذاكرة . وقد فسد ذهنه أثناء نظر هذه المحاكمة ، وقد يكون ذلك صحيحًا . وليس هناك ما يدل على أنه لا يدرك طبيعة الاتهامات الموجهة ضده . أو أنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه . وهو يمثل في المحاكمة ومعه مجلس دفاعه الذي يتولى الأمر عنه ، والذي وافقت المحكمة عليه . ولم يصل إلى علم المحكمة أنه مجنون تمامًا عندما ارتكب ما فعله في الاتهامات الموجهة إليه .

القرار : مذنب في ١ ، ٢ .

الحكم : السجن مدى الحياة .

رينتروب :

« لم يكن « رينتروب » موجودًا في مؤتمر هوشباخ الذي عقد في ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ ، ولكن كان موجودًا في ٢ يناير ١٩٣٨ عندما كان سفيرًا لألمانيا في انجلترا ، وقد أرسل يومياته إلى « هتلر » يشير فيها برأيه حول تغيير الأمر الواقع في الشرق ، ولا يتم هذا إلا بالقوة ، واقترح بعض الطرق لمنع انجلترا وفرنسا من التدخل في حرب تدور في أوروبا حتى يمكن إحداث التغيير ...

وقد شارك « رينتروب » في خطط العدوان ضد تشيكوسلوفاكيا بدءا من مارس سنة ١٩٣٨ ، وقد كان قريبًا من حزب السوديت الألماني ، وقد أصدر إليهم التعليمات لإبقاء مشكلة الألمان في السوديت قائمة ، الأمر الذي يخلق عذرًا مناسبا عند هجوم ألمانيا للاستيلاء على أراضي السوديت ، ومن ثم تستطيع أن تهاجم أراضي تشيكوسلوفاكيا ...

وبعد معاهدة ميونخ استمر في عمليات الضغط الدبلوماسي لاحتلال ما تبقى من الأراضي التشيكوسلوفاكية ...

وقد لعب « ريبنتروب » دورًا هامًا وصنع قواعد دبلوماسية للنشاط في خارج ألمانيا ، وهي التي أدت في النهاية إلى الهجوم على بولندا .

وقد شارك في المؤتمر الذي عقد في ١٢ أغسطس ١٩٣٩ من أجل أن يحصلوا على دعم إيطاليا إذا أدى الهجوم إلى حرب عامة في أوروبا .

وقد ناقش « ريبنتروب » مسألة دانزج والممر البولندي مع السفير الإنجليزي في الفترة ما بين ٢٥ أغسطس إلى ٣٠ أغسطس ١٩٣٩ ، في الوقت الذي يعرف فيه أن الخطط الألمانية تقضي بالهجوم على بولندا ، وهو يبذل الجهد من أجل أن تترك بريطانيا ضمانها الذي أعطته لبولندا ...

وقد لعب دورًا هامًا في حل « هتلر » النهائي للمسألة اليهودية في سبتمبر سنة ١٩٤٢ ، وقد أعطى تعليماته وأوامره للمفوضين الألمان في السفارات الشرقية أن يقوموا بجمع المعلومات حول اليهود ...

وقد شارك « ريبنتروب » في كل عمليات العدوان التي قام بها النازي منذ الاستيلاء على النمسا حتى غزو الاتحاد السوفييتي ...

وكان هذا لأن سياسة « هتلر » وخططه تتفق مع أفكاره الخاصة وقد خدمه حتى النهاية .

القرار : مذنب في الاتهامات الأربعة .

الحكم : الموت شنقًا .

« كايتــل » :

كان « كايتل » موجودًا في ٢٣ مارس ١٩٣٩ ، عندما أعلن « هتلر » قراره بغزو بولندا في أية فرصة قريبة سانحة .

وقد قام بتوقيع الأوامر الإدارية الخاصة بالقوات المسلحة الألمانية لتحقيق غزو بولندا حسب جدول المواعيد المعدة للغزو في ١ مايو ...

وقد قال « هتلر » في ٢٣ مايو ١٩٣٩ إنه يود لو يتجاهل حياد بلجيكا وكذلك هولندا . وقد قام « كايتل » بتوقيع أوامر الهجوم في ١٥ أكتوبر و ٢٠ نوفمبر وبعد ذلك في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٩ ...

وقد شهد « كايتل » أنه كان يعارض الغزو بالنسبة للاتحاد السوفييتي لأسباب عسكرية ، وأسباب تختص بالاتفاق الذي أبرم معهم بعدم الاعتداء والذي لا يجب أن ينتهك ، ورغم كل هذا فقد وقع وأصدر الأمر بوضع خطة العملية بارباروسة للهجوم على روسيا ، واعتمدت من « هتلر » في ١٨ ديسمبر ١٩٤٠ ، ثم أرسلت إلى رئاسة أركان حرب القوات المسلحة الألمانية ونوقشت مع « هتلر » في ٣ فبراير سنة ١٩٤١ ...

وقد قرَّر « كايتل » أن الهجوم على الجنود الألمان في الشرق يجب أن يقابل بحزم وأصدر تعليماته التي تقضي بأن يموت من خمسين إلى مائة شيوعي مقابل قتل جندي ألماني واحد ، فالحياة الإنسانية لا تعد شيئًا ولا قيمة لها في تلك البلاد ...

وفي الحقيقة أنه لا يوجد ما يخفف من جرمه ، فالأوامر العليا حتى إلى الجنود لا يمكن أن تقبل على هذه الصورة ، وهي جرائم قد هزتنا وصدمتنا ، وهي بالغة الحدة ، وارتكبت بلا ضمير ، وفعلت دون أدنى شعور حسن .

القرار : مذنب في الاتهامات الأربعة .

الحكم : الموت شنقًا .

« كالتنبرونر » :

... صار رئيسًا للخدمة السرية للشرطة ، وهو رئيس الجستابو وفرق الأمن

المركزي من ٣٠ يناير سنة ١٩٤١ وقد أخذ على عاتقه المنظمة التي تحتوي على المكاتب الرئيسيه للجستابو تلك الشرطة الإجرامية ، وأثناء العهد الذي كان فيه « كالتنبرونر » رئيسًا لفرق الأمن المركزي ، فقد تورط في برنامج واسع من جرائم الحرب ، وجرائم ارتكبت ضد الإنسانية ، ومن ضمن هذه الجرائم المعاملة بقسوة ، وقتل الأسرى واليهود والشيوعيين وكل الآخرين وكل المعادين للنظام النازي ، وقد كتب تقريرًا حول هذا في إدارة الأمن المركزي ، وقد قاموا بترحيلهم ثم قتلوهم ...

وكانت الأوامر تقضي بإعدام فصائل الفدائيين بعد أن يتم استجوابهم عند الجستابو بما في ذلك رجال المظلات الذين يهبطون وقد تم ذلك أثناء رئاسته . وقد وجدت تعليمات موقعة منه إلى الشرطة المحلية بعدم التدخل لإنقاذ الطيارين من الحلفاء ممن يريدون قتلهم ...

وقد لعبت إدارة الأمن المركزي دورًا هامًا في الحل النهائي الخاص بإبادة اليهود ، وقد تكونت من أجل ذلك الفرقة الرابعة التابعة لإدارته والمفروض أنها تقوم على تنفيذ البرنامج الخاص بالإبادة . وقد استطاعت القضاء تقريبًا على ستة ملايين من اليهود وغيرهم ، وكانت التقارير والإخطارات تصل إلى « كالتنبرونر » عن نشاط هذه الفرقة الرابعة ، وكان أيضًا رئيسًا للحرس النازي وقائدًا للبوليس ، وقد استمروا في أداء مهمتهم بينما صار هو رئيسًا عامًا لإدارة الأمن المركزي .

وقد كان عدد القتلى في معسكرات الاعتقال كبيرا فقد بلغ عددهم أربعة ملايين ...

وقد تم كل هذا تحت إشراف إدارة الأمن المركزي التي كان يرأسها « كالتنبرونر » .

القرار : مذنب في ٣ ، ٤ .

الحكم : الموت شنقًا .

« روزنبــرج » :

« ... عرف بأنه المنظر والمفكر للحزب النازي ، وهو الذي طور ونشر النازية

في الصحف مثل « الفولكشاير بيوباختر » ومجلة « مونتيشفته » التي كان يحررها ، وقد كتب العديد من الكتب ...

وقد رأس المنظمات التي أنشئت في جميع أنحاء العالم لتحقيق المكايد النازية ، وكانت منظمته مسئولة بشكل كامل عن ربط رومانيا بدول المحور .

وقد لعب دورًا هاما في التحضير والتخطيط للهجوم على النرويج .

ويعتبر « روزنبرج » صاحب المسئولية العظمى في تكوين وتنفيذ السياسات الخاصة بالاحتلال في البلاد الشرقية . وقد أُخطر من هتلر في ٢ أبريل سنة ١٩٤١ أن الهجوم على الاتحاد السوفييتي وشيك ، وقد أبدى الرغبة في المساعدة بخبرته في النصح السياسي حول هذه البلاد ...

وفي ١٧ يوليو سنة ١٩٤١ أشار « هتلر » إلى « روزنبرج » أنه صار وزيرًا للأراضي المحتلة في الشرق ، وعد مسئولاً عن الإدارة المدنية ، وقد ساعد على تنفيذ سياسة تحويل هذه المناطق إلى مناطق ألمانية خالصة ، وقد عمل على مسحها ونزع خيراتها وإجبار العمال وإعدام اليهود ، وإخضاع الجميع للحكم النازي ، ورتب الأمور لتهجير الجميع إلى خارج بلادهم . وكان على معرفة كاملة بالمعاملة الوحشية لأهل البلاد في الشرق . وهو الذي قال إن اتفاقية لاهاي للأراضي التي يدور فيها القتال لا تنطبق على تلك المساحات الشرقية التي احتلت . وقد عمل على سلب هذه البلاد الشرقية من المواد الخام ومن الأطعمة ، والتي أرسلت إلى ألمانيا ، وهو الذي قرّر أن إطعام الشعب الألماني هو أول شيء في قائمة الأهداف التي ينبغي تحقيقها في الشرق . وأن على الشعب الروسي أن يعاني من المجاعة .

وقد عملت إدارته على عزل اليهود وفصلهم ووضعهم في منعزلات ، وتوريط مرءوسيه في قتل الكثير ، والموظفون المدنيون التابعون لإدارته كانوا مسئولين عن تطهير هذه البلاد من أعداء النازية . وكان يرى أن هذا شيء ضروري جدًا ...

وكان على كل مسئول إداري في منطقته أن يرسل عددًا معينًا من العمال للعمل في الرايخ حسب تعليمات « روزنبرج » التي يجب أن تنفذ بأية طريقة . وقد ظهر توقيعه بإقرار هذا في أمر بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٩٤١ في حادث واحد ، وهو إجبار من ٤٠,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠ من الشباب الذين تتراوح أعمارهم من العاشرة إلى الرابعة عشرة على الترحيل للعمل في الرايخ .

القرار : مذنب في الاتهامات الأربعة .

الحكم : الموت شنقًا .

« فرانـك » :

« ... وكان « فرانك » قد عين رئيسًا مدنيًا لمكتب الإدارة الخاصة بالاحتلال في الأراضي البولندية في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٩ ، ثم صار حاكمًا عامًا لبولندا المحتلة في ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩ ، وقد وصف السياسة التي كان عليه أن يتبعها فقال : « يجب أن تعامل كمستعمرة والبولنديون يجب أن يكونوا عبيدًا للإمبراطورية الألمانية العظمى وتأسس على هذه السياسة الخاصة بالاحتلال التي اتبعها « فرانك » أن خربت بولندا تمامًا كأمة لها وجود . وتلك الخرائب التي بقيت وتدمير الاقتصاد من أجل مجهود الحرب الألماني ...

وكان « فرانك » يعرف ويريد ويشارك في كل أعمال الذعر والرعب التي تمت في بولندا ، وتخريب الاقتصاد حتى قادهم هذا إلى الموت جوعًا لطائفة كبيرة من الناس .

وبالنسبة لترحيل المواطنين البولنديين إلى ألمانيا للعمل كعبيد ، فقد قدم « فرانك » مليون مواطن لهذا الأمر . وقدم برنامجًا لقتل ثلاثة ملايين يهودي على الأقل .

القرار : مذنب في ٣ ، ٤ .

الحكم : الموت شنقًا .

« فريــك » :

« ... هذا النازي المتعطش مسئوليته كبيرة في أنه قد استطاع أن يخضع الأمة الألمانية ، وأن يضعها في انضباط حاسم حازم . والعديد من القوانين قد أعدها ، ومنها ما قام بتوقيعها والتي كرست وألغت جميع أنواع المعارضة في ألمانيا ، وقد أعد الطريق ممهدًا للجستابو ومعسكرات الاعتقال حتى يتمكن من القضاء حتى على المعارضة الفردية .

وكان مسئولاً مسئولية كاملة عن التشريع الذي ينظم الاتحادات التجارية والكنيسة واليهود ، وقد أعد هذه الأشياء دون اهتمام .. وكان دائمًا ساخنًا في معاداة السامية واستطاعت قوانينه أن تبعد اليهود عن الحياة وعن الاقتصاد في ألمانيا . وكانت أعماله هي التي شكلت الأساس لقوانين نورمبرج ، وكان نشيطًا في قهرهم والقضاء عليهم ، وكانت عنده المعرفة وكان مشتركًا بالنسبة لقتل كبار السن والمرضى والفقراء (الآكلون ولا فائدة منهم) وتم ذلك بطريقة منظمة وأرسل الجميع إلى الموت . وكثير من الشكاوى قد وصلت إليه حول هذا الأمر ولكنه لم يفعل شيئًا .

القرار : مذنب في ٢ ، ٣ ، ٤ .

الحكم : الموت شنقًا .

« شـــترايخر » :

لمدة خمسة وعشرين عامًا وهو يتكلم ويكتب ويعظ بالكراهية ضد اليهود

والعناصر الأخرى غير الآرية . وكانت لدى « شترايخر » الشهرة الواسعة أنه عدو اليهود رقم واحد .

وكان في خطبه ومقالاته أسبوعًا بعد أسبوع وشهرًا بعد شهر قد حقن العقل الألماني بفيروس معاداة السامية ، وكرَّس الشعب الألماني ليكون نشيطا في القضاء عليهم ...

وكان « شترايخر » مسئولاً عن مقاطعة اليهود في ١ أبريل سنة ١٩٣٨ وهو الذي مهّد وهلَّل لقوانين نورمبرج ، وهو صانعها في سنة ١٩٣٥ ، وهو المسئول عن التخريب والتدمير في ١٠ أغسطس ١٩٣٨ والذي حاق بمعابد اليهود في نورمبرج . وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ قد تكلم للشعب مؤيدًا المذابح اليهودية التي أخذت مكانها منذ هذا التاريخ .

ولم يكرس هذا المتهم نظرياته في ألمانيا فقط ، فقد بدأ مبكرًا في عام ١٩٣٨ يدعو من أجل إلغاء وإبطال الجنس اليهودي ...

وكانت معرفته بالإبادة في الأراضي الشرقية المحتلة كاملة . واستمر هذا المتهم في الكتابة وفي نشر دعايته للموت . وكان الضحايا يقتلون والرعب يلفهم وفي ظروف بالغة القسوة بتحريض « شترايخر » الذي استمر سنين . وهذا ينطبق على جرائم الحرب ومرتكبيها تماماً . وقد ارتكب جرائم ضد الإنسانية بلا أدنى شك لدى المحكمة .

القرار : مذنب في الاتهام الرابع .

الحكم : الموت شنقًا .

« فونـــك » :

أصبح « فونك » نشيطا في المجال الاقتصادي بعد أن قام النازي بتحريك الحرب

العدوانية وصارت حقيقة مؤكدة ...

وفي ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٩ وبعد أن بدأت الحرب خطب « فونك » وقال في خطبته إن الاقتصاد والمالية سوف تكونان في خدمة الحرب وإنه ينبغي إعداد كل شيء في خلال عام ...

وفي عام ١٩٤٢ اتفق « فونك » مع « هملر » على أن يتولى بنك الرايخ تسلم الذهب والجواهر والعملة من الحرس النازي ، وأصدر تعليماته إلى مرءوسيه بهذا ، وهو لا دخل له ولا تعنيه التفاصيل ، ويجب ألا يسأل أسئلة كثيرة . ونتيجة لهذه الاتفاقية فقد أرسل الحرس النازي إلى بنك الرايخ كل الأشياء الشخصية التي تخص الضحايا الذين أبيدوا في معسكرات الاعتقال ، وقد احتفظ بنك الرايخ بالنقود وأرسل الجواهر والساعات وأطر النظارات ، والأشياء الأخرى إلى محلات الرهن المحلية في برلين ، وهذه المشغولات الذهبية قد خزنت في سراديب بنك الرايخ . وقد اعترض « فونك » أنه لم يعرف أبدًا أن بنك الرايخ يتسلم أشياء من هذا النوع . وأن المحكمة مطمئنة إلى أن « فونك » يعرف ماذا حدث وماذا تسلموه . أو على الأقل قد تعمد أن يغمض عينيه عما يدور .

القرار : مذنب في رقم ٢ ، ٣ ، ٤ .

الحكم : السجن مدى الحياة .

« شـــاخت » :

كان شاخت من الذين أيدوا الحزب النازي بنشاط قبل أن يقوم بالوثوب على السلطة في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ ، وقد دعم شاخت الحزب وساعد في تحقيق آمال « هتلر » حتى يكون مستشارًا لألمانيا ، وقد لعب دورًا هامًا في برنامج إعادة التسليح الذي كان يتولاه ، واستخدم كل إمكانات بنك الرايخ من أجل تحقيق إعادة تسليح

ألمانيا . وكوزير للاقتصاد ومسئول عام عن اقتصاد الحرب فقد كان نشيطًا واستطاع أن يسخر كل اقتصاد ألمانيا من أجل الحرب ، ولكن إعادة التسليح نفسها ليست جريمة بالنسبة للدستور ، وحتى تكون جريمة ضد السلام حسب المادة السادسة من الميثاق ، فإنه ينبغي أن تكون ضمن خطة من أجل الحرب ، والأمر الذي لم يثبت للمحكمة أن « شاخت » كان على علم ودراية وإرادة بأنها إعادة تسليح من أجل الحرب العدوانية .

وإن المحكمة تأخذ هذا الاعتبار بعناية شديدة ، وهذا الفرض من أن « شاخت » كان مشتركًا في نوايا الحرب ليس لدى المحكمة ما يؤيده .

القرار : ليس مذنبًا .

« دونيتــز » :

واستطاع « دونيتز » أن يقوم ببناء القوارب ، ولكن الأدلة لا تشير إلى أنه كان متورطًا في مؤامرة تحريك الحرب العدوانية أو أنه قام بإعدادها ، أو بدأها . وإن المحكمة في رأيها أن دليلاً لم ينهض أمامها يفيد أن « دونيتز » قد أمر بقتل البحارة الناجين من السفن التي أمر بإغراقها ، ولعل أوامر منه قد صدرت بإنقاذهم لم تأخذ طريقها للتنفيذ .

وهو مسئول بالنسبة لأوامر « هتلر » بقتل الفدائيين الذين يتم القبض عليهم والتي صدرت في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، فهناك طاقم لزورق طوربيد تابع للحلفاء كانوا قد أمسكوا بهم وأحالوهم إلى الجستابو الذي قام بإطلاق النار عليهم .

القرار : مذنب في ٢ ، ٣ .

الحكم : ١٠ سنوات سجنا .

« **ريــدر** » :

خلال الخمسة عشر عامًا التي ظل فيها قائدًا للبحرية الألمانية استطاع أن يبني القوة الرئيسية لها ، وهو مسئول مسئولية كاملة عن كل شيء حتى وصل سن التقاعد في عام ١٩٤٣ ، وقد أقر أن البحرية قد انتهكت معاهدة فرساي مؤسسًا ذلك على أنها مسألة من مسائل الشرف ، وعلى أي شخص أن يقوم بالدور الذي فعله ...

كان واحدًا من القواد الخمسة الذين حضروا مؤتمر « هوشباخ » في ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ ...

أما التصور عن غزو النرويج فقد بزغ في ذهن « ريدر » قبل أن يوحي به لهتلر ...

وقد سعى « ريدر » ونصح بالعدول عن غزو الاتحاد السوفيتي . ولكنه أعطاه وعدًا عندما تم اتخاذ القرار ، يقضي بأن يقوم بمهاجمة الغواصات السوفيتية في بحر البلطيق قبل موعد الغزو بستة أيام ...

وواضح من الأدلة التي فحصتها المحكمة أن ريدر قد اشترك في التخطيط وشن الحرب العدوانية .

القرار : مذنب في ١ ، ٢ ، ٣ .

الحكم : السجن مدى الحياة .

« **فون شــيراخ** » :

استخدم « فون شيراخ » شبيبة « هتلر » في تعليم الشباب الألماني وتدريبه على روح الاشتراكية الوطنية ، ووضع في رءوسهم البرامج النازية المتشددة التي صنعتها الدعاية ...

وعندما صار « فون شيراخ » مفوضًا لفيينا كان عزل اليهود وإقصاؤهم قد بدأ بالفعل ...

وفي ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ألقى خطبة فنّد فيها نشاطه من أجل أن يسوق عشرات الآلاف من المعازل اليهودية للعمل من أجل أن يصون الحضارة الأوربية ...

وإن المحكمة وجدت أن « فون شيراخ » لم يقم بتنظيم العزل اليهودي في فيينا ولكنه اشترك فيه بعد أن صار مفوضًا عامًا هناك . وقد عرف أن أحسن اليهود قد صاروا يعيشون في معازل تعسة في بلاد الشرق . وكان وصف « بوليتينز » للإبادة موجودًا على مكتبه .

القرار : مذنب في رقم ٤ .

الحكم : عشرون عامًا في السجن .

« ســـاوكل » :

بعد أن اتخذ « ساوكل » مكتبًا كان يحكم الأراضي المحتلة بصلاحيات واسعة دون الرجوع إلى قانون أو تشريع ، ويعمل على إيجاد الخدمة الإجبارية للعمل في الرايخ ويرسل العمال إلى ألمانيا . أما بالنسبة للعمالة المتطوعة فهي استثناء أكثر منها قاعدة ، والتي ظهرت في بيان «ساوكل » في ١ مارس سنة ١٩٤٤ أنه من بين الخمسة ملايين عامل الذين وصلوا إلى ألمانيا ليس هناك أكثر من مائتي ألف قد جاءوا تطوعًا .. وكانت رؤيته أنه لا ينبغي أن تكون هذه هي القاعدة . وكان ينادي بإعطاء الطعام للعمال وأن يجدوا المأوى المناسب ، وأن يعاملوا بطريقة تسمح لهم بالحياة وأقصى قدرة ممكنة ، وأقل درجة من الإنفاق يمكن أن تكون .

وقد رأت المحكمة من الأدلة أن « ساوكل » قد شارك في البرنامج الخاص بعزل وإنهاء هؤلاء العمال العبيد ، وكانوا أكثر من خمسة ملايين إنسان ، وكثير منهم قد

ماتوا تحت أسوأ الظروف والمعاناة والوحشية والألم الشديد .

القرار : مذنب في ٣ ، ٤ .

الحكم : الموت شنقًا .

« يـــودل » :

ناقش « يودل » الغزو النرويجي مع « هتلر » و « كايتل » و « ريدر » في ١٢ ديسمبر ١٩٣٩ ، ويومياته مليئة بكثير من الأخبار والنشاط حول الإعداد لهذا الهجوم ، الذي قام فيه بالدور الرئيس في تحضير الخطط وإعدادها ضد اليونان ويوغوسلافيا ، وقد شهد يودل أن « هتلر » كان يخشى أن يهاجمه الاتحاد السوفيتي فبدأ هو بالهجوم عليه ، وأن هذه الترتيبات قد بدأت في عام قبل الغزو .

وقد أخبر « يودل » في ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٠ « واريمونت » حتى يتم إعداد الخطط في انتظار قرار هتلر بالهجوم ...

وإن الخطة التي أعدت للهجوم على روسيا كان اسمها العملية باربااروسا ومن خلالها كان هناك توجيه بقتل القوميسيرين السوفييت ، وعلى ضابط أن يصدر هذا الأمر . وكان دفاعه يعتمد على نظرية الأوامر العليا الواجبة الطاعة ، وهو ما يتنافى مع المادة الثامنة من الميثاق ولا يوجد هناك ما يخفف جريمته ، فقد شارك في كثير من الجرائم التي لم يتوقع مثلها من أي رجل عسكري ، ولا يمكن له أن يختبئ حول تصورات وهمية خيالية عن الجندية وطاعة الأوامر العليا ، ولا عذر له في ارتكاب هذه الجرائم .

القرار : مذنب في الاتهامات الأربعة .

الحكم : الموت شنقًا .

« فون بابــن » :

كان « فون بابن » نشيطا في مساعدة « هتلر » خلال عامي ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ في تشكيل الحزب والمجموعة التي يفترض أن يكون منها مجلس الوزراء ، ثم ساعده في الوصول إلى منصب المستشار في ٣٠ يناير ١٩٣٣ ، وصار هو نائبًا له في الحكومة . وهي الحكومة التي شارك فيها « فون بابن » وشارك في المسئولية ..

وبالرغم من اغتيال مساعديه فإن « فون بابن » قبل منصب السفير في النمسا في ٢٦ يوليو سنة ١٩٣٤ وهو اليوم الذي تلا اغتيال « دلفوس » ...

وقد ثبت من الأدلة أن « فون بابن » قد قبل هذا المنصب ليقوم على إضعاف نظام شوشنج في النمسا وأن يقوي الحزب النازي النمساوي لإتمام عملية الأنشلوس . ولتنفيذ هذا فقد شارك في الدسائس التي تمت والتنمر والانقضاض ما على الضعفاء في النمسا .

ولكن الميثاق لا يشرع عقابًا على التصرفات غير الأخلاقية في مجال الدبلوماسية ، والتي يفترض أنه قد تورط فيها ...

ووفقًا للميثاق فإن « فون بابن » كان يمكن أن يدان لو أنه تورط في الإعداد للحرب العدوانية ...

ولم يثبت للمحكمة أنه قد فعل شيئًا من هذا .

القرار : غير مذنب .

« سايس انكوارت » :

كان سايس انكوارت مشاركًا في المكيدة التي صنعها الحزب النازي لإتمام احتلال ألمانيا للنمسا ...

وأثناء عمله كمفوض للرايخ في البلاد الواطئة قام بأعمال الفزع والرعب لتأكيد الاحتلال الألماني .

وبالبرنامج الذي وصفه بالرعب كان يتم تنفيذه مع قيادات الحرس النازي ، وشارك ووافق على قتل الرهائن من أجل القضاء عل المقاومة في هذه البلاد ، وإرسال الباقين إلى معسكرات الاعتقال وكانوا من القسس والمثقفين وأهل الرأي ...

وقد أفاد « سايس انكوارت » أنه غير مسئول عن الجرائم التي ارتكبت أثناء احتلال الأراضي الواطئة ...

ولكن الحقائق تؤكد اشتراكه ومعرفته بجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي تم ارتكابها أثناء احتلال هذه البلاد .

القرار : مذنب في ٢ ، ٣ ، ٤ .

الحكم : الموت شنقًا .

« سبير » :

إن الأدلة قد قدمت على أن « سبير » قد ارتكب الجرائم رقم ٣ ، رقم ٤ ، وهي التي تتصل بالاشتراك في برنامج العمال العبيد ...

وقد كان وزيرا للرايخ لشئون التسليح والذخيرة ، والمفوض العام للتسليح أثناء خطة السنوات الأربع . وأثناء ذلك كانت سلطته في هذا المجال واسعة في ميدان الإنتاج ...

وكان « سبير » يطلب العمال الذين يحتاج إليهم من « ساوكل » ثم يرسلهم إلى المصانع المختلفة حسب الخطة . وكان يعلم أثناء طلبه هذا أنهم يحضرون له عمالاً أجانب ويعملون بجبر وإلزام وليست لهم حرية اختيار العمل ...

وكان « ساوكل » يخبر « سبير » ومساعديه أنهم يحضرون لهم هؤلاء العمال الأجانب بالقوة ...

وعلى سبيل التخفيف فينبغي علينا أن نعرف هذا ...

وعند اقتراب الحرب من نهايتها كان واحدًا من قلة كانت لديهم الشجاعة ليخبروا « هتلر » أنهم قد فقدوا الحرب . واستطاع أيضًا أن يتخذ الإجراءات اللازمة لمنع تدمير المنشآت والمصانع .

القرار : مذنب في ٣ ، ٤ .

الحكم : ٢٠ عامًا في السجن .

« فون نيوراث » :

كان وزيرًا للشئون الخارجية ونصح « هتلر » بالانسحاب من مؤتمر نزع السلاح وعصبة الأمم في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٣ ، وهو ما تأسس عليه إعادة التسليح ...

كان لفون نيوراث دور في مؤتمر هوشباخ الذي تم في ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ . وقد شهد بأنه قد صدم عندما صرح « هتلر » بأنه أصيب بأزمة قلبية ولهذا فقد تقدم باستقالته وقد قبلت في ٤ فبراير ١٩٣٨ وهو نفس الوقت الذي تم فيه طرد « فون بلومبرج » و « فون فريتش » من الجيش .

ورغم معرفته بخطط النازي في التدبير لحرب عدوانية فإنه ظل في الحكومة كوزير للدولة .

وقد عين فون نيوراث كمفوض عام لبوهيميا ومورافيا في ١٨ مارس ١٩٣٩ ...

وقد قام بإغلاق الصحف الحرة والأحزاب السياسية واتحادات العمال ، وكل

التجمعات التي يمكن أن تهب منها رائحة المعارضة . كان على علم بجرائم الحرب وبجرائم ارتكبت ضد الإنسانية والتي تمت تحت سلطانه .

القرار : مذنب في الاتهامات كلها .

الحكم : ١٥ سنة سجنا .

« فريتشـــه » :

صار « فريتشه » مديرًا للإذاعة في نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، وكانت الإذاعة قسمًا من اثني عشر قسمًا تكون في مجموعها وزارة الدعاية النازية ويبدو أن « فريتشه » كان يذيع قرارات وبيانات قوية ملتهبة وهو أمر يرجع لطبيعته الموهوبة في مجال الدعاية .

ولكن المحكمة ليست مختصة في النظر في مثل هذه الأمور ..

وقد كانوا يحرضون الشعب الألماني لارتكاب الفظائع مع البلاد المحتلة ، ولا يمكننا القول إن « فريتشه » قد شارك في مثل هذه الجرائم . ولم يثبت لدينا شيء من هذا .

القرار : غير مذنب .

* * *

تعريف
ببعض الأسماء والعبارات التي وردت بقلم المترجم

١ ــ فيليب الثاني . (١٥٢٧ ــ ١٥٩٨) :

كان ملكًا لأسبانيا والبلاد الواطئة ، وهو ابن الملك شارلكان والملكة إيزابيلا ملكة البرتغال ، وهو كاثوليكي متعصب ورث الحكم عن أبيه الإمبراطور شارلكان الذي ضم في عهده أجزاء من إيطاليا والنمسا والذي حارب فرنسوا الأول أربع حروب وحارب كذلك السلطان العثماني سليمان الثاني ، واللوثريين في ألمانيا ، وفي عهده نال المسلمين كثير من التسامح والمعاملة الحسنة نسبيًا ، وقد اعتزل العرش بطريقة مفاجئة ودخل الدير عام ١٥٥٥ وتوفي عام ١٥٥٨ .

أما فيليب الثاني فكان أحمق أساء كثيرًا للمسلمين الموريسيكين الذين تبقوا في غرناطة بعد سقوطها سنة ١٤٩٢ ، وسنَّ الكثير من القوانين التي تعمل على إبادتهم والقضاء عليهم . وكان تنصر المسلمين في عهده قد زاد من شدة القمع الذي مارسه ورجال دولته . وكان فيليب الثاني له نفسية الكاردينال ويرتدي عباءة الملك ، ويخضع في كل ما يفعل لآراء وأفكار رجال الدين في عهده ويعد نفسه واحدًا منهم .

وكان يرى في المسلمين عنصرًا مقيتًا ينبغي القضاء عليه . وقد عني بتجريدهم من السلاح وتحريم حمله ، حتى سكاكين المنازل كان لا بد من إذن خاص لاستعمالها ووجودها بالمنزل . وفي عهده تم تنصير جميع المسلمين في بلنسية جملة بالقوة وهدد من يرفض بالقتل . وسن قانونًا بضرورة تعلم اللغة القشتالية وترك اللغة العربية وعدم استعمالها ، وقرر سنوات ثلاثا لتحقيق هذا . ومنعت في عهده الحمامات والاحتفالات على الطريقة الإسلامية والتخاطب باللغة العربية وارتداء الثياب العربية ، وكان هذا الحرمان قد صدر أيام أبيه المتسامح شارلكان ، واستعيض عنه بدفع ضريبة معينة ، ولما حكم فيليب وكان شديد التعصب والقسوة لم يقبل بغير تنفيذ هذه القوانين . وقضى في مايو ١٥٦٦ بتسليم الكتب العربية في خلال ثلاثين يومًا لإجازتها ورد ما هو غير ممنوع ، ولم يرد شيئًا بطبيعة الحال .

وأصدر مرسومًا بمنع الحجاب على النساء المسلمات ، ومنع محلات الخياطة الإسلامية ، وأعطى مهلة عامًا للثياب الحريرية وعامين للثياب الصوفية ، وبعدها ليس أمام المسلمين والمسلمات غير القبعات والمعاطف القشتالية .

واتخذ من أول يناير وهو ذكرى سقوط غرناطة عيدًا أسبانيًا قوميًا يتم الاحتفال به في كل عام وتسن فيه القوانين التي تقضي على مقومات بقية الأمة الإسلامية في الأندلس ، وكانت عقوبات قوانينه تتراوح بين السجن والنفي والتعذيب والموت ، وقامت في عهده ثورات إسلامية كثيرة في البيازين والبشرات وقد قمعت بوحشية بالغة في سلسلة من الوقائع الممضة المحزنة .

كان حلم فيليب الثاني أن يحكم أسبانيا من عرش فرنسا ، وفي سبيل ذلك كان يريد غزو انجلترا وأرسل أسطولاً ضخمًا لغزوها (الأرمادا) وقد أبيد بفعل العواصف الشديدة .

وبوفاته عام ١٥٩٨ ترك أسبانيا في حالة بالغة من الضعف والفقر .

٢ ــ دوق إلبا . (١٥٠٨ ــ ١٥٨٢) :

هو فرديناند ألفاريز دوق إلبا كان قائدًا لجيوش شارلكان ومن بعده لولده فيليب الثاني ملك أسبانيا ، وهو أحد القواد الذين استخدمهم الملك في القضاء على ثورات المسلمين في البشرات والتي قامت بسبب القوانين الظالمة غير الرحيمة التي سنت للقضاء على المسلمين في ذلك العصر .

وقد عرف إلبا بوحشيته وبالمجازر التي ارتكبها للقضاء على الثورات .

٣ ــ لويس الرابع عشر (١٦٣٨ ــ ١٧١٥) :

ولد في سان جرمان وتولى العرش منذ كان في الخامسة من عمره بعد وفاة والده ، وتحت وصاية أمه ، وهو صاحب القول الشهير « الدولة أنا » كان يشجع الفنون والآداب وقد ازدهرت في فرنسا تحت حكمه ، وكان يميل إلى البذخ والإسراف ، الأمر الذي جرَّ على البلاد الفقر والإفلاس وقد مات ملعونًا من شعبه بعد أن حكم فرنسا من عام ١٦٤٣ إلى ١٧١٥ وكان فساده وإسرافه هو التمهيد الطبيعي للثورة الفرنسية فهو الذي حرك الكتاب والمفكرين لتقديم الأعمال الفكرية والفلسفية التي نبهت الشعب لفساد حكم الفرد وأهمية القضاء عليه .

٤ ــ فلوسـبرج :

هو أحد المعتقلات التابعة للجستابو والذي أودع به بعض كبار المعتقلين من السياسيين والعسكريين المعارضين وقد تم إعدام الكثير منهم .

٥ ــ بورمــان :

كان مارتن بورمان بمثابة السكرتير الثاني لهتلر بعد رودلف هيس ، وزاد سلطانه

بعد رحلة هيس الغامضة إلى انجلترا ، وكان وثيق الصلة بهتلر لا يكاد يتركه . وقد ظل معه حتى اللحظة الأخيرة ، فقد انتظر حتى انتحر هتلر وإيفا براون ثم أشرف على حرق الجثتين ، ثم حاول أن يخترق الخطوط الروسية هربًا من الحصار ، ولم يعرف مصيره على وجه التحديد ، فهناك من يظن أنه قد انتحر هو وسكرتيرة هتلر في نفس اليوم ، وهناك من يزعم أنه قد تمكن من الهرب واختفى في مكان ما بأمريكا اللاتينية بعد أن تزود من الحسابات السرية الموجودة ببنوك سويسرا ، وهناك من شهد في محاكمات نورمبرج أنه ربما قد شاهد جثته ملقاة بجانب إحدى الدبابات الروسية التي اقتحمت العاصمة .

٦ ــ معاهــدة ميونخ :

تم توقيع المعاهدة عام ١٩٣٨ بين هتلر وتشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا ودالاديه رئيس وزراء فرنسا ، وكان الفرنسيون والإنجليز لا يرغبون في حرب عالمية أخرى ، وهم حريصون على تجنبها بكل الوسائل الممكنة ، فقد كانت ذكريات الحرب العالمية الأولى لا تزال ذكراها في أذهان الناس ، ومرارتها باقية في حياتهم . وكان تشمبرلين سياسيًا مهذبًا يريد أن يتجنب الحرب بأية طريقة ، وتمثلت سياسته في مهادنة هتلر والتسليم له ببعض المطالب التي لا تضر من وجهة نظره . وتم التنازل في المعاهدة عن الكثير في سبيل المحافظة على السلام . ولما عاد إلى بريطانيا تلقته الجماهير بالورد والغناء . ولم يراع هتلر حدود الدول الأوروبية التي ضمنتها المعاهدة . وربما كان السبب الرئيسي في الحرب هي هذه التنازلات التي قدمها الحلفاء لألمانيا ، وربما تلك الحرب لم تكن لتقوم لو أنهم تشددوا مع هتلر .

٧ ــ البارانويــا :

هي حالة من المرض النفسي تتمثل في فكرة تتسلط على المريض وقد تؤدي

إلى حالة من الانفصام في الشخصية ، وتتسم حالة المريض بالشذوذ والغرابة .

٨ ــ كرامــر :

هو قائد الفيلق المدرع الأول من الحرس النازي وقد حكم عليه بالسجن عشر سنوات في مذبحة مالمدري التي كانت في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٤ أثناء اختراق الحلفاء للقارة الأوربية في طريقهم إلى ألمانيا .

٩ ــ ليلة العشرين من يوليو :

كانت هناك محاولات لعمل انقلاب ضد هتلر منذ اللحظة الأولى التي وصل فيها للحكم ، وقد أجل تنفيذ هذا قيام الحرب ، فالألمان لا يغفرون لأحد أن يطعن قيادتهم من الخلف ، ولا يرضون بالتآمر على الدولة أثناء قيامها بالحرب مع دولة أخرى . وعندما ساءت الظروف وبدأ انحسار المد الألماني ، تحولت الانتصارات إلى هزائم . وكانت بداية التحول عند هزيمة روميل في العلمين واستسلام الجيش الألماني في ستالينجراد بقيادة فون باولوس . وبدأت مجموعة من الفرقاء وكبار رجال الجيش والمخابرات الألمانية التفكير في إنهاء الحرب من خلال انقلاب ضد هتلر يتم فيه اغتياله وكبار مساعديه ، وتكوين حكومة جديدة تتفاوض مع الحلفاء لعمل استسلام مشرف وقد اشترك في هذه المؤامرة عدد كبير من ضباط الجيش الألماني والمدنيين ومنهم من كان يعمل في مقر قيادة الفوهرر . وكان العقيد الكونت ستوفنبرج هو الشخصية المحركة لهذه المؤامرة ، وقد غامر بنفسه عندما كان يحضر اجتماعات الفوهرر الدورية لتقديم تقارير عن جيش الاحتياط ، فقرر أن يضع قنبلة في حقيبته ويجعلها بجواره عند مائدة الاجتماعات ــ واستطاع هذا العقيد الباسل أن ينفذ خطته ووضع الحقيبة وبها القنبلة بعد أن قام بضبطها والمفروض أن تنفجر بعــد

اثنتى عشرة دقيقة ، وسارع بمغادرة قاعة الاجتماعات بحجة أنه ينتظر مكالمة هاتفية لها صلة بالتقرير المعروض على الفوهرر . وتدخل القدر لإنقاذ هتلر الذي صرخ في أحد الجنرالات أن يقترب منه وهو يشرح لهم خططه على خريطة ، فاقترب الجنرال وأزاح الحقيبة التي كانت عند ساقي هتلر تماما ووضعها خلف حاجز بلوطي يحمل المنضدة ، وكان هذا الحاجز بين القنبلة وبين هتلر وتحت ساقي ذلك الجنرال . وانفجرت القنبلة ومات هذا الجنرال وآخرون ، وأصيب هتلر ببعض جروح ورضوض وشلل خفيف في ذراعه ، وكان على موعد للقاء موسوليني فخرج للقائه عند محطة القطار وعاد به ليشهد آثار الانفجار . وأسرع الكونت ستوفنبرج الذي كان يقف عند البوابة بمغادرة المكان بأعجوبة بعد أن رأى وسمع الانفجار ، وتيقن من موت هتلر . وقد وصلت طائرة ستوفنبرج إلى برلين بعد ثلاث ساعات فوجد أن المتآمرين لم يفعلوا شيئًا ، وكان المفروض أن يقوموا باحتلال برلين وأن تخرج أوامر عملية (العذارى) من الخزانة ويتم تنفيذها وتعلن الإذاعة تشكيل حكومة جديدة برئاسة الفريق بيك ، وقد حاول ستوفنبرج التصرف ، ولكن المتآمرين كانت تعوزهم الجرأة والإقدام وحسن التنظيم . واستطاع جوبلز وزير الدعاية وكان موجودًا في برلين التصرف والسيطرة على العاصمة مستعينًا ببعض الكتائب . وتم إعدام ستوفنبرج في نفس الليلة وكذلك الفريق بيك وآخرين ، وقد نفذ هذا الحكم السريع الفريق فروم الذي كان يخشى أن يشهدوا ضده ، لأنه كان يعلم بالمؤامرة وينتظر أن يأخذ مكانه عند نجاحها أو إذا تأكد من موت هتلر ، ورغم ذلك فهو لم ينج من تنفيذ حكم الإعدام فيه شخصيًا بعد وقت قليل . وارتفع صوت هتلر في المذياع في الساعة الواحدة صباحًا معلنًا أنه لا يزال على قيد الحياة ، وأنه سوف ينتقم أبشع انتقام . وقد سارع كبار المتآمرين في أماكن مختلفة من القارة الأوروبية من قيادات الجيوش الألمانية بالانتحار خوفًا من التعذيب والانتقام البشع الذي توعدهم به هتلر . وكان كناريس رئيس المخابرات – وهو أحد المتآمرين – قد شهد أحد الشهود برؤيته وهم يجرونه عاريًا من زنزانته في مقر الجستابو ببرلين ، وأسندوه إلى جدار وأطلقوا

عليه الرصاص . ونظرًا لشعبية روميل الكبيرة ، وكان من المتآمرين ، فقد ذهب إليه من خيره بين الانتحار وأن تعد له جنازة رسمية وأن يكرم اسمه أو أن يقدم إلى المحاكمة وعليه أن يثبت براءته وهو أمر صعب . وآثر روميل أن ينتحر فارتدى ملابسه وخرج مع زميليه ، ثم توقفت السيارة في الغابة القريبة ، وقدم له السم ، ثم تلقت زوجته إشارة من المستشفى كما اتفق معها بأن زوجها قد مات متأثرًا بانفجار في المخ . وأمر هتلر بتشكيل محكمة الشعب وقد رأسها جنرال مجنون لمحاكمة الذين قاموا بالمؤامرة ، ولم يسمح للمتهمين بمحاكمة عادلة وقد حكمت بالإعدام على حوالي خمسة آلاف شخص وتم تنفيذ الحكم فيهم .

١٠ ــ فلســطين :

أرسل الرئيس روزفلت خطابًا إلى هتلر يطلب فيه المحافظة على السلم في أوروبا والعالم وأن ذلك لن يتحقق إلا بالمحافظة على حدود دول ، وعدم الاعتداء عليها وحدَّد هذه الدول في قائمة من ٣١ دولة . ومن هذه الدول دولة فلسطين وقد ردَّ عليه هتلر في الرايخستاج ساخرًا بين قهقهة النواب والمجتمعين ، وقد قال له إن الذي يحتل فلسطين الآن هم الإنجليز وإن أهلها يسامون الخسف . وكتابة اسم هذه الدولة في هذه القائمة يبين مدى النفوذ اليهودي الذي كان حول روزفلت في ذلك الوقت . وقد كانت هذه الرسالة قبل غزو بولندا في ١ سبتمبر ١٩٣٩ .

١١ ــ حمامات روهم الدموية :

كان أرنست روهم أحد الذين عاونوا هتلر في الوصول إلى الحكم ، وهو ضابط سابق استطاع أن يجند الآلاف من الجنود المسرحين والضباط في الحزب النازي وكون جيش العاصفة فقد كانت لديه مقدرة هائلة على التنظيم والإدارة ، واستطاعت هذه

الميليشيات الشعبية أن تنشر الخراب والذعر في ألمانيا من خلال افتعال المعارك مع الشيوعيين وسقوط القتلى كل يوم على أثر هذا الشغب . وقد وصل تعداد قوات العاصفة إلى مليونين في يوم من الأيام ، وصارت تنافس الجيش النظامي نفسه ، وعندما جرى العرض الهائل أمام دار الرئاسة حيث كان الرئيس هندنبرج ينظر إلى هذه الطوابير التي لا آخر لها ، وهم يحملون المشاعل يوم ٣٠ يناير ١٩٣٣ عندما كلف هتلر بوظيفة المستشار ، وكان يبدو على هندنبرج العجوز أنه لا يفهم هذا العرض الغريب لهذه الأعداد الهائلة ، وكان قد تجاوز الخامسة والثمانين ، وكانت ذاكرته تخونه ، وغمغم لمن حوله : « لم أكن أدري أن لدينا هذا العدد الهائل من الأسرى الروس » . وكان كبار رجال الجيش الألماني في حالة استياء وتخوف من وجود قوات العاصفة فقد صارت جيشًا ينافس جيش الدولة ، ولكن بلا تقاليد أو نظام ، وكانوا قد حجبوا تأييدهم لهتلر واشترطوا عليه القضاء على هذه القوات . وأوعز هتلر إلى كل من هملر وجورنج بتنفيذ هذا الأمر . وكانت قيادة جيش العاصفة تقضي أجازة في أحد الفنادق الجبلية فداهموهم مع فرق القتل ، وتم القضاء على روهم ومن معه ، وقتل كل قادة الفرق في جميع أنحاء ألمانيا بعد أن اتهموا بمحاولة عمل انقلاب ضد هتلر ، وهي تهمة من الصعب على أحد أن يدافع عنها . وتم ذلك عام ١٩٣٤ ، وحصل هتلر بعد ذلك على تأييد قادة الجيش الألماني . وتم قتل جميع قادة المعارضين والمناوئين في ألمانيا .

١٢ ـــ البويـــر :

هم شعب يسكن في جنوب أفريقيا قد وفد من بلدان أوروبا مع عصر الكشوف الجغرافية وأغلب عناصره من هولندا والبلاد الواطئة . وقد تميزوا بالعنصرية الشديدة ، واندمجوا عبر عدة قرون حتى صارت لهم بعض الولايات التي اندمجت في دولة واحدة بعد ذلك وكانت هذه البلاد من المستعمرات الإنجليزية واستقلت ودخلت في حروب

مع انجلترا في بداية القرن .

١٣ ــ الأنشلوس :

هي عملية الاتحاد بين النمسا وألمانيا في رايخ واحد . وقد تمت رغم إرادة الحكومة الوطنية في النمسا . واجتاحت القوات النازية أراضي النمسا في عام ١٩٣٨ وبمعاونة الحزب النازي النمساوي والضغوط الكثيرة التي مارسها فون بابن سفير هتلر في فيينا على المستشار النمساوي شوشنج .

١٤ ــ بسمارك :

أوتوبسمارك (١٨١٥ ــ ١٨٩٨) وهو وزير الملك فريدريك جيوم الرابع ملك بروسيا . أخذ على عاتقه الوحدة الألمانية تحت اللواء البروسي . غزا الدانمرك وبانتصاره في سادويا أعطى بروسيا المكانة التي كانت تحتلها النمسا . وانسحب من السلطة بعد فترة قصيرة من تولي الملك جيوم الثاني عام ١٨٨٨ .

١٥ ــ فريدريك :

هو فريدريك الأكبر ملك بروسيا (١٧١٢ ــ ١٧٨٦) تولى العرش في عام ١٧٤٠ . محارب من الطراز الأول وهو الذي أسس عظمة بروسيا ومجدها وكان عاشقًا للأدب والأدباء وجذب إلى بلاطه العديد منهم من كل أنحاء أوروبا وعلى رأسهم فولتير . وقد تحالف مع انجلترا في حرب الأعوام السبعة ضد فرنسا والنمسا وروسيا واستطاع بعد الحرب بجهود مضنية توحيد بلاده وقد ضم إليها أجزاء من بولونيا .

١٦ ــ جوته (١٧٤٩ ــ ١٨٣٢) :

أشهر شعراء ألمانيا ، ولد بفرانكفورت على نهر الماين ، ومن أشهر مؤلفاته فاوست الذي جذب إليه شارل أوجست دوق فايمار الذي اتخذه رفيقًا له في رحلاته والتي جاب فيها إيطاليا وسويسرا وفرنسا ، وقد عينه مستشارًا له ثم وزيرًا للدولة . ويعتبر جوته ــ إلى جانب أنه أديب كبير ــ فرغم أسلوبه الرفيع فإن خياله بعيد المدى وأفكاره متعمقة ، ويرجع إليه الفضل في كثير من الاكتشافات في عصره .

١٧ ــ مفستو فوليس :

هو لقب الشيطان في رواية الأديب الألماني جوته المسماة فاوست والتي اقتبسها من الأسطورة القديمة د . فاوست ويطلق هذا الاسم مجازًا على الإنسان الذي يخفي في داخله طبيعة شيطانية . وفاوست دراما من جزءين كتبها جوته عام ١٧٩٠ وهي تحكي أسطورة الرجل الذي باع روحه للشيطان مفستوفوليس في مقابل نعيم الدنيا . ويقال : إن هذا الشخص كان قاتلاً عاش في القرن السادس عشر وعمل بالسحر والشعوذة .

١٨ ــ كوكب الباسيليات :

الباسيليات هي كائنات حية دقيقة جدًا ومتدنية ، وكان هتلر يلذ له أن يصف العالم بأنه كوكب الباسيليات تعبيرًا عن احتقاره الشديد وازدرائه للجنس البشري بشكل عام .

١٩ ــ شكوى سيكوماتية :

هي الشعور بأعراض عضوية مرضية يكون سببها عامل نفساني وتتنوع هذه الشكوى بدءا من الصداع وآلام البطن إلى الشلل وعدم القدرة على النطق وتزول بزوال العامل النفساني المسبب لها ما لم تتفاقم .

٢٠ ــ جمهورية فايمار :

أعلنت الجمهورية في برلين يوم ٩ يناير ١٩١٨ بعد تنازل القيصر غليوم الثاني عن العرش وفراره من البلاد . وتم إلغاء الملكية ، ونهاية حكم أسرة الهوهنزولرن . وقد حدث شغب متعدد في مناطق مختلفة لتحويل الجمهورية إلى جمهورية سوفيتية وحمل لواء تهييج الشعب ونقابات العمال كارل ليبنخت وروزا لوكسمبرج اللذان ثم قتلهما على أيدي بعض ضباط الحرس . وانتهى القتال والشغب في برلين وأجريت الانتخابات في جميع أنحاء ألمانيا لاختيار جمعية وطنية في ١٩ ديسمبر ١٩١٩ . ثم انبثق دستور عن هذه الجمعية بعد شهور من المناقشات وأقر هذا الدستور في ٣١ يوليو ١٩١٩ ، وصدر به قرار من رئيس الجمهورية في ٣١ أغسطس ، وكان وثيقة جيدة الصياغة متحررة تضمن الشكل الديمقراطي للحكم ولكن من الناحية النظرية . وقد أخذوا فيه فكرة الحكومة الممثلة في مجلس الوزراء من انجلترا وفرنسا ، ورئيس الجمهورية الذي يستمد سلطته القوية من انتخاب الشعب من دستور الولايات المتحدة الأمريكية . واعتمدوا الاستفتاء من الدستور السويسري ، وابتكروا نظامًا دقيقًا ومركبًا للتمثيل النسبي عن طريق الاقتراع بالقائمة لعدم ضياع الأصوات ولإعطاء الأقليات حق التمثيل في البرلمان . وقد أدى هذا إلى زيادة عدد الأحزاب الصغيرة مما جعل الاستقرار والأغلبية أمرًا مستحيلاً ، الأمر الذي أدى إلى تغيير الحكومات بشكل دائم . وقد اقترح الاستاذ هو جو بروس المشرع الرئيسي د دستور

بعض الاقتراحات ولكنها رفضت . مثل أن تغدو ألمانيا دولة مركزية ، وأن تحل كل الولايات المستقلة ، وتتحول إلى مقاطعات تابعة للدولة ، ولكن الجمعية الوطنية رفضت هذا الاقتراح . ومنحت المادة الثامنة والأربعون من الدستور لرئيس الجمهورية سلطات ديكتاتورية إبان الطوارئ . وأدى استخدام هذه المادة من قبل المستشارين من أمثال برونينج وفون بابن وفون شلايخر في ظل الرئيس هندنبرج إلى تمكينهم من الحكم دون موافقة الرايخستاج . وهكذا انتهى الحكم الديمقراطي البرلماني في ألمانيا قبل وصول هتلر إلى السلطة . وكانت العبارات التي صيغ بها دستور فايمار عذبة وبليغة ولا معنى لها . مثل « السلطان السياسي يستمد من الشعب » ونص « على أن جميع الألمان متساوون أمام القانون » و « أن الحرية الشخصية مصونة لا تمس » ، و « أن لكل ألماني الحق في التعبير عن آرائه بحرية » . وقد قضى هذا الدستور ألا يكون مواطن في العالم أكثر حرية من المواطن الألماني ، وألا تكون هناك حكومة أكثر ديمقراطية وليبرالية من حكومته . ولكن تم هذا على الورق فقط . ثم جاء هتلر وقضى على هذه الجمهورية شكلاً ومضمونًا .

٢١ ــ ماري ستيوارت (١٥٤٢ ــ ١٥٨٧) :

ملكة اسكتلندا وابنة جاك الخامس . أصبحت ملكة لفرنسا بزواجها من فرانسوا الثاني الذي توفي وتركها أرملة عام ١٥٦٠ ، ثم عادت إلى اسكتلندا حيث كان عليها أن تواجه دعاة الجمود والحركات السرية التي كانت تدعمها إليزابيث ملكة انجلترا . وألب عليها زواجها من بوتويل الذي قتل زوجها الثاني دارنلي رجال الدولة والجيش مما اضطرها إلى الهرب لانجلترا حيث سجنتها الملكة إليزابيث ثم أعدمتها بعد ١٨ عامًا من الأسر .

٢٢ ــ شيانو :

هو الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا في عهد الفاشيست وزوج ابنة

موسوليني . وقد اشترك في كثير من مؤامرات السياسة والعدوان مع هتلر . ثم تآمر على موسوليني في أواخر أيام الحرب مع آخرين واستطاعوا أن يقنعوا الملك بإقالة موسوليني ونفيه إلى إحدى الجزر ، وتمكن هتلر من إنقاذه في عملية جريئة قام بها أحد المغامرين اسمه سكورزيني ، ثم شكل موسوليني حكومة جديدة في شمال إيطاليا بدعم من القوات الألمانية الموجودة ، وأغراه هتلر بمحاكمة شيانو وإعدامه بتهمة الخيانة العظمى . وقد تم ذلك في الشهور الأخيرة من الحرب .

٢٣ ـــ هاشـــا :

هو رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا إميل هاشا الذي انتخبته الجمعية الوطنية بعد استقالة بينيش والفريق سيروفي في أكتوبر ١٩٣٨ ثم استدعي إلى مقابلة هتلر في وقت لاحق هو ووزير خارجيته شفالكوفسكي حيث حدثهما الفوهرر بطريقة صارمة وحازمة وأعلمهما أن بلاده سوف تجتاحها الجيوش الألمانية خلال ساعات ونصحه بالاتصال التليفوني بحكومته وإبلاغها قرار الاستسلام الذي وقعه بعد قليل وقد اعتقل التشيكيون هاشا في ١٤ مايو ١٩٤٥ ولكنه مات قبل أن يحاكم .

٢٤ ـــ حرب الأفيـــون :

كانت الصين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في حالة بالغة من السوء وكان التجار الإنجليز يقومون على تجارة الأفيون ثم كانت النهضة الإصلاحية وأُلغي استخدام الأفيون ومنعت تجارته الأمر الذي أثر على أرباح التجار الإنجليز الذين رفضوا هذا القرار من الحكومة الصينية وشنت الحرب على الصين وضربت كانتون بالبوارج الحربية لفرض حرية تجارة الأفيون .

٢٥ ــ هوشــباخ :

هو العقيد هوشباخ مساعد هتلر العسكري والذي قام بتسجيل وتلخيص وقائع المؤتمر الذي رأسه هتلر في ٥ نوفمبر ١٩٣٧ والذي حضره كبار رجال الجيش الألمان ووزير الخارجية فون نيوراث ، والذي أسفر عن حقيقة أطماع هتلر ورغبته في الحرب من أجل المجال الحيوي في الشرق والمستعمرات في أفريقية . وقد نسب هذا المؤتمر إلى العقيد هوشباخ بعد أن ظهرت وقائعه في محاكمات نورمبرج .

٢٦ ــ كاناريس :

هو الأدميرال كاناريس مسئول المخابرات الألمانية الشهير الذي أدرك عدم جدوى الحرب عندما اقتربت من نهايتها ، وكان أحد المتآمرين في مؤامرة ٢٠ يوليو ١٩٤٤ ، وتم القبض عليه ، وبعد أن أشرف على الموت من شدة التعذيب جروه جرًا من زنزانته عاريًا وتم إعدامه رميًا بالرصاص في آخر أيام الحرب، وقبل أن تنتهي ، وقد شهد بذلك بعض الشهود الذين تكلموا في محاكمات نورمبرج .

٢٧ ــ روميل (١٨٩١ ــ ١٩٤٤) :

هو إرفن روميل أحد جنرالات هتلر الذي اكتسب شهرة كبيرة في القتال في أفريقية ، وقد ازدادت شعبيته عندما مدحه تشرشل في مجلس العموم وقال : « إن أمامنا خصمًا جسورًا حاذقًا لا قبل لنا به ، ولا أجد حرجًا من القول بأنه قائد عظيم رغم مذابح الحرب » . ولم يكن روميل ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية ، ولكنه ينتمي إلى أسرة متواضعة ، وكان بطلاً شعبيًا جماهيريًا في ألمانيا وربما في كل أنحاء العالم . وكان أحد الذين اشتركوا في مؤامرة ٢٠ يوليو ١٩٤٤ ، وكان يقضي فترة نقاهة

في بيته من جرح أصابه في إحدى المعارك عندما بدأت المؤامرة وأخمدت وظهر دوره فيها ، ونظرًا لشعبيته الشديدة والخوف على معنويات الشعب الألماني من الانحدار إذا وجه الاتهام إلى روميل فقد أبلغ روميل بالأدلة التي كانت ضده ، وخير بين أن يقتل نفسه أو أن يظهر في المحاكمة أمام محكمة الشعب . وفي حالة موافقته على الأختيار الأول فإنه سيحظى بالتكريم والتعظيم ولا تمس أسرته بسوء . وذهب إلى بيته ضابطان كبيران وهما الفريق ويلهلم بيرجدورف ومساعده في رئاسة مكتب شئون الأفراد للجيش الفريق إرنست مايزل — ويروي مانفرد روميل ابن روميل فيما بعد أنه بعد أن قابل والده هذان الضابطان استدعاه هو ووالدته ودخلوا غرفة مانفريد وقال : « دخلنا معًا إلى غرفتي وبدأ أبي يقول لي : « كان علي أن أبلغ والدتك أني سأغدو في عداد الموتى في خلال ربع ساعة فأنا متهم بالخيانة العظمى ، وصعب عليَّ أن أبرئ نفسي في المحكمة ، ونظرًا لخدماتي السابقة في أفريقية فقد أتاح لي هتلر فرصة الموت بالسم الذي يحمله الضابطان معهما ، وهو من نوع لا يؤلم ويقتل في ثوان ثلاث ، فإذا وافقتم على هذه الميتة فلن تتخذ ضدكم أية إجراءات . وسوف تقام لي جنازة رسمية . وقد تم إعداد كل شيء حتى في أدق التفاصيل ، وسوف تتلقى والدتك في غضون ربع ساعة رسالة تليفونية من مستشفى أو لم يقولون فيها إنني أصبت بانفجار في المخ وأنا في طريقي للاجتماع لبعض الأمور الهامة وسكتنا ولم نرد عليه » . وارتدى روميل الحلة العسكرية التي كان يرتديها وهو يقود الفيلق الإفريقي وعليها المعطف الجلدي الشهير ، ولف عنقه بالوشاح الأصفر ، وفي يمينه عصا الماريشالية ، وقام أحد الفريقين بفتح باب السيارة له ، وأخذ مكانه في المقعد الخلفي وجلس بجواره الفريق بيرجدورف ، وجلس الفريق إرنست مايزل بجوار السائق . وتوقفت السيارة بعد عدة دقائق في الغابة ، وسلمه الفريق بيرجدورف السم الذي يحمله ، ثم غادرا السيارة وتركاه وحده لمدة دقيقة وعادا إليه ووجدا رأسه ملقى على صدره وقد فارقته الحياة . ونقل إلى المستشفى القريب وأمر ألا تشرح جثته وأخطرت أسرته حسب الاتفاق . وأقيمت له جنازة رسمية ، وأعد حفل لتأبينه

خطب فيه الماريشال فون رونشتدت ، وقيل إنه لم يكن يعرف حقيقة موته ، ودعيت زوجته لحضور الاحتفال .

٢٨ ــ مؤتمر يالتا :

عندما أوشك الحلفاء على النصر وأصبح واضحًا اندحار دول المحور وخسارة ألمانيا ومن معها الحرب فقد عقد الحلفاء مؤتمرًا في يالتا في فبراير ١٩٤٥ حضره تشرشل وروزفلت وستالين اتفقوا فيه على المبادئ التي تعامل بها ألمانيا بعد الهزيمة ، ومنها ضرورة تدمير المصانع الحربية وحل الحزب النازي ومحاكمة مجرمي الحرب ، واقتلاع الروح العسكرية الألمانية ، وإنشاء مناطق مراقبة للحلفاء وفرض أكبر مبلغ للتعويضات على الألمان ، وكانت هذه مقررات في مؤتمر موسكو الذي عقد في أكتوبر سنة ١٩٤٣ في موسكو ثم عادوا فأكدوها في يالتا . واتخذوا خططًا يغلب عليها الطابع العسكري . فقد اتفقوا على تقسيم ألمانيا إلى ثلاث مناطق احتلال فتعطى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا واحدة منها ، وتدعى فرنسا إلى الإشراف على منطقة رابعة . وقرروا أن يتولى الإشراف الأعلى على إدارة الأراضي الألمانية لجنة إشراف مركزية عليا تتألف من كبار رجال القادة للدول الأربع ويكون مقرها برلين ، وحددوا بصفة مبدئية مبلغ عشرين ألف مليون دولار على ألمانيا أن تدفعها كتعويضات للحرب . واتفق أيضًا في هذا المؤتمر على منح روسيا بعض الأراضي وكذلك بولندا .

٢٩ ــ كليمنصو (١٨٤١ ــ ١٩٢٩) :

هو جورج كليمنصو ، سياسي فرنسي وأحد قادة الحزب الراديكالي الفرنسي وكان رئيسًا لوزراء فرنسا في أيام الحرب العالمية الأولى ، وكان فظ الأخلاق شديد

الذكاء ، لا يعرف الخيال سبيله إليه فهو واقعي النظرة ، عظيم الولاء إلى ثلاثة أشياء قريبة من نفسه : العلوم وفرنسا والحرية . وهو يميل إلى حب الجنس الأنجلو ساكسوني والتقرب إلى شعوبه . وكان بعيد النظر ويقدر أنه لن يأتي عام ١٩٤٠ حتى يكون لألمانيا من الشباب في سن التجنيد ضعف ما سيكون لفرنسا . وكان من رأيه أن أي حلف يعقد مع الألمان لن يفيد في حماية فرنسا من الحرب في المستقبل . وكان يؤيد أصدق التأييد مطلب المارشال فوش بعد الانتصار في الحرب الأولى بأن تمنح فرنسا قواعد على ضفتي الراين تكون بمثابة رءوس حراب ، وقد اعترض الرئيس ويلسون ولويد جورج على هذه القواعد ، وقالا : إنها بذور حرب جديدة سوف تكون .

٣٠ ــ بيرل هاربور :

عندما تطورت الأحداث في الشرق الأقصى مع بداية الحرب العالمية الثانية زاد توتر العلاقات بين الولايات المتحدة واليابان ، ونشبت المعارك بين اليابان و جيوش شان كاي شيك في الصين . وكانت بريطانيا والولايات المتحدة تمدان القوات الصينية بالمعونة الحربية . ووجد اليابانيون في ألمانيا النازية وإيطاليا حليفتين طبيعيتين . وأعلن وزير خارجية اليابان أن سياسة بلاده ستقوم على معاهدة الدول الثلاث : اليابان وألمانيا وإيطاليا . وبدأ التوتر يزداد بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية في يوليو سنة ١٩٤١ حين أعلنت اليابان في الخامس والعشرين من هذا الشهر أنها قد أخذت على عاتقها حماية مستعمرة الهند الصينية الفرنسية . وقد رد روزفلت في اليوم التالي على هذا التصرف بأن ضم القوات المسلحة لجمهورية الفلبين للقوات المسلحة الأمريكية وعيّن الجنرال دوجلاس ماك آرثر قائدًا أعلى لهذه القوات في الشرق الأقصى ، وأصدر أمرًا بتجميد الأموال والممتلكات اليابانية في أمريكا . وأرسلت الحكومة اليابانية وفدًا إلى أمريكا من أجل التفاوض . وأثناء سير المفاوضات قامت

قاذفات القنابل اليابانية المنقولة على حاملات الطائرات في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والخمسين من يوم الأحد ٧ ديسمبر ١٩٤١ بضرب الأسطول الأمريكي بالقنابل ضربًا عنيفًا مركزًا في قاعدته البحرية الضخمة في بيرل هاربور بجزر هاواي . وقضت اليابان في ضربة واحدة على التفوق الأمريكي البحري في المحيط الهادي . وعند الظهر قذفت الطائرات اليابانية مطارات الجيش الأمريكي في مانيلا بالفلبين . وقطعت المفاوضات على الفور وأعلن الكونجرس في اليوم التالي الحرب على اليابان . وبعد ثلاثة أيام أعلنت ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة .

٣١ ــ سيب دايترش :

هو أحد مساعدي هملر الكبار في قيادة الحرس النازي ، وكان متهورًا جريئًا سفاحًا . وكان قائدًا لجيش الحرس النازي المدرع السادس وهو أحد قادة (هجوم رونشتدت المضاد) وكان له دور هام في معركة الآردين في نهاية الحرب واتهم في مذبحة ماليدي وحكم عليه بالسجن خمسة وعشرين عامًا بعد انتهاء الحرب في محاكمات مجرمي الحرب التي عقدت في نورمبرج .

٣٢ ــ قوات اليانزر :

هي مجموعة من الفيالق المدرعة التي أعدت إعدادًا جيدًا وظهرت في نهاية الحرب من قوات كاملة التدريب وليس بها الصبيان والطاعنون في السن والذين كانوا سمة الجيوش الألمانية في نهاية الحرب وذلك بعد موت الكثير من الشباب في المعارك التي استهلكتهم في الانتصارات الأولى . وكانت هذه القوات تحت قيادة هتلر وهو وحده صاحب الحق في تحريكها . ولم يستطع أحد أخذ الإذن باشتراكها في معارك نورماندي عند نزول الحلفاء على الشاطئ الفرنسي في ٦ يونيو سنة ١٩٤٤ لأن

الفوهرر كان نائمًا في ذلك الوقت ولا يمكن إيقاظه فضاع وقت ثمين في القضاء على رأس الجسر الذي صنعه الحلفاء بنزولهم في نورماندي .

٣٣ ـــ ماليـــدي :

وقعت حوادث بشعة من حالات القتل بالجملة أثناء تقدم الحلفاء نحو ألمانيا وقد تم ذبح واحد وسبعين أسيرًا أمريكيًا في حقل على مقربة من مدينة ماليدي في بلجيكا في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٤ أثناء معركة بولج . وقد خالف الألمان كل الأعراف والقوانين الدولية الخاصة بمعاملة الأسير . وقد حوكم كل الذين اشتركوا في هذا الحادث بعد الحرب .

٣٤ ـــ هايدريش :

هو راينهاردت هايدريش الخبير بشئون المخابرات وكان يعمل في مخابرات الأسطول الألماني وطرده ريدر من منصبه في ١٩٣١ ، وكان في السادسة والعشرين لرفضه الزواج من ابنة أحد أصحاب السفن بعد أن أغواها . وأعد شبكة نازية للمخابرات في جميع أرجاء البلاد تضم أكثر من مائة ألف مخبر تنقل إليه كل شاردة وواردة وهو أحد الذين رتبوا فضيحة الفريق فون فريتش لطرده من الجيش . وهو الذي فرض الإرهاب على النمسا بعد اتحادها مع ألمانيا . وهو الذي نظم الشغب ضد المعارضين في ألمانيا عام ١٩٣٨ ، واشترك ورتب عملية الاعتداء على الحدود الألمانية من قبل بولنديين مزيفين تابعين للمخابرات الألمانية لتبرير غزو بولندا . وقد أعدَّ ست مجموعات من الحرس النازي للتخريب في بريطانيا . وكان هذا الرجل شخصية سادية لا أخلاق له وكان يتآمر على رئيسه هملر من أجل أن يأخذ مركزه ويحتل منصبه . وقد أصدر هتلر أمرًا بإعطاء نيوراث إجازة واختار هايدريش ليكون حاميًا لبوهيميا

ومورافيا في سبتمبر سنة ١٩٤١ . وبينما كان هايدريش يستقل سيارته المكشوفة في صباح ٢٩ مايو سنة ١٩٤٢ من بيته في الريف إلى القصر في براغ ألقيت عليه قنبلة بريطانية الصنع ، ونسفت هذه القنبلة السيارة ومعها عمود هايدريش الفقري . وتمكن الجناة من الاختفاء . ومات هايدريش متأثرًا بجراحه يوم ٤ يونيو وتمت نتيجة لموته مجموعة من المجازر المروعة ، ويقول أحد تقارير الجستابو إن ألفًا وثلاثمائة وواحدا وثلاثين تم إعدامهم على الفور من التشيكيين عند نبأ الوفاة منهم ٢٠١ امرأة . وحوصر القاتلان الفعليان ومعهما مائة وعشرون من رجال المقاومة السرية وقتلوا جميعًا عن بكرة أبيهم .

٣٥ ــ تاليران (١٧٥٤ ــ ١٨٣٨) :

هو شارل موريس تاليران دبلوماسي فرنسي ورئيس المجلس القومي عام ١٧٩٠ ثم صار وزيرًا للعلاقات الخارجية في حكومة الديركتوار بفرنسا .

٣٦ ــ فون براوختش :

كان أحد الضباط الألمان الكبار وقد اختاره هتلر لقيادة الجيش الألماني بعد فضيحة فون فريتش ، وكان يتمتع بسمعة حسنة في الجيش رغم ضعفه واستخذائه أمام هتلر . وكانت له مشكلة في الطلاق من زوجته وقد تدخل هتلر شخصيًا وكبار رجال الدولة للحصول على الطلاق ليتمكن من الزواج من النازية المتهوسة التي كان ينوي الزواج منها . وقد اشترك في ترتيبات غزو تشيكوسلوفاكيا ، وقد أرسل إليه الفريق بيك يعارضه في ذلك في رسالة هامة ، وقد عرضها براوختش على هتلر . واستقال بيك وقبلت استقالته . وقد رتب براوختش غزو بولندا . ولكنه حذر هتلر من إعلان الحرب على روسيا . وقد بين لهتلر خطورة الهجوم على انجلترا ولم

يستمع هتلر إليه . وكانت هناك مؤامرة لم تتم للإطاحة بهتلر وكان المفروض أن يشترك فيها براوختتش قبل أن تتفاقم الأمور ولا يمكن تداركها وقد وصف بيك براوختتش « بأنه إنسان من الدرجة السادسة » ، وقد توقفت المؤامرة التي سميت بمؤامرة زوسين على أن يصدر براوختتش الأمر النهائي لها بوصفه قائد الجيش . وقد حاول براوختتش أن يثني هتلر عن عزمه على اجتياح بلجيكا وهولندا بلا فائدة . وعرض على هتلر استقالته فرفضها . ولعل وجود براوختتش قائدًا عامًا للجيش قد منع حدوث انقلاب ضد هتلر لجبنه الشديد وتردده الواضح . ثم طرد من الجيش بعد ذلك .

٣٧ ـــ خط ماجينـو :

أنشيء بين عامي ١٩٣٠ ، ١٩٣٨ ، وبه مئات من المنشآت الخرسانية من مختلف الأحجام تقع تحت الأرض كقواعد للدفاع وتحرك الجيوش ، وقد كانت الدعاية تجعل منه في نظر الفرنسيين وقيادة الجيش الفرنسي بأنه الحائط الذي لا يخترق ، وأثبت عدم فاعليته عند الهجوم على فرنسا في مايو عام ١٩٤٠ .

٣٨ ـــ كونت ستوفنبرج والفريق بيك :

الكونت ستوفنبرج هو المحرك الرئيسي لمؤامرة ٢٠ يوليو ١٩٤٤ الفاشلة التي كانت تستهدف القضاء على الحكم النازي بعد قتل هتلر وتعيين الفريق بيك رئيس أركان حرب الجيش الألماني السابق رئيسًا للدولة ، والدخول في مفاوضات استسلام مع الحلفاء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه . وقد أعدم ستوفنبرج في تلك الليلة ، وطلب الفريق فروم من الفريق بيك الانتحار ولكنه لم يستطع بعد عدة محاولات فأمر بعض الضباط بالإجهاز عليه وقتله فقد كان يعلم صلة فروم بالمتآمرين .

٣٩ ـ فون مولتكه (١٨٠٠ ـ ١٨٩١) :

هو هيلموت شارل برنار مولتكه . جنرال بروسي ولد في بارشيم وكان له الفضل في تنظيم العمليات الحربية للجيش البروسي عام ١٨٦٦ ، وكذلك للجيش الألماني ١٨٧٠ ، وهو الذي قاد ألمانيا في نصرها على فرنسا في حرب السبعين ، ويعد من أعظم قادة الحروب في أوروبا الذين ظهروا في القرن التاسع عشر ، وهو خبير في الشئون الاستراتيجية في ذلك الزمن .

٤٠ ـ هجوم رونشتدت المضاد :

في نهاية الحرب العالمية الثانية كانت أفكار هتلر قد بعدت تمامًا عن الواقع ، فبعد أن صارت قوات الحلفاء على مقربة من أرض الرايخ وكذلك القوات السوفيتية جاءته فكرة محمومة مجنونة حول هجوم مضاد يقوم به الماريشال كارل رودلف فون رونشتدت ، وكان قد عزل من الجيش ثم أعيد إليه تحت ضغط الضباط والجنرالات عندما ساءت الأمور وبعد أن سقطت مدينة أنفرس في يد الحلفاء في الجبهة الغربية . فقد كان مشهودًا له ببراعة الاستراتيجية . وقد قاد رونشتدت آخر هجوم كبير قدر للنازيين أن يقوموا به فيما يسمى بمعركة الآردين . وقد بدأ الهجوم في الآردين يوم ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، وحققوا بعض الانتصارات في البداية . ولكن مع الأيام الأولى من شهر يناير سنة ١٩٤٥ استعادت القوات الأمريكية كل الأراضي التي فقدتها بعد أن ألحقت بالجيش الألماني خسائر تحول بينه وبين الاستمرار في قتال جدي بعد ذلك . ويبدو أن هذا الهجوم الذي نسب إلى رونشتدت لم يكن من إعداده بل كان من ترتيب هتلر وكبار معاونيه العسكريين . وقد تم عزل رونشتدت يوم ١٠ مارس سنة ١٩٤٥ للمرة الأخيرة من قيادة الجيش وعاد راضيًا إلى ألمانيا فهو يرى أن إرسال الجندي للقتال في حرب يائسة جريمة لا تعادلها جريمة أخرى .

٤١ ــ باتون .

هو واحد من أعظم جنرالات الحلفاء الذين يجيدون التاكتيك وهو عدواني شرس متقلب المزاج ، وهو على نفس مستوى جودريان وروومل . اشترك في الحرب العالمية الثانية . وأظهر كفاءة عالية في قيادة الفيلق الثاني في تونس عام ١٩٤٣ وكذلك أثناء قيادته للجيش السابع الأمريكي في صقلية وصار قائداً للجيش الثالث الأمريكي عام ١٩٤٤ وقائدا لحملة اللورين وقاد معركة الآردين بنجاح ، ومات في حادث سيارة بألمانيا .

٤٢ ــ شـوشنج :

هو آخر مستشار للنمسا قبل عملية الأنشلوس والاتحاد مع ألمانيا ، وقد تم اعتقاله فيما بعد وأنقذته قوات الحلفاء من الإعدام .

٤٣ ــ دلفوس :

كان مستشارًا للنمسا قبل شوشنج ، وقد اغتاله النازيون لوطنيته .

٤٤ ــ جيتو كايلس :

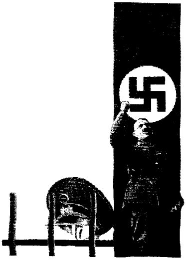
كان الحرس النازي قد جمع أكثر من أربعمائة ألف يهودي في جيتو بوارسو مع نهاية خريف ١٩٤٠ أي بعد عام من احتلال بولندا . وعزلوهم في منطقة تبلغ ميلين ونصفا طولاً وميلاً عرضًا . وهي تحيط بالجيتو القديم القائم من أيام العصور الوسطى ، وكان المكان لا يتسع لأكثر من مائة ألف ، فاكتظ بمن فيه عند حشد

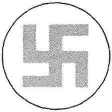
هذا العدد الكبير . وقد رفض الحاكم العام فرانك أن يخصص لهم كميات من المواد الغذائية تكفي لإطعام نصف القاطنين . وأمر بإطلاق النار على من يفكر في مغادرة هذا المعزل . وقد حاولوا القضاء عليهم بالموت جوعًا ولما لم يستطيعوا حاصروا المكان وأطلقوا النيران وحرقوا المساكن واصطادوا الأحياء الذين حاولوا الهرب عبر قنوات الصرف . وقد أبيد معظم من كانوا بهذا المعزل والذين تبقوا أرسلوهم إلى معسكرات الاعتقال ليواجهوا الإبادة والإعدام بطرق أخرى .

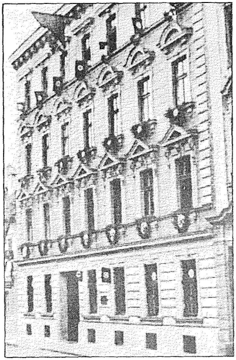
٤٥ ــ انتحار جورنج :

عندما صدر حكم الإعدام ضد جورنج من محكمة نورمبرج لكبار مجرمي الحرب كان كل همه أن ينجو من تنفيذ حكم الإعدام هذا الذي كان يقضي بشنقه ، وهو مهانة كبيرة بالنسبة لضابط مثله ، واستطاع أن يتفق مع زوجته في اتصال سري أجراه معها فحضرت لزيارته الأخيرة ومعها حبة من السيانيد القاتل ، وقدمت له هذه الحبة في فمه وهي تقبله القبلة الأخيرة . ودخل جورنج إلى زنزانته وتمدد على سريره الصغير وقضم الحبة بأسنانه وغادرته الحياة في لحظة ، ولم تكتشف وفاته إلا بعد ساعتين من حدوثها . وهكذا نجا جورنج من تنفيذ حكم الإعدام شنقًا فيه .

ملحق الصور

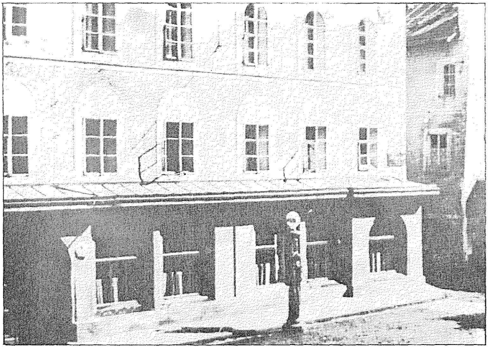






المنزل الذي ولد فيه هتلر .

المنزل الذي انتقلت إليه الأسرة للإقامة بعد موت والد هتلر .





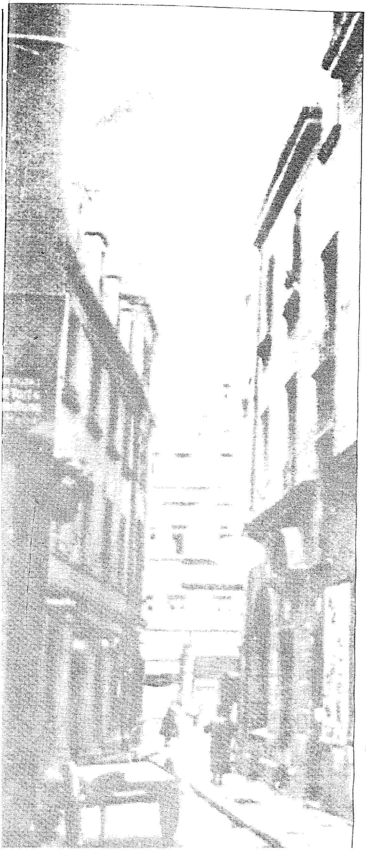
والدة هتلر .



هتلر مع زملائه في المدرسة .



طقوس نازية قبل الوصول إلى السلطة.



حانة الجعة الشهيرة بميونخ والتي حدثت بها
محاولة هتلر للانقلاب عام ١٩٢٣ .

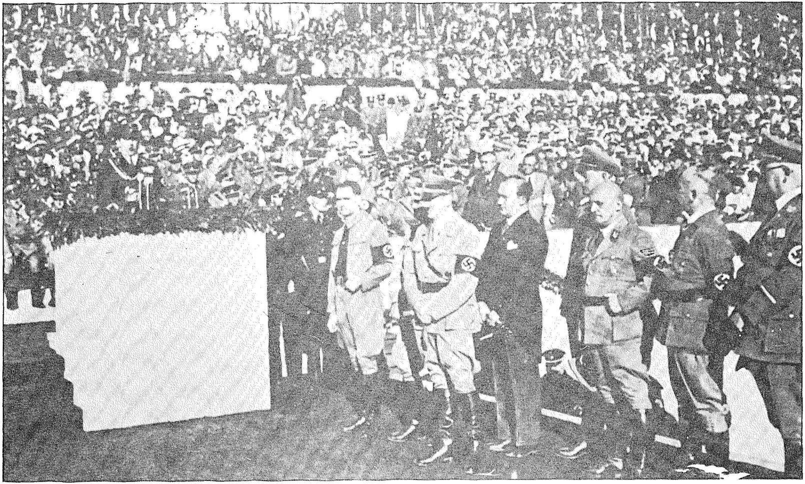




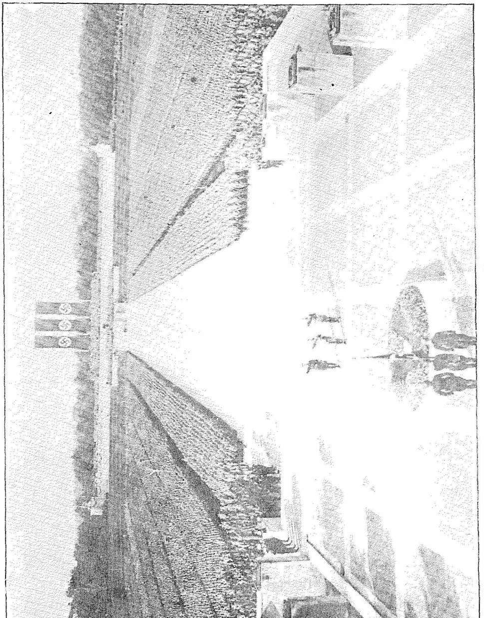
احتفالات شبيبة هتلر بيوم الحزب في نورمبرج .

هندنبرج بين هتلر وجورنج .

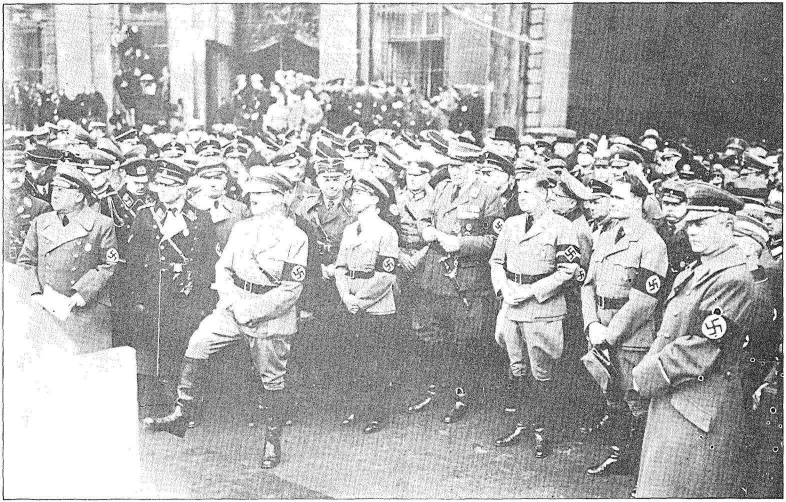




هيس وهتلر وسبير وفاجنر وشفارتز قبل خطاب يوم الحزب .



احتفالات القوة في نورمبرج في عصر المجد .

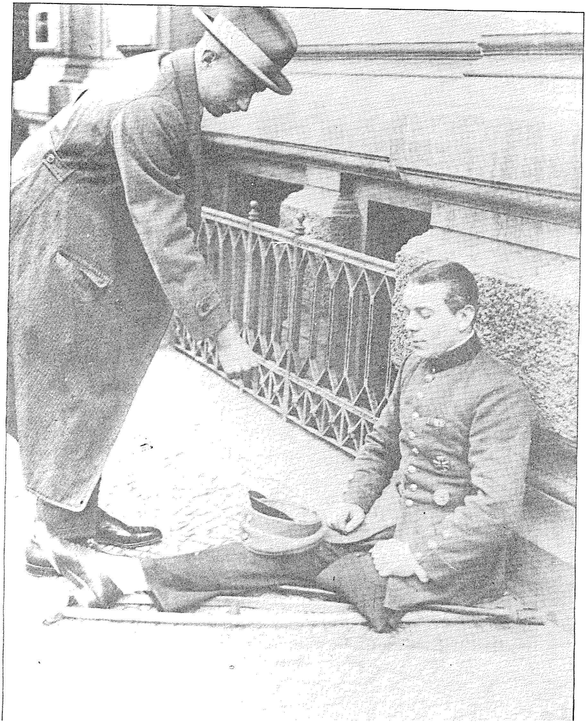


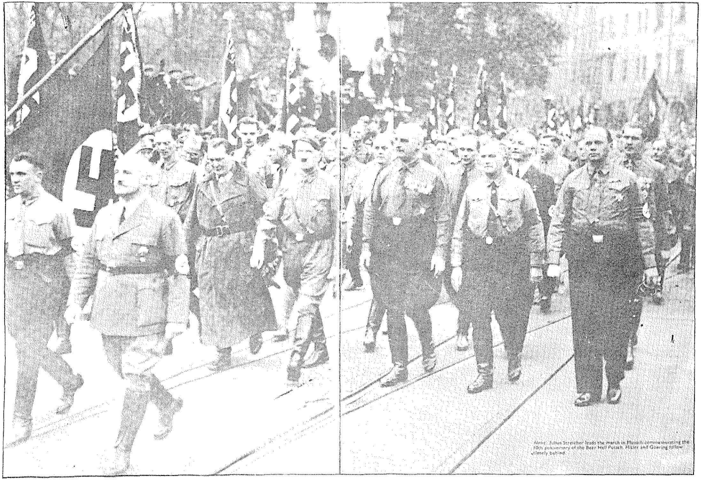
الطقوس والاحتفالات في فجر السلطة .

الجيش الألماني منسحبًا بعد الهزيمة في الحرب العالمية الأولى .

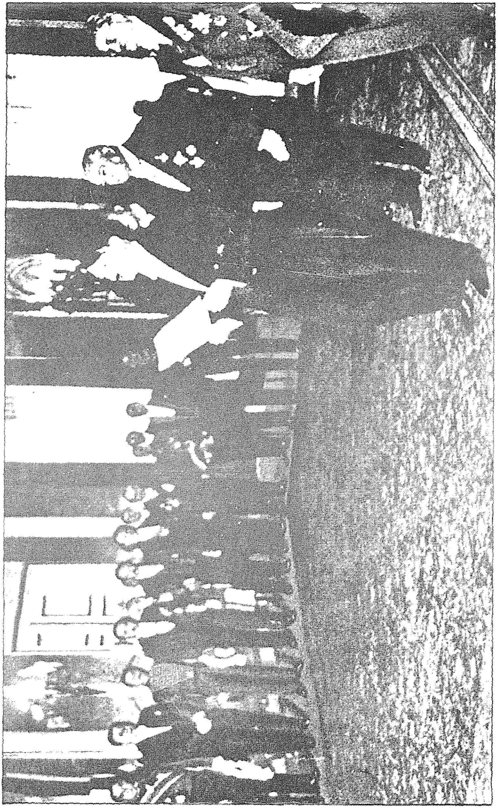


الضباط يتسولون في الطرقات بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى .





طقوس في ذكرى انقلاب حانة الجعة للحرس النازي القديم .



هتلر يصبح مستشاراً لألمانيا.



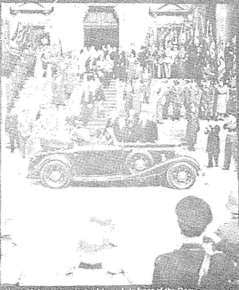
Above: Hitler and Goering a few months before the wedding.



Above: The couple during the service held on 10 April 1935.



Above: The happy couple salute the crowds outside the Dom.

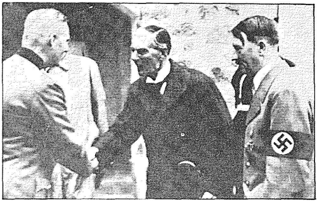


Above: Hitler greets the bridal couple in front of the Dom.

Goering's Wedding

Hermann Goering's first wife, Karin, died tragically and his remarriage in 1935 to film star Emmy Sonnemann was a major popular event in Berlin. Hitler was Goering's best man.

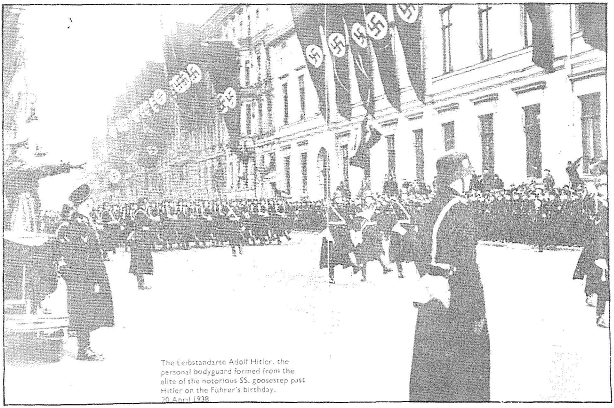
احتفالات زواج جورنج في عام ١٩٣٥ .



تشمبرلين يحيي الجنرال كايتل في حضور هتلر .



جورنج أمام هتلر في فجر السلطة .



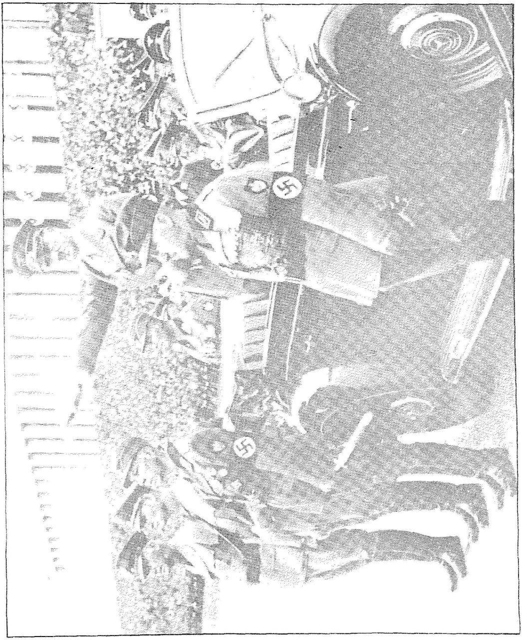
The Leibstandarte Adolf Hitler, the personal bodyguard formed from the elite of the notorious SS, goosestep past Hitler on the Führer's birthday. 20 April 1938

احتفالات الفرق الخاصة بعيد ميلاد هتلر ٢٠ أبريل ١٩٣٨ .

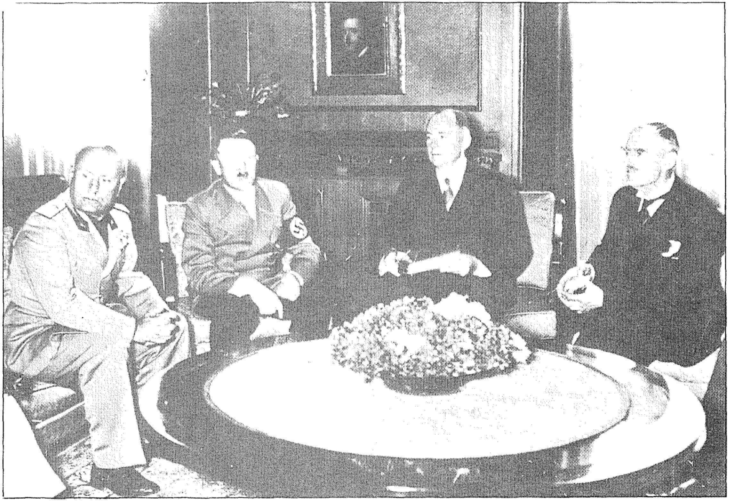




هتلر مع فون فريتشه وفون بلومبرج عام ١٩٣٥ ، وقد تم عزل الاثنين عام ١٩٣٨ فقد كانا ضد الحرب العدوانية .



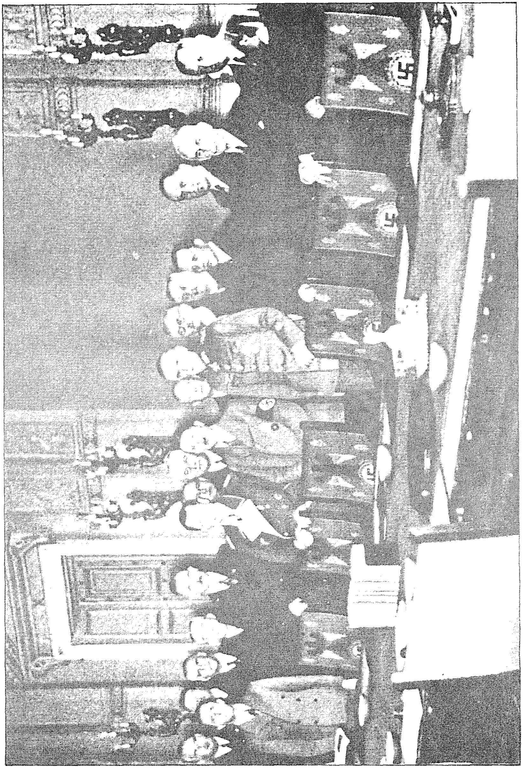
هتلر في ذروة المجد .



موسوليني وهتلر ودالاديه وتشامبرلين (ميونخ ١٩٣٨) .



موسوليني يصافح دالاديه وبينهما هتلر عند توقيع معاهدة ميونخ ١٩٣٨ .



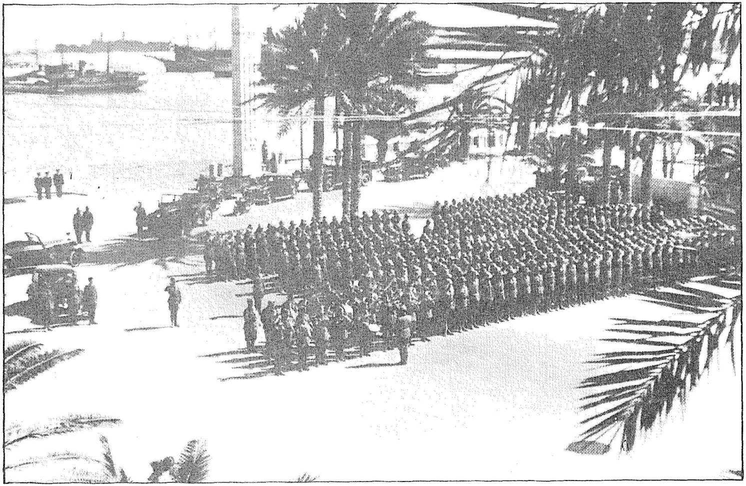
مجلس وزراء هتلر في ١٩٣٥ .



هتلر يصافح سايس انكوارت .



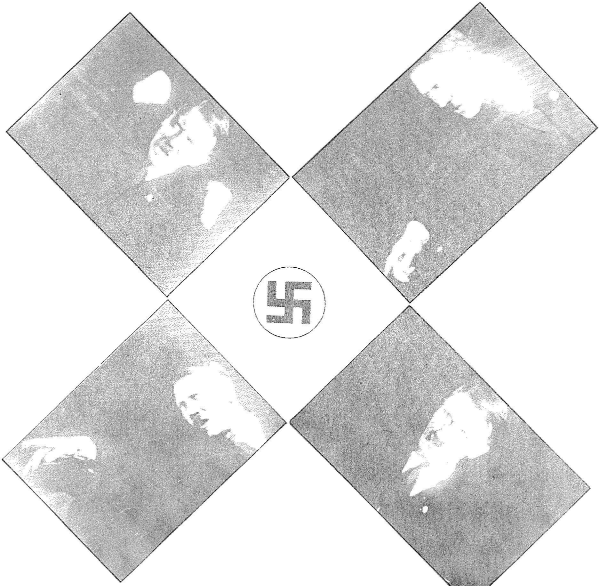
فون شيراخ .



القوات الألمانية تنزل طرابلس عام ١٩٤١ بقيادة روميل .

الأطفال والنساء يساقون إلى الإعدام .





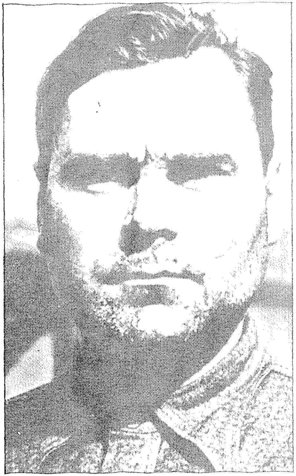
هتلر يستطيع أن يلهب مشاعر الجماهير .



مجموعات من المواطنين في طريقهم إلى الإعدام .



زبانية التعذيب أثناء المحاكمة .

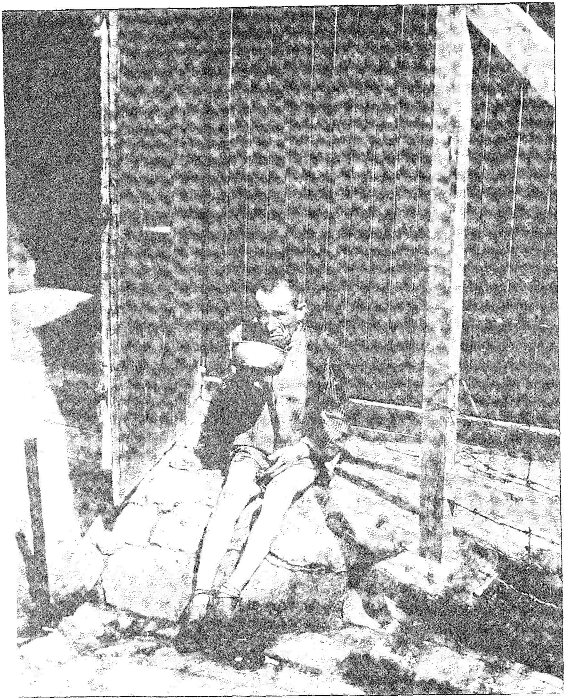


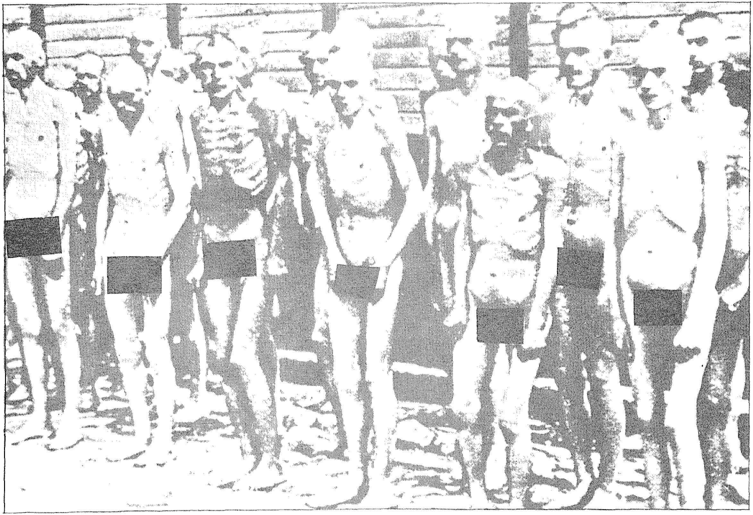
الجلاد كرايمر عند القبض عليه .



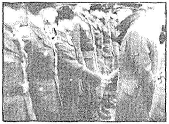
نسوة أنقذتهم قوات الحلفاء قبل إعدامهن .

معتقل أنقذته القوات الأمريكية قبل الإعدام .





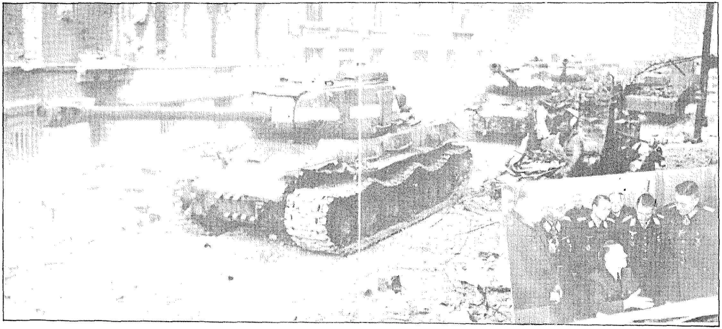
معتقلون أنقذتهم قوات الحلفاء قبل الإعدام .



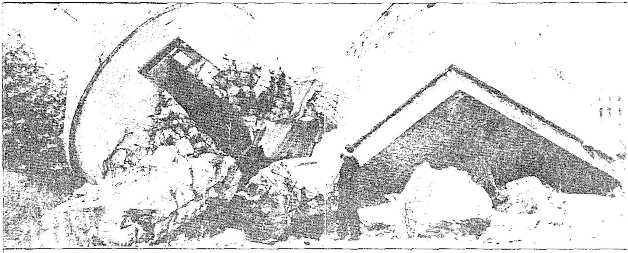


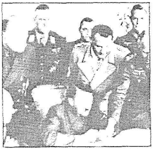
The Final Days



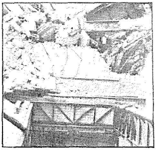


أيام ألمانيا الأخيرة قبل الاستسلام .





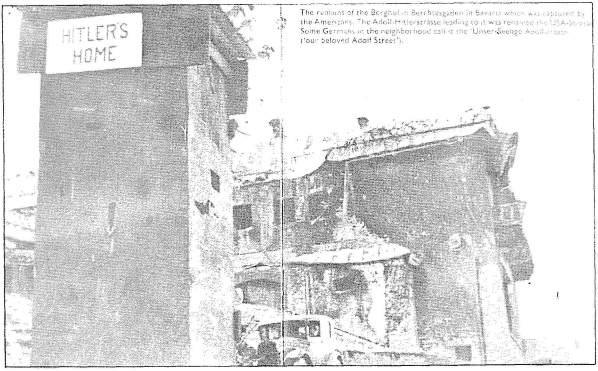




من آثار قصف الحلفاء لألمانيا - هتلر يرتدي نظارة طبية وخلفه ريبنتروب وجورنج في أيام الحرب الأخيرة .

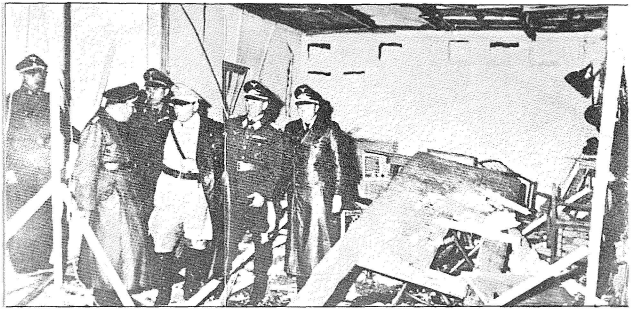


الإعدام السريع في البلاد المحتلة للوطنيين .



The remains of the Berghof in Berchtesgaden in Bavaria which was captured by the Americans. The Adolf-Hitlerstrasse leading to it was renamed the USA-Strasse. Some Germans in the neighborhood call it the 'Unser-Seelige-Adolfstrasse' ('our beloved Adolf Street').

منزل هتلر في بريختستجادن بعد قصفه من الجو .



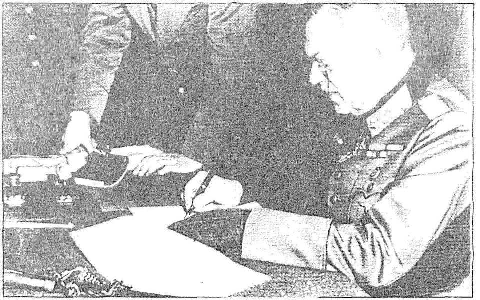
التدمير الذي تم عقب محاولة قتل هتلر في ٢٠ يوليو ١٩٤٤ الفاشلة .



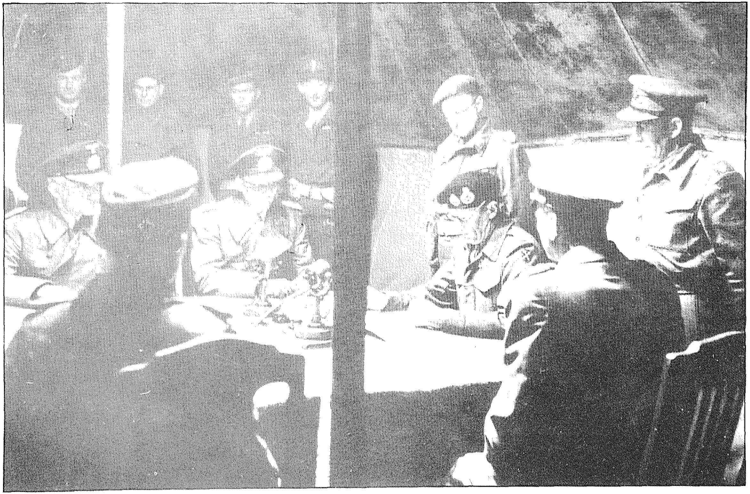
صورة لهتلر وإيفا براون قبل انتحارهما .



هتلر وموسوليني عقب محاولة الاغتيال مباشرة في ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٤ .



كايتل يوقع استسلام ألمانيا في ٧ مايو ١٩٤٥ في ريمز .



ترتيبات استسلام ألمانيا .



"All the News That's Fit to Print"

The New York Times.

CITY EDITION

NEW YORK, TUESDAY, MAY 8, 1945.

THREE CENTS

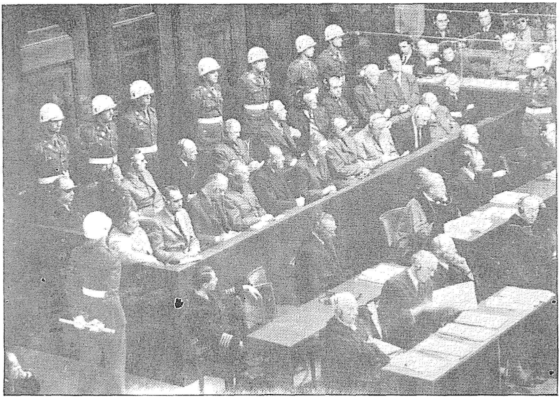
THE WAR IN EUROPE IS ENDED! NAZIS SIGN SURRENDER TERMS; V-E WILL BE PROCLAIMED TODAY; LAST FIGHTING IN CZECH POCKET

Pulitzer Awards For 1944 Revealed

GERMANS CAPITULATE UNCONDITIONALLY

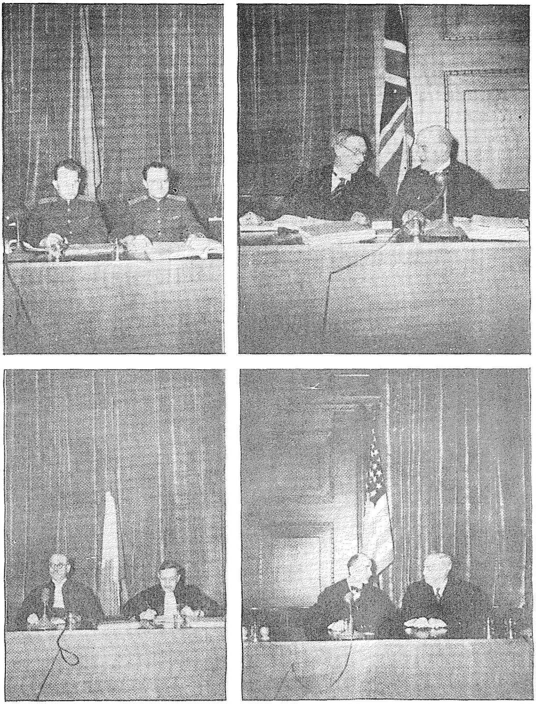
American, Russian and French Generals Accept Surrender in Reims School House Used as Eisenhower's Headquarters

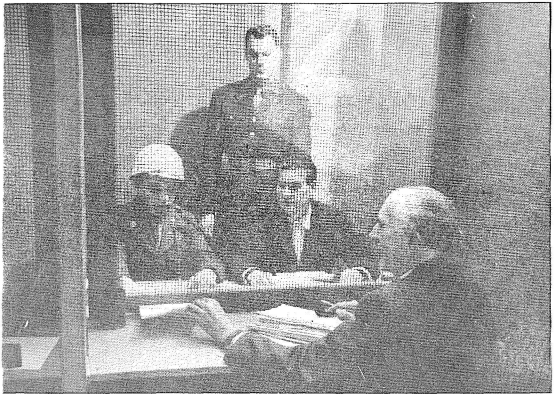
الصحافة صبيحة استسلام ألمانيا غير المشروط في ٧ / مايو / ١٩٤٥ .



منظر عام لقفص المتهمين .

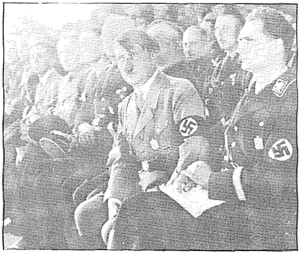
قضاة المحكمة في لقطات مختلفة .





فون شيراخ يتحدث إلى محاميه الدكتور ساوتر .

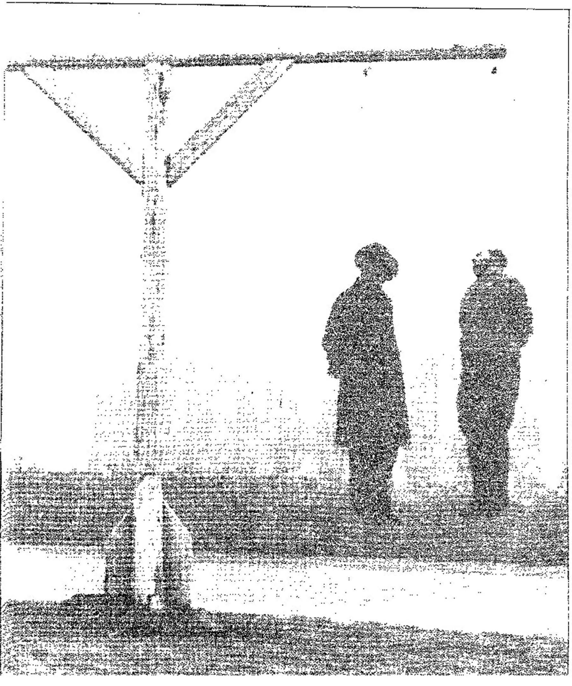
هتلر وهيس .

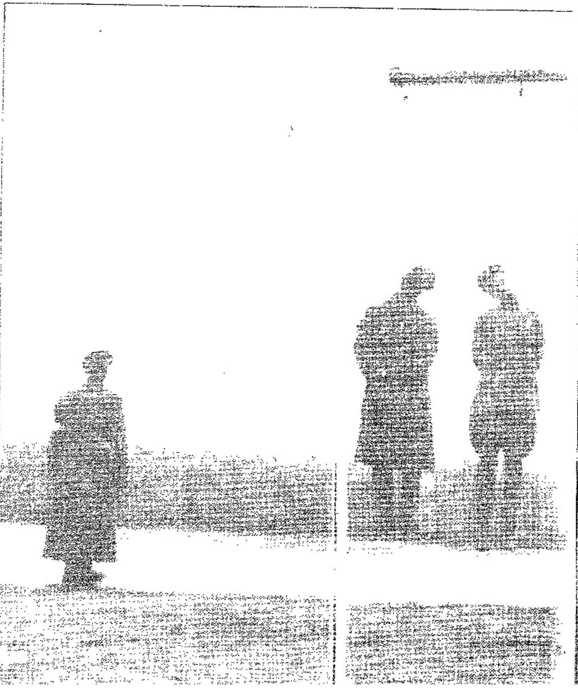


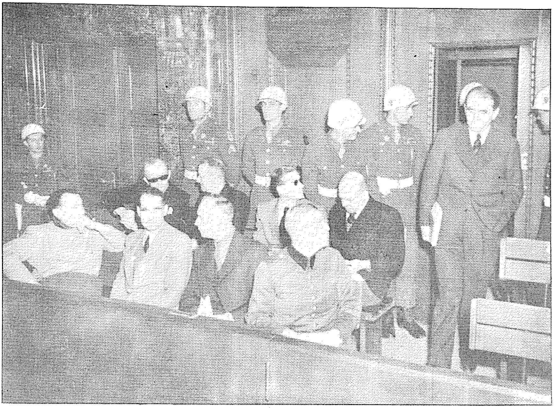
هتلر وكايتل



الشنق العلني لقتل الشجاعة في الشعوب المقهورة التي اجتاحها النازيون .



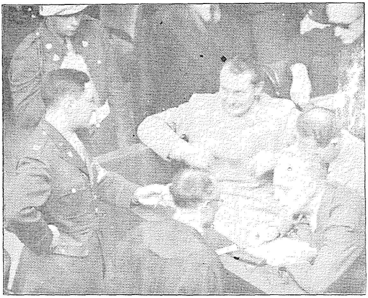




▲ من اليسار جورنج وهيس وريبنتروب وكايتل في الأمام ويقف سبير من اليسار في الخلف ودونيتز وفون شيراخ وساوكل .

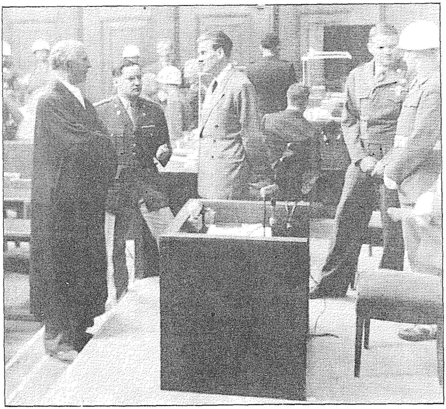
▼ في قاعة الطعام : روزنبرج ، جورنج،دونيتز وفون شيراخ .





المؤلف د . جيلبرت يتحدث إلى جورنج .

فون شيراخ يتحدث إلى محاميه .



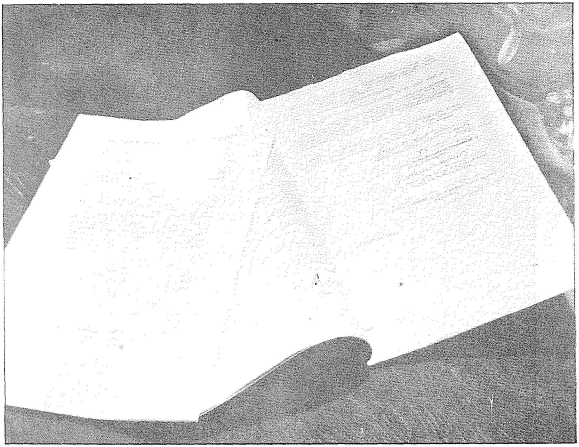


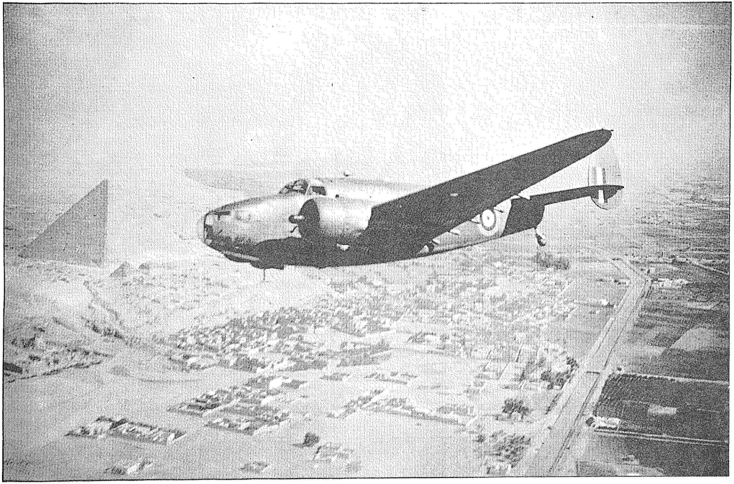
مناقشة مع فرانك

هيس يوم وقف للدفاع وهو يتحدث إلى محاميه .

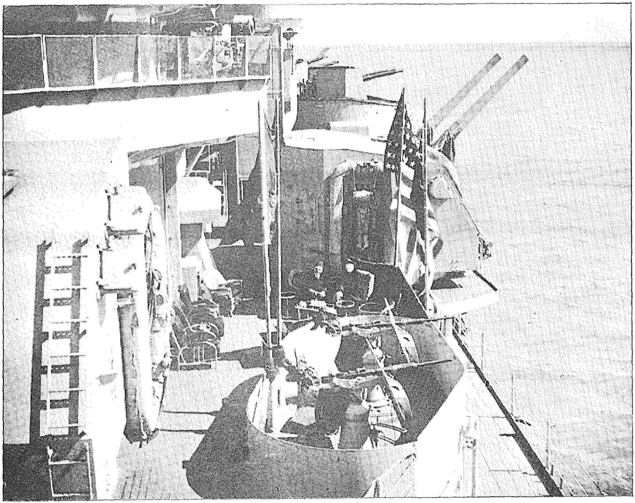


الاتهـام .





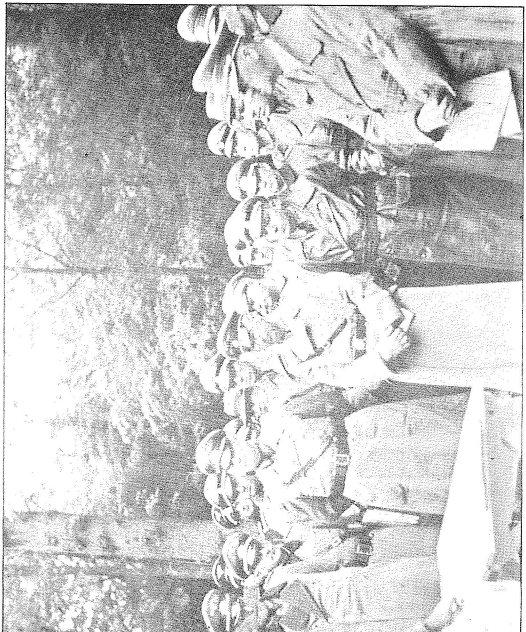
الطائرات الإنجليزية فوق الهرم بموجب معاهدة ١٩٣٦ .



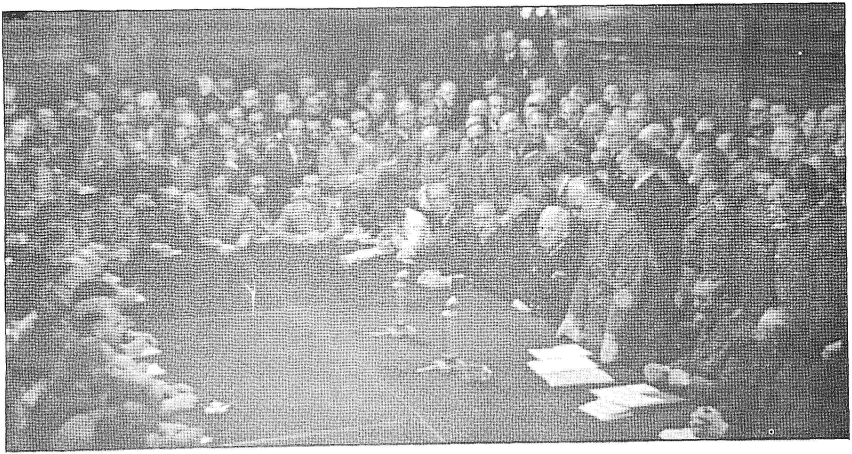
البحرية الإنجليزية في ميناء الإسكندرية .



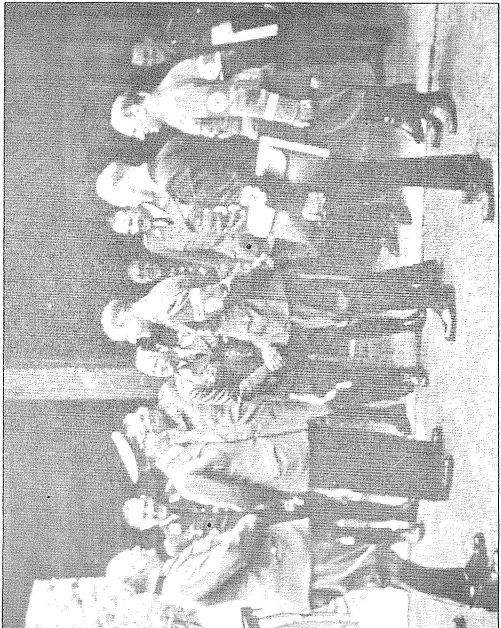
الجنرال ديجول في ١٩ أغسطس ١٩٤٤ بعد تحرير باريس من النازي .



هتلر وهملر وكايتل مع رؤساء فرق الأمن.

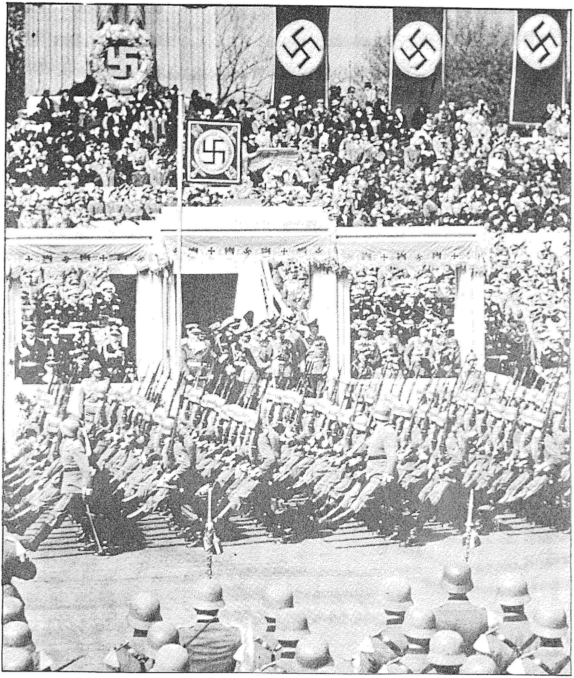


ريبنتروب يعلن بدء الحرب على روسيا يوم ٢٢ يونيو ١٩٤١ .



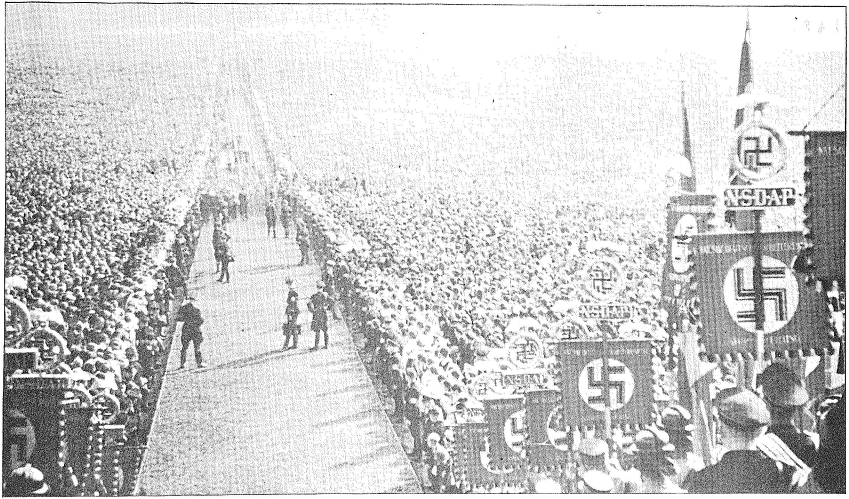
سبير وكايتل وآخرون مع هتلر .

الأعياد القومية هي شعار ألمانيا .



هتلر أثناء زيارته لروما عام ١٩٣٨ ومعه هملر ويظهر موسوليني في الصورة .

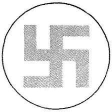




الرايخ الثالث في ذروة المجد .



الجنرال باتون .



ستالين وروزفلت وتشرشل .



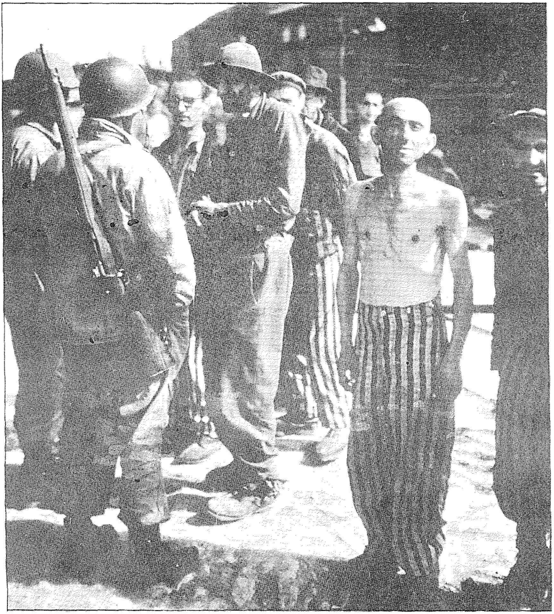


الفيلد مارشال فون رونشدت .◀

▼ ألمانيا تدمرها قوات الحلفاء .



تحرير بعض المعتقلين من الإبادة .



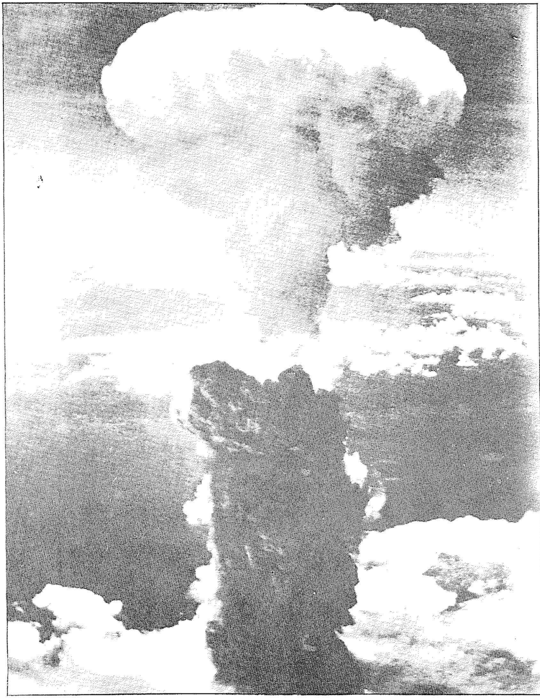
نجدتهم قوات الحلفاء قبل الموت .



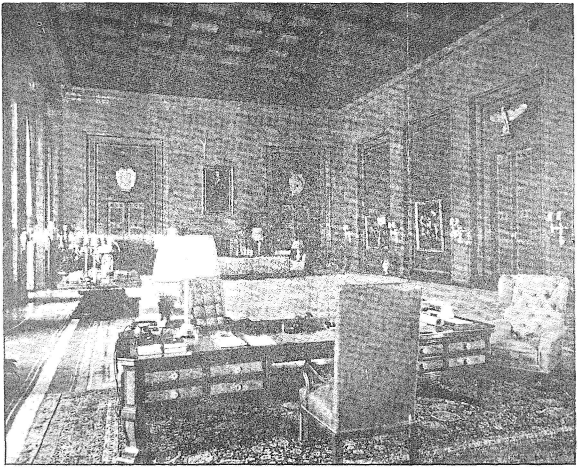
معسكر الإبادة بـ « بوخانفيلد » عند استيلاء الحلفاء عليه في ١١ أبريل ١٩٤٥ .



القنبلة الذرية على ناجازاكي في ٩ أغسطس ١٩٤٥ .



مكتب هتلر الذي انتحر فيه مع إيفا براون .





القتلى من الألمان في كل مكان .

الإصدارات الحديثة

الإصدارات الحديثة

1	امنعوا هذا الرجل من هدم الكعبة . (وثائق ومستندات)	تقديم الأستاذ / أحمد رائف
2	حقوق الإنسان في العراق . (من تقارير المنظمة العربية لحقوق الإنسان)	تقديم الأستاذ / أحمد رائف
3	كنا عصابة من اللصوص والقتلة خلف مليشيات صدام للإعدام .	حردان التكريتي – وزير الدفاع العراقي الأسبق
4	أيام بغداد السوداء .	الأستاذ / جمال بدوي
5	جرائم صدام الكيماوية . (سجل مصور بالألوان)	تقديم الأستاذ / أحمد رائف
6	السفاح بين العراق الذبيح والكويت الجريح	الأستاذ / محمد العباسي
7	المهيب الركن . (كاريكاتير)	الفنان / مصطفى حسين
8	طاغية البعث في مياه الخليج	الأستاذ / أحمد بهجت
9	الاجتياح العراقي للكويت في الميزان التاريخي .	الدكتور / عبد العظيم رمضان
10	أزمة الخليج فداحة الجريمه وضلال التبرير	الأستاذ / خالد محمد خالد
11	العرش الأردني بين الخيانة العربية الكبرى والتآمر مع صدام حسين	الأستاذ / محمد العباسي
12	شاويش البعث علي عبد الله صالح	الأستاذ / محمد العباسي
13	بلاد الخوف وأرض الرعب	تقديم الأستاذ / أحمد رائف
14	الحرب بين الإسلام والشيطان	الأستاذ / أحمد رائف
15	سكرتيرة صدام تتكلم	الأستاذة / خالدة عبد القهار
16	مؤامرة القرن 21 (دور السعودية في التواجد الأجنبي)	الأستاذ / محمد الطويل

17	الكويت جزء من الجزيرة العربية	الأستاذ / أحمد عادل كمال
18	العبث بالإسلام في أزمة الخليج	الدكتور / محمد سليم العوّا
19	جمهورية الخوف	ترجمة الأستاذ / أحمد رائف
20	ياسر عرفات تاجر الشنطة الفلسطينية	الأستاذ / محمد العباسي
21	التنكيت والتبكيت في غزو الكويت (كاريكاتير)	الفنان / عصام حنفي
22	مذكرات بعثي سابق	الأستاذ / سليمان فرحات
23	حزب البعث في مواجهة الإسلام	الأستاذ / محمد العباسي
24	أزمة الخليج واستراتيجية الأمن العربي	الأستاذ / عباس الطرابيلي
25	مذابح صدام في الكويت	الأستاذ / حامد سليمان
26	على حافة الكارثة	مركز دراسات الزهراء
27	الشرعية الدولية وأزمة الخليج	المستشار / محمد فهيم درويش
28	الفتنة الصدامية الكبرى	الأستاذ / حسن ده[illegible]
29	صدام في ميزان الإسلام	الأستاذ / محمود النجيري
30	حرب الخليج في ميزان الفقه الإسلامي	الأستاذ / مناع القطان
31	الكعبة المشرفة والعدوان عليها	الدكتور / حسين مؤنس
32	على هامش محاكمات نورمبرج	الأستاذ / أحمد رائف
33	حرب الخليج في الميزان التاريخي	الدكتور / عبد العظيم رمضان
34	من عاصفة الصحراء إلى أم الهزائم	الأستاذ / محمد العباسي
35	قالوا عن صدام	مجموعة من المفكرين
36	رأي الإسلام في جريمة صدام	مجموعة من العلماء
37	الوصاية الأردنية	الدكتور / سليمان بشير
38	مجرم الحرب التكريتي (قراءة في سفر العدوان)	الأستاذ / أحمد رائف
39	صدام بين الأقوال والأفعال	دكتور / سليمان بشير
40	صدام الإجرام وسماسرة الكلام	الأستاذ / إسماعيل النقيب
41	قرصان الخليج	الأستاذ / سعيد عبد الخالق

42	صدام حسين وعصابة الأربعة	الأستـــــاذ / إبراهيم سعــدة
43	المرابطون	الأستـــــاذ / زبـن العتيبـــي
44	الحرب بين الإسلام والشيطان	مــــــــلصق
45	قتل أصحاب الأخدود	مــــــــلصق
46	قابيل أين أخوك هابيل ؟	مــــــــلصق
47	مخطئ من ظن يوما أن للظالم دينًا	مــــــــلصق
48	بيان للناس في أزمة الخليج	كتــــــــيب

تحت الطبع

1	آثار حرب الخليج المدمرة على البيئة	حاتم نصر فريد
2	يوميات بغداد السرية	سليمان فرحات
3	صدام حسين .. محنة الإسلام والتاريخ	محمد عبد الواحد حجازي
4	البترول وأثره في أزمة الخليج	عباس الطرابيلي
5	موقف دول الجوار الجغرافي من أزمة الخليج	نيڤين مسعد
6	صدام بين عدي وقصي (أسرار العائلة المقدسة)	عادل عفيفي
7	موقف العراق من القضية الفلسطينية	محمد العباسي
8	الانتفاضة الإسلامية والكردية بالعراق	محمد العباسي
9	حزب البعث (التاريخ – الممارسة – الفكر)	محمد العباسي
10	الإسلاميون في حارة اليهود	د . محمد سليم العوّا
11	الغزو العراقي للكويت بين التآمر والاستبداد	
12	الدور العربي في الحرب الإيرانية العراقية	محمد العباسي
13	الدولة السعودية (فجر الاستقلال وآفاق الإسلام)	د . عبد الله التركي
14	عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي	
15	العلاقات الإيرانية العربية من منظور أزمة الخليج	محمد العباسي
16	أزمة الخليج في مرآة الشارع الإسلامي	د . عبد الصبور شاهين
17	الفخ والعاصفة (أسرار حرب الخليج)	وجدي قنديل
18	أزمة الخليج وأثرها على الأسرة العربية	سعيد صادق
19	مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج	
20	صدام حسين بين الدولة والحزب	خالدة عبد القهار

21	تنمية العالم الثالث بين العراق والدول الخليجية	د . حسين شحاته
22	مطلوب حياً أو ميتاً (كاريكاتير)	رؤوف عبده
23	الحركة الإسلامية الحاضر والمستقبل (دراسة نقدية)	أحمد رائف

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

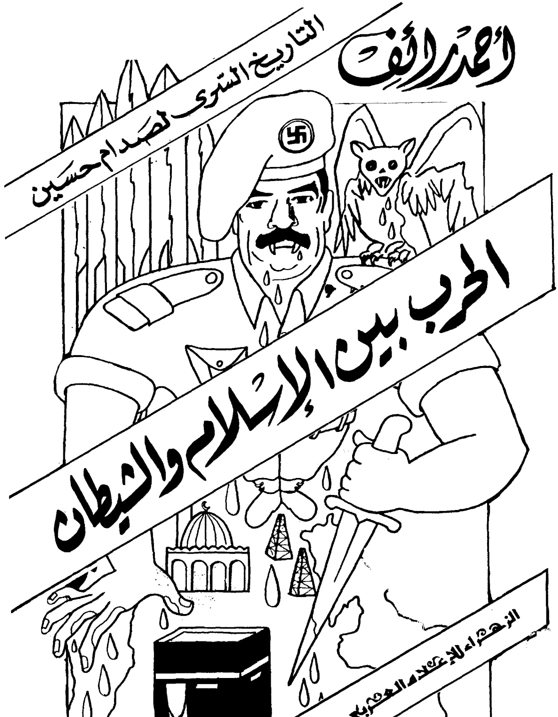
الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة


حسن دوح
الفتنة الصدامية الكبرى
الزهراء للإعلام العربي


عباس الطرابيلي
أزمة الخليج
واستراتيجية الأمن العربي
الزهراء للإعلام العربي


أحمد رائف
التاريخ السري لصدام حسين
الحرب بين الإسلام والشيطان
الزهراء للإعلام العربي

رقم الإيداع : ٢٩٣٩ / ١٩٩١
الترقيم الدولي : ٣ - ٠٣٤ - ٢٥٧ - ٩٧٧

مطابع الزهراء للإعلام العربي
١٤ شارع الطيران - رابعة العدوية
مدينة نصر - ت ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦
القاهرة

على هامش

محاكمات نورمبرج

محاكمة مجرمي الحرب ضرورة إنسانية وإسلامية

نحن ندعو العالم الحر أن يسعى لإيجاد الصيغة المناسبة للقبض على صدام حسين وتقديمه إلى المحاكمة ، وأن تتكون قوة حراسة دولية لحماية الشعوب المسكينة من الكلاب الضالة المجرمة التي تحكمت في مصائر الناس وأذلت العباد وحولت الرعايا إلى قطعان من النعاج ، ولم يعد في إمكاننا عمل شيء غير هذا الرجاء حتى يعتدل ميزان الزمن وتأخذ الحضارة دورتها المرتبطة بالسنن والنواميس ويشرق فجر جديد نستطيع فيه كشعوب أن نقضي على تلك الغدة السامة ، التي تفرز الطغاة والظالمين ، ويكون عالم جديد من الحرية والخير والحق وينجح الناس في حكم أنفسهم ونأخذ مكاننا الطبيعي في ركب الحضارة المتدفق عبر التاريخ الموغل في أنوار المستقبل وفي هدي من تعاليم الإسلام .

الزهراء للإعلام العربي